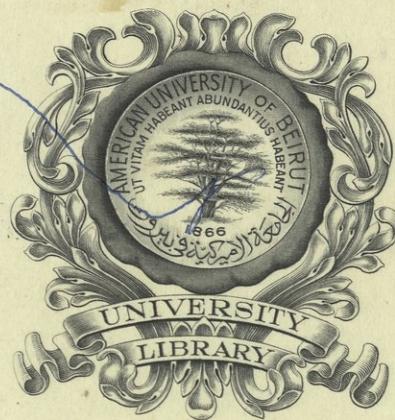


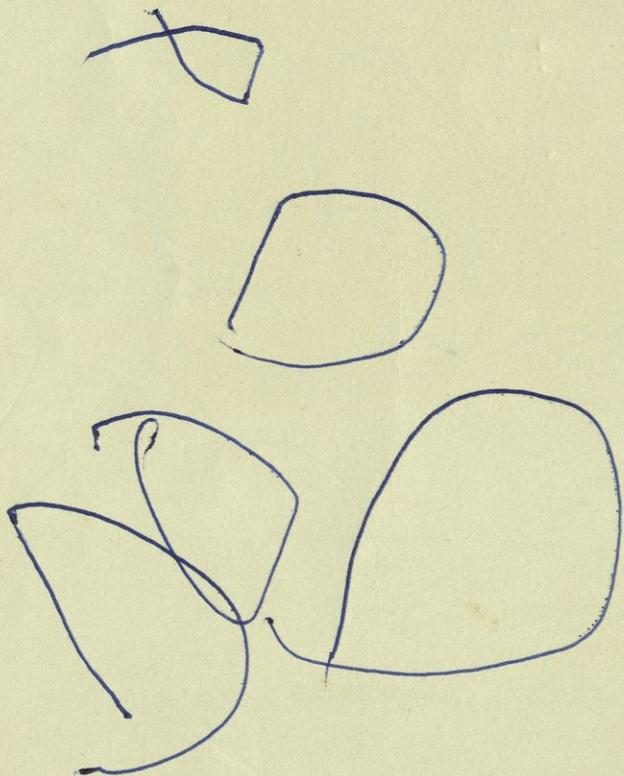
A.U.R LIBRARY

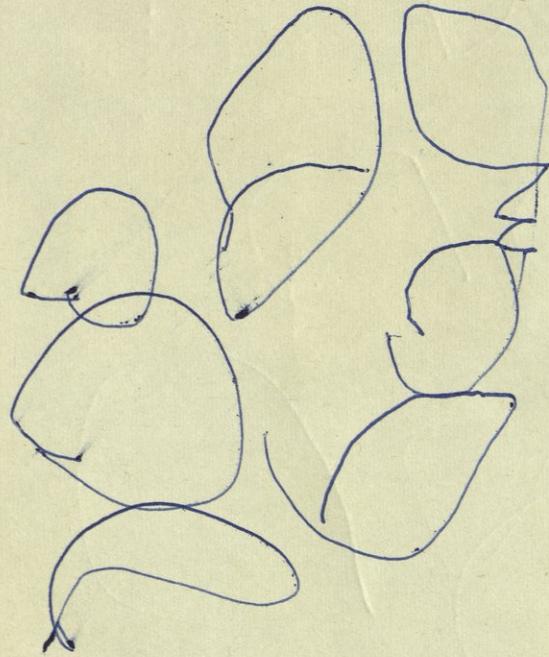
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



مجلد صالح الدقر
تلفون ٢٢٩٧

A.U.B. LIBRARY





كتاب المؤلف "الادارة والعلم"
طبع معهد صارقة ضع دار المقام

الطبعة
الثانية

الدّولَةُ وَالْتَّعْلِيمُ



نظم التعليم في الدول العربية بمفهومها والكلمات

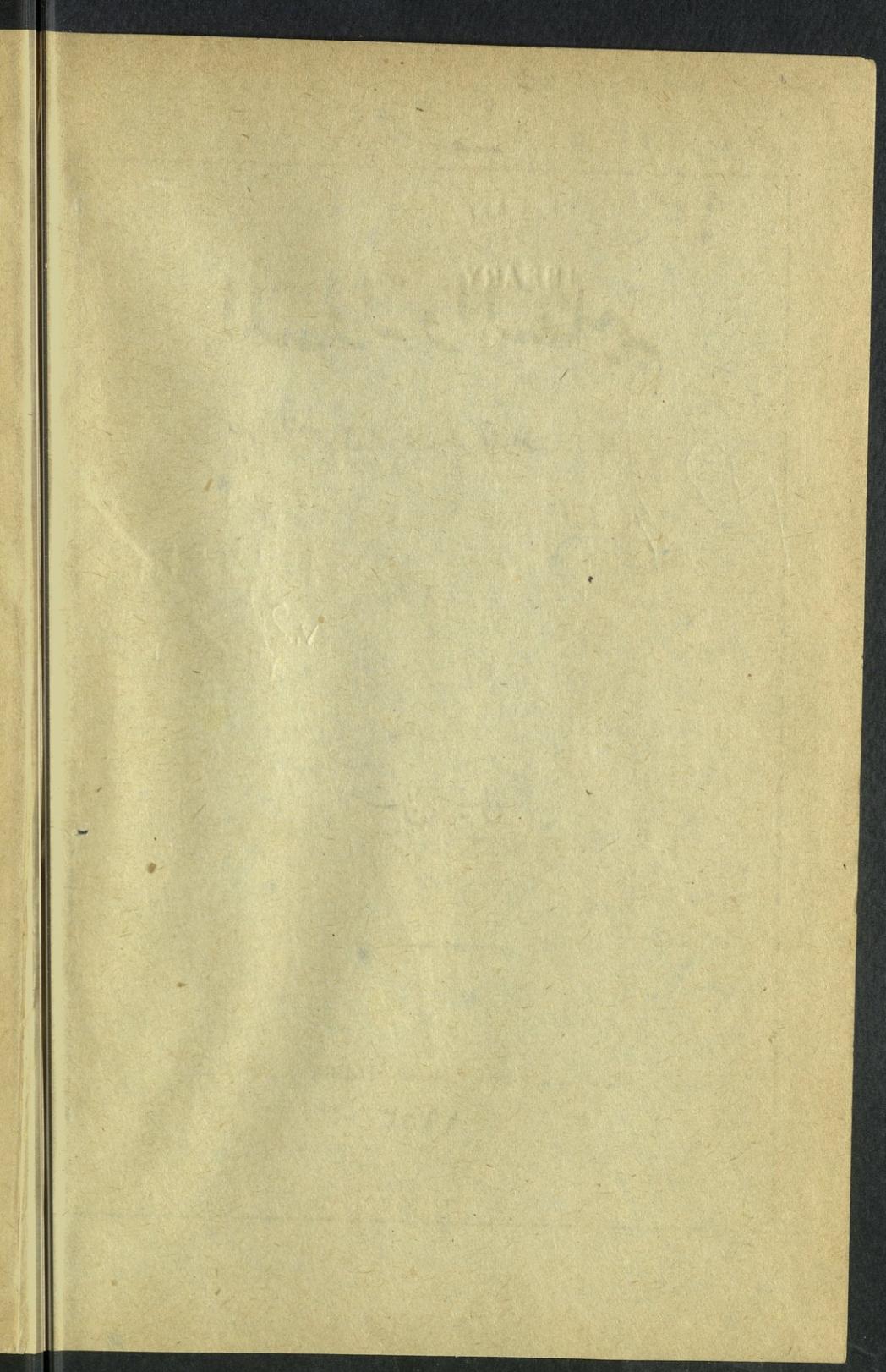
(٢)

379
D876dA
v.2
c.1

حسن الجليلي

شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة - بغداد

١٩٥٣



المقدمة

تختلف صور التنظيم الاجتماعي في كل قطر من الأقطار ؟ وتختلف
تبعاً لذلك نظم التعليم وأهدافه وأساليبه . ولكن المجتمعات وإن تبانت
أهدافها فانها تشارك في مجموعة من المثل الاجتماعية العليا العامة بحكم
إنسانيتها ، وبحكم علاقتها الاقتصادية والثقافية ، وتطور سبل الاتصال
والمواصلات بينها ؛ وتتشابه في مثل هذه الحالات أهداف مشتركة ومشاكل
عامة ، ومن أجل هذا فإن دراسة نظم التعليم دراسة مقارنة تساعدننا على بحث
مشاكل التعليم العامة ؟ فيتعاون المربون على شرح العوامل التي يقوم عليها
كل نظام تعليمي ، وعلى تقويم نظرياتنا التربوية وأساليبنا التدريسية وفاسقينا
الاجتماعية ، لاسيما وإن كثيراً من تطبيقاتنا التعليمية وأساليبنا التدريسية
في العراق والبلاد العربية الأخرى قد ترعرعت في بيئات أجنبية ، واقتبسناها
من ثقافات غربية ؟ واستقرت بيننا ، وأصبحت ملولة لدينا ؟ فكأنها من صنع
آيدينا ومن نتاج ثقافتنا . وحينما يألف الإنسان نوعاً واحداً من المؤسسات
الاجتماعية ، كالمدارس ، يتعلق بها ، وينصرف عادة عن دراسة غيرها ؟ ويتعذر
عليه في كثير من الأحيان أن يدرك المشاكل التي تتخطى عليها والعوامل التي
تتأثر بها ، فتتلاحم مشاكلها وتعقد حلولها ؟ وقد لا يستطيع ان يتلمسها
ويعددها لافتقاره الى المبادئ والنظريات التي تقوم عليها عند مقارنته بغيرها ؟
تلك المؤسسات التي قد نشأت لتحقيق اغراضها مثلها او خلافها .

وكثيراً ما يطالب بعض المعنين في شؤون التربية والتعليم ، كلما اشتدت
وطأة مشاكل التعليم ، وكلما تفجرت اقطار أخرى عن مثل
وخطط تعليمية جديدة ، باقتباس بعض الخطط والأساليب التربوية منها
واستنباتها في تربتنا الاجتماعية . ولا يخفى ان جميع العوامل الأساسية التي

(ب)

تجعل من اي نظام تعليمي نظاما مستقلا لا يمكن ان « تنقل » من بيته الى اخرى نفلا كليا ، ولا يمكن ان تستثبت استبانتا . وقد برهنت التجارب التربوية على خطأ نظرية الاستبانتا .

في ضوء هذه الحقائق قلت في الجزء الاول من كتابي « الدولة والتعليم » ان لكل مجتمع حديث « دولة » ، ولكل دولة « فلسفة » سياسية وتربوية خاصة ، ولها « نظام » تعليمي خاص ، واخترت نوعين من الدول الحديثة : الدول « الديمocrاطية » كبريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا ، والدول « الكلية » كالاتحاد السوفيتي وایطالية الفاشية والمانيا النازية .

وكتت ارجو ، في محاولتى هذه ، ان يطلع المربون والسياسيون والثقفون على هذه الحقائق ، وان يتحرروا العقائد السياسية التي يتفجر عنها مجتمعهم القريب ، ويوصلوا واقعهم الثقافي المتسبب بحاضرهم السياسي المضطرب ، ويستخدموا لأنفسهم فلسفة اجتماعية جديدة يستبررون بها عن تأدیة واجباتهم الوطنية والمهنية . وكانت تلك المحاولة تتصف ، دون شك ، بطبع التجريد والتعيم ، وتقصر على بسط النظريات والمبادئ العامة ، وتقتصر الى التدليل والتطبيق . وقد ذكرت في حينه ان الجزء الثاني من كتاب « الدولة والتعليم » سيتناول دراسة « نظم التعليم » في الدول الديمocrاطية والكلية دراسة وافية شاملة . فيسرني أن أضع هذا الجزء بين يدي المربين والثقفون تنفيذا للوعد الذي قطعه على نفسي بعد ان بذلت جهدا غير قليل في الحصول على احدى المعلومات والاحصاءات المتيسرة راجيا ان يسد بعض الفراغ الذي شعر به في حياتنا الثقافية .

حسن الدجيل

بغداد - ايلول سنة ١٩٥٣

الفهرس

الدولة والتعليم

الصفحة	الموضوع
١	نظرة تاريخية
٣	تعليم القلة
٤	تعليم الكثرة
٤	تعليم الاكثريّة
٥	ظهور الدولة القومية ..
١٠	العبارات التربوية
١٠	تطور التعليم الابتدائي
١٢	تاريخ التعليم الثانوي
١٣	التمايز الاجتماعي والتعليم
١٥	مكانة المدارس الخصوصية في النظام القومي
١٧	الحركات الاصلاحية ..

١ - التعليم في إنكلترة

٢٩	جذور التربية الانكليزية
٣٥	أثر الثورة الصناعية
٣٧	المدارس الحكومية ..
٤٠	المدارس الابتدائية ..
٤٣	المدارس الثانوية العلمية
٤٧	تقالييد المدارس الثانوية واهدافها
٥٣	أنواع المدارس الثانوية ..
٦٢	المدارس المستقلة ..
٦٤	مدارس الخاصة

٧٤	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	المدارس الحديثة
٧٦	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	تعليم الراشدين
٨١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	ادارة التعليم
٨٨	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	الخدمات الصحية والطبية
٩٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	التعليم في اسكتلندا
٩٧	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	التعليم في شمالي آيرلندا
١٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	التعليم العالي في بريطانيا

٢ - التعليم في الولايات المتحدة

١٢٥	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	التعليم الابتدائي
١٤٥	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	التعليم الثانوي
١٥٢	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	تعليم الراشدين
١٥٢	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	التعليم الخاص
١٥٦	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	إعداد المعلمين
١٥٧	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	ادارة التعليم
١٦٨	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	التعليم العالي
١٧٥	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	الكليات والجامعات
١٨٥	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	البحث العلمي

٣ - التعليم في فرنسة

١٩٧	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	المركزية في التعليم
٢٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	اهداف التعليم
٢٠٤	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	الاصلاحات التربوية الحديثة
٢٠٨	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	أنواع المدارس
٢١٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	رياض الأطفال
٢١١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	المدارس الابتدائية
٢١٤	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	الدراسة المتوسطة
٢١٧	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	الدراسة الفنية والمهنية
٢٢١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	الدراسة الثانوية : الليسسة والكوليج
٢٢٧	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	ادارة التعليم
٢٢٧	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	الامتحانات

٢٢٨	ميزانية التعليم
٢٢٩	اعداد المعلمين
٢٣١	التعليم العالى
٢٤٤	اصلاح التعليم العالى

٤ - التعليم في الاتحاد السوفياتي

٢٥١	لحة تاريخية
٢٥٤	اهداف التربية السوفياتية
٢٥٨	نظام التعليم العام
٢٦٢	رياض الاطفال
٢٦٤	التعليم الابتدائى
٢٦٩	المدارس الثانوية الناقصة
٢٧١	المدارس الثانوية التامة
٢٧٢	مناهج الدراسة الثانوية
٢٧٥	التعليم المختلط
٢٧٧	مدارس سوفوروف وناخيموف
٢٧٨	التعليم المهني والفنى
٢٨٧	عصبة الشباب الشيوعى والرواد الشباب
٢٨٧	ادارة التعليم
٢٩٠	اعداد المعلمين
٢٩٤	التعليم العالى
٢٩٧	الجامعات
٢٩٩	المعاهد الفنية العليا
٣٠١	شروط القبول والتخرج
٣٠٣	خاتمة

٥ - التعليم في المانيا

٣٠٧	التطورات السياسية وأثرها في التعليم
٣٠٩	الطغيان الهيكلى
٣١٠	موقف الطبقة الوسطى من التعليم
٣١١	موقف طبقة اليونكر من التعليم

٣١٧	المدارس الابتدائية
٣٢٣	المدارس الثانوية
٣٢٨	الاصلاحات التربوية النازية
٣٣٠	المدارس الداخلية النازية الخاصة
٣٣٣	اعداد المعلمين
٣٣٧	جمعيات المعلمين
٣٣٨	ادارة التعليم
٣٤١	المناهج والكتب المدرسية
٣٤٧	تدريس الدين
٣٥١	تعليم الراشدين
٣٥٣	التربية البدنية ..
٣٥٣	نظريات يان في التربية البدنية
٣٥٨	التعليم العالي
٣٦١	خصائص الجامعات الالمانية
٣٦٤	حياة الطلبة
٣٧٠	الاستشراق في الجامعات الالمانية



الدولة والتعليم

نظرة نابعية

ضرب الاغريق مثلين رائعين من امثلة علاقة الدولة بالتعليم فاتبع الاسبارطيون نظرية سيطرة الدولة على شئونه ، بينما اتبع الاينيون « سياسة التسبيب » ، وحسبوا التعليم عملا من اعمال الناس لا وظيفة من وظائف الدولة . واتخذت هاتان النظريتان مظهرا فلسفيا في السياسة والتعليم ، وتجلتا في كتابات افلاطون وارسطو . فأعطى افلاطون في « جمهوريته » التربية منزلة خطيرة ، وحسبها أولى القضايا التي ينبغي ان تصرف اليها الدولة . وقال ان وحدة الدولة لا تتحقق الا اذا ادرك رجالها ان التربية والتهذيب قضيتم الكبرى ، وان المواطنين يصبحون ، بال التربية الصالحة ، انسانا عاقلا ، ويدركون الامور التي يتوقف عليها استقرار الدولة ادراكا حسنا . وقال اذا ما كانت باكورة اعمال الدولة حسنة فانها ستتضمن نفسها تقدما مطردا ، وان اتباع الطرق الصالحة في التربية والتطبيع تخلق ولا شئت طباعا حسنة ، وان التطبيع الصالح يسير الى نهايات صالحه سيرا مطردا ، وينمو نحو متوالسا . وقد جعل افلاطون في كتابه « القوانين » منصب « وزير معارف الشباب » في دولته المثالية أهم وظيفة من وظائفها . واقتصر ان يكون تعليم البنين والبنات الزاما ، ونظر الى الطفل من حيث هو مخلوق يعود الى الدولة . وتعد كتابات افلاطون التربوية اعظم الكتابات التي عرفها العالم^(١) . وكانت الخطة التربوية التي اقترحها افلاطون تؤمن بأهميته التقليد

الاجتماعية وتنكر فائدة التجربة • وكان يرى ان السيطرة والمراقبة ينبغي الا
 يمتد الى المدارس واعداد الشباب حسب ، بل الى دين الشعب نفسه • واعتقد
 ان انحطاط مديتها يرجع الى نبذ عادات الاجداد^(٢) • ان هذا الموقف
 المحافظ الذى اتخذه افلاطون قوى فيه نزعة حب الاجداد وعاداتهم ، ونظر
 اليها من حيث هى اعظم وسيلة من وسائل « التكيف » Conditioning
 فى التربية • وكاد افلاطون فى نزعته هذه ، كما يقول الاستاذ روبرت
 أوليش Ulich يقترب من النظرية « الكلية » Totalitarion الحديثة
 أما ارسطو فلا يختلف فى آرائه التربوية كثيرا عن استاذه افلاطون •
 وكل ما ذكره فى كتاب « السياسة » عن علاقة الدولة بالتعليم تظهر تأثير آراء
 افلاطون فيه ظهورا بينا • فكلاهما حسب التعليم فرعا من فروع فن الحكم ،
 وأهم وسيلة من وسائل صيانة المدينة Polis وانتقدا نظام التعليم فى آثينا
 واظهرا حاجة الآثينيين الى نظام تربوى موحد ، وأوصيا بإجراء
 اصلاحات اساسية فيه • وكان ارسطو يعتقد ان مطابقة التربية لمبدأ
 الدستور أهم ناحية من نواحي استقرار الدول ، وان افع القوانين ٠٠٠
 تشير لغوا اذا كانت الاخلاق والتربية لا تطابق المبادئ السياسية الديمocratique
 في النظام الديمقراطي والوليغرشية في النظام الاولىغرشى • وفي هذا يقول:
 « لا يستطيع احد حيثذا ان ينكر ان تربية الاولاد يجب ان تكون احد
 الموضوعات الرئيسية التي يعني بها الشارع • فحيثما كانت التربية مهملا امرها
 اصاب الدولة من ذلك مصيبة مشؤومة • ذلك بان القوانين يجب ان تكون
 دائما مناسبة لمبدأ الدستور وان اخلاق الافراد وعاداتهم في كل مدينة هي
 الكفيلة بقوام الدولة ، كما انها وحدتها هي التي صورت للدولة صورتها
 الاولى • فالاخلاق الديمقراطية تحفظ الديمقراطية ، فان كانت اولىغرشية

2 — Ulich, Robert, History of Educational Thought,
P., II, American Book Company, 1945.

فانها تحفظ الاولى غير شية . وكلما كانت الاخلاق ااطهر كانت الدولة اثبت^(٣) .
 ثم يقول : « كل العلوم وكل الفنون تقضى ، لينجح المرء فيها ، مبادئ أولية
 وعادات سابقة ، والامر كذلك بالداهة في مزاولة الفضيلة . وبما ان الدولة
 بتمامها ليس لها الا غاية واحدة بعینها فيجب بالضرورة ان تكون التربية فيها
 واحدة متماثلة لجميع اعضائها ، ومن هذا يتبع ان تكون موضوع الرعاية
 العامة لا الخاصة ولو ان هذا النحو الاخير هو المتبع ، وان كل احد اليوم
 يعلم اولاده في بيته بالبرامج والموضوعات التي تعجبه . على ان ما هو مشترك
 يجب ان يعلم بالاشتراك . ومن الخطأ العميق ان يظن كل مواطن انه هو
 سيد نفسه ، فانهم جميعاً يدينون للدولة ، ما داموا هم كل عناصرها وما دامت
 العناية التي توجه الى الاجزاء يجب ان تختلف مع العناية الموجهة للمجموع » .

تعليم الفلة :

ولكن تراث الاغريق التربوي لم يتقل الى اوروبا الا بعد مرور قرون
 عده ؛ ولم تتحل نظريات افلاطون وأرسطو مكانتها في عالم التربية الا في
 عصر النهضة والعصور المتأخرة . وارتبط التعليم بميشية السلطة السياسية
 ارتباطاً كلياً ؛ ولم ينل من الطغاة والمستبددين عناية ما . « فعندما كانت السلطة
 السياسية مركزة بيد رجل واحد ، كان تعليمه هو وحدها امراً لا لازماً لا غنى
 عنه . وحيث انه هو الذي يصدر جميع القرارات السياسية المهمة كان من
 الضروري جداً ان يكون عاقلاً وحكيناً بقدر ما يستطيع معلمو الملك ان

(٣) احمد لطفي السيد - « السياسة لارسطو طاليس » صفحة ٢٨٧ - ٢٨٨
 مترجمها عن الاغريقية بارتلمي سانتهيلير ، لجنة التأليف والترجمة
 والنشر ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة ١٩٤٧ . انظر كتاب
 اوليش Ulich المار ذكره صفحة ٢٧ للحصول على النص الانكليزي . لقد
 بحث ارسطو موضوع التربية (ترجمة احمد لطفي السيد) في الكتاب الخامس
 (التربية في المدينة الفاضلة) وفي الباب ١٣ ، ١٤ ، ١٥ من الكتاب الرابع
 لكتاب « السياسة » .

يجعلوه كذلك . أما تعليم رعيته فقد كان ضئيل الهمة ، إن لم نقل معدوم الهمة تماماً ، فحسبهم أن يسيروا تحت قيادته وينفذوا أوامره . وعندما أخذ النبلاء يشاركون الملك سلطانه . أصبح من الضروري جداً أن يتعلم أولادهم ، ويعدوا الأعداد الكافية لتحمل أعباء مسؤولياتهم السياسية المقبلة في النظام الاستقراطي ، أي حكم الطبقة الممتازة ٠٠٠ ولكن نظرية التعليم الملكي والاستقراطي تذهب إلى أن المقدرة على الحكم ليست قضية تعلم وتدريب . إن مقدرة الملك والنبلاء على الحكم ، هذه المقدرة الممتازة ، شيء خلقى ، أو فطري ، مولود معهم ، ويرثه ابناؤهم عنه ، وأولادهم حسنوا الولادة ، well-born كما يقول الأغريق ، أو رفيعو الولادة ، Hochgeboren كما يقول الالمان . إن باستطاعة التعليم أن ينمى هذه المقدرة الممتازة ويطورها ، ولكنه لا يستطيع أن يمنحها للناس العاديين .^(٤)

تعليم الكثرة :

وانهارت أكثر هذه الآراء التربوية الضيقة بظهور الطبقة البورجوازية ، واستطاع « الرجل الاعتيادي » ان يؤسس لابنائه مدارس شعبية بعد أن كانوا محروميين منها ، وان يشق طريقه إلى مراكز القيادة في المجتمع الجديد التي أخذت تزداد سنة بعد أخرى بعد أن كان بعيداً عنها . وبدأت ملكية الأرض تراجعاً في عصر النهضة امام ملكية البورجوازيين ، وتضائل نفوذ الملك والنبلاء ، واتقللت السلطة السياسية من القلة إلى الكثرة ، ومن الكثرة إلى الأكثريّة . وبفعل المتناقضات والاشتقاقات في المجتمع الأوروبي أخذ نفوذ البورجوازيين « يملكون » وسائل الاتصال أيضاً ، ومهندوا

(٤) من محاضرة القاها الاستاذ جون اس بروباخر John S. Brubacher استاذ التربية في جامعة ييل Yale الامريكية في الجامعة الامريكية بيروت وعنوانها « التعليم والاتجاهات المتضاربة في العالم الحديث ». راجع صفحة ٢٨٠ من مجلة الابحاث البيروتية ، الجزء الثالث (السنة الخامسة) سنة ١٩٥٢ .

السبيل لانتقال السلطة من ايديهم فى بعض الاقطار الى « العمال » الذين
« يسيطرون » على وسائل الانتاج .
تعليم الاكثريه :

وقد تأثر التعليم ايضا بخصائص الورجوازيين وفلسفتهم . فاحتفظوا ،
كما احتفظ الاغريق ، بنظامين للتعليم يسيران مع الانقسامات الطبقية جنبا
إلى جنب : نظام تعليمي حر (زخرفي) خاص بالشريفين ، ونظام تعليمي
مهنى (عملى) خاص بالعمال وال فلاحين الكادحين . وبعبارة أخرى نظام
يستهدف تهذيب العقل للحرار الاغنياء وآخر يستهدف تدريب الجسم
للعيid الارقاء . ومع ان الثورات الامريكية والفرنسية والصناعية قد سببت
تبادات كبرى في النظم السياسية والاقتصادية الا انها لم تحدث تبدلات مماثلة
في نظم التعليم الا في اواخر القرن التاسع عشر و اوائل القرن العشرين .
وبظهور الدولة القومية في المانيا ، والنظام الكلية من شيوعية ونازية حدثت
تطورات أساسية في أهداف التعليم ومحوياته ، وفي تنظيمه وادارته ،
واحتلت الدولة فيه مكانا مرموقا .

ظهور الدولة القومية

وبنمو الحركة القومية في اوروبا ظهرت الدولة القومية ، واتخذت
اشكالا مختلفة ، واهتمت في شؤون التعليم اهتماما كبيرا ، وزادت سيطرتها
عليه . وكان من شعارات الثورة الفرنسية « ان الطفل يعود الى الدولة » .
وذكر لا شالوتte La Chalotais في مقالاته التي كتبها عن التربية القومية
ان ابناء الدولة ينبغي ان يتمدهم رجال الدولة ، وردد تاليران Talleyrand
في اصلاحات سنة ١٧٩١ الفكرة نفسها ، وأقر كوندورسé Condorcet
مبدأ سيطرة الدولة على التعليم في فرنسه ، الا انه طالب بفصل السياسة عنه ،
وأراده أن يكون بعيدا عن التيارات السياسية ، وان يخضع الى سيطرة
اعضاء الهيئة التدريسية وحدهم .

وقد تبنت الدولة القومية التعليم العام ، وانتشرت المدارس في فرنسه عقب الثورة الفرنسية ، وفي المانيا بعد معركة «ينا» Jena انتشاراً عظيماً ، حتى قيل ان مدارس المانيا كانت أحسن مدارس عرفها العالم آنذاك . واهتم نابليون اهتماماً شديداً في شؤون التربية والتعليم ، وذهب الى ان التعليم قد يكون أهم قضية سياسية تواجهها الدولة ، وانه يتعدى على كل دولة سياسية ان توطد اركانها ما لم يتيسر لها المعلمون الذين يؤمنون بمبادئه ثابتة وتعرض دائماً الى الفوضى والتبدل⁽⁵⁾ . وانتقلت مبادئ الثورة الى نظام التعليم الفرنسي جيلاً بعد جيل ، واستمرت فيه حتى يومنا هذا . ويعتقد الفرنسيون ان التضامن القومي والسلامة القومية تتوقفان على هذه المبادئ ، التربوية القومية . وطفت سيطرة الدولة على المؤسسات التعليمية في بروسية ايضاً قبل سنة ١٨٠٠ ، واصبحت «المدارس والجامعات مؤسسات حكومية توخي تزويد الشباب بالمعارف والمعلومات العلمية ، ولا يمكن تأسيسها إلا بمعرفة الدولة وموافقتها» كما يقول الاستاذ الكسندر T. Alexander في كتابه «المدارس الابتدائية البروسية» Prussian Elementary Schools وان للدولة رسالة خاصة تستهدف تطبيق التعليم لتحقيق «ثقافة» Kultur الامة ، ولا مكان لفرد فيها .

أما في انكلترا فلم تلق نظرية سيطرة الدولة على التعليم تأييداً كبيراً . ففي الوقت الذي كان الفرنسيون يطالبون بضرورة سيطرة الدولة على شؤون التعليم سيطرة تامة كان احرار الانجليز الذين ناصروا الثورة الفرنسية يعارضون في فرض سلطان الدولة على التعليم . ومن هؤلاء جون براون Joseph Priestly وجوزيف بريستلي John Brown

وقد كان الاحرار يعتقدون ان نظم التعليم الحكومية Adam Smith ترمى الى التوافق والتنقين والمحافظة ، وانها تحول دون التجريب والابداع ، وتقف حجر عثرة في سبيل تقدم المؤسسات الاجتماعية تقدما مطردا . ومع ان آدام سمث كان يوافق بريستلي في آرائه بصورة عامة ، الا انه اقترح ان تفرض الدولة التعليم الالزامي ، وان تقدم مساعدات مالية الى تعليم الفقراء « للحيلولة دون فساد القسم الاعظم من السكان وفسخهم » ، وان يساهم الاغنياء في تعليم ابنائهم ، ويتمتع به من لا يستطيع تحمل نفقاته . ومتى قاله جون ستيوارت مل John Stewart Mill الاقتصادي الانكليزي المعروف في كتابه المشهور « في الحرية » On Liberty المطبوع سنة ١٨٥٩ :

ـ معاذ الله ان تتولى الدولة تعليم الناس او قسماً كيرا منه ـ ان كل ما يقال عن أهمية الـ Individuality of Character وبيان الناس في آرائهم ونواحي سلوكهم ينطبق على أهمية اختلاف الافراد في تعليمهم . وما التعليم الحكومي العام الا اذاة مجردة تستخدمنا الحكومة في صب الافراد في قوالب متشابهة ما دامت القوة الحاكمة المسطورة مسؤولة بهذا القالب ، وسواء أكانت هذه القوة ملكية ، أم كهانة ، أم استرقاطية ، أم كثرة من الجيل المعاصر . وبقدر ما يتصف به النظام الحكومي من كفاءة وما ينال من نجاح فإنه سيطبع العقل بطابع العبودية ، التي تؤدي بصورة طبيعية الى فرض عبوديته على الجسم . و اذا كان لا مفر من تأسيس نظام حكومي للتعليم فلا ينبغي ان تعهدده الدولة الا ليكون ، اسوة بالتجارب الاخرى ، حافزا على العمل ومثلا صالحا يحتذى ، حتى ترتفع بسببه التجارب الاخرى الى مستويات رفيعة .

وكان هربرت سبنسر Spencer أحد الذين عارضوا تدخل الحكومة في امور التعليم ، وشجبوا فكرة فرض ضرائب على الافراد من اجل انفاقها على التعليم ، وعد هذا التدخل تهديدا لمسؤوليات العائلة .

« وهكذا انحدرت الى القرن العشرين نظريتان تتصالان بعلاقة الدولة بالتعليم : الاولى تقول بحق الدولة في احتكار التعليم وفرض سيطرتها التامة على انواعه المختلفة ، العام منه والخصوصي ، والثانية ، وهي نظرية التسيب ، تقول بأن التعليم عمل من اعمال الناس ، وأن الدولة قد تتدخل بغية سد النواقص الموجودة فيه »^(٣).

وبظهور الدول الكلية بعد الحرب العالمية الاولى حدثت تبدلات اساسية في نظم التعليم ، كما مر بما في الجزء الاول من هذا الكتاب ؟ فقد جعلت الدولة الشيوعية في روسية والفاشستية في ايطاليا والنازية في المانيا الشعب هو « الوحدة الاجتماعية » لا الفرد ، وحسب التعليم وظيفة اساسية من وظائف الدولة ، ان لم يكن اهم وظائفها ؟ وفرضت سيطرتها عليه بشكل لم يعرف من قبل في تاريخ التربية والتعليم .

بعد ان كانت الجمعيات الدينية والخيرية هي التي تؤسس المدارس وتشرف عليها اصبحت الدولة اليوم ، وفي اكثر اقطار العالم ، هي التي تؤسسها وتتفق عليها وتتولى ادارتها ، وتعين اهدافها وطراقي التدريس فيها ، واصبح التعليم فيها « الزامي » وحكوميا لا خيريا ، وعلمانيا لا دينيا . وبعد ان كان « هبة » يمنحها رجال البر والاحسان الى الفقراء « الاشرار » أصبح « حقا » من حقوق المواطنين العامة ، وواجبا من واجبات الدولة الحديثة . وبعد ان كان ارستقراطيا « طقريا » أصبح ديمقراطيا شعبيا . وبالرغم من حدوث هذه التطورات فلم تستطع بعض الدول ان تجعله مجانيا والزاميا ، ولم تتدخل فيه الا تدخلا محدودا . ففي الوقت الذي أصبح التعليم في الاتحاد السوفياتي ، مثلا ، وظيفة اساسية من وظائف الدولة ويقوم على التقين والتوجيه ، واصبح « الدين والشيوعية » تعارضان نظريا وعمليا بعضهما مع بعض » نجد ان لبنان تحسبه « أهليا » لا حكوميا ، و « طقريا »

لا علمانياً !

ويتميز القرن العشرون اليوم بـنزعتين أساسيتين : نزعـة ترمي إلى تحرير الفرد من عبوديات الأفراد والمؤسسات الاجتماعية والاعتراف بقيمة وانماء قابلياته ، واخرى ترمي إلى تحديد حرياته ومجالات نشاطه وفرض سيطرة الدولة عليه بغية ضمان سلامـة الدولة واستقرارها . وتأثر نظم التعليم ، ولا شك بهـتين النزعـتين ، ويصبح لكل نظام طابعـه الخاص يميـزه عن غيره من النظم التربوية ، وتـصبح مشكلة السيطرة على تربية الطفل واضحة لدرجة كبيرة . فإذا كان بقاء المجتمع يستند ، كما يقول الاستاذ كـاندل ، إلى تربية الأفراد على تحمل المسـؤولية والمبادرة في العمل فـإن نفـقات نـشر التعليم تـقع على عاتق المجتمع ، وعندئـذ يـساهم الأفراد مـسـاهمـة فـعـالة في تنـظيم التعليم وادارـته . أما إذا كان بقاء ذلك المجتمع يستـند ، على العـكـس ، إلى اخـضـاع الأـفـراد لمـشـيـثـة سـلـطـة عـلـيـها «ـالـدـوـلـةـ» أو «ـالـرـعـيـمـ» أو «ـالـطـاغـيـةـ» فـإن نـفـقات التعليم تـحـمـلـها سـلـطـة عـلـيـها نفسـها لـضـمـان استـمرـارـها وـتـدـرـيـب مواطنـيها عـلـى الطـاعـةـ والنـظـامـ ، وـتـقـومـ هـيـ وـحـدهـا باـحتـكـارـ التعليم وـأـعـدـادـ الناسـ فـي مـعـاهـدـ وـاحـدةـ ليـكونـوا مواطنـينـ مـتـشـابـهـينـ .

ولـيـسـ المشـكـلةـ هـيـةـ كـماـ قدـ يـتـبـادرـ إـلـىـ الـذـهـنـ أـوـلـ مـرـةـ . فـلـقـدـ اـصـبـحـتـ كـلمـةـ الدـوـلـةـ مـرـادـفـةـ لـكـلـمـةـ الشـعـبـ اوـ مـفـهـومـ الـأـمـةـ . وـكـلـاـهـماـ ، اـىـ الدـوـلـةـ وـالـأـمـةـ ، فـائـمـانـ لـتـحـقـيقـ بـعـضـ الـاهـدـافـ وـالـمـثـلـ الـعـلـيـاـ . فـإـذـاـ كـانـتـ الدـوـلـةـ تـهـدـفـ مـنـ نـشـرـ الـتـعـلـيمـ تـنـمـيـةـ الـفـرـدـ وـبـعـثـ قـابـلـيـاتـهـ وـمـوـاهـبـهـ فـقـدـ تـطـغـيـ الرـوـحـ الـفـرـديـةـ وـتـضـيـعـ المـثـلـ الـعـلـيـاـ فـيـ بـحـرـ مـنـ الـإـنـانـيـاتـ الشـدـيـدةـ اوـ يـتـعـذرـ تـكـوـيـنـهـاـ وـرـعـائـتهاـ . اـمـاـ اـذـاـ كـانـتـ تـهـدـفـ إـلـىـ خـدـمـةـ مـصـالـحـ الدـوـلـةـ وـفـرـضـ سـيـطـرـتـهاـ عـلـىـ الـتـعـلـيمـ وـعـلـىـ سـلـوكـ الـأـفـرـادـ فـقـدـ تـطـغـيـ الرـوـحـ الـكـلـيـةـ اوـ الـجـمـعـيـةـ وـتـبـعـشـ قـابـلـيـاتـ الـأـفـرـادـ وـتـضـيـعـ مـوـاهـبـهـمـ .

انـ هـذـاـ التـابـينـ فـيـ الـاتـجـاهـاتـ الـعـامـةـ جـعـلـ لـكـلـ دـوـلـةـ فـلـسـفـةـ اـجـتمـاعـيـةـ خـاصـةـ ، وـفـلـسـفـةـ تـرـبـوـيـةـ مـنـتـزـعـةـ مـنـ الـفـلـسـفـةـ اـجـتمـاعـيـةـ نـفـسـهاـ . وـمـنـ أـجـلـ

هذا فان العمليات التربوية تتأثر في كل أمة بعوامل كثيرة منها : القومية ، والنظريات السياسية ، والدين ، والعادات والتقاليد . وتأثير هذه العوامل في كل ناحية من نواحي التعليم : في الادارة ، والتنظيم والمناهج والطرق التعليمية . ويصبح لكل امة نظام تعليمي « قومى » خاص يميزها عن غيرها من الامم ، ويستند الى مقوماتها الاساسية . ولدراسة نظم التعليم دراسة مقارنة لابد من فهم الخصائص القومية لكل امة ، والعوامل التي كونتها ، والمثل التي لونت حياتها ونفسيتها ، وأثر ذلك في تطور نظم التعليم . ولا شك ان الامة تصوغ بالتعليم شخصيتها القومية . والقومية ظاهرة اجتماعية وسياسية . وهي للامة كالشخصية للفرد - انها الاداة التي تعبّر بها عن حياتها وثقافتها .

المعبرات التربوية

ولقد اخترت للتعبير عن هاتين الفلسفتين التربويتين دراسة نظم التعليم في خمسة اقطار غربية ، ثلاثة منها « ديمقراطية » وهي : بريطانية ، والولايات المتحدة الامريكية ، وفرنسا ، واثنان « كلية » وهي الاتحاد السوفيتي والمانية القيقيرية والنازية ، وأثرت ان أمهد لها بنظرة عامة عن تطور التعليم الابتدائي وتقدمه والثانوى وتوسيعه وعلاقته ذلك بالتمايز الاجتماعي ، وأختسماها بدراسة نظم التعليم في البلاد العربية .

تطور التعليم الابتدائي :

ان تاريخ التعليم الابتدائي ، بالنسبة لغيره من فروع التربية ، صورة مصغرة للتاريخ السياسي والاجتماعي الذي مرت به كل أمة من الأمم الاوروبية . ويدو ذلك جليا في الدور الذي قامت به المؤسسات الدينية ، لاسيما الكنيسة ، وفي تفوق سلطان الدولة على سلطان الكنيسة ، وفي التبدلات الاجتماعية التي اتتت الحياة الاوروبية ، وفي ظهور فجر القومية وما رافق ذلك من دعاية وتلقين ، وفي تطور الطبقات العاملة وكفاحها من اجل حريتها وتنظيمها وتمويلها ، وفي تقدير أهمية الفرد من حيث هو انسان

ينطوى على امكانيات عظيمة . وبعبارة أخرى يرينا تاريخ التعليم الابتدائى التطور التدريجى الذى مرت به الديمقراطية الغربية . هذا من جهة ، أما من الجهة الثانية فلا تمثل فى نشوء التعليم الابتدائى ، كما يقول الاستاذ كاندل فى كتابه التربية المقارنة ، جميع التبدلات التى حدثت فى القيم الاجتماعية حسب ، بل يتمثل موقف المجتمع من المعرفة نفسها ، وفي القسم الذى تكون الاستفادة منه أعظم ، وفي معنى الذكاء وطريقة انماهه ، وفي علاقة الفعاليات العقلية والجسمية ، وفي عملية التعلم نفسها . وبكلمة أخرى تمثل فى نشوء المدرسة الابتدائية : المقومات التى تكون الفرد الكلى .

وكان التعليم الابتدائى فى القرن التاسع عشر يرمى إلى تعليم ابناء الفقراء الكادحين ليكونوا فى المنزلة التى يسر «الرب» ان يكونوا فيها ، ويقعنوا بها ، ويرضوا عنها . وقد ظن ان تعليم هؤلاء الاطفال مبادئ المعرفة الاساسية (وهى القراءة والحساب والكتابة) و دروس الدين سيصون المجتمع من الجرائم والخرافات والاوہام . وحيثما دب الوعي القومى اصبح تدريب الاطفال على ولائهم للدولة وللقومية غرضا آخر من اغراض التعليم الابتدائى . وصارت المدرسة الابتدائية تسعى الى تربية حب المعرفة من حيث هي قوة ومن حيث هي فضيلة . وعدت العلاج الشافى لجميع الامراض والعلل واعتقد الناس بما قاله كويزو Giuzot « افتح مدرسة تغلق سجنا » ، وذهبوا الى ان الفرد لا يحصل باكتساب المعرفة على المهارات والفنون التى ستكتيفه الى بيته حسب وانما يحصل على تدريب خلقى . وكانت نظرية التربية هى النظرية التى وضعها هيربارت Herbart المربى الالمانى ، وفحواها : ان المعرفة تهىء اسس الاراء ideas والاراء تصنع الرجال .

وقد شاهد مطلع القرن العشرين بداية تحول جوهري فى مفهوم النظرية العامة للتعليم الابتدائى . فقد حدثت فى اسسه ومحتوياته وطريقه وتنظيمه ووظائفه تبدلات شملت اكبر اقطار العالم وخاصة المانيا والولايات

المتحدة . واخذت المدرسة الابتدائية نتيجة نشوء المؤسسات الديمocrاطية تبدل الى مؤسسة تختص بنشر التعليم بين جميع الطبقات واصبحت الحد الأدنى من التعليم في جميع الشعوب المتحضرة . ولم يقتصر السن الالزامي على سنوات قليلة بل امتد حتى تداخل في مرحلة الدراسة المتوسطة والثانوية . ولم يقل المربون النظام « الثنائي » في التعليم الابتدائي بل طالبوا تأسيس مدرسة « موحدة » تضم جميع الاطفال مهما اختلفت اصولهم الاجتماعية .

تاريخ التعليم الثانوى :

وربما كانت مشكلة التعليم الثانوى اهم جميع المشاكل التي يواجهها المربون والسياسيون بل واكثرا صعوبة . فمهما كانت الاختلافات التي تظهر عند بحث مشاكل التعليم الابتدائي فان المعينين في شئونه قد يتلقون كما يقول الاستاذ كاندل على محتوياته وطراوته أكثر مما يتلق المختصون حول محتويات التعليم الثانوى واساليبه . وذلك لسببين (او لهما) ان تعليم التعليم الابتدائي قد اصبح من حيث المبدأ فكرة مقررة مقبولة في جميع الاقطارات المتحضرة (وثنائهما) ان اولاع الاطفال ليست متوعة كما هو الحال مع طلاب المدارس الثانوية ، وان التعليم الابتدائي قد اصبح في الاعم الغلب أكثر جدة واعظم استجابة لمقتضيات الحياة المتبدلة من التعليم الثانوى . وان اصحاب النظريات التربوية قد وجوهوا عنيتهم اليه اكثرا من التعليم الثانوى .

وقد كان هدف التعليم الثانوى عند اليونان والرومان اعداد الفتيان الى المشاركة الفعلية في واجبات المواطن . الا ان هذا الهدف لم يواكب الزمن . فقد ظهرت اهداف أخرى ، وابتعد التعليم الثانوى عن حقيقة الحياة شيئاً شيئاً . ثم ظهرت المدارس العلمية الثانوية في القرون الوسطى . واستمرت الى عصرى النهضة والاصلاح . وكانت تتصل اتصالاً وثيقاً بالكنيسة . وحينما تبدلت الوضاع الاجتماعية والاقتصادية وخاصة في القرن الثامن عشر اخذت

المناهج الكلاسيكية تفقد مكانتها المرموقة . ولكنها ظلت تسيطر على مناهج الجمنازيوم Gymnasium الثانوية في المانيا والليسه Lyce الثانوية في فرنسه و « الخاصة » الثانوية Public في انكلترة .

وكان من اثر نمو الطبقات الوسطى نموا تدريجيا وتقديم الصناعة والتجارة تقدما سريا ، واهم من هذا كله تقدم العلوم واتشارها انتشارا عظيما ان ظهرت الحاجة الى انواع جديدة من المدارس التي تلى الدراسة الثانوية .

ولكن ما ان أطل القرن العشرون الا وظهرت حركات جديدة في كثير من جميع اقطار العالم ، وخاصة في الولايات المتحدة استهدفت تجديد نظم التعليم الثانوى - تجديد اسسه وطرازه واهدافه وتنظيمه .

التمايز الاجتماعي والتعليم :

ان هذه الاتجاهات قد ظهرت في الميدان السياسي منذ الحرب العالمية الاولى ونمط وترعرعت في الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين . وطبقت في أكثر اقطار العالم المتقدم بعد الحرب العالمية الثانية . ولم تحدث الانجازات التربوية في العالم وفق خطة مرسومة ولا وفق نظام معين . فقد نشأ التعليم الثانوي والعلمي تاريخيا لاعداد القادة في ميادين العلم والسياسة والاجتماع . ولم ينشر التعليم الابتدائي الا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ولم يستهدف ناشروه ايصاله بالتعليم الثانوي . وقد عمته الكنيسة والدولة معا . فقد كانت الاولى تريد ان تثقف الناس ثقافة دينية روحية تسيطر بها على عقولهم وكانت الثانية تريد ان تثقفهم ثقافة مدنية تضمن ولاءهم الى الدولة ومصالحها واهدافها القومية . ثم تأسست بعد ذلك دور الرضاعة ورياض الاطفال ثم المدارس المهنية والفنية « وقد نشأت الاقسام المختلفة التي تؤلف نظاما تعليميا قوميا من الناحية التاريخية مستقلة نوعا ما بعضها عن بعض . وقد تأثرت بقوى اجتماعية وغير اجتماعية

مختلفة ولم تنشأ هذه الاقسام وفق خطة مرسومة . وفي الحقيقة ان تصميم التعليم تصميمًا منظما لم يكن موضع العناية ، ولم يجد له طريقا الا في طوبيا Utopia «المدينة الفاضلة» وفي مقترنات كومينوس وفي النظريات التربوية للثورة الافرنسية وفي نظرية الميثاقين Chartists الانكليز . وحتى في الولايات المتحدة نفسها كان المثل الاعلى السائد عند تأسيس الجمهورية هو اقامه نظام تعليمي ديمقراطي عام . غير ان هذا المثل الاعلى لم يجعل التعليم الثانوى قسما اساسيا من نظام التعليم العام الا في سنة ١٨٧٤ وفي قضية كالامازو Kalamazoo ومن اجل هذا فان نظم التعليم اليوم تضم بين دقتها فى اكثرب قطارات العالم دورا للرضاعة او رياضا للاطفال لا تسجم فى علاقتها مع المدارس الابتدائية كل الانسجام . وتضم مدارس متوسطة لا ترتبط بنظام التعليم كل الارتباط وتضم مدارس ثانوية تتصل بها مدارس تحضيرية خاصة تتدخل مع التعليم الابتدائى . وتضم مدارس ابتدائية عالية لطلبة فى سن الدراسة الثانوية لا يتمتعون بنفس الامتيازات التى يتتمتع بها طلاب المدارس الثانوية . وتضم انواعا من التعليم المهني ، سواء اكان تعليمها كليا أم جزئيا ، فى مستويات مختلفة ليس لها اتصال بالاقسام الاخرى من نظام التعليم ^(٧) .

ولا يقتصر الامر عند ضعف الانسجام والاتصال فى انظمة التعليم حسب . وانما قد تجمعت حول الاقسام التى يتالف منها كل نظام تعليمي عددة امور . وترآكمت حولها جملة مشاكل تعكس علينا اصولها التاريخية فقد عد التعليم الابتدائى فى الاعم الاغلب خاصا بال العامة وعد التعليم الثانوى خاصا بالخاصة . وكانت اسباب هذه النظرة الى التعليم الثانوى تعود الى جملة امور منها : ان التعليم الثانوى لا يلائم عامة الناس وانه اعد لاصحاب المكانات الاجتماعية والاقتصادية المرموقة التى ستبوء كراسى القيادة والتوجيه .

اما الدراسة المتوسطة فقد اعدت لتوذى بعض الخدمات التى تحتاجها الطبقة الوسطى - هذه الطبقة التى اخذت تزداد وتمو يوما بعد يوم . والتى تستطيع ان تحمل مقدارا من نفقات التعليم الذى يلى الدراسة الابتدائية والتى تعجز من الاستفادة من نعم التعليم الثانوى . وقد افتتحت المدارس المتوسطة وغيرها ولا سيما المدارس المهنية لتحق محل المدارس الثانوية .

ان هذا التمايز الاجتماعى فى انظمة التعليم قد ترك انرا فى طبيعة كل فرع من فروع التعليم . فاهتم التعليم الثانوى وكان غرضه اعداد قادة المستقبل بتقديم ثقافة حرة . واهتم التعليم الابتدائى ، وكان غرضه تدريب عامة الناس على الاذعان والطاعة الى القانون واتشالهم من حمة الفساد والشعودة والدجل وانقادهم من القلق والتذمر والاعتياد على الاجرام بتعليم مبادئ القراءة والكتابة والحساب . وتميز بهذا الطابع . وقد سببت هذه الانظمة التعليمية اقسامات اجتماعية وقسمت ابناء الامة الواحدة الى طبقة متلعة واخرى شبه متلعة وثالثة جاهلة وباعدت بين المعلمين انفسهم وجعلتهم طوائف متباعدة فى مواقفها ومنزلتها الاجتماعية .

وسنجد عند دراستنا القادمة لنظم التعليم ان كثيرا من هذه المشاكل وكثيرا من هذه النواقص فى الاتصال والانسجام ما زالت قائمة حتى الان . وسنجد ان اكثر الامم والشعوب قد اخذت تعنى بدراسة مشاكلها التعليمية وأخذت تدرك ان كل نظام تعليمى قومى ينبغى ان يكون موحدا Unitary فى طبيعته ومنوعا فى تنظيمه وديمقراطيا فى اهدافه .

مكانة المدارس الخصوصية في النظام القومى

ان مكانة المدارس الخصوصية والخاصة والاجنبية (او الاهلية) في نظام التعليم القومى ينبغى ان تقرر في ضوء المفهوم العام للقومية . فاذا

كانت القومية تهدف الى احداث تماثل كلی فى الافكار والآراء والعادات وتزرع نزعة سلطوية authoritarian في نظام الحكم فعندئذ اما ان يمنع تأسيسها ، او تبقى ضمن شروط معينة ، وتسير وفق الطرق التي تسير عليها المدارس الحكومية . ويتم هذا السير اما عن طريق تطبيق الانظمة والقوانين المدرسية الرسمية تطبيقا مباشرا واما بواسطة الضغط الذى ترکه الامتحانات العامة والامتيازات التي تضفيها عليها هذه الامتحانات ^(٨) . والفرضية الاساسية في كلتا الحالتين هي ان الدولة قد وضعت لها مثلا على في القومية وفي الثقافة القومية – مثلا ثابتنا معروفا تستطيع ان تفرض القومية فيه جذورها . ولا شك ان نظم التعليم القومية التي تسير في هذه الاتجاهات وتنظر الى المدارس الخصوصية هذه النظرة لا تستطيع ان تعطى القوى الكثيرة المتعددة التي تتطوى عليها الحياة القومية ميدانا تسباق فيه ، ولا حيزا تتدخل به . كما لا تستطيع ان تواصل المدارس الاجنبية ولا الطائفية عملها في ظل هذه النظم القومية كما هو في تركية وايران . ولكن حينما تغير المدارس الخصوصية عن الفعاليات والمثل القومية العليا تغيرا جديدا ، وحينما يؤدى هذا التغير التجربى الى تنوع في طرائق التعليم دون الاضرار بالمثل القومية العليا فينبغي ان يشجع تأسيس المدارس الخصوصية لانها تحقق هذا التقدم الناتج من تنوع الاساليب التربوية . وليس من الضروري ان تؤدى حرية العمل الى التسيب والانحطاط في المستويات المدرسية . ولكن ينبغي ان توفر في المدارس الخصوصية الشروط التي توفر في المدارس الحكومية نفسها : في ابنيتها ومرافقها ومستوى مدرسيها ؟ ومعنى ذلك على المدارس الخصوصية ان تخضع للرقابة والتقييس والتسجيل ، لا رغبة في التمايل والتقين ، وانما حفظا لمصالح الاطفال الذين يتعلمون فيها . اما اذا ارادت المدارس الخصوصية

(٨) المصدر الانكليزى السابق نفسه ، صفحه ٩١ .

ان تتمع فى حريات غير الحريات التى ذكرناها فعليها ان تحمل بعض المسئوليات الاجتماعية والتربية حفظا للمصلحة العامة كما تقررها القوانين والأنظمة والتعليمات . ولكن الخطر الحقيقى الذى ينطوى عليه تأسيس المدارس الخاصة والخصوصية لا يأتى من اعراضها عن المقاييس العامة ولا من صعوبة وصولها الى مستوى المدارس الحكومية وانما الخطر يأتى من تنشئتها للفوارق الطبقية والطائفية وحيلولتها دون تفاعل صور الحياة الاجتماعية لتكوين نمط اجتماعى جديد .

ان تجديد نظم التعليم القومية ينبغى الا ينحصر فى فتح المدارس والاشراف عليها والتدريس فيها بل فى مساعدة الطالب على ان يستفيدوا اعظم استفادة ممكنة منها . فائدة اجتماعية او تعليمية ينالها من كان لباسه لا يقيه وطعامه لا يكفيه . ان هذا الطالب لا يجد في عمله المدرسي الا الضجر والملل ولا يستطيع ان يستفيد من الفرص التعليمية استفادة حقيقة .

الحركات الاصلاحية :

ويلاحظ دائما انه ما من قلق سياسى او اقتصادى او دينى الا ويواكبه شعور عميق بوجوب احداث اصلاح جذرى فى نظم التعليم . وفي التاريخ الحديث امثلة كثيرة على ذلك . فحينما تمد الرؤوس بالافكار الجديدة وتتأبى المؤسسات الاجتماعية ان تتبدل وتنساب في مجرب التقدم الفكري والانقلاب الاجتماعي تصادم القيم الجديدة بالقيم القديمة وينشأ من هذا التصادم نزاع او صراع ؟ وقد يشتدد فينقلب الى ثورة اجتماعية .

وقد اخذت حركة اصلاح نظم التعليم اليوم مظهرا قويا لم تعرفه من قبل ؟ فقد كان ظهورها فى الغرب بطريقا اول الامر ، وفي فترات من الزمن متقطعة ، كما يقول الاستاذ كاندل . فقد اعيد تنظيم التعليم الثانوى مثلا فى « عصر النهضة » ، واعدلت الخطط لتعليم التعليم الابتدائى فى « عصر الاصلاح » ؟

ولكنها لم تتفز الا في القرن التاسع عشر وبعد ان حدثت الثورة الصناعية ، وانتشرت حركة الاحرار السياسية ، وظهرت الدولة القومية ٠

وبتقدم العلوم الطبيعية وتتطور العلاقات الدولية حدث تجدد في حقل التعليم الثانوى ٠ وبتطبيق الطرق العلمية في فنون الصناعة والتجارة وظهور القومية الاقتصادية تقدم التعليم المهني والفنى ٠ الا ان هذه الاصلاحات كانت كلها عفوية ، ولم تحدث وفق خطة مرسومة ٠ ولم تظهر حركة الاصلاح في سلم التعليم كله ابتداء من رياض الاطفال وانتهاء بالمعاهد العالية الا في فرنسة وفي بعض الاقطارات الأخرى ٠

وفي اعقاب الحرب العالمية الاولى ظهرت اهمية التعليم وخطورته في التكوين الاجتماعي ٠ فلقد كانت هذه الحرب والتي جاءت بعدها اعظم امتحان مر به الفرد وأعظم اختبار لنوعيته ، لما كانت تتطلب من شجاعة وصبر على الشدائـد وعزيمة ماضية ووطنية صادقة ٠ وقد بدأت أول حركة تعليمية اصلاحية مهمة في المانيا متمثلة في حركة مدرسة Einheitsschule وبعدها في فرنسة ممثلة في حركة المدرسة الموحدة Ucole Unique وفي بريطانية ممثلة بقانون فيشر سنة ١٩١٨ وفي الولايات المتحدة ممثلة في تقرير «المبادئ السبع الاساسية» لسنة ١٩١٨ الذي وضعه لجنة خاصة في «رابطة التربية القومية» ٠

واكتسب التعليم اهمية اخرى في البناء الاجتماعي بعد الحرب العالمية الثانية ٠ فلم تكن الحرب الثانية الا ثورة من الثورات الاجتماعية الكبرى ٠ فقد هزت كثيراً من المؤسسات القائمة وحورت كثيراً من المقاييس المقررة ، وايقفلت كثيراً من الامم والشعوب نحو تحقيق مثل عليا جديدة ٠ فكان لابد من التوجيه والتصميم في حياة الناس الثقافية سواء أكان ذلك في اميركا وبريطانيا والاتحاد السوفياتي ام في مصر والعراق وسوريا ٠ فما كادت الحرب تضع اوزارها بل حتى قبل ذلك التاريخ الا وتمخض العالم عن

اصلاحات تربوية شاملة . ففي إنكلترة بدأ حديث الاصلاح في غمرة الحرب وفي وطيسها وافق البرلمان قانون معارف ١٩٤٥ . وفي فرنسيّة وضعت « اللجنة الوزارية لاصلاح التعليم » تقريرها عام ١٩٤٧ وتناول جميع مراحل التعليم من رياض الأطفال إلى المعاهد العالية . وفي الولايات المتحدة الفت « رابطة التربية القومية » لجنة فرعية لدراسة التعليم الثانوي بصورة خاصة ووضعت تقريرها المعروف بـ « تعليم الشباب الامريكي كافة » سنة ١٩٤٥

وتجرى الآن كما - بينما - في مختلف أقطار العالم تبدلات عظيمة في نظم التعليم . ولا سيما التعليم الثانوي وتعمل قوى جديدة على تحويلها وتبدلها وتنظيمها لتساير وعي الشعوب المتحفزة . وتستجيب إلى مطالب الحياة الحديثة المتبدلة . وتستهدف هذه التبدلات وضع التعليم على أسس ديمقراطية عادلة وعلى مبادئ نفسية وتربيوية مقررة ونستطيع أن نرد هذه التبدلات كما يقول الاستاذ كاندل إلى : عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية وتربيوية ونفسية :

أولا - فمن الناحية السياسية والاجتماعية نجد أن نمو الحكومات الديمocrاطية وتجديد مفهوم الديمocrاطية نفسها أدى إلى ضرورة تحقيق المساواة في الفرص بين الأفراد ، وأصبح واجبا من واجبات كل دولة ديمocratie واعية ، وبعد الحد الفاصل بين العبودية والاستقلال والحرية والانعتاق . وتحتاج المساواة في الفرص التعليمية أن تراعي الدولة وقابلities الأفراد وقدراتهم وحاجاتهم ، حتى يستطيع كل واحد منهم أن يبلغ أقصى مراحل الاستفادة من مؤهلاته ، وأن يتخطى جميع الحواجز الاجتماعية المضروبة حواليه . فالتعليم « حق » يجب أن ينال كل فرد نصيه منه لا « امتياز » لطبقة من الطبقات . وإذا ما أرادت الحكومات الديمocrاطية أن تثبت اقدامها لتصاول التيارات المتطرفة فينبغي أن تتحقق العدالة الاجتماعية بتطبيق المساواة في الفرص التعليمية ، وأن تزيدها ثراء وتنوعا وأن تعمي تعليم « المبادئ »

الاساسية » . فلم يعد التعليم الابتدائي قادرًا على أن يجعل الأفراد عارفين بحقائق الحياة الاقتصادية والاجتماعية . فقد صارت الحياة الحديثة معقدة لدرجة لا يستطيع التعليم الابتدائي وحده ان يسد حاجات الناس كثيرا؟ وأصبح تمدید سن التعليم الازامي وتنظيم دراسات نهارية او مسائية تكميلية للراشدين والراشدات من الامور الضرورية في حياة الدولة والأفراد . وكان من جراء الحركات الجديدة ان ارتفعت اصوات الناس ايضا بوجوب تهيئة فرص تعليمية مجانية في مراحل التعليم العليا تناسب وقدرات الأفراد . ثانياً - ان شدة التنافس الاقتصادي في الميدان الداخلي والخارجي اى منافسة الانتاج بعضه مع بعض في الاسواق المحلية والعالمية ادى ايضا الى ادراك ما لا عدد الأفراد في النواحي الصناعية والتجارية من اهمية عظيمة للقيام بواجباتهم الاجتماعية من حيث هم متوجهون ومستهلكون ليكونوا « مواطنين » صالحين وعمالاً ماهرين ، بشرط ان يرعى هذا الاعداد مستلزمات الثقافة العامة التي يحتاجها كل مواطن .

ثالثاً - اما من الناحيتين التربوية والنفسية فان كل نظرية تربية تنظر الى الحياة نظرة واسعة و شاملة تساند قيام اية حركة ترمي الى توسيع الفرص التربوية وزيادتها وتنوعها . يضاف الى ذلك انه كلما قلت عنایة التعليم بالنواحي النظرية تعددت المجالات الحيوية ووجه التعليم عنایته الى هذه المجالات الجديدة ، وسعى الى التوسيع . واذا كان يعتقد ان التربية هي الحياة فانها لا تستطيع ان تحصر عملها الواسع في مجال ضيق وفي سنوات قليلة من سن التعليم الازامي كما هو حادث بالفعل . بل ينبغي ان يتسع عملها ويتمدد باتساع الحياة وامتدادها مهما استطعنا الى ذلك سبيلاً .

وقد اثرت العوامل النفسية ايضا في تجديد التعليم وتنظيمه في الاتجاهات الآتية الذكر . وحيث ان الانسان يعيش في بيئة معينة ، وان هذه البيئة تحيطه بطائفة من المؤثرات التي لابد وان يستجيب اليها استجابة صحيحة ، فان نموه الجسمى والأخلاقي والعقلى والفنى لا يقتاد تقدما ملحوظا في مرحلة

ضيقه قصيرة هي مرحلة الدراسة الابتدائية ، ولا ان يتقدم في مرحلة الدراسة الثانوية كما هي عليه اليوم . ولذلك وجب توسيع مدى فرص التعليم لاسيما وان علم النفس الحديث يدرس الطفل من دور الرضاعة الى دور المراهقة ، ويدرس طريقة تعلمه ، ويعد التربية عملية مستمرة مع حياة الانسان . وهذا ما يتطلب اعداد بيئه صالحة يعيش فيها الفرد . وحيث ان قابلية الانسان على التعلم لا تقتصر على مرحلة دراسية معينة او على عمر معين فان تعليم البالغين أصبح واجباً مهماً من واجبات المجتمع . ثم ان دراسة الفروق الفردية وفشل عدد كبير من طلبة المدارس الثانوية في دراساتهم وتخلفهم عن اقرانهم ادى في كثير من اقطار العالم الى اعادة النظر في اسس التعليم الثانوي لدراسة عوامل الرسوب والتخلف هذه ، والى « تنويع » الدراسة الثانوية .

واخيراً فان مكانة الوسائل التربوية غير المقصودة سواء اكانت هذه الوسائل قسماً من نظام التعليم نفسه او مستقلة عنه (كالنوادي والجمعيات والمتاحف والاذاعات ودور السينما والفنون الجميلة وغيرها) وجميع الفعاليات اللاصفية الاخرى قد اخذت تزداد سنة بعد أخرى . وقد احتلت في بعض الاقطارات الاوربية (وخاصة في الاتحاد السوفييتي والمانية النازية وایطالية الفاشية) منزلة عظيمة ، وصارت تؤلف جزءاً اساسياً من نظام التعليم القومي نفسه .

مراجع البحث الأساسية

١ - المراجع العربية :

— ٠٨٠ —

- ١ - أحمد لطفي السيد - «السياسة» لارسطو طاليس . ترجمه عن الاغريقية بارتلمى سانتهيلير ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة ١٩٤٧ .
- ب - مجلة الابحاث (تصدرها الجامعة الامريكية في بيروت) الجزء الثالث (السنة الخامسة) سنة ١٩٥٢ ، محاضرة الاستاذ جون بروباخر .

٢ - المراجع الانكليزية :

- A - Kandel I. L., Comparative Education, 1933
راجع مقدمة الكتاب ، والفصل الرابع والسادسة والثامنة .
- B - Ulich, Robert, History of Educational Thought,
American Book Company, 1945.

التعليم في إنكلترة

ظهرت في المجتمع الانكليزي طوال القرون الوسطى ثلاث طبقات اجتماعية : طبقة حاكمة ، وطبقة دينية وأخرى عاملة . وكانت « الطبقة الحاكمة » تعنى بعداد الجسم اعدادياً عسكرياً ؛ فقدرها على الطاعة والنظام والقوة . وفي هذه الطبقة ترعرع المحاربون ، ومنها نشأ العسكريون ، واليها فتحت مدارس « الخاصة » لتربية مثل هذه الشخصيات الجسمية والفضائل الخلقية . وكانت « الطبقة الدينية » تعنى في الدين كثيراً وتهتم في شرح الامور الدينية وتفسيرها وتطبيقها وتعليمها ؛ ومن أجل هذا فقد أخذت على عاتقها مسؤولية نشر التعليم وادارته شيئاً فشيئاً . وكان لابد لها ان تقوم بتدريس اللغة اللاتينية وهي لغة الدين وتفسير النصوص ؛ فأقيمت المدارس « الثانوية » الكلاسيكية . وكانت « الطبقة العاملة » بحاجة الى تعلم عملي يساعدها على تعلم الصناعات واتقانها بصورة فنية ، فنشأت المدارس الصناعية . ومع ان هذا الضرب من التعليم كان يقوم به « الاستاذ » نفسه في أول مرحلة من مراحل نشوئه الا ان تبدل الاساليب الفنية ادى الى تبدل اساليب التعليم نفسها . ظهر الانتاج الآلي ، الذي تطلب من المجتمع عاماً يقوم « بتشغيل » آلات الانتاج اكثر مما تطلب عادة يجيد صنعته بدقة ومهارة . وحينما حدثت تبدلات كبيرة في النظم السياسية ، وانتقلت السلطة السياسية من القلة الى الكثرة ومن الكثرة الى الاكثرية طالب الناس بذلك النوع من التعليم الذي يهدف الى اعداد مواطن يستطيع ان يفكر ويتيقن في الحقائق السياسي والصناعي معاً ، لا الصناعي وحده .

وقد نشأت هذه الانواع الثلاثة من المدارس لدرجة كبيرة كل بمعزل عن الاخر ، وانقسمت اقساماً عمودياً . وكان الانتقال من مدرسة الى

أخرى أمراً صعباً بل نادراً . وحيث أن مجتمع القرون الوسطى كان يتسم بالثبات والجمود فان النظم التعليمية التي ظهرت في تلك القرون استمدت بالجمود كذلك . وحينما أخذت الانقسامات الطبقية تتضاءل شيئاً فشيئاً ، ودببت في مجتمع القرون الوسطى الحرارة والحياة صارت نظم التعليم أكثر مرونة من قبل وأعظم تكيفاً للحاجات الجديدة . ولكن هذه الانقسامات الطبقية لم تسر في طريق الاصحاح أو الزوال بل ظلت آثارها ملموسة حتى يومنا هذا في مختلف ميادين الحياة ، ومنها ميدان التربية والتعليم . وإذا كانت هذه الأمثل قد أخذت تتضاءل في المدارس الابتدائية والثانوية في إنكلترا بوجه عام فإنها استمرت في المدارس « الثانوية العلمية » و « مدارس خاصة » . وما تقرير هادو Hadow عن « تربية المراهق » إلا محاولة اريد بها احلال الانقسام الأفقي في المدارس الاولية Primary والثانوية Secondary محل الانقسام العمودي في المدارس الابتدائية Elementary والثانوية . وما قانون معارف سنة ١٩٤٤ إلا محاولة أخرى جديدة اريد بها الحد من هذه الانقسامات الاجتماعية في سياسة التربية والتعليم . وليس بمستغرب ان تجد في البلاد التي خرجت حدثاً من عهود الاقطاع وصارت امة متكونة من صناع ريفيين ومن اصحاب حوانس ومحالن ومعامل مجموعة من المتناقضات لم تزل حية في نظامها التعليمي الحالى - هذه المتناقضات التي ترجع إلى حب المحافظة على التقاليد الموروثة وإلى بقايا روابط ثقافية قديمة في الثقافة الحديثة^(١) .

ومع ان نظام التعليم الابتدائي والثانوي في إنكلترا معقد وغير متناسق ، بل ومتناقض في بعض صوره واسكاناته ، ولا يؤلف « نظاماً » بالمعنى المعروف؛ ومع ان المدارس « العامة » Public ليست عامة بل « خاصة » ، والمدارس

الثانوية لا تتصل بالمدارس الابتدائية ولم تتطور عنها الا انه « نظام قومي » يتتساب وتقاليد الانكليز وخصائصهم القومية . ولقد اشار الى ذلك الاستاذ سيريل نوروود Norwood المربي الانكليزي المعروف حينما قال : ان نظام التعليم فى انكلترة لا يقوم على منطق ، ولا هو متناسق . فلم يفكر فيه المشرعون ولا السياسيون ويفرضونه على الامة فرضا . وهو فى الوقت نفسه لم يأت عرضا ، بل ابىق عن حاجات الشعب العملية ، وارتبط بالحياة القومية كل الارتباط . ولا يستطيع أحد أن يدرك حقيقته دون ان يفهم التاريخ القومى الانكليزى . فنظام التعليم تتج أخلاقى القومى العام National Character هذا الخلق الذى من احادى خصائصه قدرته على اخراج التسوية غير المنطقية من حيزها النظري الى حيزها الواقعى التطبيقي . فهو لا يضفى على النواحي النظرية اهمية كبرى (٢) .

ويدرك الانكليز ان الحياة الاجتماعية تحدث فيها تبدلات مستمرة بواسطة المخترعات والمكتشفات الحديثة وان الاساليب التربوية والنظرية التربوية ينبغي ان تتبدل وتطور ، الا انهم لا يحذرون تبدلات كليلة وسريعة في نظمهم التعليمية كما تفعل غيرهم من الامم ، بل يفضلون التطور البطيء ، والاصلاح التدريجي ٠ « والتعليم في انكلترة شأنه في ذلك شأن المؤسسات الانكليزية الاخرى نتيجة نمو بطيء ويقدم مثلاً جيداً على الطريقة التي تتطور بها المؤسسات الانكليزية ٠ فهو لا ينفصل عن الماضي انصلاً تماماً ، ولكنه يبدل نفسه ويكيفها ليواجه اوضاعاً جديدة ؟ ويرينا ان الانكليز يفضلون اشياء العملية على النظرية ، والنظرة القريبة على البعيدة ٠ ويعكس نظام التعليم التكوين الطبقي للمجتمع الانكليزي انعكاساً كبيراً ٠ ويتبدل بسرعة فاقفة اسوة بالمؤسسات الانكليزية الاخرى ٠ (٣)

2 - Briggs, T., Secondary Education, P. 4-5

3 - Stephens. W. E. D., English Education, P., 7

ولم يزل التعليم في إنكلترة يحمل في ثياب التطور التاريخي الذي أصاب اقسامه المختلفة . فهو يمثل مزيجاً من المدارس العامة والخاصة ، ومن المدارس الطائفية وغير الطائفية ، ومن المدارس الرسمية والمساعدة مالياً والمدارس غير المساعدة ، ويمثل تدخلاً في الوظائف . ومن ناحية التنظيم لا يؤلف نظاماً خاصاً . فقد نشأ هذا النظام من الموقف التقليدي الذي اتخذته الدولة نحو التعليم من جهة ، ومن تردد الإنكليز أنفسهم من تعكير صفو المصالح المركزية التي نشأت حول التعليم بفضل الاعمال التي قامت بها بعض الجماعات المنظمة والهيئات التطوعية من الجهة الثانية^(٤) .

و « يتبدل كيان إنكلترة الاقتصادي والسياسي تبلاً أساسياً . وتقرب إنكلترة القديمة التي تعقق النظرية الفردية في الاقتصاد والمجتمع من نهايتها شيئاً فشيئاً ، وذلك بتغيير تبدل العلاقات الداخلية والخارجية ، وتأثير المبادئ ، الاشتراكية . ومع ان تقاليدها الاجتماعية تقوم على نظام الطبقات الاجتماعية ، وان تقاليدها الاقتصادية تقوم على التنافس الاقتصادي الحر فقد تعرض كيانها المادي والروحي إلى الخطر حينما اضطرت على خوض حرب كلية . وقد تطلب المجهود الحربي ان تخضع جميع المصالح الجمعية والطبقية خضوعاً كلياً الى قضية واحدة علياً - هي قضيةبقاء الامة الإنكليزية . وفي سبيل هذه القضية العليا عطلت الحريات الفردية التقليدية وسيطرت الدولة على النظام الاقتصادي ووجهته نحو اهدافها . واصبحت إنكلترة الديمقراطية ، والالم يحزها ، دولة تشبه عدوها صاحب النظرية الكلية . وساور الناس بعد هذه السيطرة الكلية شغف في امكان عودة إنكلترة بعد هزيمة عدوها الى الحال الذي كانت عليه قبل نشوب الحرب العالمية الثانية . وبفقدان استثمار رؤوس الاموال الإنكليزية في اقطار الاجنبية وبفقدان التجارة الخارجية اضطررت ميزانها الاقتصادي . وفقدت الطبقات العليا امتيازاتها ؟ وهيات الحرب للسكان الصناعيين

فرصة المطالبة بتحقيق مطالبهم القديمة وأخذوا يلحون في عرضها للحصول على تكيف اجتماعي واقتصادي ؟ وصار الجو مهيئاً لوضع تشريعات اشتراكية .
ولم تنهج انكلترة طريقة الانقلاب الثوري العنيف الذي نهجته روسية .
فالتبدل الأساسي يسير يوماً بعد يوم . ولكنه يسير بتشريع برلماني وبالطريقة التقليدية مع الاحتفاظ بكيان الدولة التاريخي القديم . وبرهنت انكلترة الى العالم كما برهنت من قبل على قابليتها الفائقة بدخول الاراء الجديدة والراديكالية في النظام القديم الموروث دون ان تقلع جذوره قلعاً نهائياً .
وابتعد الطريقة نفسها في التعليم كما اتبعتها في ميادين الحياة القومية الأخرى .
فظام التعليم يتبدل يوماً بعد يوم ويحافظ على خصائصه القديمة ؛ ولكن تدخل فيه محتويات اجتماعية جديدة ^(٥) .

ويعكس علينا نظام التعليم في بريطانيا التنوع الذي تتألف منه وحدة الأقوام البريطانية والذى يجعل انسجامها حقيقة من الحقائق - يعكس علينا وحدة القصد ، ووحدة المصالح بالرغم من جميع الفروق الرسمية والسياسية والمذهبية والطبقية . ويرجع تنوع هذا النظام إلى هذه الفروق نفسها ؛ ولكنه يرجع قبل كل شيء إلى الخصائص العامة للشعب البريطاني وهي : جبه للحربيات الديمقراتية ، ولروح التسامح ، وتعلقه بالفردية ^(٦) . وليس التعليم وحدة عضوية ، بل هو مجموعة من الأقسام : كل قسم يحتفظ في قليل أو كثير بآثار المراحل التطورية الاجتماعية التي مر بها . ويرجع إلى أن بريطانيا تتكون من أربعة أقسام متميزة : تكون من انكلترة وويلز واسكتلندة وشمال ايرلندا (*) وقد نمى كل نظام تعليمي نمواً فريداً في بابه . فلا تشرف على

5 - Hans N., Comparative Education , P., 254

6 - Dent, H.C., British Education, P., 7 London, 1944

(*) تؤلف ايرلندا جمهورية حرة مستقلة ، ولا تدخل في نطاق المملكة المتحدة . United Kindom

نظم التعليم كما لا تديرها سلطة حكومية مركبة بل تديرها في الحقيقة ثلاثة سلطات : السلطة الأولى تدير نظام التعليم في إنكلترا وويلز ؟ والسلطة الثانية تدير نظام التعليم في اسكتلندا ؟ والسلطة الثالثة تدير نظام التعليم في شمال آيرلندا . وهذه الانظمة المختلفة وان كانت مستقلة بعضها عن بعض الا ان العوامل التاريخية التي كوتها البيئة المتقاربة التي احتفظتها اكسبتها بعض الخصائص العامة . غير انها ظلت تنفرد في بعض الميزات ، وتحفظ بانظمتها وقوانينها الخاصة .

ويختلف نظام التعليم في إنكلترا وويلز كما تقول احدى النشرات الرسمية عن الانظمة الموجودة في كثير من الأقطار الأخرى من ناحيتي التنظيم والإدارة . ويدو هذا الاختلاف في ثلاثة امور اساسية : في صفة الادارة الالامركزية وفي الدور الذي تلعبه الهيئات التطوعية ، وفي تحرر المدرسين من الاوامر الرسمية التي تتعلق بمناهج التدريس وبطرائق التعليم ، ويختلف في امور أخرى : فلم تبدأ به الدولة ، ولم تتدخل في شؤونه الا منذ مدة قصيرة ، لاسيما في مطلع القرن التاسع عشر ؟ ولا تهدف الدولة من تدخلها الا ضمان الحد الأدنى من التعليم للأطفال . والطفل في إنكلترا لا يعود الى الدولة وانما يعود الى الكنيسة ، وحركة التعليم فيها من حيث الأساس نتاج جهود فردية وخيرية ودينية . وبالرغم من تعدد هذه الجهود فإن وحدة القصد تجعل من تعدد صوره والوانه صورة واحدة منسجمة بعض الانسجام . وتحصر العوامل التي تجعله منسجما في : حرية المدرس واستقلال المدرسة واستخدامها لتنمية العقل والخلق ، وفي العلاقة الودية بين الطالب والهيئات التعليمية وفي عناية أكثر المدارس الثانوية وخاصة «العلمية» بالمواضيع العلمية والنظرية ، وفي تنشئة الفعاليات التربوية والامتحانية خارج المدرسة وفي اتجاه المربين الى تنظيم التعليم بحيث يفصح عن توضيح اغراض التعليم في مجتمع ديمقراطي .

جذور التربية الانكليزية

قلنا ان نظام التعليم فى انكلترة قد استمد شكله من طبيعة تكوين الحياة الاجتماعية فى القرون الوسطى وان هذا النظام يعكس علينا لدرجة كبيرة التكوين الطبقى للمجتمع الانكليزى . « فالطبقة الحاكمة » اليوم لم تتغير خصائصها كثيرا وما زالت مدارسها « الخاصة » قائمة و « الطبقة الدينية » ما زال نفوذها فى المجتمع الانكليزى قويا ، وخاصة الكنيسة الانكليزية ؟ وما زالت مدارسها الكنسية الابتدائية والثانوية ثابتة كالطود . وما زالت « الطبقة العاملة » تكافح وتتاضل فى سبيل حقوقها وتنمو وتزداد قوة حتى وصلت اليوم الى ارقي مرحلة من مراحل كفاحها السياسى . واستطاعت ان تستولى على الحكم . وتحتفظ من غلواء « الطبقة » ومن نهم الرأسمالية ومن « تسيب » الديمقراطية . ومدارسها هي المدارس الحكومية الابتدائية والثانوية والمهنية .

وتتدد جذور التربية الانكليزية فى تاريخ انكلترة نفسها ، وتفاعل مع صور الحياة الاجتماعية والسياسية فيها . ومن المفيد جدا ان تتبع سير هذا التفاعل ، والمدارس التى انبثقت عنه ، والدور الذى لعبته فى حياتها الثقافية والسياسية . كانت مدرسة ونشستر Winchester أول مدرسة خاصة ظهرت فى انكلترة . فقد اسس وليم اوفر ويكم William of Wykeham اسقف New College فى مدينة كيمبرج؛ وهى الكلية التى اسسها الاسقف نيو كولج في سنة ١٣٨٢ « كلية ترمى الى اعداد فئة من الطلبة للالتحاق بكلية يعيشوا عيشة جماعية Community . ولكنه سمح فى الوقت نفسه للراغبين من اولاد الاسراف والبلاء والمتوفدين ان يلتحقوا بها . وقرر ان يشتراك كبار الاولاد فى حفظ النظام داخل الكلية » . واستمر امتصاص هذه الصور المختلفة فى حياة الكلية : صلتها بالجامعة ، وحياتها الجماعية ، والقاء المسؤوليات

على كبار الالاد ، وتبين الطلاب ؟ فعنهم من ضار تعليمه مجانيا و منهم من كان يدفع اجورا مدرسية ؟ واصبح احدى خصائص مدارس الخاصة الانكليزية التي قد تأسست وفق الخطة التي تم بوجها تأسيس مدرسة ونشستر⁽⁷⁾ التي كان شعارها القديم « الاخلاق تصنع الرجال » Manners Maketh men ويدل هذا الشعار على ذلك النوع من التعليم الذي لا يستهدف التدريس المجرد بل تكوين افراد « متزنين » يصحون اعضاء صالحين في المجتمع . ولم يزل هذا الشعار شعار « مدارس الخاصة » الانكليزية حتى يومنا هذا .

وبعد مرور ستين سنة على تأسيس مدرسة ونشستر اسس الملك هنري السادس مدرسة ايتون Eton الخاصة الشهيرة وسارت على غرارها ، وجعلها تتصل « بكلية الملك Kings College وما زالت هذه الصلة مستمرة الى الوقت الحاضر .

تأثير عصر النهضة :-

وفي عصر النهضة Renaissance ازدهرت الحياة في انكلترا (القرن السابع عشر) ازدهارا عظيما . ووجد الشعور الديني العميق الذي انبث في عصر الاصلاح Reformation طريقه إلى اشرف العقول وابلها . الى عقول جون ملتن Milton والسر توماس مور More مؤلف « طوبيا » وكوليت Dean Colet ولقد ازداد هذا الشعور الديني ثراء بجمال اليونان القديم ، وبجلال روما ومجدها العظيم ؟ فقد استطاع ملتن ان يمزج التراث العبرى والاغريقي في شعره مزجا عظيما ؟ واستطاع كوليت ان يؤسس مدرسة سنت

بول St. Paul لتدريس اللغتين اليونانية واللاتينية . وباتحاد التعاليم المسيحية والروائع الأدبية القديمة Classics ازدادت العناية بذلك الاتجاه الذي اضفى على التعليم الانكليزى خصائصه التى واكتبه اربعة قرون كاملة . ولقد عاش الانكليز فى عصر الملكة اليزابيث عيشة مليئة بالانجازات العظيمة فى ميادين الشعر والتسليل والموسيقى ؟ حتى ان العالم المورافى الكبير كومينيوس كتب - نقالا عن ستي芬س - وهو فى انكلترة سنة ١٦٤١ ما يأتى :- « اخذ الانكليز يتتكلمون بحماس وجد فى اصلاح المدارس فى طول البلاد وعرضها . وأخذوا يتتكلمون بصورة خاصة عن وجوب تعليم الشبان . كافة دون اهمال احد منهم » . وبفضل الاستقرار الداخلى والخارجي الذى تجع عن قيادة كرومبل وفي العصر الذى عقب عصر اليزابيث ظهر فى انكلترة نظام تعليمي شامل .

غير ان فكرة تعميم التعليم لم تخرج فى انكلترة الى حيز التطبيق الا بعد قرتين . ويعد القرن الثامن عشر صفحة سوداء فى تاريخ التربية الانكليزية . فالمدارس الثانوية « العلمية Grammar لم تستطع ان تكيف نفسها الى الظروف المتبدلة . وكان عدد المدرسين قليلا ورواتبهم ضئيلة . ولم يظهر رجال المعرف رغبة فى نشر التعليم . ولم تكن الجامعات فى وضع يغبط عليه . وتأسست مدارس « خصوصية » Private فى هذا القرن فمنها ما كان جيدا ، ومنها ما كان رديئا ؟ كما فتحت لاولاد القراء مدارس خصوصية ايضا على جانب عظيم من الانحلال والاتحطاط . حتى لقد بلغ الامر بعض التجارين والاسكافيين ان يفتحوا مدارس خصوصية فى اوقات فراغهم يعلمون فيها مبادئ القراءة والكتابة لقاء بعض الاجور ^(٨) . وفي هذه الفترة المظلمة استطاعت بعض المدارس الثانوية العلمية

(٨) المصدر السابق نفسه .

Grammar Schools الاعتيادية ان تقال بجهود مديرها شهرة واسعة ؟
 فأستهوت عدداً كبيراً من الطلاب جاءوا إليها من مختلف نواحي القطر ، مما
 اضطرها على ان تكون مدارس داخلية (*) .

في القرن التاسع عشر :-

وابتدأ عصر التعليم الحديث في إنكلترا في مستهل القرن التاسع عشر ؛
 وحدثت فيه تطورات وتبدلات سريعة ، ولكنها لم تأت وفق خطة مرسومة ترمي
 إلى تحقيق أهداف بعيدة بل جاءت بها الأحداث الملاحقة وفرضتها الحاجات
 الملحة . وكانت كل خطوة تستهدف حل مشكلة معينة ؟ ولم يراع فيها أن
 تكون جزءاً من خطة أكبر . والحقيقة لم توضع للتعليم الانكليزي خطة إلا
 في السنوات المتأخرة . وقد لعبت الدولة في نشر التعليم واصلاحه وتنظيمه
 دوراً ضئيلاً بينما لعب الأفراد الواقعون أدواراً مهمة في نشره وتنظيمه
 وتمويله . و « انتشرت في مطلع القرن التاسع عشر مدارس علمية للبنين
 كثيرة قام بتأسيسها بعض الأفراد من جهة وبعض الهيئات الدينية والشركات
 الوطنية من الجهة الثانية ٠٠٠ وسُنحت لبعض هذه المدارس ظروف خاصة ،
 من ذلك موقعها الجغرافي أو مصادر ثروتها أو شهرة مديرها ، فاكتسبت
 سمعة طيبة اكتسبت بها سمعة غيرها من المدارس ، وامتدت حتى تسررت
 إلى المدن الأخرى ؟ فأصبحت هذه المدارس تعرف « بمدارس الخاصة » .
 أما المدارس العلمية الأخرى فقد احتفظت بطبعها القديم وحافظت في أكثر

(*) ومن أهم هذه المدارس التي قد تحولت فيما بعد وأصبحت مدارس
 خاصة هي هارو وشروبزيرى وركبى . وكان ارتباط المدارس ظل مديرها لمدرسة
 ركبى من سنة ١٨٢٨ - ١٨٤٢ رجال دينياً ورعاً ؛ وقد ادخل عدة أساليب
 تربوية في مدرسته سند ذكرها في غير محل من هذا الكتاب .

الاخرين على اسمها وهو «المدارس العلمية»^(٩).

ولم تبذل محاولات منظمة فى سبيل نشر التعليم الابتدائى كما يقول الاستاذ دينت H.C. Dent فى كتابه «التربية البريطانية» الا فى مطلع القرن التاسع عشر . فقد نشأت المدرسة الابتدائية فى احسان جمعيات البر والاحسان ، فأُسست « جمعية تقدم المعارف المسيحية »^(*) فى غضون هذا القرن مئات المدارس الابتدائية ، كما اُسست غيرها من الجمعيات الدينية مدارس اخرى كان لها شأن عظيم فى نشر التعليم الابتدائى ، وفي تحريم استخدام الاطفال الصغار فى المعامل ، وفي مناهضة الفكرة القائلة باز « تعليم الطبقات الدنيا » مصر بها ، وقد اسس روبرت رايكس مثلاً «مدارس الاحد» Sunday Schools ، فقد كان يوم الاحد الوحد الذى لا يستغل فيه الاطفال . وتأسست مثلها فى مقاطعة ويلىز لتعليم اولاد الفقراء القراءة وتلاوة الانجيل . وشرع بعض رجال الاعمال فى تأسيسها فى المعامل على غرار ما فعل روبرت اوين Robert Owen فى اقليم لتشاير . وتألفت فى القرن التاسع عشر جمعيتان دينيتان لتأسيس المدارس الابتدائية بمقاييس اوسع وهما : « الجمعية القومية لنشر التعليم بين الفقراء وفق مبادئ الكنيسة الرسمية » و « جمعية المدارس البريطانية والاجنبية »^(**) وكان الهدف الرئيس من تأسيسها ديناً واخلاقياً . واطلق اسم « المدرسة

9 - A Guide to the Educational System of England & Wales, Ministry of Education, H.M.O., P., 48, London 1945.

* Society for the Promotion of Christian Knowledge

** National Society for Promoting the Education of the Poor in the Principles of Established Church, and British and Foreign Schools Society.

البريطانية » • واسم « المدرسة القومية » ايضا على عدم من هذه المدارس الابتدائية • اما اليوم فقد اصبحت هذه التسمية نادرة الوجود •
 ولا شك ان هاتين الجمعيتين وغيرها من الجمعيات التي امدها الدولة سنة ١٨٣٣ بمساعدة مالية بلغت ٢٠٠٠٠ دينارا لبناء مدارس « الى الطبقات الفقيرة في بريطانيا العظمى » وارصدت لها في كل سنة مساعدة مالية بلغت سنة ١٨٦١ حوالي ٨٤٠٠٠ دينار قد مهدت الطريق لوضع اسس نظام التعليم • وتشكل مجلس ملكي لللشارف على وجوه انفاق هذه المساعدات انفاقا صحيحا وتطور هذا المجلس الى « دائرة المعارف » ثم الى « مجلس المعارف » وأخيرا الى « وزارة المعارف » (*) • وصار موضوع السيطرة على التعليم الابتدائي منذ ذلك الحين احدى المواضيع السياسية الجدلية المهمة في انكترة • فهل تسيطر عليه الدولة أم الكنيسة ؟

واليت مسؤلية نشر التعليم الابتدائي كما بنا على كاهل هاتين الجمعيتين في الفترة الواقعة بين ١٨٣٣ - ١٨٧٠ وعلى غيرها من الجمعيات الخيرية والدينية • وتقديم التعليم تقدما مرضيا بالهبات والاجور المدرسية والمساعدات الحكومية ، وعهد الى « المجالس المدرسية» المحلية School Boards سنة ١٨٧٠ نشر التعليم الابتدائي في المناطق التي عجزت الهيئات التطوعية ان تقوم بنشره بسبب زيادة اقبال الناس على التعليم • وهكذا ظهرت مدارس جديدة Board Schools متميزة عن المدارس التطوعية الخيرية Voluntary Schools في الفترة الواقعة بين ١٨٧٠ - ١٩٠٠ • اما في القرن التاسع عشر فقد تأسست « مدارس جديدة » ومدارس تحضيرية ابتدائية متصلة بها كل الاتصال •

* Department of Education, Board of Education, and Ministry of Education.

وحاولت الدولة ان تشرف على وجوه انفاق المساعدات المالية التي تدفعها الى هاتين الجمعيتين بصورة خاصة والجمعيات الاخرى بصورة عامة دون ان تتدخل في النواحي الدينية . فوضع روبرت لو Robert Lowe ، وكان مشرفا على ادارة التعليم وصار وزيرا سنة ١٨٦٢ ، امتحانا سنويا في القراءة والكتابة والحساب لجميع المدارس « المساعدة » aided ، وجعل رواتب المدرسين متوقفة على النتائج التي يحصل عليها الطلاب في هذه الامتحانات . وقد سميت هذه الطريقة « بطريقة الدفع بالنتائج » Payment by Results وتركت اثرا سلبيا في نفوس الطلاب والمدرسين .

وكان من جراء تدخل الدولة في شؤون التعليم ان وقع نزاع شديد بين الدولة من جهة والكنيسة من جهة ثانية . في بينما كانت الدولة تريد المساهمة في نشر التعليم والاشراف عليه كانت الكنيسة تريد فرض سيطرتها عليه ومحاربة اي تدخل يأتي من سلطة اخرى . وقد أدى هذا النزاع الى ان اخذت الجمعيات الدينية تحصر عملها في الميدان الديني وهو الميدان الذي بدأت جهودها فيه وأخذت الدولة تنشر التعليم في الاماكن التي يتغذر على الجمعيات الدينية ان تقوم بنشره . وتكون بمرور الزمن في انكلترة نظام تعليمي ثانوي : تعليم كنسي وتعليم حكومي .

اثر الثورة الصناعية :

وظهرت في مطلع القرن التاسع عشر حاجة ملحة لنشر التعليم بين ابناء الطبقة العاملة . فقد تضخم سكان المدن بسبب الثورة الصناعية ، وأخذ ابناء العمال يزدادون سنة بعد أخرى ، وأصبحت حاجتهم الى تعلم القراءة والكتابة والتعاليم المسيحية عظيمة جدا ، ونشطت الهيئات التطوعية من ناحية الدولة من الناحية الثانية . « غير ان ترايد عدد سكان المدن المطرد خلق للهيئات

التطوعية مشكلة عظيمة . و توجهت الانظار الى الدولة ، و اتضح انها ينبغي ان تلعب دورا اكبر في نشر التعليم . فصدر قانون التعليم الابتدائي في سنة ١٨٧٠ و تشكلت بموجبه « مجالس مدرسية » School Boards انحصرت وظيفتها في تأسيس مدارس في المناطق المحتاجة . تلك هي بداية وضع التعليم على اسس قومية . فقد استطاع كل طفل ان يحصل في اواخر القرن التاسع عشر على عناصر التعليم الاساسية وهي : القراءة والكتابة والحساب ، وكان قسم من نفقات التعليم يستوفى من ضريبة الاملاك Rates محليا وقسم من خزينة الحكومة . وفي سنة ١٩٠٢ خطى التعليم خطوة كبيرة حينما الغيت المجالس المدرسية ، وحلت محلها سلطات التعليم المحلية التي خولت ، بالاتفاق مع وزارة المعارف صلاحيات تامة لنشر التعليم الابتدائي والتانوي . Board of Education

وقد دلت هذه الاجراءات على انها ناجحة «^(١٠) .

* * * *

اقتبينا في الصفحات السالفة آثار ثلاث حركات رئيسة في تطور نظام التعليم في انكلترة : فقد كان حليفا لنظام الطبقات وهو اليوم عامل من عوامل تخفيف الفوارق الاجتماعية وتحقيق المساواة الاجتماعية ؟ وقد كان خاضعا للكنائس والهيئات التطوعية ، وهو اليوم يخضع الى اشراف الدولة ومساعدتها ؟ وكانت اهدافه ضيقة ، واصبحت اليوم واسعة ، وصار عامل من عوامل اثراء الحياة القومية ^(١١) .

وتتقسم المدارس في انكلترة الى مدارس « حكومية » State و « مستقلة » و كل قسم منها يحتوى على عدة مدارس : ابتدائية وثانوية Independent وعالية وهي :

10 - Stephens, W. E. D., English Education, P., 12 - 13

11 - Barker, Ernest, National Character, P, 268 - 9

المدارس الحكومية

State Schools

حالة التعليم قبل قانون ١٩٤٤ :

كان نظام التعليم في إنجلترا حتى سنة ١٩٤٥ يتالف من نوعين رئيسيين من المدارس : المدارس الابتدائية العامة والمدارس الثانوية (او المدارس العلمية) Grammar Schools . ولم تقم الدولة بتأسيس المدارس إلا في سنة ١٨٧٠ ولكنها كانت تقدم مساعدات مالية إلى بعض الجمعيات الخيرية كما بینا آنفا . وكانت « المدارس الابتدائية » Elementary Schools كلياً بدلاً عنها تقدم « مبادىء » elements التعليم الأساسية من قراءة وكتابة وحساب ودروس دينية وكانت مجانية تستهدف تقديم تعليم « جيد ورخيص » لـ « الأطفال الفقراء الكادحين » . أما العائلات الموسرة فقد كانت ترسل ابناءها إلى « مدارس الخاصة » . ولما اخذت الطبقة العاملة في نهاية القرن التاسع عشر تطالب بتعليم يتخطى حدود التعليم الابتدائي اعطيت « سلطات التعليم المحلية » في سنة ١٩٠٢ صلاحيات في فتح مدارس ثانوية ، فأنشأت هذه السلطات مدارس جديدة من جهة وساعدت المدارس « العلمية » الثانوية من جهة ثانية . فازداد عدد المدارس الثانوية (*) وكثُر طلابها .

أما المدارس الثانوية فقد كانت تستوفى أجوراً مدرسية . وكان بناؤها حسناً وعدد طلاب الصف الواحد قليلاً ، ومرافقها جيدة ، ورواتب مدرسيها عالية ، اذا ما قورنت بالمدارس الابتدائية . وفي سنة ١٩٠٧ صار لزاماً على المدارس الثانوية ان تحجز مجاناً ٢٥٪ من محلاتها على الأقل للتلاميذ

(*) كان عدد طلاب المدارس الثانوية سنة ١٩٠٤ اقل من ١٠٠٠٠ طالب وطالبة فصار سنة ١٩٣٨ حوالي نصف مليون طالب وطالبة .

القادمين من المدارس الثانوية والى الذين قد اجتازوا امتحان الشهادة الابتدائية وبلغوا الحادية عشرة من العمر . وقد ارتفعت نسبة الطلاب الذين التحقوا بالمدارس الثانوية سنة ١٩٣٨ حوالي ٠٨١٪ دفع نصفهم اجوراً دراسية وعفى النصف الآخر .

اللجنة الاستشارية :

ولقد ادرك المربيون الانكليز منذ حوالي ربع قرن ان هذه الحالة تهدى القابليات ، وانها خطة غير حكيم ، وانه لابد من علاج ووضع خطة جديدة لاصلاحها . فوضعت اللجنة الاستشارية Consultative Committee The Education of the المراهق « تربية المراهق » سنة ١٩٢٦ تقريرها عن Adloescent الذى سمي فيما بعد بـ « تقرير هادو » تخليداً لاسم رئيس اللجنة الاستشارية ، واقتصرت ان تقسم الدراسة الى مرحلتين يدخلها جميع الاطفال :

١ - المرحلة الاولى - وتبعد بالخامسة وتنتهي بالحادية عشرة وسمها التقرير

مرحلة الدراسة الابتدائية Primary

٢ - المرحلة الثانية - وتبعد بالحادية عشرة وتنتهي بالخامسة عشرة من العمر تقريراً وسمها التقرير الدراسة التي تلى الدراسة الابتدائية

Post Primary

وقد اوصت اللجنة ان يدخل الاطفال كلما سنت الفرصة مدارس متعددة بعد الحادية عشرة من العمر ليبدأوا بداية طيبة . ولما عرضت توصيات اللجنة الاستشارية على وزارة المعارف اقرتها ، واخذت مسلطات التعليم الحالية منذ ذلك الحين تعيد تنظيم المدارس الابتدائية بموجبها وتحول مدارسها الى مدارس اولية Junior وابتدائية Senior .

ونشرت اللجنة الاستشارية سنة ١٩٣٨ تقريرا آخر عن تنظيم المدارس التي تلى المدارس الابتدائية (للطلبة الذين تتراوح اعمارهم بين الحادية عشرة والثامنة عشرة) وخاصة المدارس « العلمية » والمعاهد الفنية وبحثت صلة هذه المدارس بعضها بعض - تلك المدارس التي لم يبحثها « تقرير هادو » وقد عرف هذا التقرير فيما بعد بـ « تقرير سبنس » نسبة الى المستر ويل سبنس رئيس اللجنة .

ومن اهم التوصيات التي قدمها هذا التقرير التوصية بتأسيس مدرسة جديدة سميـت « بالمدرسة الفنية العليا » Technical High School واليـك قسما من هذه التوصية :

« ان تأسیس نوع جديد من المدارس العليا الفنية مختلفة عن المدارس
العالية التقليدية الاكاديمية كل الاختلاف أمر مهم جدا . وهذه هي قناعتنا
جميعا . ونقترح ان تكون اول خطوة تخطى لبلوغ هذه الغاية هي تحويل
مجموعه من المدارس الفنية المتوسطة التي تعنى بدراسة البناء والهندسة
وغيرها من المدارس الفنية التي تؤدى وظيفة مشابهة بحيث تقدم هذه الدراسة
(أ) تدريبا عقليا جيدا يغض النظر عن قيمته الفنية و (ب) وتكون لها قيمة
فنية لا من حيث صلتها بمهنة واحدة من المهن وانما بمجموعة منها - نقترح
ان تحول الى (مدارس فنية ثانوية) على غرار المدارس العلمية في كل ناحية
من نواحها المختلفة . كما نقترح ان تسمى هذه المدارس التي ستكون مدة
الدراسة فيها خمس سنوات (اى الى السادسة عشرة من العمر) بالمدارس
الثانوية الفنية تميزا لها عن المدارس الفنية الاخرى التي يتحقق بها الطالب
وهو في الثالثة عشرة او الرابعة عشرة من العمر .

« ونقرح ان يكون سن الدخول هو الحادية عشرة من العمر وان يتسلب الطلاب بامتحان انتقائى عام اسوة بالامتحان الذى تستخدمنه المدارس العلمية اليوم ٠٠٠٠ »

وقد اوجب التقرير استيفاء اجور دراسية من الطلبة متساوية مع الاجور التي تستوفيها المدارس العلمية الواقعه في الوحدة الاداريه نفسها .
وذهب قانون ١٩٤٤ الى ابعد من ذلك فقلب نظام التعليم رأسا على عقب . وقبل ان تتناول التبدلات التي احدثها هذا النظام ينبغي ان نستعرض حالة المدارس قبل صدور هذا القانون .

١ - المدارس الابتدائية : Elementary Schools

اسست الجمعيات التطوعية اول مدرسة ابتدائية في انكلترة واخذت الدولة تهتم في شئون التعليم منذ سنة ١٨٧٠ اهتماما عظيما . فكان عدد المدارس الابتدائية سنة ١٩٣٨ في انكلترة وويلز حوالي ٢٠٠٠٠ مدرسة وعدد تلاميذها حوالي خمسة ملايين وعدد مدرسيها قرابة ١٦٠٠٠٠ ومع ان نصفها مدارس خيرية الا ان عدد تلاميذها لم يتجاوز الثلث . و اذا كان عدد المدارس الخيرية هو ١٠٠٠٠ مدرسة فان ٩٠٠٠ منها تديرها « الكنيسة الانكليزية » اما المدارس الباقية فتدبر اكثراها الكاثوليكية . وكانت اكثرا نفقات هذه المدارس تسدها سلطات التعليم المحلية . غير ان الكنائس كانت لها سيطرة تامة على تدريس الدين وعلى ادارة المدرسة لخدمها . وتحتختلف ابنيه المدارس بعضها عن بعض اختلافا كبيرا . فالمدارس الحديثة وعددها قليل تكون عادة كبيرة وصفوتها واسعة واضاءتها جيدة وساحتها كثيرة . وقد بنيت اكثراها قبل اكثرا من ثلاثة سنين وبني بعضها قبل ١٨٧٠ وما زالت مدرسة القرية عادة مدرسة « تطوعية » قائمة بجوار الكنيسة . وهندسة عمارتها « كنسية » ايضا . اما مدرسة المدينة فقد تكون بناءة مشيدة بالطابوق وبسيطة تتالف من ثلاث طوابق ولها ساحة صغيرة مبلطة او قد تتالف من ثلاثة وحدات تعليمية : واحدة روضة للأطفال

ووثانية مدرسة للبنين وثالثة مدرسة للبنات . وفي كل وحدة صالة تحيط بها صفوف المدرسة المختلفة .

أما في المدارس الكبيرة فتتم تربية الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة إلى السابعة أو الثامنة في اجنبية منفصلة (وغالباً ما يتعلمون في مدارس مستقلة) تسمى « مدارس الرضاعة » Infant Schools ويُسير التعليم فيها اليوم على غرار ما يُسير في دور الحضانة Nurseries او رياض الأطفال ، فلا يتلقى الأطفال دروساً بالمعنى المعروف وإنما تكون الفعالية الحرة Free Activity أساس العمل اليومي . وتطبق طريقة متسلسلة وطريقة فرويل Froebel في التدريس (*) . وأكثر هذه المعاهد مختلطة ويتحقق الأطفال بعد تخرّجهم منها في المدارس الأولى .

وأعدت مدارس الحضانة للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الثانية والخامسة من العمر ، وقد كان عددها في بريطانيا قليلاً قبل الحرب العالمية الثانية إلا أنها اخذت تزداد سنة بعد أخرى بتضافر جهود رواد هذه الحركة وبتأسيس « جمعية مدارس الحضانة » Nursery School Association ازداد عددها أزيداً عظيماً (**) . وقد رافق هذه الزيادة تحسن عظيم في العناية

(*) ويدأ العمل المدرسي اليومي في الساعة التاسعة صباحاً حيث يجتمع الأطفال والمعلمات في ساحة المدرسة ويرتلون بعض الترانيم الدينية . وتتخذ هذه المجتمعات وسيلة لابداء النصائح والارشادات والتوصيات من المعلمات او من المديرة . ويعفى بعض الأطفال من ترتيل هذه الترانيم اذا شاء أولياء امورهم .

(**) وبعد ان كان عددها سنة ١٩٣٨ قرابة ٤٠٠ مدرسة (٣٥٠ منها خيرية) وعدد اطفالها حوالي ٨٠٠٠ طفل ازداد اثناء الحرب العالمية الثانية أزيداً كبيراً بناء على اشتغال الامهات في المعامل فبلغ عددها سنة ١٩٤٣ حوالي ١٥٠٠ مدرسة كل ذلك بفضل جهود وزارات الصحة وال المعارف والعمل .

بالاطفال من جميع الوجوه ، وادرك الرأى العام اهمية هذه المدارس من حيث
هي وسيلة لتشغيل الامهات بامور تغذية الاطفال والعناية الصحية بهم وفهم
نفسياتهم وغير ذلك . ولا يتلقى الاطفال دروسا معينة وانما يقضون او قلهم
مع الدمى والادوات وبالالعب الحرة الاخرى . ويلعب الاطفال افرادا
وجماعات ، فيخرجون الدمى من خزانات واطئة اعدت لها هذا الغرض ويلعبون
بها . وحينما يتدهون منها يعودونها الى اماكنها الاولى . وينمون جسميا وعقليا
واجتماعيا نموا حسنا ويتقلون بعدها الى مدارس الرضاعة Infant Schools

وما زالت مناهج المدارس الابتدائية تتالف من القراءة والكتابة
والحساب او ما تسمى بالانكليزية 3R's ولكن المنهج قد توسيع اكثر مما
كان عليه سابقا . وصار اقرب الى حياة الاطفال فالمدرسة لا تستهدف « ضيق »
المعلومات الى اذهانهم بل بعث اولاعهم واثارة حب الاستطلاع فيهم »
وتفهيمهم بعض الاشياء عن العالم الذي يعيشون فيه . « فلهم يعد درس
التاريخ يستهدف معرفة تواريخت ملوك انكلترة وملكتها وانما أصبح يتناول
دراسة تطور المجتمع او المدينة او القرية التي يعيش فيها الاطفال ، ويتناول
التعديلات التي تجري في حياة الناس اليومية : في بيتهم وفي باسمهم
وتجارتهم . وليس الجغرافية استظهار اسماء انهار آسيا واسماء مدن بريطانيا
وانما دراسة مناخ القليم الذي يعيش فيه الاطفال ودراسة تربته دراسة
علمية . ولم يعد تدرس اللغة الانكليزية قائمة على النحو والاملاء وانما على
قراءة الكتب الجذابة وقراءة القصص والروايات وقيام الطلاب بتمثيل بعض
قصص الروايات ، وعلى الكتابة والتطبيقات المنبعثة طبيعيا من خبرات الاطفال

وأولاعهم » ٤٠٠ (١)

وتحتوى مناهج بعض المدارس الابتدائية على تدريس لغة أجنبية . ولكن التجارب دلت على ان التائج التى يحصل عليها الاطفال الذين يتخرجون وهم فى الرابعة عشرة من العمر لا تناسب الوقت الذى يصرف على تدریسها .

٢ - المدارس الثانوية العلمية :

حينما طبق قانون التعليم الابتدائي الالزامى وانتشر هذا النوع من التعليم اتسارا واسعا في كل من انكلترة وويلز أصبحت قضية المتخرين من هذه المدارس ورغبة بعضهم الشديدة في الالتحاق بالمدارس الثانوية وعدد هم المتزايد مشكلة كبيرة . فلم تستطع المدارس الثانوية « المساعدة » الموجودة ان تحلها لقلة عددها وضعف مستواها . ولم تقبل « مدارس الخاصة » عددا منهم لأنها مدارس « طبقية » ؟ كما لم يسمح للمدارس الابتدائية ان تفتح صفوفا ثانوية بعد الدراسة الابتدائية . ولم يكن بمقدورها ان تفعل ذلك لنقص في مرافقتها . وكان من نتيجة ذلك ان غيرت الحكومة « لجنة ملوكية » برئاسة اللورد برايس Bryce لبحث المشكلة وتقديم توصيات بشأنها . فاقتربت سنة ١٨٩٤ - ١٨٩٥ تأسيس سلطة مركزية واحدة لإدارة التعليم وتخويل سلطات التعليم المحلية التي نشأت حديثا سلطة فتح مدارس اخرى غير المدارس الابتدائية ؟ فتأسس في سنة ١٩٠٠ مجلس المعارف Board of Education وصار السلطة المركزية الوحيدة في انكلترة . وترأسه وزير في الوزارة البريطانية . وفي الحقيقة ان هذا المجلس الذي كان « رئيسه » وزير المعارف نفسه لم يجتمع ابدا ؟ وكانت صلاحياته محدودة لم ت تعد « الاشراف على شئون التعليم في انكلترة وويلز » وقد ادت

إلى تكوين رابطة تعاونية بين السلطة المركزية من ناحية وسلطات التعليم المحلية من ناحية ثانية .

وبتشریع قانون معارف ١٩٠٢ الغیت « المجالس المدرسية » chool

Boards وحلت محلها سلطات التعليم المحلية في الالوية والاقضية والنواحي، وتحولت فتح مدارس ابتدائية والاشراف عليها واعداد تعليم « عال » Higher فيها ، وبعبارة أخرى اعداد جميع انواع الدراسة التي تلي الدراسة الابتدائية . وهكذا استطاعت السلطات المحلية ان تفتح مدارس ثانوية كثيرة ومتعددة وتمدتها بمساعدات مالية ، وتحور المدارس القديمة . واما « مدارس الخاصة » فقد ظلت كما هي . وقد ادى هذا التنوع في المدارس الثانوية الى تنوع في المناهج الدراسية ، فاقر « مجلس المعارف » بعض الانظمة ، واشترط على المدارس التي تتسلم اعارات مالية ان تكون منهاجها « عامة » General فنهضت منهاج المدارس الثانوية الى مستوى منهاج المدارس « المساعدة » وهي المدارس العلمية Grammar Schools ومما زاد في سيطرة منهاج المدارس العلمية على جميع المدارس الثانوية الاخرى منزلة « الشهادة المدرسية » الثانوية التي اخذ الناس يبالغون في اهميتها والتي يحصل عليها الطالب بعد ان يجتاز امتحان الدراسة الثانوية .

وكان المدارس الثانوية على نوعين (*) :-

١ - المدارس العلمية القديمة .

٢ - مدارس الالوية الثانوية - التي تقوم بتأسيسها سلطات التعليم المحلية . ولم تكن المدارس الثانوية « المساعدة » aided خاضعة لسلطات

(*) تستعمل الكلمة ثانوى في هذه الصفحات بالمعنى الذى كان معروفاً به حتى اوائل نيسان ١٩٤٥ واسمها الرسمى هو المدارس العلمية الثانوية .

Secondary Grammar Schools

التعليم الا قليلاً . فكان « حكامها » ومديروها يتمتعون بحرية في ادارة مدارسهم وتنظيمها . ولما كانت هذه المدارس اقدم من غيرها واكثر استقلالاً في شؤونها علّمت منزلتها الاجتماعية .

الاجور :-

وكان اكثراً المدارس الثانوية حتى اوائل شهر نيسان ١٩٤٥ تستوفى اجوراً مدرسية تراوح بين ٩ - ٣٠ ديناراً في السنة . وقد قدرت تكاليف دراسة كل طالب ثانوي بنحو ٣٥ ديناراً في السنة . وكانت المدارس الثانوية ملزمة بقبول نسبة محدودة من خريجي المدارس الابتدائية تقدر بـ ٢٥٪ من مجموع طلابها . وكانت هذه النسبة تصل في المدارس الثانوية التابعة لسلطات التعليم المحلية إلى ١٠٠٪ . اما الطلاب الآخرون فستوفى المدرسة منهم اجوراً دراسية (*) .

ويتحقق الطلاب في المدارس الثانوية وهم في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من العمر ويواصلون دراستهم فيها حتى يبلغوا السادسة عشرة . وقد يواصل بعضهم حتى الثامنة عشرة من العمر . ويكون منهج الدراسة من اللغة الأجنبية واللغة الانكليزية وأدابها والجغرافية والتاريخ والعلوم الرياضية والطبيعية والرسم ودوروسا للبنات في تسيير المنزل . وعليه فإن الدراسة عامة وليس اختصاصية . ومدة الدراسة فيها - كما يتضح - اربع سنوات وعدد طلاب الصف الواحد قليل والمدرسوون عادة من خريجي الجامعات البريطانية .

(*) الغي قانون بتلر Butler Act نظام الاجور المدرسية في جميع المدارس الثانوية لسلطات التعليم المحلية وفي المدارس الثانوية العلمية ولبعض المدارس ان تستوفى مقداراً معيناً من الاجور ، وهي المدارس التي تتسلّم مساعدات مالية مباشرة Direct Grant School من وزارة المعارف الانكليزية .

الامتحانات :-

ويختلف المنهج من مدرسة الى اخرى ولكنه يبقى واحدا فى عناصره الاساسية مadam الطلبة يستعدون لامتحان الشهادة المدرسية School Certificate وعلى الطالب المتى ان يجتاز امتحانا فى خمسة دروس Examination أحدها اللغة الانكليزية وثانيها لغة اجنبية او احدى العلوم الطبيعية وثالثها الحساب . اما الدرسان الرابع والخامس فيستطيع ان يختارهما الطالب من مجموعة الدروس وَهِيَ : - العلوم او لغة اجنبية ثانية ، او موسيقى ، او فنون ، او تاريخ ، او جغرافية . وفي الحقيقة يؤدى جميع الطلاب امتحانهم فى ستة دروس على الاقل . ويختص الطلاب الذين يودونمواصلة دراستهم لمدة سنتين اخريتين فى مدرسة ثانوية عادة فى مجموعة من الدروس عالية ، كالآداب القديمة او اللغات الحديثة ، او العلوم الرياضية والطبيعية ، ويستعدون لاجتياز « الشهادة المدرسية العليا » Higher School Certificate وقد يستعد بعضهم لامتحانات اخرى تفتح امامه سبل الحياة العامة فى المهن والتجارة ؟ كأن يستعد لاجتياز امتحان « الوظائف الحكومية » او اجتياز امتحان الصيرفة او التأمين ويستعد عدد قليل جدا Civil Service من الطلبة الاذكاء لاجتياز امتحان الحصول على « المنح الجامعية Scholarships للالتحاق باحدى كليات جامعتى اكسفورد وكيمبرج . واذا نجح الطالب كان ذلك مفخرة عظيمة له ، ويفتح امامه مستقبلا باسما ويرفع من سمعة مدرسته الثانوية ومكانتها التعليمية (*) . وهذه المنح المالية مفتوحة امام جميع الطلاب والطالبات : سواء أكانوا فى « مدارس الخاصة » او غير الخاصة .

(*) وينطبق الحال على الطالبات ايضا ولاسيما اذا ما علمنا ان « المنح المالية » المخصصة للتعليم النسوى فى الكليات المختلفة اقل من عدد المنح المخصصة للطلاب وهذا ما يجعل التنافس بين الطالبات على اشدته .

وتخصص وزارة المعارف في كل سنة ٣٠٠ منحة مالية مقدار كل واحدة منها ١٠٠ دينار في السنة ويستطيع الطالب الذي يحصل على « منحة حكومية » اختيار الجامعة التي يود أن يلتحق بها وتقديم هذه « المنح الحكومية » إلى الطلاب (والطالبات) الذين ينجحون في امتحان الشهادة المدرسية العليا على السواء .

تقالييد المدارس الثانوية واهدافها :-

وإذا ما قورنت « المدارس الثانوية » هذه « بمدارس الخاصة » تجد أنها حديثة العهد والتكوين . ولكن حداثتها هذه لم تمنعها من تثبيت تقاليدها ومراعاتها ، ولم تمنعها من الاستفادة بخبرة « مدارس الخاصة » وتقاليدها .
وإذا ما علمنا أن كثيراً من مدبرى هذه « المدارس الثانوية » ومدرسيها هم من خريجي « مدارس الخاصة » ، وأن نسبة كبيرة منهم قد تخرجوا من جامعتي أكسفورد وكيمبرج ادركنا أن أكثر هذه المدارس احتفظ بأحسن تقالييد « المدارس الخاصة » - احتفظ باهدافها كما وضعتها وارادها آرنولد Arnold تلك الأهداف التي تتلخص بـ: العناية ب التربية الخلق Character قبل العقل Intellect وبإعداد عضو كامل ونافع في المجتمع يشعر بالمسؤوليات الملقاة على عاتقه تجاه مواطنه الآخرين . ولقد عدت « مدارس الخاصة » دائماً العمل الذي يقوم به داخل الصف .

و « المدارس الثانوية » مدارس نهارية بينما « مدارس الخاصة » مدارس داخلية ؟ ولا يتسع وقتها كثيراً للقيام بفعاليات مدرسية كما يتسع للمدارس الداخلية . وتدرك إدارة المدارس ولا شك هذه المشكلة وتعمل على تذليلها .
ولا يقتصر عمل المدارس على الصف وحده بل يصرف قسماً منه خارج الصف . ويخصص المدرسوون جزءاً من أوقاتهم لتنظيم الفعاليات المختلفة .

فمنهم من ينصرف الى تعليم الالعاب المختلفة كالكريت وكرة القدم للبنين والهوكي وكرة الطائرة للبنات ، ومنهم من يقوم بتنظيم المسابقات « اليوت » المدرسية المختلفة . ويرتاد الطلاب احواض السباحة في المدينة القريبة ويتدربون على الملاكمه . وتوجد بالإضافة الى هذه الفعاليات المدرسية الجمعيات المدرسية : كجمعية الماظرة ، وجمعية المناقشة ، وجمعيات التمثيل وفرق الكشافة للبنين او للبنات وغير ذلك من الفعاليات اللاصفية المعروفة . هذا بالإضافة الى الرحلات والزيارات والسفرات الطويلة التي يلجأون انماها الى « بيوت الشباب » Youth Hostels المشتركة في مختلف نواحي القطر ، وخاصة أيام العطل المدرسية ولا يكسب المدرسوون طبعاً من وراء تنظيم هذه الفعاليات والاشراف عليها نفعاً مادياً ، بل يقومون بها طوعاً ويكتسبون بها ذكراً جميلاً فالنفع الذي ينالونه هو اللذة المنبعثة من ولعهم بطلاهم وحبهم لهم ومعرفتهم بأخلاقهم وقدراتهم وقابلياتهم وامزاجهم في فرصة لا يتاحها لهم الصدف .

ولقد شاهدت انكلترة قبيل نشوء الحرب العالمية الثانية اهتماماً شديداً في شئون التعليم ؟ مما ساعد على اجراء اصلاحات اساسية فيه . وكان كتاب « الثورة الاجتماعية الصامتة » The Silent Social Revolution الذي وضعه الاستاذ لوندس G.A.N. Londes من اهم الكتب الذي بحث تأثير المدارس الثانوية في تنظيم التوازن الطبقي في المجتمع الانكليزي ، وتحقيق « المساواة في الفرص » . وقد بين انه لم يمر زمن كاف على اصلاح « السلالم التعليمي » Educational Ladder فلم يزل قادة المال والسياسة والثقافة ولم يزل اكثراً الموظفين في انكلترة من تابع « مدارس الخاصة » . ولم تكن « المدرسة الثانوية العامة » موجودة في ايامهم بعد . وحينما تدفع المدارس

الابتدائية والثانوية الجديدة بحتاجها إلى الحياة العامة ، وحينما تسليخ من تاريخ اصلاحها سنوات طويلة فإن نسبة كبيرة من زعماء انكلترة ستكون ولا شك من العمال وال فلاحين ومن ذيول الطبقة الوسطى الذين اتجهتهم المدارس الابتدائية والثانوية والجامعات الانكليزية ٠

ويعد كتاب جيوفرى فيكرز Geoffrey Vickers المسمى « التربية من أجل مجتمع حر Educating for a Free Society المطبوع سنة ١٩٤٠ من أهم الكتب التي وجهت الانظار لاصلاح نظام التربية والتعليم في انكلترة ٠ ان أهمية هذا الكتاب تظهر في ناحيتين : ففي الناحية الاولى جاء بآراء تربوية لاقت قبولا عند اكثر رجال الاصلاح ، وفي الناحية الثانية اوضحت العلاقة بين التعليم والنظام الاجتماعي (*) ٠

المدارس الثانوية بعد قانون ١٩٤٤

تطلق الكلمة ثانوى Secondary في انكلترة في الوقت الحاضر على عدة مدارس متعددة تلي الدراسة الابتدائية ٠ تطلق على مدارس « الخاصة » الممتازة Public Schools وعلى المدارس « الخصوصية الاهلية » من الاولى هارو وايتون وركبي ، ومن الثانية المدارس المذهبية او الطائفية Church Denominational Schools وتندخل فيها المدارس الثانوية « العلمية » Grammar School ومن Schools

(*) لدراسة خلاصة هذا الكتاب راجع الصفحة ١٦٩ وما بعدها من كتاب Dent, H. C., Education in Transition, London 1944

الثالثة المدارس الثانوية «الحديثة» التي تؤسسها وتنفق عليها «سلطات التعليم

المحلية» L. E. A.

والمدارس الثانوية في إنكلترا أما أن تكون مستقلة كل الاستقلال عن السلطات الحكومية المركزية والمحلية كمدارس «الخاصة»، وأما أن تقوم بتأسيسها سلطات التعليم المحلية فتصبح شعبية عامة، وأما أن تكون «خصوصية» طائفية أو غير طائفية وخاصة للسلطات الحكومية بعض الخصوص «مستقلة» المدارس من حيث ماليتها إلى ثلاثة أقسام أيضاً: فهي أما أن تكون «مستقلة» فلا تسلم مساعدة مالية من وزارة المعارف أو سلطات التعليم المحلية وأما أن تؤسسها سلطات التعليم نفسها وتسمى Maintained وأما أن تكون «مساعدة» aided وعندئذ تصبح ميزانيتها مكونة من الأجر الدراسية والهبات الخيرية والاعنات الحكومية - المحلية والمركزية أو من كليهما معاً.

تلك هي حال التعليم في إنكلترا قبل صدور قانون المعارف (*) لسنة ١٩٤٤ The Education Act of ١٩٤٤ أما بعد صدور هذا القانون فقد

تغير مفهوم التعليم الثانوي بصورة خاصة كثيراً ووضع على أساس جديدة. وبعد أن كانت «المدرسة الثانوية» وقفا على عدد من الطلاب المتفوقين يدرسهم جماعة من المدرسين في أبنية جميلة تحيطها غابات وساحات واسعة وفي صفوف صغيرة يتقدون إليها انتقاءاً عسيراً ان كانوا فقراء وبالاجور ان كانوا أغنىاء أصبحت الدراسة الثانوية - على اختلاف انواعها - حقاً عاماً لجميع الطلاب لا امتيازاً لصفوة مختارة منهم. واصبح الطلاب يتمتعون لأول مرة في تاريخ إنكلترا وويلز بدراسته ثانوية مجانية بعد الحادية عشرة من العمر. فقد أقر قانون معارف ١٩٤٤ وجوب انتقال جميع خريجي المدارس الابتدائية إلى دراسة

(*) نفذ هذا القانون في أول نيسان ١٩٤٥

يعد الابتدائية تتفق هي وقبلياتهم وحاجاتهم وأولاعهم . وإذا كان الماضي قد أعطى معنى خاصاً وضيقاً للدراسة الثانوية في إنكلترة فإن الحاضر والمستقبل قد أعد مدارس ثانوية متنوعة ودراسات متنوعة تلائم حاجات المتعلمين المتزايدة .
وتحضر التبدلات الأساسية التي جاء بها قانون معارف ١٩٤٤ حول تنظيم شؤون التعليم الابتدائي والثانوي بما يأتي (١٢) :-

- ١ - ينبغي أن يتمتع كل طالب سوى قد اتم الحادية عشرة من العمر بتعليم ثانوي مجاني .
- ٢ - يصبح التعليم الزامياً من (١٢-١٥) ابتداءً من أول نيسان ١٩٤٧ لجميع الطلاب والطالبات .
- ٤ - ينبغي أن توافر في كل مدرسة ثانوية (في إبنيتها وسوية مدرسيها وحجم صفوتها) شروط معينة سواء كانت هذه المدرسة تديرها سلطات التعليم المحلية أم هيئات أهلية .
- ٥ - تقدم وزارة المعارف مساعدات مالية إلى المدارس الثانوية الأهلية كي تنهض إلى المستوى الذي قد أقره القانون .
- ٦ - تعد كل «سلطة تعليمية محلية» مسؤولة عن إدارة المدارس الابتدائية والثانوية الواقعة في منطقتها .

لقد وضع قانون معارف ١٩٤٤ نظام التعليم في إنكلترة وويلز على أساس جديدة فقضى على تلك الانواع من المدارس الابتدائية والثانوية المتداخلة بعضها في بعض ، واقام محلها تماماً تربوياً موحداً ومنسقاً لدرجة كبيرة وقسمه إلى ثلاثة مراحل :-

12 - The New Secondary Education, Ministry of Education, pamphlet No., 9, P., 10., H. M. S. O. London 1944

- ١ - مرحلة ابتدائية Primary
 ٢ - مرحلة ثانوية Secondary
 ٣ - مرحلة اضافية Further

وقد اقر قانون معارف ١٩٤٤ حق الطفل في الحصول على تعليم كامل من السنة الخامسة الى السادسة عشرة من العمر يتاسب هو وعمره وقدرته وقابليته ؟ وحول جميع الانواع المختلفة من المدارس التي تلى الدراسة الابتدائية الى مدارس ثانوية مجانية ، ونشر الخدمات الصحية ووسعها فتاولت فحص الاطفال وتفديتهم وغير ذلك من الاجراءات الصحية ، واخضع المدارس الخصوصية للتفتيش ، ووضع خطة ل التربية الراسدين ، وحل مشكلة السيطرة الثانية على المدارس ؟ وترك للمدارس التطوعية حرية الاختيار بين اثنين : اما ان تكون مسيطر عليها *Controlled* او مساعدة *Aided* عجز مجلس ادارة المدرسة التطوعية او رغب عن تحمل نفقات تبديل المدرسة او تحسينها بموجب القانون الجديد تصبح مدرسته احدى المدارس «المسيطر عليها» من قبل سلطات التعليم المحلية . اما اذا لم يكن الامر كذلك فسلطات التعليم المحلية ان شرف على التعليم الديني فيها وعلى تعيين المعلمين . ان هذا الاصلاح التربوي الشامل في جهاز التعليم العام الذي اقرم مجلس العموم البريطاني اثناء الحرب العالمية الثانية يتطلب عددا كبيرا من المدرسين لا تستطيع سلطات التعليم المحلية تهيئه فورا . ولذلك فقد اوصى قانون معارف ١٩٤٤ ان تضع كل سلطة تعليمية محلية « خطة اصلاحية » تذكر فيها حاجات اللواء العاجلة والاجلة ، وتبين الخطة التي ستسرير بموجها في تطبيق مواد القانون ؟ ثم تبعث بها الى وزير المعارف لتصديقها قبل تنفيذها ؟ وله حق تعديليها . فاذا تمت الموافقة على « الخطة الاصلاحية » صبغ منها « نظام تعليمي محلي » وتنفذ .

انواع المدارس الثانوية التعليم العام

يعتقد المربيون الانكليز ان المدارس الثانوية ينبغي ان تقدم فعاليات متنوعة تناسب وقدرات الطلاب واولاعهم ومراحتهم (★) ، وان تتبع هذه المدارس وتحتفل بعضها عن بعض في مواد الدراسة وطرائق التدريس مثلما يختلف الطلاب في القدرات والميول والقابلities . ولذلك فقد نصت المادة الثامنة من قانون معارف ١٩٤٤ على ان تكون المدارس الثانوية كافية في عددها وكاملة في مرافقها بحيث تستطيع ان تقدم فرضا تعليمية تسائق قابلities الطلاب وقدراتهم ، وتناسب هي ومدة بقائهم فيها .

ويدخل الطفل الانكليزي وهو في الخامسة او السادسة من العمر مدرسة ابتدائية عامة ، وهى اما ان تكون احدى مدارس « سلطات التعليم المحلية » ، واما ان تكون مدرسة « مساعدة » والاخيرة على انواع كثيرة . ويدخل اطفال الطبقية الارستقراطية عادة مدارس ابتدائية تحضيرية خصوصية يربو عددها اليوم على ٧٠٠ مدرسة ويتبعون دراساتهم الثانوية في مدارس « الخاصة » الشهيرة . اما ابناء الطبقية الدنيا والوسطى فيواصلون دراساتهم بعد الحادية عشرة في مدارس ثانوية متنوعة وهي :-

١ - المدارس الثانوية الحديثة Modern Secondary Schools

٢ - المدارس الثانوية الفنية Modern Technical Schools

٣ - المدارس الثانوية العلمية Grammar Schools

وستتكلم عن كل نوع من هذه المدارس في ضوء التطورات والاصلاحات الحديثة التي احدثتها قانون معارف ١٩٤٤ معتمدين في ذلك

(*) لقد شرح هذا المبدأ شرعا وافيا في الفصل الثاني من « تقرير هادو » عن « تربية المراهق » واعيد شرحه وذكره في القسم الاول من « تقرير نورود » .

على الشرة القيمة التي اصدرتها وزارة المعارف الانكليزية في سنة ١٩٤٧
وعنوانها « التعليم الثانوى الحديث » The New Secondary Education
والتي اشرنا اليها سابقاً ان أهم مشكلة يواجهها المرءون في الوقت الحاضر
هي ضمان دخول كل طالب الى تلك المدرسة التي تلائم قدراته وحاجاته
وأولاً ، ويعتقدون ان حل هذه المشكلة يتوقف على توفر :

أولاً - نوع من مقاييس الذكاء *

ثانياً - نوع من انواع اختبار المعلومات

ثالثاً - تقرير عن حياة الطالب المدرسية

ويرجع سر هذا التنوع في الدراسة الثانوية في انكلترة وويلز^(١٣)
إلى اعتقاد المربين الانكليز أن أقليّة ضئيلة من الطلبة ستظهر قابليات وأولاء
خاصة وهم في الحادية أو الثانية عشرة من العمر . أما الأكثريّة فستبقى
« احتمالاتها » مجهولة نوعاً ما . ولذلك فإنّ احسن ما تستطيع أن تفعله
المدرسة لثل هؤلاء الطلاب هو تزويدهم بـ « ثقافة عامة » تثير اولاعهم
وتتنمي قابلياتهم وتعدّهم إلى بلوغ مستوى ثقافي ارفع . وهذه هي وظيفة
« المدارس الثانوية الحديثة » .

ومن الطلاب من يقرر - وهم في هذا السن أو قبلها بقليل - ان يدخلوا
ميدان العمل الصناعي او الزراعي ويربطون مصيرهم بهذا الميدان ؟ فان فعلوا
ذلك احتاجوا الى قابليات خاصة في الرياضيات والعلوم تؤهلهم ان يكونوا
مواطنين صالحين وعملاً متوجين . ومن الطلاب من يحتاج دروساً تجارية
او فنية اختصاصية . فينبعى والحالة هذه ان تسد حاجتهم . ان جميع
هؤلاء الطلاب سيجدون في « المدارس الثانوية الفنية » مخرجاً لاحتاجاتهم

(١٣) اما اسكتلندياً الذي يختلف نظام التعليم فيها عن انكلترة فقد وضع لها البرلمان البريطاني قانوناً خاصاً للتعليم سنة ١٩٤٥ يماثل قانون
معارف ١٩٤٤ .

الاختصاصية وقابلياتهم الخاصة . ومن الطلاب من تظهر قدراتهم وقابلياتهم بالكتب والتعامل بالإجراءات فيفضلون الدخول في « المدارس الثانوية العلمية » .

١ - المدارس الثانوية الحديثة :

أخذت اهداف المدارس الثانوية الحديثة في الآونة الأخيرة تتبلور ، ومناهجها تعين واهميتها تزداد بعد أن كانت عاصفة ومرتبكة . ولعل أهم فارق يميزها عن غيرها من المدارس الثانوية هو « نظرتها الشاملة وهدفها الواسع » . إذ يتربى عليها أن تقدم دروساً كثيرة إلى طلاب كثيرين يتفاوتون في قدراتهم وقابلياتهم ومواكزهم الاجتماعية . فعليها أن تسد حاجات جميع الطلاب الأذكياء « والمعضلين » والراغبين في العمل اليدوي . وما كانت طبيعة المدرسة الثانوية تختلف باختلاف مجموع الطلاب المكونين لها وجب أن تكون هذه المدرسة حرة في وضع مناهجها واتباع طرائقها التعليمية .

« ان هدف المدرسة الثانوية الحديثة هو تقديم دراسة ثانوية عامة جامحة - دراسة لا تدور حول الدروس التقليدية المعروفة في منهج الدراسة الثانوية بل تنبثق من اولاع الطلاب انفسهم . فاللولع يحرك قابلية الطالب على التعلم . وستقوم المدرسة الثانوية الحديثة بتهيئه الطالب مشاكل العالم الجديد ، وتعده إلى الحياة اعداداً شاملأا يتناول حتى تربيته على طريقة استخدام اوقات فراغه والاستفادة منها ؟ كما وتستهدف بعث الاحتمالات المستقرة فيه وخارجها والاستفادة منها ، وتكيفه وتعلمها الدقة والاتقان فيما يقول وي فعل . ومن صفاتها الرئيسية الحرية والمرونة وهمما فرستها العلمي » (١٤) .

ويتألف منهج المدرسة الثانوية الحديثة من : اللغة الانكليزية (او الانكليزية والويلزية) والرياضيات والتاريخ والجغرافية والعلوم ومن لغة

اجنبية ٠ اما الدروس « العملية » فتتألف من التربية البدنية والفنون^(*) ، والموسيقى وتدبير المنزل (للفتيات) والتجارة والبستنة - ان امكن - ومن اعمال يدوية اخرى ٠ ان منهج الدراسة الثانوية الحديثة وعدد الساعات وطريقة التدريس لا تقريرها وزارة المعارف الانكليزية بل ترك ذلك الى المدارس نفسها ، الا فيما يتعلق بتعليم الدين ، فقد اوجب قانون معارف ١٩٤٤ تدريسه في كل مدرسة ثانوية ٠ ولا يخفى ان ادارة شئون التربية والتعليم في انكلترا ليست الا مشاركة فعلية بين وزارة المعارف وسلطات التعليم المحلية من جهة ومديري المدارس والمدرسين من الجهة الثانية ٠

ان ما ذكرناه آنفا ينطبق بالدرجة الاولى على « المدارس الثانوية الحديثة » الواقعة في المدن ولا ينطبق على المدارس الثانوية الواقعة في الارياف كل الانطباق ٠ ومع هذا فان مدارس القرى الثانوية فوائدها ومشاكلها ٠ فمن مشاكلها انها اصغر حجما من مدارس المدن مما يجعل « تصنيف » الطلاب فيها اكتر صعوبة ، وان الطلاب يقصدونها « بالباصات » من مسافات بعيدة ، ويتركونها في اوقات مضروبة لا سهل الى تبديلها ، مما يجعل تنظيم « الاعمال الالاصفية » في داخل المدرسة او خارجها امرا صعبا بل ومتعدرا ٠ ومن مشاكلها صعوبة تحصيل مدرسيين اكفاء ، وابعاد مناهجها عن حياة الارياف ٠ و « تحتاج القرية ان تستمد وحيها دائما من حياة الريف البسيط ان ارادت ان تكون حياتها حقيقة : تستمد وحيها من اريج ترابها وانتظام حقولها وجمال مناظرها ومن الرجال والنساء الذين يسكنون مناطقها الزراعية ويكتحرون فيها » كما يقول جورج ستابلدون Stapledon ٠ ويلتحق اكثر الطلاب الذين يتمون دراستهم في مدرسة ثانوية حديثة عادة باحدى

(*) اصدرت وزارة المعارف الانكليزية كراسا عن تدريس الفنون في مدارسها الابتدائية والثانوية اسمته « تعلم الفنون » Art Education ٠

H.M.S.O., 1946

كليات الاولوية(*) المسائية ويتلقون فيها بعض الدروس المقيدة وسيجيء
الحدث عنها

٣ - المدارس الثانوية الفنية :

« لم يدرك الرأى العام فى انكلترة وويلز ان التعليم الفنى الواسع المنظم
شرط اساسى من شروط الكفاية الصناعية الا بعد مدة طويلة ؟ ولم توضع
خطة قومية للعنایة به قبل ١٨٨٩ بالرغم من ان تفوق بريطانية الصناعى ،
وهو ما اتضح فى منتصف هذا القرن ، قد اخذ يفلت من يديها وبالرغم من
ان نجاح منافسيها واشهرها المانية والولايات المتحدة الاميركية يرجع قبل
كل شيء الى انتظام التعليم الفنى فيها »^(١٥).

وفي سنة ١٨٨٤ تشكلت « لجنة ملوكية » لبحث مشكلة التعليم الفنى
استطاعت ان تمهد السبيل لتشريع قانون التعليم الفنى لسنة ١٨٨٩
وقد خول هذا القانون سلطات Techincal Instruction Act
التعليم المحلية تنظيم التعليم الفنى وتشجيعه ، وفرضت الضوابط الازمة
له . وكانت السنوات الستى عشرة الاولى التى انصرمت بعد سنة
١٨٨٩ سنوات مشهودة فى تقدم التعليم الفنى . ففى لندن وحدها فتحت
١٢ مؤسسة فنية وأسس ١٣ معهداً فنياً فى الانقاليم الأخرى ، ونظمت
عدة دورات وصفوف ودراسات فنية فى داخل هذه المؤسسات والمعاهد
وخارجها . وبذلك ازداد عدد طلاب المدارس المسائية الفنية الابتدائية ازيداً
عظيماً بلغ ستة امثال ما كان عليه سابقاً . وتوقف تقدم التعليم الفنى فيجاًة فى
سنة ١٩٠٢ بعد ان بذلت مجالس المعارف وسلطات التعليم المحلية جهودها فى
توسيع التعليم الثانوى ولاقي صعوبات جمة ، وانحط مستوى ونقص عدد

(*) راجع كراس وزارة المعارف الانكليزية فى صدد هذا البحث الموسوم
بـ « فرصة للشباب » Youth Opportunity المطبوع سنة ١٩٤٥ .

الطلاب ، وعفى الزمن على ابنية المدارس 。 وقد ترتب على هذا الانحطاط ان
اعيد النظر فيه ؟ فأوصدت السلطات المختصة سنة ١٩٣٨ مبلغاً قدره
١٢٠٠٠٠ ديناراً للنهوض به 。 الا ان الحرب العالمية الثانية حالت دون
صرف هذه الاعتمادات وتوقفت حركة تجديد نظام التعليم الفني ؟ حتى صدر
قانون معارف ١٩٤٤

وكان أهم المدارس الخاصة بالتعليم الفني في إنكلترة وويلز (١) :
المدارس الفنية المتوسطة Junior Technical Schools (هي مدارس مستقلة
تضم الطلاب الذين تتراوح اعمارهم بين ١٢ - ١٤ سنة 。 وبلغ عددها سنة
١٩٣٨ حوالي ٢٣٠ مدرسة وعدد طلابها ٢٩٠٠٠ طالباً) و (٢) المدارس
المتوسطة للفنون Junior Art Department (وهي شبيهة بالمدارس الفنية
المتوسطة الا انها تختص بتعليم الفنون التجارية اكثر مما تعنى بالفنون
الاخري) و (٣) الصنوف المسائية العليا Senior and Advanced Evening Classes
(وهي مدارس مسائية كانت تقدم دراسات فنية حقيقة وقيمة ،
حتى لقد بلغ عدد طلابها سنة ١٩٣٨ اكثر من مليون طالب وطالبة منمن
تجاوزوا السادسة عشرة من العمر) (*) .
وكان التعليم « الفني » في إنكلترة يطلق على عدة مدارس ثانوية

(*) ويختلف نظام الامتحانات في هذه الدراسات من مؤسسة الى
اخري ، ويستطيع طلاب هذه المعاهد ان يحصلوا على « درجات » Degrees
في الهندسة او التجارة او على شهادات مهنية اخري في انواع من الدراسات
مختلفة ان استعدوا لامتحاناتها 。 وتعاون وزارة المعارف مع المؤسسات
المهنية مثل « معهد المهندسين الميكانيكين » Institute of Mechanical
Engineers على تقديم الشهادات القومية National Certificate والشهادات
القومية العليا Higher National Certificates في الهندسة والتجارة 。

للصناعة والتجارة ، وعلى عدة مدارس للزراعة وتدبير المنزل والفنون والموسيقى . واهم ما امتاز به هذا النوع من التعليم صلته بصناعة من الصناعات او مهنة من المهن المعروفة او بمجموعة منها . وهذه الصلة وان كانت وثيقة الا انها لا تجعل من الدروس حقوقاً مهنية ضيقه بل اهتمت بالفرد ايضاً من حيث هو مواطن عامل واسنان اجتماعي .

وكما ان المدارس الثانوية الحديثة قد تطورت عن المدارس الابتدائية العالية القديمة فكذلك « المدارس الثانوية الفنية » قد تطورت عن المدارس الفنية المتوسطة Junior Technical Schools التي تأسست سنة ١٩٠٥ م والتي عرفها قانون التعليم لسنة ١٩١٨ بانها تلك المدرسة المؤسسة « لخدمة طلاب المدارس الابتدائية الذين يدعون انفسهم للتجارة او لاعمال صناعية او لخدمات اهلية » .

وما زالت « المدارس الفنية المتوسطة » قائمة في انكلترة بانواعها المختلفة ؟ ولم يقض عليها قانون معارف سنة ١٩٤٤ . وهي اليوم تمر في مرحلة انتقال ، وستتحول في مناهجها واهدافها عملاً بقانون معارف ١٩٤٤ ولقد أصبحت هذه المدارس جزءاً أساسياً من التعليم الثانوي بعد ان كانت امتداداً للدراسة الابتدائية . وستكون مدة الدراسة فيها اربع سنوات تبدأ بالحادية عشرة من العمر وتنتهي بالخامسة او السادسة عشرة . وقد اجاز قانون معارف ١٩٤٤ للطالب ان يواكب على دراسته في هذه المدارس بعد انتهاء السن الدراسية الالزامية ان رغب .

ان مشكلة التنسيق Co-ordination من اهم المشاكل التي تواجهها المدارس الثانوية الفنية في الوقت الحاضر . اذ يتذرع على الطالب ان ينتقل من مدرسة ثانوية فنية او غير فنية الى مدرسة أخرى ، كما يتذرع عليه ان يواصل دراسته في جامعة من الجامعات . ولكنه يستطيع ان يواصلها في احدى كليات الصناعة .

ويصعب تحديد مناهج المدارس الثانوية الفنية . الا ان نشرة وزارة المعارف الموسومة « بالتعليم الثانوى الحديث » تقترح الاسس الآتية :

ينبغي ان يحتوى منهج الستين الاولى والثانية على كثير من الدروس التي تدرس في المدارس الثانوية الأخرى : يحتوى على تمكين الطلاب في استعمال اللغة الانكليزية ، والتعامل بالأرقام ، ومعرفة القياس والرسم ضماناً لتعليم الدقة في العمل ؟ وان يحتوى المنهج على تعليم الرسم الحر ، وان يحصل البنون والبنات على معلومات دينية اساسية ، وتمتع بالأشياء الطبيعية ، وتدوّق للموسيقى ، وعلى معلومات جغرافية واجتماعية عن أقطار أخرى ، وعلى اشغال يدوية . وقد يحتوى المنهج في هذه المرحلة على دروس ابتدائية في تعلم احدى اللغات الاجنبية . ونقترح ان يحتوى منهج السنة الثالثة على بعض المواد المهنية . ثم تزداد العناية بهذه المواد المهنية شيئاً فشيئاً . ولا سيما في السنة الرابعة والخامسة (من ١٤ - ١٦ سنة) على ان تستمر الدروس التقافية العامة مع الطلاب ولا تقطع عنه .

٣ - المدارس الثانوية العلمية :

واذا قيل « التعليم الثانوى » في انكلترا فإن الذهن ينصرف حالاً الى هذه « المدارس الثانوية العلمية » Grammar Schools التي قد تأسست منذ ١٩٤٤ نمواً من انواع الدراسة الثانوية . وتقدم المدرسة الثانوية العلمية دراسة طولها خمس سنوات بعد الدراسة الابتدائية ، وترتّب الدروس فيها او مجموعة منها وخاصة اللغات (الحديثة والقديمة) والرياضيات والعلوم في سياق منطقى تام ، وتطور الى دراسة اختصاصية في الصف الخامس ، وتدور حول عدد قليل من الدروس ، وتوّدّى بكثير من البنين والبنات عادة الى دراسة عالية . ولا تظهر هاتان الخاصتان اللتان تميز بها هذه الدروس العامة والاختصاصية في محتوياتها بقدر ما تظهر في طولها وطريقة دراستها

العلمية وفي تدريبيها العقلى ٠ ولما كانت الدراسة العلمية تتطلب تفكيراً منظماً وقابلية على حل المشاكل العقلية فإن طلابها يمتازون بذلكاثم وجهم للدراسة والتابع ، ورغبتهم في دراسة القضايا العقلية المجردة ٠ وربما ستكون مدة الدراسة في المدرسة الثانوية العلمية ست أو سبع سنوات وتبدأ بالحادية عشرة من العمر وتنتهي في الثامنة عشرة ٠

إن الأهمية العظيمة التي يعطيها الناس إلى « امتحان الشهادة المدرسية »، وهي الشهادة الثانوية ، جعلت منهاج المدرسة الثانوية العلمية يسيطر سيطرة عظيمة على مناهج الدراسة الثانوية الأخرى ٠ وهو امتحان يقابل امتحان الدراسة الثانوية العام عندنا ٠ وينال هذه الشهادة الطالب وتأهله للدخول إلى دور العلمين والكليات المختلفة بعد نجاحه في الامتحان العام الذي تقوم به الجامعات الانكليزية ٠ ولما كان الطالب الناجح يعفى من امتحان المترافق بشهادة ومن امتحانات الدخول المهنية فقد أصبحت هذه الشهادة « جواز سفر » يستعمله الطالب لدخول الجامعات والالتساب إلى المهن والخدمات الاجتماعية الأخرى بسهولة ٠

ولقد وجهت « لجنة نورود » لدراسة مناهج الدراسة الانكليزية والامتحانات المدرسية عدة انتقادات إلى نظام التعليم كله في سنة ١٩٤٣ وتوصلت إلى ضرورة تبديله او تحويره حتى يساعد كل فرد على تحقيق جوانب شخصيته تحقيقاً كاملاً : « جسماً وعقلاً وروحًا » ٠ ولقد أظهرت هذه اللجنة عيوب التعليم الثانوي في إنجلترا فكتبت عن المنهج ما يأتى : انه منهجه تقليدي لا يتمشى مع ما بلغت إليه مباحث التربية وعلم النفس من التقدم ٠ فالمفروض في المرحلة الثانوية كلها انها شوط يهىء الطالب للتعليم الجامعي ٠

ومن اجل هذه الغاية تحددت مواد الدراسة ورتبت على صورتها الراهنة في
نسبة بعضها الى بعض . ومن اجل هذه الغاية ايضا رسمت الطريقة لمعالجة
كل مادة على حدة . ومع هذا التحديد والترتيب والتقييد فان عددا قليلا من
الطلاب يبلغون الغاية المنشودة من هذه المرحلة . اما سائرهم فيقطعونها دون
ان يصلوا الى غاياتهم المنشودة ؟ ومن ثم لا يجدون مناصا من ترك المدرسة وهم
لم يعودوا للحياة والعمل الذى يتظار لهم اعدادا جيدا . انهم يخرجون الى الحياة
وهم يحملون شهادات مدرسية كانت تؤهلهم للالتحاق بالجامعة ، وليس لديهم
مؤهلات للعمل سوى تلك الشهادات المدرسية . هذا الى ان مواد الدراسة نفسها
تدرس باسلوب جاف . فلا ترتبط اجزاؤها ولا تمس مشاكل الحياة ولا تتناول
الحقائق الواقعية ولا تراعي ميول التلاميذ . اما اذا ارتبطت فان ارتباطها
يكون بعيدا وقليلا (١٦) .

المدارس المستقلة

رأينا ان الدولة وان كانت قد دخلت ميدان التعليم في وقت قريب جدا
الا انها استطاعت في فترة قصيرة ان تؤسس نظاما تعليميا مجانيا تتصل اوائله
بمدارس الرضاعة وتلتقي اواخره بالكليات والمعاهد العالية . ومع وجود هذا
التعليم المجاني الاخذ بالازدياد والتحسين ، ففى انكلترة بل فى بريطانيا كلها
مدرسة ليست حكومية ، ولا تسليم مساعدات مالية ، وبعيدة عن سيطرة
الحكومة . وتسمى هذه المدارس بالمدارس « المستقلة » . وتقسم الى طائفتين:
اولا - مدارس خصوصية Private يديرها ، ويملكونها شخص واحد

(١٦) راجع تقرير نور وود .

هو المدير او المديرة *

ثانياً - مدارس « خاصة » Public يديرها « مجلس ادارة » بموجب
وثيقة رسمية *

لقد كان بمقدور كل انسان ، قبل صدور قانون باتل Butler ان يفتح
مدرسة « خصوصية » * الا ان هذا القانون اشترط في فتح المدارس الاهلية
عدة شروط تتصل بالمناهج والادارة والبناء والمالك * وتخالف المدارس
« الخصوصية » بعضها عن بعض ؟ فمنها ما تديرها وتملكها شخصيات علمية
معروفة ، وتقدم تعليميا حسنا ، ومنها ما يتغدر عليها ان تسير التطورات
الحداثة وتقدم تعليما يتاسب هو وهذه التطورات * وقد تستأجر هذه المدارس
او تملك قصرا لتخذله مقرا ، وقد تشغل بنيات تعلوها مسحة القدم ولا تسر
الاطفال ولا الزوار كثيرا *

ولكن لماذا يرسل الآباء ابناءهم الى المدارس « المستقلة » في الوقت
الذى اخذت الحكومة تقوم بفتح مدارس ابتدائية وثانوية على جانب عظيم
من الرقى والحداثة ؟ وللاجابة عن هذا السؤال لابد من الاشارة الى الظروف
الخاصة التي كانت تحيط مدارس الحكومة عند تأسيسها * فحينما وجها
الدولة عاليها منذ سنة ١٨٧٠ الى تأسيس « المدارس الابتدائية » كان بعض
الناس يعتقدون ان الحكومة تؤسسها لتعليم ابناء الفقراء ! وان هذا التعليم
لا يليق بالاغنياء ، اذ هو ضرب من ضروب البر والاحسان * ولا شك ان
الصاق مثل هذه التهمة اليوم فى المدارس الحكومية ، سواء أكانت
ابتدائية أم ثانوية ، لا يستند الى اساس صحيح ، ولا الى منطق
صليم * فقد تحررت المدارس الحكومية من طابع العوز الذى كان يشينها
ويلاحقها منذ مدة طويلة ؟ واستطاعت ان تكون مدارس شعبية « عامة » *

ان فئة كبيرة من الاباء ، وخاصة افراد الطبقة الوسطى ، الذين قد
تتفقوا في مدارس « خصوصية » او « خاصة » لم يدركوا التطور الذي طرأ
على المدارس الحكومية ، وربما لم يشاهدو واحدة منها ليحكموا على صلاحيتها
او فسادها . وهم ما زالوا يشعرون انه يكاد يكون « مستحيلا » ان يتتحقق
ابناؤهم في مدارس حكومية لم تؤسس الا للاطفال « العاديين » ! وما زالوا
يتصورون ان المدرسة التي تستوفى اجرها ينبغي ان تكون احسن من المدرسة
المجانية . وعلى هذا فان اعتراضهم عنها يعود في الحقيقة الى اسباب « طبقية »
وشعور بالرفقة والتسامي على ابناء « العامة » ؟ ويعود الى اعتقاد الانكليز
باليديمقراتية التي تقوم على حرية الاختيار ، والى حرية الفرد في اختيار
المدرسة التي يود تعلم اطفاله فيها .

مدارس الخاصة

وتؤلف « مدارس الخاصة » التي تسمى خطأ عامة قسما اساسيا من
نظام التعليم الابتدائي والثانوي ، وتعد سلما دراسيا مستقلا عن سلم التعليم
الشعبي العام ؟ وتعنى بصنع الرجال وتكوين الخلق Character والشخصية
وابطاع التقاليد الانكليزية الارستقراطية وغرسها في نفوس الطلاب اكثر
اما ما تعنى في حشد الذهن بالمعلومات والنظريات . وهي وقف على ابناء
الطبقة الارستقراطية . والتعليم الذي يجري فيها يساعد على تحديد الانقسام
الطبقى في المجتمع البريطاني وقد يؤدي الى تصدع في الروابط الاجتماعية .
وخطب المستر بولدوين في احدى حملاته الانتخابية ، وكان زعيم المحافظين ،
واشار الى خطر التعليم الطبقى في الديمقراطية البريطانية وقال : « ان التعليم
العام من اقوى روابط الاتحاد والالفة بين الناس . وانكلترة تحتاج جدا الى
مثل هذا التعليم . ولم تستطع في نظامها التعليمي القومي ان تندى هذه
الاخوة في الرأى . واذا لاحظنا تصنيف مدارسنا وجدناه يسير وفق تمايز

اجتماعي لا وفق تمايز تعليمى . فشارة الطالب المدرسية هى التى تدل على طبقته الاجتماعية .

وتدير كل مدرسة « خاصة » ، عادة ، هيئة مؤلفة من عدة اشخاص يعينون بارادة ملكية . ولكن منها تقاليد خاصة وشخصية مستقلة ، هي من صنع « مدیرها » . فكما يكون المدیر تكون المدرسة . وهو عضو بارز في « مؤتمر المديرين Headmaster's Conference » الذى يقرر وحده مما ينبغي ان تكون عليه « مدارس الخاصة » ، وما لا ينبغي ان تكون عليه .

وتتحقق عادة « بمدارس الخاصة » مدارس ابتدائية « تحضيرية » ؟ وهى اما ان تكون متصلة بها وفي بناء واحدة ، واما ان تكون منفصلة عنها وتشغل بناءة أخرى . وقد عرف المربي الانكليزى سيريل نوروود Norwood المدرسة الثانوية الخاصة بانها تلك المدرسة التي تتمتع باستقلال صحيح ، فتصنع سياستها بنفسها ، وتحتضن طلابها الى ان يبلغوا الثامنة عشرة من العمر او أكثر ، والتي تكون متدرجة ومتصلة بالجامعات ، والتي يتراوح عدد طلابها عادة بين ٤٥٠ - ٥٠٠ طالبا ، يسكنون في اقسام داخلية تسمى « بيوتا » Houses ، ويضم كل بيت ٣٠ - ٦٠ طالبا ، ويشرف عليه مدیر - Master House ؟ وانها تلك المدرسة التي يتغلب طلابها شعور مدرسي قوى ، وقد يولدون شعوراً أقوى نحو البيت الذى يسكنون فيه .

ولا تختلف مناهج مدارس « الخاصة » عن مناهج المدارس (*) الثانوية الأخرى كثيرا الا فيما يتعلق باللغة اللاتينية التي تحتل مكانة كبيرة جدا في مناهجها . وتدرس العلوم في مرحلة دراسية متاخرة . وتعنى عنابة فائقة في الالعاب الرياضية ، وتحسبها أداة لتنمية الاخلاق وتكوين الصحة والرشاقة ، وبحث البطولة والرجولة ؟ وتدرب الاولاد على ادارة انفسهم

(*) ويقصد بذلك مناهج المدارس الثانوية العلمية .

بأنفسهم ، وتنمى فيهم روح التعاون والخدمة ، وتعدهم اعدادا دينيا ، وتجعل
كنيسة المدرسة محور هذه التربية كما يقول سيريل نورروود .
ويتألف منهج مدارس الخاصة عادة من اللغات القديمة كاللاتينية
واليونانية Classics ، واللغات الحديثة ، والعلوم والرياضيات ، وآداب
اللغة الانكليزية ، والجغرافية والتاريخ ؟ كما يتتألف من الالعاب الرياضية
والفنون والأعمال اليدوية . وتحتوى مدارس الخاصة على معامل وقاعات
جمناستيك وغرف للموسيقى ، واحواض للسباحة ومكتبات . وتحتل الالعاب
المدرسية Sports منزلة عظيمة في حياة المدرسة التربوية والاجتماعية .
ويؤدى الطلاب فى كل يوم حركات رياضية عنفية فى قاعات الرياضة
والجمناستيك . وأهم الالعاب التى يمارسونها هي لعبة الركبي فى فصل
الشتاء والكريكت فى فصل الصيف . وإذا كان المدرسة تقع على ضفة نهر فإن
التجديف يصبح من الالعاب الرياضية المهمة . وبالاضافة الى هذه الالعاب
فإن الطلاب يشتريون ايضا فى العاب الهوكى وكرة القدم والملاكمة والبارزة
بالسيف ، والسكواش ، والتنس . وقد كانت مدارس الخاصة قبل ثلاثين
سنة تقريبا تولى الالعاب أهمية عظيمة جدا فى حياتها المدرسية . أما اليوم
فقد ضعفت هذه العناية نوعا ما ، وازدادت فى تدريس الموسيقى والأعمال
اليدوية والفنون . بينما حدث على العكس من ذلك فى المدارس الحكومية ،
اذ اخذت عنيتها تردد فى الرياضة البدنية أكثر من ذى قبل .

وتختلف مدارس الخاصة بعضها عن بعض فى مناهجها ودرجة
ارستقراطيتها . فمنها ما كانت محافظة جدا ، ومنها ما كانت حديثة فى
اساليبها التربوية ؟ وتحتختلف فى تاريخ تأسيسها ، فمنها ما كانت قديمة
كمدرسة : ونشستر ، وايتون ، وهارو ، وركبي ، وويستمنستر ، وميرجنت
تيلورز ، وسنت بول ، وجائز ترهاوس ، وشروعزبيرى . ومنها ما كانت حديثة ،
كمدرسة الملك King's School الواقعه فى مدينة كاتربيرى ، وسنت بيتر

في مقاطعة يورك . ويرجع تاريخ تأسيس المدارس الخاصة الحديثة إلى القرن التاسع عشر . ففي هذا القرن تكونت طبقة ارستقراطية جديدة أرادت أن تضمن لابنائها تربية تستهدف تكوين السيد او « الفتى » Gentleman ، فأنشأت لها مدارس ارستقراطية جديدة على غرار مدارس « الخاصة » القديمة ، واطلقت على نفسها التسمية نفسها . غير ان مدارس « الخاصة » القديمة ذات التقاليد والامتيازات المعروفة لم تعرف بهذه المدارس الجديدة الا بعد مدة طويلة (*) .

وبلغ عدد هذه المدارس المستقلة الخاصة في بريطانيا كلها سنة ١٩٣٨ تحوا من ١٨٧ مدرسة ، منها ١٦١ مدرسة في إنكلترة والباقي في سكتلندا وويلز وشمال إنجلترا . وتسلم جميعها مساعدات مالية من سلطات التعليم المحلية إلا ٦٦ مدرسة منها ، وهي مدارس « الخاصة » الحقيقة التي داع صيتها في أنحاء العالم . ويزداد الاقبال عليها سنة بعد أخرى وخاصة من إبناء الطبقة الوسطى . وقد زيدت أجور الدراسة فيها مرتبين أو أكثر . فيعد أن كانت أجور الدراسة والسكنى تتراوح (١٩٣٨ - ١٩٣٩) بين ١٥٠ - ٢٥٠ دينارا في السنة أصبحت اليوم (١٩٥١ - ١٩٥٢) تتراوح بين ٣٥٠ - ٤٥٠ دينارا .

(*) ويضرب لنا تقرير فلمنك Fleming Report (والاسم الكامل لهذا التقرير هو « مدارس الخاصة ونظام التعليم العام ») الذي طبعته وزارة المعارف الانكليزية مثلا على ذلك : أرسل رئيس فرقه الكريكت في مدرسة شروزبيري إلى رئيس فرقه الكريكت في مدرسة ويستمنستر كتابا يطلب منه فيه أن تباري المدرستان . فكان جواب الأخير : « يؤسفني أننا لا نستطيع تلبية طلبكم ، لأن مدرسة ويستمنستر لا تباري مع أيام مدرسة إلا إذا كانت هذه المدرسة مدرسة خاصة » . فرد عليه قائلا إن مدرسته كانت موجودة في إنكلترة في الوقت الذي لم تكن فيه ويستمنستر موجودة ، وأنه يأسف على أن يصدر من الرئيس مثل هذا السلوك الشائن الذي يتنافى مع تربية « السيد » في مدرسة خاصة .

وتقع مدارس « الخاصة » في القرى والارياف عادة ، وتضم طلاباً يتراوح عددهم بين ٤٠٠ - ٥٠٠ طالباً وترواح اعمارهم بين ١٣ - ١٨ سنة . وهي ذات مرافق كاملة ، وتستخدم خيرة الاساتذة والمربين ، ويبلغ عدد طلاب الصف الواحد الثلاثين طالباً ينحدرون من مختلف مثيرة وعائدات ارستقراطية معروفة .

ومن خصائص هذه المدارس التزامها بنظام المراقبة Prefect System الذي وضعه آرنولد ركبي ، مدير مدرسة ركبي المشهورة . ويقضي هذا النظام ان يتحمل كبار الطلاب مسئولية كبيرة في ادارة المدرسة ، ورعاية الصغار من الاطفال . ويعين المديرون المراقبين بعد استشارة مرشد « الـيت » . ويحيط ان الطلاب يصرفون جزءاً كبيراً من اوقاتهم في الاقسام الداخلية ظهرت الحاجة الى تنظيم هذه الاوقات والاستفادة منها في توجيه الطلاب ، وتطبيق قواعد الضبط والانضباط في الاقسام الداخلية ، وفي غرف المطالعة وفي اثناء ذهابهم لزيارة ذويهم مساء ، وعند « دق الجرس » ، واطفاء الانوار في الاقسام الداخلية . ويستطيع « المراقب » ان ينزل عقوبات بالطلاب المتصرفين والمتخلفين . فيستطيع مثلاً ان يكلف الطالب المذنب ان يقوم بأعمال اضافية في اوقات فراغه . ويسمح للمراقب فضلاً عن ذلك استعمال العصا ، كما يقول الاستاذ ستيفنسن .

ويتمتع « المراقبون » بعض الامتيازات ؟ فلهم ان يسكنوا في غرف خاصة ؟ ولهم لا ينصحوا الى بعض التعليمات المدرسية و « الـيتية » غير المهمة ؟ ولهم ان يرتدوا بزة خاصة ، وغير ذلك من الامتيازات والحقوق . ويستطيع المراقبون في اغلب مدارس الخاصة ان يفرضوا أوامرهم على صغار الطلاب ، ويسيطرؤهم في القيام ببعض الخدمات الشخصية ! وهذا ما يسمى عادة « بنظام السخرة » (*) Fagging System فقد يطلب المراقب من طالب

(*) الفك في اللغة Fag اسم الولد الصغير .

صغير مثلاً ان ينطفئ « غرفته » ، ويرتبها ، وان يوقد النار في « موقده »
ويؤججها ، وان « يصبح » حذاءه وينظفها ، وان « يخدر » الشاي له ،
و « يحمص » قطع الخبز ويعدها ، وغير ذلك من الخدمات الخاصة .

وهكذا يتعلم الولد طوال الخمس سنوات التي يقضيها في احدى
مدارس الخاصة ان يطيع ويطاع ، وان يسمع ويستمع ؟ وتبغ عليه حياة
المدرسة الاجتماعية ، كما يقول بعض المربين ؟ كثيراً من صفات الرجلة -
تبغ عليه الوفاء للصديق ، والتواضع ، والشجاعة الادبية ، وقوه الحكم
والادراك ، وتعلمه فن الحكم عن طريق رضا المحكوم ، وتعده لحياة شريفة ،
تصف بنبل القصد وبنبل المنافسة .

ولم يتخذ نظام مدارس « الخاصة » شكله الحقيقي الا حينما تولى الدكتور
توماس آرنولد ادارة مدرسة ركبي . وقد كان هذا رجلاً ورعاً صلباً ؟ وكان
يعتقد ان العالم لا يصييه الخير الا بالتمسك بالدين . وكان يستهدف تربية
الاولاد تربية دينية غرضها اعداد « الفتى المسيحيين » ليصبحوا قادة الامة
في الدين والسياسة والاجتماع . وتشغل التربية الدينية في مدارس الخاصة
في يومنا هذا حيزاً كبيراً في تربية الاولاد . ففى كل مدرسة كنيسة يرتادها
جميع الطلاب ايام الاحد مرة او مرتين في كل اسبوع . وقد يكون مدير
المدرسة نفسه من رجال الدين ؟ واذا لم يكن فعليه ان يوعظ طلابه أيام
الاحد .

وكان طلاب مدارس « الخاصة » يؤدون الى امتحانات
التي يؤديها طلاب المدارس الثانوية الاخرى نفسها لحصول « شهادة الدراسة
الثانوية » و « شهادة الدراسة الثانوية العليا » .اما الان فقد تبدل نظام
الامتحانات ، وحل محل الشهادتين المذكورتين « شهادة التعليم العامة »
General Certificate of Education التي سيجيء ذكرها . ولكن بينما
تترك أكثرية المدارس الثانوية المدرسة في السادسة عشرة من العمر او قرابة

ذلك بعد حصولها على «شهادة الدراسة الثانوية»، يواصل أكثر طلاب مدارس «الخاصة» دراساتهم حتى الثامنة عشرة من العمر، ويواصل معظم المتخريجين منها دراساتهم في الجامعات القديمة^(*).

المدارس التحضيرية :

تُؤَلِّف المدارس التحضيرية Preparatory Schools النهاية الصغرى من نظام التعليم الخاص، وتُؤَلِّف جامعتاً أكسفورد وكيمبرج نهايته الكبرى.^٠ وكما أن قسمًا من مدارس الخاصة مدارس نهارية وداخلية فكذلك المدارس التحضيرية التي تُؤَسِّس عادة في المدن الواقعة على ساحل البحر من جنوب إنكلترا حيث الشتاء الدافئ والصيف الجميل.^٠ والمدارس التحضيرية إما أن تكون مستقلة عن مدارس الخاصة أو متصلة بها.^٠ وأكثر المدارس التحضيرية مستقلة عنها؛ وهي في الأعم الأغلب مدارس خصوصية يملكونها ويديرها شخص واحد، وتسير على غرار المدارس الثانوية الخاصة.^٠ وعدددها قليل؛^٠ ويتراوح عدد طلاب كل مدرسة منها بين ٥٠ - ١٠٠ طالب، وتستوى أجور دراسية تراوح بين ١٠٠ - ١٨٠ ديناراً في السنة.

وتشتغل المدارس التحضيرية إلى تحقيق غرضين :

١ - نجاح جميع تلاميذها في امتحان الدخول العام Common Entrance الذي تنظمه وتجريه المدارس الخاصة نفسها.^٠

(*) يبلغ عدد طلبة مدارس الخاصة جميـعاً حوالي ٣٠٠٠٠ طالباً، بينما يبلغ عدد طلبة المدارس الثانوية الأخرى حوالي ٢٥٠٠٠ طالباً تقريباً. وتقدم مدارس الخاصة مساعدات مالية إلى الطلاب المعوزين تتراوح بين ٥٠ - ١٠٠ دينار في السنة.^٠ وحيث أن هذه المساعدة لا تسد إلا جزءاً يسيرًا من نفقات الدراسة العامة، ولما كانت المنافسة شديدة بين الطلاب للحصول عليها، فإنه لا ينتفع بها إلا من تخرج من مدرسة «تحضيرية» لا تقل نفقاتها السنوية عن نفقات مدارس الخاصة تذر على «المعوزين» نيلها.

٢ - حصول تلاميذها الاذكياء على المساعدات المالية Scholarship التي تقدمها مدارس الخاصة . مثال ذلك تجد في مدرسة ونشستر ، وايتون عددا من « طلبة العلم » Scholars الذين فازوا بهذه المساعدات ؟ ويرتدى هؤلاء بزة خاصة تيزهم عن الطلبة الآخرين ، وإذا ما استطاع ولد غنى ان يفوز بهذه المساعدة المالية فقد يحتفظ لنفسه عادة بلقب « عالم » ، ويتنازل عنها لطالب معوز .

مساوىء مدارس الخاصة :

تعد هذه المدارس ، بوجه عام ، « خاصة » او طبقية ، وتسعى الى تعزيز النظام الطبقي الموجود في بريطانيا وتستهدف تربية « نوع » Type معين من الطلاب ، وتجعل التضامن الاجتماعي متذمرا . ان هذا « النوع » الذي يتقدمه الناس يمثل ، كما يقول الاستاذ سيريل نورود ، أحسن صفات الرجل الانكليزي . والواقع ان كل شخصية بارزة في الحياة الانكليزية العامة تقريبا قد تلقت تعليمها في احدى « مدارس الخاصة » المعروفة .

ان التعليم الذي تقدمه هذه المدارس يعد رفيعا في اثاث وجوهه ، ويستند الى اسس تربية سليمة . الا ان هذا النوع من التعليم ينبغي ، كما يقول الانكليز ، ألا يتمتع به اولاد الاغنياء وحدهم ، بل ينبغي ان يتمتع به اصحاب القابلities والمواهب من ابناء الامة مهما كانت سوياتهم الاجتماعية . ولكن ما الطريقة التي يمكن استخدامها في انتقاء هؤلاء الطلاب الى هذه المدارس ليتعلموا شيئا رفيعا ؟

عينت وزارة المعارف لجنة لدراسة هذه المشكلة برئاسة المستر فليمنك ، وقدمت تقريرها^(*) سنة ١٩٤٤ ، وسمى فيما بعد بتقرير فليمنك . وقد اوصت اللجنة ألا ينحصر الدخول في مدارس الخاصة بخريجي المدارس التحضيرية

* The Public Schools and the General Educational System, H. M. S. O., 1944, London

الابتدائية ، بل ينبغي ان يشمل خريجي المدارس الحكومية ، على ان تحرز
 لهم فيها « محلات خاصة » Special Places ، وتعهد سلطات التعليم
 المحلية بدفع نفقاتهم الدراسية والداخلية كافة ، وان يتحمل الآباء المقدرون
 قسما من هذه النفقات ، وان تقبل مدارس الخاصة المستقلة ٢٥٪ من
 مجموع طلابها في « محلات خاصة » ، وتقبل مدارس الخاصة المساعدة
 فيها Aided ٥٠٪ من مجموع طلابها كشرط اساسي لتقديم
 المساعدة المالية . وحيث ان التلميذ الابتدائي يلتحق بمدارس الخاصة وهو
 في الثالثة عشرة والرابعة عشرة من العمر ، وان التلميذ يتخرج من المدارس
 الابتدائية الحكومية في العاشرة عشرة او الثانية عشرة من العمر او صرت
 اللجنة ، حلا لهذه المشكلة ، ان يلتحق هؤلاء الطلاب بعد تخرجهم من
 المدارس الابتدائية بمدارس « تحضيرية » على نفقة سلطات التعليم المحلية
 لقضاء سنة او سنتين فيها استعدادا للنجاح في « امتحان الدخول » الذى
 تجريه مدارس الخاصة . كما اوصلت اللجنة تأسيس مدارس ثانوية داخلية
 رسمية على غرار مدارس الخاصة الثانوية . ولما كانت نفقات المدارس الداخلية
 باهظة انصرفت النية الى تحسين المدارس الثانوية القائمة .

ويذهب لفيف من المربين الى انه ما دامت مدارس الخاصة ليست
 ديمقراطية ، وان التعليم الذى يناله الولد يتوقف على مقدار دخل أبيه اكثرا
 مما يتوقف على قدراته الخاصة ، وانها وسيلة من وسائل تنمية الفوارق
 الاجتماعية فى المجتمع бритانى فينبغى ان تلغى هذه المدارس . وهنا تواجه
 الديمقراطية الحديثة مشكلة اساسية من حيث ايمانها بضرورة المساواة فى
 الفرص التعليمية . فكيف تستطيع الديمقراطية ان تجمع بين الحرية
 والمساواة ؟ ان المساواة التامة لا تحصل الا اذا الزملاء جميع الاطفال دخلوا
 المدارس الحكومية وحدها . وهذا معناه ان اولئك الطلاب لم يعودوا احرارا
 فى اختيار نوع التربية التى يريدونها لابنائهم ؟ وهذا معناه ان المربين الذين

عتقد في اذهانهم افكار تربوية جديدة لا يستطيعون ان يؤسسوا مدارس خاصة ذات فلسفة جديدة ؟ وهذا معناه ان الدولة التي تلزم الآباء بتعليم ابنائهم في مدارس حكومية تقضي على مسؤولية العائلة في تربية ابنائها و « يبدو انه لا سيل الى ايجاد تسوية عملية بين الذين يطالبون بالغائتها والذين يحبونها »^(١٧) ساس عظمة انكلترة غير ان المشكلة ستحل كما سترهن الايام بالطريقة الانكليزية الاعيادية وهي سلوك التبدل التدريجي ». وينبغى في الوقت نفسه ان تذكر ان التنوع والاستقلال يؤديان الى تفاوت في فرص التعليم .

ويرى اكثر المربين ان الحل العملي هو ان تبذل جهود متواصلة في تحسين المدارس الثانوية الحكومية حتى تصل الى تلك المرحلة التي تستطيع ان تقدم الى الطلاب والطالبات تربية لا تختلف في اسسه كثيرا عن التربية التي تقدمها مدارس الخاصة في الوقت الحاضر وان تحفظ مدارس الخاصة واستقلالها الذاتي وبحرية العمل لتضرب مثلا رائعا في التعليم ، وتكون قدوة تحذى ، وحافظا على تحسين المدارس الحكومية . ويرى كثير من المربين ايضا ان تخفيف الفوارق الاجتماعية بين السكان لا يتم بدخول لغيف من ابناء الفقراء او متوسطي الحال في مدارس ابناء الاغنياء ، بل بتحسين المدارس الحكومية ، وان الامتيازات التي تتمتع بها مدارس الخاصة قد أخذت تتضاءل بعد ان أصبحت بريطانية اكثر ديمقراطية من قبل ، وانها وان كانت قائمة على تمايز طبقي الا انها ليست العامل الاساسي في تكوين هذه الفوارق الطبقية ، وان الغاءها لا يؤدي حتما الى الغاء هذه الفوارق ما دامت الفروق الاقتصادية هي هي لم تتغير ، وما دامت نقطة انطلاق الولد الغني في الحياة احسن عادة من نقطة انطلاق الولد الفقير . وقد بدأت المدارس الثانوية الحكومية منذ عهد قريب تسير نحو هذا الاتجاه الجديد ، واخذت تخطو خطوات محمودة . فلم يعد خريجو مدارس الخاصة يتمتعون وحدهم بالوظائف الحكومية والعمل

في الشركات والمؤسسات الأخرى ، ولم يعودوا يتمتعون وحدهم بالامتيازات التي يضفيها عليهم التعليم الخاص في الكليات والمعاهد العالية ، بل أحد ينافسهم لحد ما طلبة المدارس الحكومية . ويلاحظ أن نسبة خريجي المدارس الثانوية الحكومية الذين التحقوا في جامعتي أكسفورد وكمبرج ، لا سيما في إقسامهما العلمية والرياضية ، قد اخذت تزداد سنة بعد أخرى ؟ بينما أصبح جميع طلبة الجامعات « الحديثة » من خريجي المدارس الثانوية الحكومية .

المدارس الحديثة

ومن المدارس الخصوصية المستقلة مجموعة من مدارس مهمة معروفة « بالمدارس الحديثة » Progressive Schools وهي وان كانت « داخلية » الا انها تختلف عن مدارس « الخاصة » الداخلية اختلافاً كبيراً . فهي للبنين والبنات معاً ، وهي معلم من معاقل التجريب والتجديف في التربية والتعليم . ويتمتع كل طالب وطالبة بقسط وافر من الحرية ، وتستقر انزال العقوبات بالطلاب مهما كان نوعها ؟ بينما تكون مدارس « الخاصة » محافظة وتومن بقدسيّة القديم ؟ وتفرض على طلابها ضبطاً شديداً ، وتلجأ إلى استعمال العصا في بعض الاحيان . وهي للبنين دون البنات .

وتعد « المدارس الحديثة » مدارس « الخاصة » القديمة رجعية وhogاج وقاسية ، بينما تحسب الثانية الاولى سخيفة ! وأكثرها حديث التكوين ، ولم يمر زمن طويل على تأسيسها . وقد اسس قسمها افراد لم ترقهم مدارس الخاصة القديمة ، واسسوا القسم الآخر جمعيات دينية . واكثر هذه المدارس فردية ؟ وتختلف الواحدة عن الأخرى باختلاف مدیرها وما يتضمنه من ثقافة وآخلاق وشخصية .

وعلاقة المدرسين بالطلاب علاقة ودية خالية من التصنّع وبعيدة عن الشكليات ، ويعاملون بعضهم البعض معاملة الصديق للصديق ، ويتساءلون باسمائهم لا بالقبتهم واسماء عائلاتهم ؟ ويساهم الطلاب في ادارة المدرسة ويضعون الانظمة والتعليمات الخاصة بالضبط والانضباط داخل المدرسة

وخارجها . ويعتقد دعاة هذه المدارس ان الطلاب يحصلون فيها على تربية شاملة وموزونة ، وان شخصياتهم تنمو طبيعيا بعيدا عن الزم والكتب والعقد النفسية ، وانهم يتخذون لانفسهم تجاه القضايا الجنسية موقفا معقولا وان تائجهم الدراسي لا تقل عن تائج المدارس الاخرى .

وتعنى هذه المدارس عناية خاصة بالفنون (الرسم والموسيقى) ، كما تعنى بالاعمال اليدوية المتعلقة بصناعة الخزف والتجليد والتجارة والتغذير . وكثيرا ما يقضى الطلاب عطلتهم الأسبوعية في التجول أو في المخيمات . وتهتم بالألعاب ، والحركات السويدية ايضا ؟ ولكن اهتمامها لا يصل الى درجة مدارس « الخاصة » . وتترك جميع هذه المدارس حرية اختيار الدروس الى الطلاب انفسهم بارشاد المدرسين . ولذلك فانها تتطلب ان يكون المدرس على جانب عظيم من الكفاءة العلمية والشخصية ما دامت علاقة المدرسين بالطلاب قائمة على كفاعة المدرسين وقوه شخصيتهم لا على سيطرتهم وسلطتهم .

وتبع هذه المدارس نظام « المراقبة » ، ويجرى تعيين « المراقب » بالانتخاب لا بتعيين مدير المدرسة كما هو الحال في مدارس الخاصة . وتجعل بعضها حضور الطلاب الى الصفوف اختياريا . ويستطيع الطالب ان يقضي ثلاثة اشهر او اكثر دون ان يحضر صفا من الصفوف .

ويتطلب التعليم في « المدارس الحديثة » نفقات لا تقل عن نفقات مدارس الخاصة ؟ ويلتحق بها عادة ابناء الاغنياء وبناتهم . ولا يعرف تماما مدى تأثير هذه المدارس « الحديثة » في التربية الانكليزية ؟ ولكنها تلعب ، ولا شك ، دورا مهما في تحديد الاساليب التربوية ؟ وتمثل ثورة على التقليد التربوي والمؤسسات الاجتماعية التي استعبدت الناس في كل مكان وخاصة في بريطانيا ؟ انها تمثل روح التجدد التي لولاهلا لاصبح التعليم جسدا بلا روح .

تعليم الراشدين

لم تتدخل الدولة في شؤون تعليم الراشدين Adult Education بل قدمت مساعدات مالية إلى الجمعيات والمؤسسات التي أخذت على عاتقها نشر هذا التعليم . وكانت جامعة كيمبرج أول جامعة انكليزية شرعت بتعليم الراشدين . ففي سنة ١٨٧٣ أعدت منهاجاً للمحاضرات ، ونظمت طائفة من الدراسات ، وسررت حركتها في كثير من مناطق إنكلترا ، وأخذت أهميتها تزداد ، واكتسبت طابعاً شعرياً عاماً ، وعرفت فيما بعد بحركة نشر الثقافة الجامعية University Extension Movement .

وتساهم اليوم كل جامعة بريطانية بهذا الضرب من الثقافة الشعبية العامة للراشدين ، وتعاونوا وثيقاً مع الحركة العمالية الجبارة المعروفة « بجمعية العمال التعليمية » Worker's Educational Association التي تعنى بتنمية العمال والعاملات في تاريخ بريطانيا وثقافتها وفنونها وأدابها وحالة الأقطار الأخرى بالإضافة إلى عنایتها في التدريب الصناعي النافع . وقد وجدت « جمعية العمال التعليمية » هذه في الجامعات البريطانية خير معين ومشجع على تأدية وظيفتها وإنجاز رسالتها الاجتماعية ؟ فأفُتحت صفوفاً للعمال يلتحقون بها في كل أسبوع مرة ، واستخدمت مجموعة من خيرة أساتذة الجامعات يحضرون فيها مدة ٢٤ أسبوعاً في السنة . وعند تخرجهم منها بعدقضاء فترة قد تمتد إلى ثلاثة سنوات يشتراك العامل اثناءها في المناقشة والبحث وكتابة الرسائل والمقالات ينال العامل شهادة عالية اختصاصية ترفعه إلى مستوى جامعي .

وتقدم « جمعية العمال التعليمية » دراسات تثقيفية أخرى في مستوى أوطاً من المستوى الجامعي ولمدة سنة أو أكثر ؟ وتسلّم مساعدات مالية من

وزارة المعارف ومن سلطات التعليم المحلية ، وتشرف عليها لجنة مؤلفة من بعض أئتذة الكليات وأعضاء الجمعية نفسها .

ولا تقف « جمعية العمال التعليمية » وحدها في ميدان تعليم الراشدين تصارع الركود الذهني بين العمال والعاملات بل تقف وراءها وتلتقي حولها مؤسسات أخرى منها « معهد تعليم الراشدين » Institutne of Adult Education British Drama League ، و « عصبة الدراما البريطانية » وتقديم هذه المؤسسات إلى العمال والعاملات خدمات تربوية متعددة وجمة كل حسب امكاناتها ومستواها واهدافها (*)

و قبل ثلاثين سنة أو أكثر اخذ « مجلس مقاطعة لندن » London County Council يساهم في تعليم الراشدين بتأسيس « معاهد أدبية » Literary Institutes يمضي فيها الراشدون جزءاً من أوقاتهم في دراسات أدبية عامة وتشترك في هذه المعاهد مختلف الطبقات ، وتستوفى أجوراً زهيدة . وتأسست في لندن « كليات » مختلفة لتقديم بعض الدراسات الاجتماعية وغير الاجتماعية . أشهرها « كلية العمال للرجال » Working Men's College

وفي إقليم « كيمبريج شاير » ابتدأت في الآونة الأخيرة حركة « كليات الارياف » Rural Colleges ، وغرضها الاحتفاظ بخصائص الريف الانكليزي وصيانته من عدوان المدن ، وتكوين وحدة جديدة هي « المنطقة الريفية » . فالقرية لا تستطيع وحدها تقديم جميع وسائل التعليم الضرورية ، كما لا تستطيع المساهمة في تقديم الخدمات الكافية إلى الأفراد ليتمكنوا بأوقات

(*) ومنها « معاهد النساء » Women's Institntes ، ومجالس الحياة الريفية Rural Community Councils ، والاتحاد القومي لمدرسة الراشدين National, Adult School Union Educational Settlement Association ،

فراغهم تمتا حسنا؟ ولكن مجموعة من القرى تستطيع ان تؤديها اذا ما نظمت
 حياتها التعليمية والاجتماعية حول قرية كبيرة بحيث تضم « مركزا اجتماعيا »
 ، و « كلية ريفية » عمادها مدرسة ثانوية حديثة Community Cente
 يلتحق بها جميع طلبة القرى المجاورة ، ومدرسة للرضاعة ومدرسة ابتدائية
 لاطفال القرية نفسها ، وعيادة طبية للامهات والاطفال ، وقاعة للجتماع يمكن
 تحويلها عند الحاجة الى صالة سينما او مسرح ، ومخزن وقاعات للاشغال
 اليدوية وتدبير المنزل ، على ان يستعملها الاطفال صباحا والراشدون مساء
 وتحتوي « الكلية الريفية » على مكتبة عامة وقاعة للألعاب والتدريس
 والتسلية ، وغرف للجمعيات تستعملها المجالس المحلية والمنظمات التطوعية
 اذا اقتضت الحاجة ، ويشرط ان تكون أبنية « المنطقة الريفية » جميلة تحيط بها
 الحدائق وساحات للرياضة والألعاب .

وقد صادقت « لجنة التعليم » في مقاطعة كيمبرج شایر على هذه الخطة ،
 وتأسست أول « كلية ريفية » سنة ١٩٣٠ ؟ ثم تأسست كلية اخريةتان . غير
 ان نشوب الحرب العالمية الثانية أوقف تنفيذ الخطة كلها ؟ ولم ينجز منها الا
 القليل . وقد اخذت بريطانية فكرة الكليات الريفية من السويد والدانمارك .
 حيث تسمى هناك « بمدرسة الشعب العالية » ، وذكرها الاستاذ ريشارد
 لينجتون Richard Livingstone عميد كلية كوربس كرستي ووكييل
 رئيس جامعة اكسفورد وبحثها في كتابه « المستقبل في التربية The Future
 in Education . (*) »

تلك هي أشهر المؤسسات التعليمية الخاصة بتعليم الراشدين أعدت

(*) رابع الفصل الثالث من الطبعة العربية لهذا الكتاب (صفحة ٣٧) الذي ترجمة كل من وديع الضبع ومحمد بدران بعنوان : (التربية والمستقبل) ، وقامت بنشره وزارة المعارف المصرية ، وطبعته مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة سنة ١٩٤٨ .

للمذين يستطيعون ان يخصصوا قسمًا من امسياتهم للالتحاق بالدورات والدراسات المسائية ؟ اما المؤسسات الاخرى التي يتحقق بها العمال لقضاء بضعة اشهر أو لقضاء سنة ويمضون جل اوقاتهم فيها فعددها كبير اليوم في بريطانية ، وواشهرها كلية رسكن Ruskin College الواقعه في مدينة اكسفورد . وفي بريطانية عشر كليات أخرى تعنى بهذا النوع من التعليم ، وجميعها آخذة بالنمو والازدهار .

تدخل الدولة :

وتدخلت الدولة تدخلا فعليا في تعليم الراشدين ؟ وتطلب قانون معارف سنة ١٩٤٤ ، الذي اطلق عليه اسم التعليم الاضافي Further Education من كل سلطة تعليمية محلية :

اولا - ان تضع خطة تعليمية كاملة Full - time لتعليم الافراد الذين خططوا سن التعليم الازامي ، او خطة غير كاملة Part - time .

ثانيا - وان تضع مثل هذه الخطة للأفراد الراشدين الذين يودون الاستفادة من اوقات فراغهم بالوسائل المهمة لغيرهم تفق هى و حاجاتهم ، وبفعاليات ثقافية . وتحصر هذه الفعاليات في اعداد مهنى ، وغير مهنى للشباب والراشدين ، ودراسة في كليات الاولوية ، وخدمات للشباب .

وقد كان تعليم الراشدين قبل صدور هذا القانون حقا من حقوق سلطات التعليم المحلية تمارسه بالشكل الذي تريده . ولكن قانون معارف سنة ١٩٤٤ جعله واجبا من واجباتها . وحيث ان رفع مستوى التعليم المهني فى الميدان الصناعى وتنظيم فعاليات الراشدين الثقافية والابداعية كانتا حاجتين ساسيتين من حاجات تعليم الراشدين فقد قام هذا القانون بسد هاتين الحاجتين حينما طالب باتخاذ التدابير اللازمة لضمان دوام الشبان الذين هم دون الثامنة عشرة من العمر بصورة اجبارية وامدادهم بفعاليات ثقافية وابداعية لتنمية

جزء من اوقات فراغهم ، ومطالبة سلطات التعليم المحلية بوضع خطة لنشر التعليم المهني والثقافي والابداعي ، وتطبيقها في مناطق خاصة بعد استشارة وزارة المعارف ، واستشارة الهيئات الاخرى التي يعنيها هذا النوع من التعليم كالجامعات

كليات الالوية :

يسهدف التعليم في هذه الكليات ، كما جاء في قانون معارف سنة ١٩٤٤^{١٨} تقديم ذلك التعليم الاضافي الذي يحتوى تربية بدنية وتدريب مهني وعملي ، والذى يساعد الشبان على تنمية مواهيبهم وقبلياتهم المتنوعة ويعدهم إلى تحمل مسؤوليات المواطنة . وقد نص هذا القانون على ان الشبان الذين ترکوا المدرسة ولم يصلوا إلى الثامنة عشرة من العمر سيتحقون بكليات الالوية لمدة يوم واحد في كل أسبوع لفترة طولها ٤٤ أسبوعاً اما في النواحي والمدن التي يتعدد حضور الشبان إليها بسبب مشكلة المواصلات فينبغي ان تؤسس كليات غيرها قرية يتحقق بها هؤلاء الشبان ، ويدرسون فيها دراسة متواصلة طولها ثمانية اسابيع . وتتلخص اهداف هذه الدراسات بما يأنى : انها تساعد الشبان على ان يتمتعوا بحياة طيبة سعيدة حينما تتيح لهم الفرض في تنمية اجسامهم بالألعاب ، ومهاراتهم بالتدريب ومعلوماتهم ومداركهم بالتفصيف ، والتمتع باوقات فراغهم ليزدادوا معرفة ورغبة في اكتشاف أفاق جديدة من المعرفة . وتأمل ان تبعث خيالهم بتذوق الموسيقى والتمنيل والفنون والأذان والاحتراعات العلمية ؛ وتحاول ان يجعلهم يدركون مكانة العائلة ومسئولياتها في المجتمع الصالحة ، وترودهم بمعلومات مفيدة عن احوال بلادهم والاقمار الأخرى وتحثهم على تطويرها وتحسينها بقيادة صالحة وخدمات تعليمية ضرورية لمواطنة نافعة في مجتمع ديمقراطي^{١٨} .

وكليات الاولوية وان كانت تواجهه في الوقت الحاضر مشاكل جمة الا انها تجربة جديدة في التربية الانكليزية تتخطى على امكانيات عظيمة . ولا يخفى ان تقاليد بريطانية التربوية في « تمجيد الروح الفردية والمهارة في الصنعة وحب العلم والتحرر من القوانين الجامدة مستلقي بعضها مع بعض وتأثير الواحدة في الآخرى بشكل لم يسبق له مثيل ، وستتيح هذه التقاليд امام الشباب فرصة يتبعون بقوتهم احسن انتفاع ، ويعودون خدمات الى الانسانية أحسن تأدية . وبكلمة مختصرة سيدركون العلاقة الحقيقة بين الحقوق والالتزامات ، وبين العمل والسعادة » (١٩) .

ادارة التعليم

ان شئون التعليم في انكلترة محلية وفردية : دينية واجتماعية . وليس للسلطة المركبة (اي وزارة المعارف) سيطرة كبيرة عليه ، خلافا لما هو معروف عن اكثر الدول الاوروبية . فلا توسيس وزارة المعارف المدارس او تمتلكها ، ولا تسيطر على اية مؤسسة تربوية سيطرة مباشرة ؟ كما لا تضع الكتب المدرسية ، ولا تقررها ؟ ولا تستخدم مدرسا وتدفع راتبا .

ولم تتدخل الدولة في شئون التعليم ، كما سبق ان ذكرنا ، الا في السنوات الاخيرة ، وتمتع المدارس اليوم بادارة لا مرکزية عظيمة لا تتجاوزها في ذلك الا بعض الاقطان الاوروبية والامريكية . ولو قارنا بين ما كانت عليه المدارس على اختلاف انواعها ودرجاتها واغراضها قبل تشكيل وزارة المعارف ، وما هي عليه الان واستقصينا سلسلة التغيرات المدرسية التي أقرها البرلمان لوجدنا ان الادارة المركبة قد استطاعت خلال هذه المدة ان تتغلب في شئون التعليم الابتدائي والثانوى والمهنى سنة بعد اخرى ، وتسيطر عليه سيطرة غير مباشرة .

وتحضن شؤون التعليم في إنكلترا ، من ناحية ثانية ، إلى سلطات مباشرة وهي : «سلطات التعليم المحلية» ، وأخرى غير مباشرة وهي : وزارة المعارف ، والبرلمان البريطاني . فبعد أن يشرع البرلمان قوانين التعليم ويضع الخطة العامة تتولى سلطات التعليم المحلية تنفيذها باشراف وزارة المعارف .

١ - سلطات التعليم المحلية :

تمتّع سلطات التعليم المحلية في إدارة شؤون التعليم باستقلال كبير ؟ وحيث أن لكل منطقة (أو لواء) سلطة خاصة فإن تقدّم التعليم يختلف من منطقة إلى أخرى . ومع أن هذا الاختلاف يولد بعض المشاكل إلا انه في الوقت نفسه يثير المنافسة بين المناطق ، والحماسة بين الناس ، ويصيّب التعليم من جراء هذه المنافسة تقدماً وتحسناً . وقد لوحظ ذلك بصورة خاصة بعد صدور قانون سنة ١٩٤٤ .

وتتألف سلطات التعليم المحلية (*) من مجالس الالية County من مجالس الالية County وتقع عاتها الإدارية التي هي شبيهة بالائميات عندنا Councils ويطلب قانون مجالس الالية أن يعين كل مجلس لجنة تربوية Boroughs قوامها من موظفين دائمين ومن مدنيين مشهورين Education Committee بحهم للتعليم ، ويخلو المجلس كل «لجنة تربية» ، صلاحيات تمارسها في إدارة شؤون التعليم . وتتألف «سلطة التعليم المحلية» من أعضاء «اللجنة التربوية» ولجتها الفرعية ، ومن الموظفين الدائمين . وهي مسؤولة عن إدارة شؤون التعليم كافة إلا التعليم الجامعي . فهي التي تشييد المدارس و«تساعده» ، وهي التي تتعاقد مع المدرسين وتدفع رواتبهم . وتعين كل «لجنة تربية»

(*) بلغ عدد سلطات التعليم المحلية في إنكلترا وويلز ١٤٥ سلطة إدارية؛ منها تابعة إلى ما نستطيع تسميتها بالالية و٨٢ منها تابعة إلى ما نستطيع تسميتها بالقضية .

مدير المدارف يسمى تارة Director of Education وآخرى بـ Chief Education Officer ومع انه هو الذى يهيمن على ادارة التعليم الا ان وضع السياسة العامة للتعليم لا يعود اليه وحده بل يعود الى «لجنة التربوية» .
وقد حدد قانون معارف سنة ١٩٤٤ واجبات سلطة التعليم المحلية ، فهى بالإضافة الى واجباتها التعليمية ينبغي عليها ان تتيح الفرص الكافية للأفراد ليستفدوها بأوقات فراغهم احسن اتفاق ، ويتدربوا تدربيا بدنيا واجتماعيا . وتحقيقا لهذه الاغراض فان سلطات التعليم المحلية ان تؤسس المخيمات الصيفية وتديرها ، وفتح الدورات الصيفية وتنظمها ، وتشرف على ساحات الالعب واحواض السباحة وقاعات الجمبازistik وتصونها ؟ و تقوم بتقديم المساعدات المالية للطلاب المعوزين وتجهيز طلاب المدارس الابتدائية والثانوية وكليات الاولوية بالحليب والطعام والمرطبات ، وتقديم الخدمات الصحية للأطفال الذين تراوح اعمارهم بين الخامسة من العمر والثانية عشرة من العمر ؟ من ذلك اجراء الفحوص الطبية السنوية ، والتمتع بعلاج مجاني ؟ وفتح مدارس خاصة للصم والعميان وضعاف العقول والمعددين جسما .

٣ - وزارة المعارف :

كانت «سلطة التعليم المركزية» تعرف قبل صدور قانون ١٩٤٤ يـ «مجلس المعارف» Board of Education ؟ وكان يطلق على الوزير President of theBoard of Education المسؤول «رئيس مجلس المعارف» غير ان قانون معارف ١٩٤٤ بدل اسم السلطة المركزية وجعلها «وزارة المعارف» Ministry of Education وسمى رئيسها «وزير المعارف» ، وصارت واجباته : «ضمان تعليم افراد الشعب فى كل من انكلترة وويلز ، وتطوير المؤسسات التعليمية تطورا متواصلا ، وقيام سلطات التعليم المحلية التابعة لسيطرته وتجيئه بتنفيذ السياسة القومية ، وامداد كل منطقة من

المناطق بخدمات تعليمية شاملة ومتعددة » . وقد أقر القانون المذكور المبادىء العامة ورسم الاهداف الكبرى ، وأعطى صلاحيات واسعة الى كثير من سلطات التعليم ، وترك لوزير المعارف حرية وضع التعليمات الازمة لتنفيذها .

ويتألف ديوان وزارة المعارف من موظفين مدنيين و « مفتشين » يعرفون عادة « بمفتشي جلالة الملك » . ويحتل هؤلاء المفتشون منزلة كبيرة جداً ، ويعدون عيون الوزارة وسفراءها في المدارس المختلفة ، وتستند سياسة وزارة المعارف الى خبرتهم وآرائهم التربوية ، ويتمتعون بنفوذ عظيم ، ويسرفون على « الدورات » التربوية التي تتظمها وزارة المعارف للمعلمين أثناء العطلة المدرسية في جامعتى اكسفورد وكمبرج لدراسة مشاكل التعليم وتبادل وجهات النظر بينهم وبين المدرسين حولها ، وبحث طرق التدريس المتتبعة في الألوية المختلفة وتقدها ، وتبديلها او تحويرها كلما اقتضى الامر الى ذلك .

وقد كان عمل المفتشين يقتصر لاسيما في الفترة الممتدة بين سنة ١٨٧٠ الى ١٨٩٥ على امتحان طلبة المدارس الابتدائية وتسجيل عدد الناجحين منهم وتقديم المساعدات المالية التي تخصصها الدولة للمدارس « المساعدة » . وكانت هذه الطريقة تسمى طريقة « الدفع بالنتائج » . وبالغائرها تبدل عمل المفتشين : فبعد ان كانوا ممتحنين أصبحوا مرشدين وناصحين . وحينما يقوم المفتش بجولته التقييمية ويطلع على حالة المدارس في منطقته يرفع تقريره الى وزارة المعارف . ويرسل صورة منه الى « سلطة التعليم المحلية » المختصة ، ثم يتدارس المشاكل التعليمية مع المعينين ويقترح الحلول المناسبة ؛ ويسعى الى تسوير المدرسين بالطرق التربوية الحديثة التي تطبقها بعض المدارس ، ويباحث واياهم عن الاتجاهات الجديدة في النظريات التربوية . وبعبارة يصبح المدرس « همزة وصل » بين وزارة المعارف وسلطات التعليم المحلية . ويتوقف مستوى التعليم في كل منطقة على قابلية المفتش ونشاطه وحماسه .

ان وظيفة وزارة المعارف تتحضر بالدرجة الاولى في اعداد ميزانية التعليم • ولا يخفى ان نفقات التعليم في انكلترة تأتى من مصدرين رئيسيين : من الصرائب المحلية (رسوم الاملاك Rates) ، ومن المساعدات المالية التي تخصصها وزارة المالية • وتعد وزارة المعارف مسؤولة امام البرلمان عن كيفية اتفاق هذه المبالغ • ومن اجل هذا فان سلطات التعليم المحلية تقدم ابواب ميزانيتها الى وزارة المعارف لأخذ موافقتها قبل صرفها •

ادارة المدارس :

يدير كل مدرسة ثانوية « مجلس حكام » Board of Governors وتشرف على ادارة كل مدرسة ابتدائية هيئة من المديرين Managers تتكون على الاقل من ستة اعضاء • ويختلف عدد اعضاء كل مجلس من مدرسة الى اخرى ؟ ويكونون عادة من اناس مشهود لهم بالفضل والمنزلة الاجتماعية • ويتمتع « حكام » المدارس العلمية القديمة بحرية كبيرة ، ويتحملون مسئوليات عظيمة في ادارة مدارسهم ، اذا ما قورنت صلاحياتهم بصلاحيات « مجالس حكام » المدارس التي تشيدها سلطات التعليم المحلية •

ويكون مدير المدرسة عادة حرا في ادارته مدرسته • فهو الذي يقرر نوع الدروس التي ينبغي ان تدخل في منهج الدراسة ، وهو الذي يخصص لكل موضوع عدد ما يحتاجه من الساعات ؟ وهو الذي يختار اعضاء الهيئة التدريسية بالتعاون مع الحكام او سلطات التعليم المحلية ؟ ويترك الى المدرسين حرية انتقاء الكتب المدرسية وطريقة تدريس المواضيع المختلفة • وتختلف العلاقة بين مدير المدرسة والحكام وسلطات التعليم طبعا باختلاف المدرسة والأشخاص •

وينبغي ان تذكر انه مهما اختلفت الاسنن التي تقوم عليها ادارة المدارس في انكلترة فان نجاح نظام التعليم يتوقف على « الروحية » السائدة

في النظام كله . فاذا صح ان الانكليز يحرصون على تطبيق قواعد الدستور الانكليزي في حياتهم ، وان خلتهم السياسي يستند الى قاعدة اساسية هي : ان الحكومة من صنع المحكوم ، وان ارادة الاكثرية ينبغي ان تسود ، وان للاقلية حقوقا ينبغي ان تجل وتصان ، جاز لنا ان نستنتج ان مثل هذه الروحية تسود ادارة التعليم . ولعل هذه « الروحية » تبدو بجلاء في مجموعة « الاقتراحات » (*) التي اعتمدت وزارة المعارف طبعها في كتاب خاص بشئون التعليم الابتدائي . فقد جاء فيها :

« ان التمايز الوحيد في طرق التدريس الذي تود تحقيقه ادارة المعارف المركزية في المدارس الابتدائية هو ان يعمل كل مدرس حسب ما يراه مناسبا ، وان يجرؤ الطرق التربوية الى الحد الذي يستطيعه - تلك الطرق التي توافق حاجات المدرسة وظروفها الخاصة احسن موافقة ، وان تمثل الطرق التربوية في كل ناحية من نواحيها التفصيلية (الا الاعمال الرتيبة المجردة الخاصة بادارة المدرسة) لا يعد مرغوبا وان كان ميسورا . ولكن استعمال الحرية يتطلب تحمل مستويات مترادفة » .

نظام الامتحان الجديد :

أوصى « مجلس امتحانات المدارس الثانوية » Secondary School في تقرير رفعه سنة ١٩٤٧ تبديل نظام الامتحانات Examination Council للمدارس الثانوية المتبع في انكلترا وويلز ، واقترح ان يحل الامتحان الجديد وهو امتحان « شهادة التعليم العامة » General Certificate of Education محل امتحان الشهادتين السابقتين وهما :

-
- * Handbook of Suggestions for the Considerations of Teachers' and Others Concerned in the Work of Public Elementary Schools.

١ - شهادة الدراسة الثانوية School Certificate Examination

٢ - شهادة الدراسة الثانوية العالية Higher School Certificate

ويختلف الامتحان الجديد الذى اخذت تطبقه المدارس الثانوية الانكليزية عن الامتحانين السابقين فى ثلاثة امور رئيسية :

١ - لا يؤدى الطالب الامتحان الا اذا كان قد بلغ فى اليوم الاول من شهر ايلول السادسة عشرة من العمر ، فى حين ان امتحان الشهادة الدراسية الثانوية القديم يجيز للطالب ان يدخل الامتحان فى آية سن كانت .

٢ - يستطيع الطالب ان يؤدى امتحان « شهادة التعليم العامة » فى ثلاثة مستويات : ابتدائى Ordinary ، ومتقدم Advanced وعال Scholarship وهى شبيهة بامتحان « شهادة الدراسة الثانوية » و « شهادة الدراسة العالية » والمنح الحكومية State Scholarship . واذا نجح الطالب فى الامتحان الذى يؤدبه فلا يذكر انه نجح « بامتياز » او بدرجة « جيد جدا » ، كما كان سابقا بل نجح او فشل فى اداء ذلك الامتحان فقط .

٣ - يستطيع الطالب ان يؤدى امتحان « شهادة التعليم العامة » فى موضوعات مستقلة او فى « مجموعة » منها بالشكل الذى يريده ؛ ولا حاجة لان يتمتحن فى موضوع او اكتر من كل مجموعة موضوعات معينة .

وقد تعرض هذا الامتحان الجديد الى النقد . ولعل أهم اتقاد يوجه هو تحديد سن دخول الطالب فى الامتحان . ويعتقد كثير من المربيين ان تحديد السن يستند الى اعتبارات ودوافع سياسية ، وانه يحاول ان يساوى بين مختلف المدارس الثانوية الحديثة والفنية والعلمية فى المكانة Parity of esteem . وحيث ان الطالب يترك المدرسة عادة فى الخامسة عشرة من العمر اي بعد انتهاء مرحلة التعليم الالزامى فان تحديد سن دخول امتحان « شهادة التعليم العامة » سيسجنع الطلاب واولياء امورهم على تأدية هذا الامتحان الذى يؤهلهما ،

في الاعم الاغلب ، للالتحاق بالجامعات والمعاهد العالية ، ويهدى امامهم سبل
الوصول الى المهن الاخرى .

الخدمات الصحية والطبية

تقع على الدولة في انكلترة مسئولية خاصة تجاه صحة الاطفال ؛
وتعاون المدارس وسلطات التعليم المحلية ووزارة الصحة في هذا الشأن تعاونا
وثيقا . وقد عالج قانون معارف سنة ١٩٤٤ نظام الخدمات الصحية والطبية
علاجا حسنا ، واحدث فيه اصلاحات اساسية . وبعد ان كانت الخدمات الصحية
مقصورة على تلاميذ المدارس الابتدائية ، ولا تتعذر معالجة العيون والاسنان
واللوزتين والنزلات الصدرية واجراء فحص سنوي عام تطلب هذا القانون
ان تمتد الخدمات الطبية والصحية الى طلاب المدارس الثانوية وكليات
الالوية وتسوء ، حتى بلغت عنایة سلطات التعليم المحلية بصحة الطلاب درجة
عظيمة ، واصبحت تستخدم عددا كبيرا من الاطباء والمرضات .

وقد باشرت سلطات التعليم المحلية منذ سنة ١٩٠٦ بتقديم الحليب والطعام
إلى الأطفال المعوزين في المدارس الابتدائية العامة الذين يضطرهم بعد المدرسة
عن بيوتهم ملازمتها طوال فترة الغذاء . وحيث ان اكثر هؤلاء التلاميذ
المعوزين مصابون بسوء التغذية فقد تناقص استفادتهم من مدارسهم اذا لم
تقم الدولة بتقديم وجبات طعام مجانية لهم . وهكذا فقد اتبعت الحكومة منذ
الحرب العالمية الاولى سياسة تقديم كأس من الحليب ووجبة طعام مجانية
إلى كل طفل يتعلم في مدارس سلطات التعليم المحلية ؟ واخذت تستوفى
اجورا بسيطة من اولياء الاطفال المقتدررين لقاء هذه الخدمات .

وفي سنة ١٩٣٤ وضعت الحكومة خطة لتجهيز المدارس « المساعدة »
بالحليب وأجرت تخفيضا خاصا بأسعاره ، حتى بلغ سعر الزجاجة الواحدة ثلاثة
فلوس ، ولقد ادى هذا التخفيض الى اشاعة استهلاك الحليب في المدارس ،
وارتفعت نسبة الاطفال الذين كانوا يتمتعون بهذا السعر المخفض في المدارس

الابتدائية العامة وحدتها إلى ٥٣٠ / ١٩٣٨ سنة وقد عممت هذه الخطة على جميع المدارس سنة ١٩٤١ لاسيما بعد ان وضعت الحكومة سيطرتها على انتاج الحليب (*)

نظام المساعدات المالية

تدفع وزارة المعارف مساعدات مالية سنوية الى (١) سلطات التعليم المحلية و (٢) سلطات اخرى غير محلية و (٣) عدد من طلبة المدارس وفق الاسس الآتية :

تدفع وزارة المعارف :

٦٠٪ من مجموع رواتب المعلمين
٥٠٪ من مجموع الخدمات الخاصة كالطعام ومعالجة تلاميذ المدارس
الرضاعة *

٤٠٪ من نفقات الاطفال *

٢٠٪ من مجموع النفقات *

وتدفع وزارة المعارف مساعدات اخرى خاصة على اساس نسبة دوام الطالب ، وتخصم مبالغ غيرها في احوال معينة . وقد حدد قانون معارف سنة ١٩٤٤ مقدار ما تقدمه الحكومة من مساعدات مالية الى كل سلطة تعليمية بالنسبة لنفقات التعليم الابتدائي والثانوي والمهني والفنى . بلغت في سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٠ نحوا من ٤٥ مليون دينار ، وفي سنة ١٩٤٤ - ١٩٤٥ نحوا من ٥٧ مليونا من الدنانير *

(*) بلغ عدد الطلاب الذين كانوا يتناولون وجبات طعام في المدارس الابتدائية والثانوية والفنية المتوسطة في انكلترة سنة ١٩٣٥ حوالي ٦٥٠٠٠ طالب وطالبة ، منهم ١٨٥٠٠٠ كانوا يتناولونها مجانا . وقد أخذ هذا العدد يزداد سنة بعد أخرى حتى بلغ ١٩٤٤ حوالي ٣٨٠٠٠٠ طالب وطالبة ، منهم ٣٠٠٠٠ كانوا يتناولونه مجانا . وصارت نسبة اطفال المدارس الابتدائية الذين يشربون الحليب قرابة ٧٦٪ . ونسبة طلاب المدارس الثانوية ١٠٪ .

اما المساعدات التى تقدم الى غير سلطات التعليم المحلية فهى اقل عادة من المساعدات التى تقدم الى المدارس الثانوية ومراتب تعليم الراشدين ، اذ ان كثيرا من المعاهد الهمة التى تديرها مؤسسات تطوعية لا تخضع لسلطات التعليم المحلية ، فمن المدارس التى تسلم مساعدات مالية مباشرة بعض المدارس الثانوية « العلمية » ، وکليات التربية ، واقسام التربية التابعة للجامعات ، ومنظمات الشباب ، والصفوف المسائية لتعليم الراشدين . وكان مقدار هذه المساعدات التى قدمت وفق شروط معينة سنة ١٩٣٨ - سنة ١٩٣٩ حوالي ١٦٠٠٠٠٠ دينار ؟ وارتفعت في غضون الحرب العالمية الثانية حتى بلغت ٢٠٠٠٠٠ دينار في سنة ١٩٤٤ .

وبلغت المساعدات التى تقدم الى طلبة المدارس والکليات قبل الحرب العالمية الثانية حوالي ٢٣٠٠٠٠ دينار في السنة . وكانت تدفع الى الطلاب الذين يواصلون دراستهم في الجامعات الانكليزية . وتقدم وزارة المعارف ٣٦٠ منحة مالية الى عدد من الطلاب . وينال منها بعض الطلبة الذين يلتحقون بـ « بكلية الفنون الملكية » Royal College of Art ، والكلية الامبراطورية للعلوم والتكنوقراطية Imperial College of Science and Technology ودور المعلمين .

★ ★ *

التعليم في اسكتلندا

تألف بريطانيا او المملكة المتحدة من أربع وحدات سياسية وهي : انكلترة ، وويلز ، واسكتلندا ، وشمال ايرلندا (اوستر) . وكل وحدة سياسية نظام تعليمي خاص يميزها عن غيرها ، ويحتفظ لها بتقاليدها . ومع ان انكلترة وويلز يجمعهما نظام تعليمي واحد ويحضان لشرف ادارة مركزية واحدة ، هي وزارة المعارف البريطانية ، الا ان نظام التعليم في اسكتلندا مستقل ، ويختلف اختلافا كبيرا عن الانظمة الاقليمية الأخرى .

فقد « كان الشعب الاسكتلندي ، ولما ينزل ، يؤمن منذ عدة قرون ايمانا عظيما بأهمية التعليم ، ويحرص على نشره كل الحرص . ويستطيع ان يدعى بان البرلمان الاسكتلندي قد صادق سنة ١٤٩٦ على أول قانون تعليمي الزامي عرفه التاريخ »^(٣٠) . ومع ان هذا القانون لم يترك أثرا كبيرا في نشر التعليم وتنظيمه الا انه عبر تعبيرا صادقا عن رغبة الاسكتلنديين في نشره واعتباره مرافقا حيويا من مرافق حياتهم القومية حتى في هذه الحقبة الاولى من تاريخهم العام . ولقد ذكر المؤرخون ان المدارس الابتدائية والثانوية كانت منتشرة في اسكتلندا انتشارا لا مثيل له في اي قطر من اقطار اوروبا باستثناء هولندا ، وان الاختلافات الدينية والمنازعات السياسية التي ظهرت في تلك الحقبة لم تعرقل حركة نشر التعليمين الابتدائي والثانوي . ولعل من أهم الامثل التي ساعدت على انتشار التعليم نشاط الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الذي أدى الى تأسيس جامعتين وفتح عدد من المدارس ، والحركة الدينية الاصلاحية التي قامت بها الكنيسة البروتستانية في القرن السادس عشر ، وما رافقها من العناية بالتعليم .

و تعد الوثيقة التاريخية المعروفة « بكتاب السياسة » The Book of Policy أو « الكتاب الاول في القيادة » The First Book of Discipline ، من الوثائق المهمة التي ظهرت في تلك المرحلة التاريخية . فقد كان « الكتاب الاول في القيادة » ، الذي دون سنة ١٥٦٠ ، منهاج الكنيسة Reformed Church والجامعات ، هو الفصل التاسع ؟ وذهب واضعوه ، ومنهم جون نوكس ، الى

ان الوقت قد حان لكل كنيسة محترمة ان تعين مديرًا يستطيع ان يدرس التحول واللغة اللاتينية ، وقسما يعلم الاطفال والشباب القراءة والكتابة والحساب وأصول الدين ، وان تؤسس فى « كل مدينة مشهورة » كلية لتدريس المنطق والخطابة واللغات الأخرى بالإضافة إلى المدارس الابتدائية والثانوية . وكان التعليم الذى ذكره « الكتاب » الزاميا ؟ وأوصى ان يجرى لطلبة المدارس الابتدائية امتحان فى كل ثلاثة أشهر مرة لانتقاء احسن الطلاب الذين سيلتحقون بالمدارس الثانوية ، وامتحان عام لطلبة المدارس الثانوية الذين يودون الالتحاق بالجامعات .

ولكن الاضطرابات الاجتماعية التى وقعت فى اسكتلندا حالت دون تنفيذ هذا المشروع الثقافى العظيم ، فضل مطويًا فى نفوس المصلحين ، وصار مثل الأعلى للمعلمين ، واستمرروا يتحينون الفرص لتحقيقه عدة سنين ، حتى كانت سنة ١٦٩٧ ، فقد وضع البرلمان الاسكتلندي اسس نظام التعليم العام ، وافق « قانون تأسيس المدارس » ، وتطلب هذا القانون ، الذى اصبح « ميثاق التربية الاسكتلندية » ، ان تؤسس الوحدات الادارية المدارس وتستخدم لها عددا من المديرين . فسار التعليم سيرا مطردا حتى صدور قانون معارف سنة ١٨٧٢ .

ولم ينظر الاسكتلنديون الى التعليم من حيث هو خاص بطبقة معينة من طبقات المجتمع ، بل حسبوه حقا طبيعيا من حقوق الاطفال كافة . فكانت مدرسة القرية ، سواء ابتدائية أم ثانوية ، تضم اطفال الفلاحين والترفين من طبقة الملاكين . ولم تكن فى اسكتلندا فى ذلك الوقت مدارس ثانوية منفصلة عن المدارس الابتدائية كما كان الحال فى انكلترة وويلز ، باستثناء عدد قليل منها جدا كانت تعرف بالاكاديميات Academies . وكانت تقدم دراسات حديثة بدلا من الدراسات « اللاتينية » .

وحيث ان قانون معارف سنة ١٨٧٢ اوجب فصل المدارس الثانوية عن الابتدائية فقد خطط التعليم الابتدائي خطوات واسعة بعد وقوع هذا الفصل ، وحافظ التعليم الثانوي على حالته ، وخضع التعليم الى ادارة مركزية بتأسيس « دائرة المعارف الاسكتلندية » . وكانت هذه « الدائرة » التي تأسست بموجب قانون سنة ١٨٧٢ تحت اشراف وزير داخلية اسكتلندة الذى يقيم فى لندن ، وكانت تضم عدداً كبيراً من المفتشين . وفي سنة ١٩١٨ عين لها « مجلس استشارى » .

ويعد قانون ١٩١٨ من القوانين المهمة التي غيرت معلم التعليم فى اسكتلندة . فقد ألغى « مجالس المدارس School Boards » ، وأناط ادارتها بلجان اخرى سميت « بلجان ادارة المدارس » المحلية . الا ان التبدلات التي احدثها قانون معارف سنة ١٩٤٥ كانت اعظم . فقد تضمن هذا القانون أهم المبادئ التي تضمنها قانون معارف سنة ١٩٤٤ الخاص بتنظيم التعليم في انكلترة وويلز ، وتطلب من سلطات التعليم المحلية ان تقوم بتأسيس المدارس الابتدائية والثانوية و « الاضافية » ، وان تتمد سن التعليم الالزامي حتى السادسة عشرة من العمر . وتأسست في اسكتلندة ، عملاً بهذا القانون ، « الكليات المتوسطة » Junior Colleges ؟ وهي شبيهة « بكليات الالوية » التي احدثها قانون معارف سنة ١٩٤٤ في انكلترة والتي سبقت الاشارة إليها ، واهتم بصحة الاطفال ، وبتقديم الوجبات الغذائية المجانية ، وبتفتيش المدارس الخصوصية ومراقبتها .

خصائص نظام التعليم في اسكتلندة :

وبالرغم من هذه التبدلات التي احدثها قانون معارف سنة ١٩٤٥ فقد ظل نظام التعليم في اسكتلندة محتفظاً ببعض الخصائص التي تميزه عن نظام التعليم

فى انكلترة ، واهماها^(٢١) :

اولا - يعكس نظام التعليم مدى تعلق الاسكتلنديين بوحدتهم القومية - هذه الوحدة التي لا تتجلى فى نظام التعليم حسب بل فى المؤسسات الأخرى المرتبطة به ؟ ففى اسكتلندا مثلا جمعية واحدة للمعلمين هي « معهد اسكتلندا التربوى » The Educational Institute of Scotland ويرتبط به « المجلس الاسكتلندي للبحوث التربوية » ؛ وفيها « لجنة قومية لاعداد المعلمين » تتولى الاشراف على كليات المعلمين ، وعلى الدوائر المختلفة الخاصة باعدادهم فى الجامعات الاسكتلندية الاربع ٠

ثانيا - تتحى اسكتلندا فى ادارتها لشئون التعليم نحو المركزية ؟ وقد يكون هذا الاتجاه طبيعيا فى بلد صغير كاسكتلندا ، ولكنه ليس كذلك فى بلد كبير كإنكلترة ٠ مثال ذلك ، ان « شهادة انتهاء الدراسة المتوسطة » تعطىها « دائرة المعارف الاسكتلندية » لا السلطات المحلية ٠

ثالثا - تختلف مناهج الدراسة فيها بالنسبة لانكلترة اختلافا كبيرا ، لاسيما فى المرحلة التى تلى الدراسة الابتدائية ، ويعنى التعليم بالتوالى العقلية والاكاديمية (العلمية) كثيرا ، ويرتفع الى مستوى اعلى من مستوى الدراسة فى انكلترة ٠ يضاف الى هذا ، ان جميع المدرسين ، ونسبة كبيرة من المدرسات ، هم من حملة الشهادات الجامعية ، وكثيرون من حملة شهادة الدكتوراه ٠

رابعا - ويحتل التعليم الدينى منزلة كبيرة ، ويجرى وفق مناهج مقررة^(*) وفي الفترة الواقعه بين سنة ١٩٢٧ الى سنة ١٩٢٩ اشتراك « معهد

٢١) المصدر السابق نفسه ، صفحه ٣٩ - ٤٠ ٠

(*) باستثناء المدارس الكاثوليكية ٠

«اسكتلندي التربوى» مع «الكنيسة الرسمية» و «الكنائس الحرة المتحدة» في وضع مناهج تدريس الدين .

خامساً - وقد صفت المدارس التي تلى الدراسة الابتدائية بموجب قانون سنة ١٩٣٦ تصنيفا عمليا : فمنها «المدارس المتوسطة» ، ويلتحق بها «الطلاب الذين تتراوح اعمارهم بين الثانية عشرة والخامسة عشرة» ، وطول الدراسة فيها ثلث سنوات ؟ ومنها «المدارس الاعدادية» ، ويلتحق بها الطلاب «الذين يواصلون دراساتهم حتى يبلغوا السابعة عشرة او الثامنة عشرة من العمر» ، وطول الدراسة فيها خمس او ست سنوات . وهذه الخطة التي وضعت سنة ١٩٣٦ قد اخذ بها قانون معارف سنة ١٩٤٥ ؟ ومع ان نشوب الحرب العالمية الثانية قد اوقف تنفيذ هذه الخطة الا ان كثيرا من المدارس استطاعت ان تكيف نفسها وفق الخطة الجديدة .

سادساً - تستهدف التعليمات الخاصة بمناهج الدراسة التي تلى مرحلة الدراسة الابتدائية «تحقيق اطراد نمو التربية العامة في الناحيتين الجسمية والاخلاقية بصورة لا تقل عن اطراط نموها في الناحية العقلية» . وقد نصت التعليمات كذلك على انه ينبغي ان يتناول كل درس من الدروس في المدارس الثانوية اعداد الطلاب في الواجبات الاخلاقية وواجبات المواطنة ، وفي الموسيقى والتربية البدنية ، في حين ان التعليمات الصادرة في مناهج الدراسة الانكليزية قد طلبت الاهتمام بالتربية البدنية بصورة الزامية ، ولم تتطلبها في التربية الاخلاقية او دروس الموسيقى . هذا من ناحية ، اما من الناحية الثانية فان المدارس الثانوية الانكليزية تتطلب تدريس لغة اجنبية واحدة على الاقل ، بينما يجعل المدارس الثانوية الاسكتلنديه تعلم اللغات الاجنبية شيئا اختياريا .

سابعاً - ان المدرسة الاسكتلندية الاعتيادية نهارية ومحبطة ، وان مجموع طلابها اكثراً عادة من مجموع طلبة المدرسة الانكليزية . وقد كان لكل ٢٢٠٠٠ نسمة في سنة ١٩٣٨ مدرسة واحدة^(*) . ولم تنشر المدارس « الداخلية » في اسكتلندا كما انتشرت في انكلترة ، ولم تزدهر فيها مدارس « الخاصة » كما ازدهرت في انكلترة ، ولم يتجاوز عددها اليوم عن سبع مدارس : اربع منها داخلية مستقلة ، وهي فettes ، ولوريتو ، ومرشتون كاسيل Merchiston Castle ، وكيلنالاموند Glenalamond ولكن هذه المدارس لم تل الشهرة التي نالتها « مدارس الخاصة » في انكلترة .

ثامناً - ويساهم الآباء في الاشراف على تربية اطفالهم في اسكتلندا . فقد أقر قانون سنة ١٩١٨ ان يشتراك الآباء في ادارة المدارس اشتراكاً مباشراً . وكان من جراء هذا الاشتراك ان تأسست في اسكتلندا « جمعيات الآباء والعلميين » وانتشرت انتشاراً كبيراً واسعأ . ويقوم عدد كبير من هذه الجمعيات بتنظيم حلقات للبحث ، واعداد المحاضرات ، وتنظيم المناقشات . تاسعاً - واستطاعت اسكتلندا ان تنظم التعليم الفني تنظيماً شاملاً ودقيقاً اكثراً مما فعلته انكلترة . ويجرى اليوم في الصنوف التكميلية والصفوف العليا من المدارس الثانوية ، وفي الجامعات و « المؤسسات المركزية » التي تنشأ في

(*) كان عدد طلبة المدارس الاسكتلندية في سنة ١٩٣٨ نحو من ٧٨٥٩٦٠ طالباً وطالبة ، منهم ٦١٢١٩٧ في المدارس الابتدائية و ١٧٣٧٦٤ في المدارس التي تلى الدراسة الابتدائية . وكان عدد المدرسين والمدرسات ٢٩٠٦١ (ثلث العدد مدرسات) وعدد المدارس الابتدائية ٢٨٩٥ مدرسة والثانوية ٢٥٢ والمدارس الأخرى ٦٣ مدرسة .

كل منطقة من المناطق . ولكن أكثر الطلاب الذين يستعدون لهذا النوع من التعليم يلتحقون بالصفوف المسائية شأنهم في ذلك شأن طلبة الصفوف المسائية في انكلترة .

★ ★ ★

التعليم في شمالي ايرلندا

كان التعليم في شمالي ايرلندا قبل سنة ١٩٢٠ جزءاً من نظام التعليم السائد في ايرلندا كلها ؟ وكان يسير جنباً إلى جنب مع تعليم الدين . وحينما انفصلت الالوية الستة الواقعة في شمال ايرلندا وتكونت منها مقاطعة شمال ايرلندا سنة ١٩٢٠ وتشكلت فيها وزارة للمعارف سنة ١٩٢١ نشأ نظام تعليمي وطني مستقل ، خضع لسيطرة الدولة ، واعتمد على مساعداتها المالية .

ولعبت الجمعيات التطوعية في ايرلندا دوراً كبيراً في نشر التعليم الابتدائي ، وعيّن حاكم ايرلندا العام سنة ١٨٣١ « مجلس مستشاري التعليم القومي » ليتولى الاهتمام بشؤون التعليم الابتدائي . وقد اشرف هذا المجلس الذي عاش أكثر من ٩٢ عاماً على أربعة أنواع من المدارس : فمنها ما كانت تخضع إلى اشراف المستشارين ، وأخرى ما كان يديرها مجلس إدارة يشترك فيه عدد من المستشارين ، ومنها ما كانت مستقلة ، وأخرى نموذجية . وكانت نفقات المدارس الأولى والثانية تسددها الحكومة والتبرعات المحلية . أما المدارس المستقلة « الخصوصية » ففسد نفقاتها هيئات خاصة غير رسمية ، في حين كان المستشارون هم الذين يديرون المدارس النموذجية وينفقون عليها لتصبح مثلاً يحتذى ؟ وكانوا يختارون إليها أحسن المدرسين . وقد اسروا داراً للمعلمين ، واعانوا الدور الأخرى بالمساعدات المالية .

وتأسست المدارس الثانوية في عهد الملكة اليزابيث منفصلة عن المدارس الابتدائية . وفي سنة ١٨٧٨ صدر قانون تأليف مجلس مستشارين لإدارة التعليم العام . وقد أقر هذا المجلس طريقة « الدفع بالنتائج » لتقديم المساعدات المالية ، ولكنها الغيت بعد ان اتضحت مساوتها سنة ١٩٠٠ .

وتقديم التعليم المهني والعلمى في آيرلندا قبل سنة ١٩٢٠ تقدماً كبيراً ، وبلغ عدد المدارس الفنية في المقاطعات الست التي تألفت منها شمالي آيرلندا ٣٩ مدرسة تديرها سلطات التعليم المحلية . ولكن حكومة شمالي آيرلندا لم تكتف بالمدارس التي ورثتها من العهد الماضي ، بل شرعت في تحسينها وتتوسيعها وتوسيعها . فنمت قانون معارف سنة ١٩٢٣ الذيتناول شؤون التعليم الابتدائي والثانوى والفنى ، وشئون اعداد المعلمين وتعليم المعددين ، والصحة المدرسية ، واستخدام الاطفال والاحاديث في الصناعة ؟ وتناول تنظيم التعليم ، ووضعه على اسس لا تختلف كثيراً عن الاسس المتبعة في انكلترة وويلز . وكانت « وزارة المعارف » هي التي تضع المناهج وتدير المدارس وتفتشها وتراقب اعمال سلطات التعليم المحلية التي بلغ عددها ثمانى سلطات محلية . وقد اعطيت سلطات التعليم صلاحية تأسيس المدارس الثانوية . وحيث ان المدارس الثانوية كانت مستقلة ، وان عناية سلطات التعليم كانت منصبة على نشر التعليم الابتدائي فقد اتجهت الى توزيع المساعدات المالية على الطلبة المتفوقين .

وكان عناء قانون سنة ١٩٢٣ بالتعليم الفنى لا تقل عن عنائه بنشر التعليم الابتدائى الذى يبدأ بالسادسة ويتهى بالرابعة عشرة من العمر ؟

وانتشرت المدارس الفنية والتجارية المتوسطة اتساراً كبيراً (*) .

(*) توجد في شمالي آيرلندا اليوم ما ينبع عن ١٧٠٠ مدرسة ابتدائية، يتعلم فيها اكثراً من ١٩٣٠٠ طالب وطالبة ، و٧٦ مدرسة ثانوية (بلغ عدد طلابها ١٤٠٠٠ وعدد المدرسين ٧٩٠) . وفيها ١٣٤ مركزاً للتدريب الفنى يضم ١٠ آلاف طالب و١٢٠٠٠ طالبة . ومن هذه المراكز ١٦ مدرسة فنية متوسطة و٢٤ مدرسة تجارية متوسطة .

وفي عام ١٩٤٢ عين وزير المعارف لجنة لدراسة مشاكل الشباب . وقد قدمت هذه اللجنة تقريرها سنة ١٩٤٣ ، ونال اهتمام المسؤولين في وزارة المعارف . وفي سنة ١٩٤٤ أقر برلمان شمالي آيرلندا « قانون خدمة الشباب Youth Welfare Act » . وتعهد تعليم الراشدين عادة هيئات تطوعية أهمها جمعية العمال التعليمية ، ويجرى في نطاق ضيق في الوقت الحاضر وتؤدي « لجنة تعليم الراشدين » بالتعاون مع جامعة كوينس^(**) في مدينة بلفاست خدمات مهمة في هذا الميدان .

وبذل حكومة شمالي آيرلندا جهوداً عظيمة في تحسين مناهجها الدراسية ، وتنظيم ادارات مدارسها اسوة بما تفعله كل من انكلترا وويلز واسكتلندا . وفي سنة ١٩٤٤ وضعت الحكومة كتاباً ايضاً عن التعليم تضمن الاتجاهات الآتية :

- ١ - ينبغي على سلطات التعليم المحلية ان تؤسس مدارس للرضاعة وتقدم مساعدات مالية الى المدارس الموجودة منها .
- ٢ - وان يجعل التعليم الالزامي يمتد حتى الخامسة عشرة او السادسة عشرة من العمر .
- ٣ - وان يعاد تنظيم التعليم ، ويصبح على مرحلتين : مرحلة ابتدائية تنتهي بالحادية عشرة من العمر ، ومرحلة ثانوية تتالف من مدرسة متوسطة Senior واعدادية Junior

(**) توجد في شمالي آيرلندا جامعة واحدة هي كوينس . وتتكون من ثمانية اقسام قسم الفنون والعلوم ، والعلوم التطبيقية والقانون ، والطب والتجارة والزراعة واللاهوت . وتضم ايضاً كلية للهندسة ومعهداً للتربية . اما كلية الزراعة فترتبط بوزير الزراعة . ويعد الاساتذة موظفون في سلك الخدمة المدنية . ويدير الجامعة مجلس ادارة يتالف من بعض اساتذة الكليات ، واعضاء يمثلون خريجي الجامعة ، وهيئات أخرى .

- ٤ - وان تقدم مساعدات مالية الى الطلبة المتفوقين لمواصلة دراستهم في المدارس الاعدادية *
- ٥ - وان تضع خطة لتعليم الراشدين وغير الراشدين للشبان الذين تتراوح اعمارهم بين الخامسة عشرة من العمر والثامنة عشرة *
- ٦ - وان يكون الفحص الطبي ومعالجة اسنان الطلاب الزاميا ومجانيا لجميع الطلبة حتى يبلغوا الثامنة عشرة من العمر ، وأن يعاد فحصهم بين حين وآخر *
- ٧ - وان تقدم الكتب والقرطاسية والادوات المدرسية مجانا الى جميع طلاب المدارس الابتدائية والثانوية والفنية *
- ٨ - وان تكون صلاة الجمعة والتعليم الالزامي الزاميا في جميع مراحل الدراسة الابتدائية والثانوية والفنية المتوسطة *

التعليم العالى فى بريطانيا

ليست الجامعات ، كما يقول الانكлиз ، معاهد دراسية حسب ، وإنما هي ايضاً معقل من معاشر الحرية الفكرية ، ومركز من مراكز تقدم المدينة ، وموطن من مواطن الحقيقة ؟ وهى مختبرات يواصل الطلاب فيها بحوثهم ودراساتهم ، والعلماء اختراعاتهم واكتشافاتهم *

وتحصر واجبات الجامعات في المجتمعات الديمقراطية الحديثة في اكتشاف اصحاب المواهب والقبليات العقلية واعدادهم ليكونوا الصفة المختارة من رجال الفكر والرأي والصناعة ، وفي ضمان مستوى عال من الثقافة للامة وتحبيب العلوم إليها والتعلق بها ، وفي نشر المعرفة وتشجيع البحث العلمي *

وتقسم الجامعات الانكليزية الى طائفتين (*) : الجامعتان القديمتان ، وهما اكسفورد و كيمبرج ؛ والجامعات الحديثة ، ومنها لندن ، ومانجستر وليفربول . وتشابه الجامعات الانكليزية واليرلندية والاسكتلندية تشابها عظيماً وذلك في النواحي الآتية :

- ١ - لا تؤلف الجامعات قسماً من نظام التعليم الحكومي ، ولا تخضع لسيطرة وزارة المعارف .
- ٢ - ان الجامعات البريطانية معاهد مستقلة تدير نفسها بنفسها ولا دخل لاحده في شأنها .
- ٣ - وانها تعين الأساتذة والمدرسين والمعيدين ولا تستطيع الدولة ان تفصلهم او تتدخل في تدريسياتهم .
- ٤ - كما لا تستطيع دوائر الحكومة ان تفرض أوامرها على الجامعات . والبرمان هو الهيئة الوحيدة الذي يستطيع ان يلغى او يعدل القوانين التي بمحاجتها تدير الجامعات نفسها . ولكنه لا يفعل ذلك الا اذا اظهر الاساتذة رغبتهم في التعديل والاصلاح .

المساعدات المالية واستقلال الجامعات :

لم تباشر الحكومة في تقديم مساعدات مالية إلى المعاهد العالية إلا في سنة ١٨٨٢ ، لاعداد المعلمين وتشجيع البحث العلمي ثم أخذت هذه المساعدات تزداد سنة بعد أخرى . وفي سنة ١٩١٩ خطط خطوة مهمة . فبدلاً من تخصيص مبالغ قليلة لجهات متعددة ولاغراض خاصة قررت تخصيص مبالغ كبيرة ، وألفت لجنة لهذا الغرض سميت « لجنة المنح الجامعية » تقوم بتوزيع هذه المساعدات The University Grant Committee

(*) في إنكلترا احدى عشرة جامعة وفي اسكتلارندة اربع جامعات وفي ويلز جامعة واحدة وفي شمال ايرلندا جامعة واحدة ايضا وهي جامعة كورينس .

على الجامعات المختلفة . وما زالت هذه اللجنة التى تتألف من « موظفين مدنيين » لهم خبرة كبيرة فى شئون التعليم الجامعى قائمة حتى يومنا هذا . وليست لهذه اللجنة علاقه بوزارة المعارف ، وإنما ترتبط بوزارة المالية ارتباطاً مباشراً . وقد بلغ مقدار هذه المنحة السنوية قبل الحرب العالمية الثانية ٢٠٠٠٠٠ دينار ، وبلغت اليوم حوالى ٦٠٠٠٠ دينار . ومما هو جدير بالذكر ان جميع الجامعات البريطانية معاهد مستقلة فى ادارتها وماليتها ، وفي تعيين اساتذتها . وهى وان كانت تتسلم مساعدات مالية من الحكومة المركزية والسلطات المحلية الا ان هذه المساعدات لم تشرط شروطاً قاسية ، ولم تكن طريقة للتدخل فى شئون الجامعات (٢٢) . والجامعات البريطانية هي من صنع الشعب البريطانى لا الحكومة البريطانية .

عدد الطالب :

بلغ عدد المسجلين فى الجامعات البريطانية سنة ١٩٣٩ حوالي ٥٥٠٠٠ طالب وطالبة ؟ ١٠٠٠٠ منهم فى جامعة اكسفورد وكيمبرج ، وحوالى ١٢٠٠٠ فى جامعة لندن ، و١٢٠٠٠ فى الجامعات الاسكتلندية ، و١٥٠٠٠ فى الجامعات الاخرى . ولما كان عدد سكان بريطانيا هو ٤٥٠٠٠٠٠ نسمة فان نسبة التعليم العالى فى السكان هي طالب واحد لكل ٩٠٠ نسمة . وهى نسبة واطئة بالنسبة الى الولايات المتحدة حيث بلغت طالباً واحداً لكل ١٠٠ نسمة . وتحتختلف النسبة فى الشمال والجنوب . فهى فى اسكتلندا ١ - ٤٥٠ نسمة ؛ وفي انكلترا ١ - ١١٠٠ نسمة . وبينما يبلغ عدد المسجلين سنوياً فى الجامعات الامريكية ٣٠٠٠٠٠ طالب وطالبة والمتخرجين ١٦٥٠٠٠ فان عدد المسجلين فى الجامعات الانكليزية سنوياً ١٥٠٠ طالب

22 - Barker, Ernest, British University, P.,8, Longmans Green & Co., 1946

وطالبة وعدد المخريجين نفسه تقريراً ان ٧٥٪ من طلبة الجامعات الانكليزية من الرجال والربع الباقى من النساء . ويبلغ عدد الطلاب الاجانب حوالي ٢٠٠٠ ، وعدد طلبة المستعمرات والدولمنيون ٣٠٠٠ طالب وطالبة . ولا يسكن فى الاقسام الداخلية الا ربع عدد الطلاب فقط .

الجامعتان القديمتان :

وتحتفل هاتان الجامعتان عن الجامعات البريطانية الاخرى في تقاليدهما، وتاريخهما الطويل ، وفي طريقة تدریسهما وحياة الطلاب الداخلية . وتألف كل جامعة من مجموعة من الكليات وتمتنع كل كلية ببساطة وافر من الاستقلال الداخلى . ويبلغ معدل عدد الطلاب في كل كلية من كليات جامعة كيمبرج ٢٧٠ طالباً وطالبة ، وفي كل كلية من كليات جامعة اكسفورد ١٧٠ طالباً وطالبة ؟ كما تتألف الجامعتان من ٢٠ كلية . وهي التي تؤلف « الجامعة » وت تكون نفقات الجامعة من الكليات المختلفة ؟ اذ تدفع كل كلية ٠٢٪ من ميزانيتها اليها . وتقدر الاجور السنوية التي يدفعها الطلاب في هاتين الجامعتين بـ ٨٠٠٠ دينار ؟ اى بمعدل ١٥٠ ديناراً للطالب الواحد . واذا علمنا ان الحد الادنى الذى يستطيع ان ينفقه الطالب هو ٢٥٠ ديناراً في السنة ، وانه يحتاج الى ٧٥٠ ديناراً ليتم دراسته الجامعية التي طولها ثلاث سنوات ادركنا أن هاتين الجامعتين لا يستطيع ان يتاحق بهما الا اولاد الاغنياء . اما الجامعات الحديثة فهى في الاعم الغلب معاهد نهارية وليس داخلية ، وتقاضى أجوراً معبدلة . وكثير من طلابها من خريجي المدارس الثانوية المساعدة ، وتضم ٠٢٥٪ منهم ^(٣٣) .

لحنة تاريخية :

يرجع تاريخ تأسيس جامعتي اكسفورد وكيمبرج الى القرون الوسطى ، او الى النهضة التي بدأ تباشيرها في مطلع القرن الثاني عشر حينما ظهر

الاهتمام بدراسة القانون واللاهوت وفلسفة ارسطو والآراء الجديدة في الرياضيات التي اكتشفها الصليبيون عند اتصالهم بالعرب ، والتي حرّكت عقول الناس ، وطفق الطلاب يجوبون الآفاق في طلب المعرفة الجديدة ونشرها^(٢٤) . وقد شاعت هذه الحرّكة شيئاً كثيراً ، فحينما كان الطلاب يسمعون بوجود مركز علمي شدوا إليه الرحال . ولم تكن « جامعات القرون الوسطى » مجموعة من الأبنية ، وإنما كانت تتألف من مجموعات أو حلقات من الطلاب متعددة تتدارس وتجتمع تحت لواء استاذ أو أكثر .

وقد سبقت باريس أكثر مدن أوروبا ، وأم جامعتها كثير من الطلبة الانكليز . ولكن حينما ظهرت بوادر الانشقاق السياسي بين انكلترة وفرنسا في القرن الثاني عشر اخذ الطلبة الانكليز يجتمعون في انكلترة نفسها ، ويتركون « جامعة باريس » . فاتخذوا مدينة اكسفورد مثابة لاجتماعاتهم ، وأسسوا « جامعة اكسفورد » المشهورة . وحينما شنق سكان اكسفورد عدداً من طلبة العلم سنة ١٢٠٩ الذين اتهموا بقتل أحد سكان المدينة رحل الطلاب عنها ، واستوطنوا أكثرهم في مدينة كيمبرج التي كانت تضم عدداً من طلبة العلم أيضاً . وبعد المؤرخون هذا الحادث بداية تأسيس « جامعة كيمبرج » . ولما انتصر « البابا » على الملوك جون بعد مرور خمس سنوات من وقوع هذا الحادث أرغمت مدينة اكسفورد على دفع « كفاره » عن الجرم الذي ارتكبه نحو عدد من الطلبة . وقد كان الطلبة في ذلك الوقت طلة دين ، ولا يخضعون في شؤونهم إلا إلى المحاكم الكنسية . وكان مقدار الغرامات ٤٢ درهماً ، وظل يدفعها الأكسفوريون في يوم ذكرى القديس نيقولا St. Nicholas Day وتوزع على الفقراء حتى يومنا هذا؟ غير أن مسئولية دفعها قد انتقلت من سكان اكسفورد إلى « الناج » Crown البريطاني !

(24) Stephens, W.E.D., English Education, P., 60 Longmans Green & Co., 1947

وحدثت هجرات اخرى بعد هذا التاريخ اثر نزاع بين الطلبة
وسكن مدينة اكسفورد ، وبين الطلبة انفسهم . ففى سنة ١٣٣٤ هاجر تفر
من طلبة « جامعة اكسفورد » الى مدينة ستانفورد Stanford دون رضى
الملك فارغموا على العودة اليها ؟ وعندئذ طلب من كل استاذ يعين في الجامعة ان
يقسم بانه لا يذهب الى ستانفورد . وقد استمر العمل بهذا حتى القرن التاسع
عشر . وفي سنة ١٣٥٤ حدثت مصادمات دموية بين طلبة الجامعة وسكن
اكسفورد سالت فيها دماء كثيرة ، مما اضطر الملك على ان يتدخل في النزاع ،
ويعطى « الجامعة » صلاحية تامة في السيطرة على شؤون المدينة ، وأمر رئيس
بلديتها وأعوانها أن يقيموا حفلة تأبينية كبيرة في كنيسة سنت ميري St. Mary's
Church يترحمون فيها على ارواح القتلى . واستمرت هذه الحفلة التأبينية
تقام طيلة ست قرون ، ثم قررت « الجامعة » الغاءها تمهدًا لنسبيانها .

وهكذا تجد ان « الجامعة » في ذلك الوقت لم تتألف من مجموعة أبنية ،
ولكنها كانت تتكون من « حلقات » دراسية . ولم تكن الحاجة الا الى عدد
من البيوت يسكن فيها الطلاب ويتدارسون ، وحانة او اكبر يجتمعون فيها مع
الاساتذة يتناقشون ويتساقون . وكان الطلاب يلتحقون بالجامعة وهم في
الرابعة عشرة من العمر . وكان لا بد من تنظيم حياتهم الداخلية دفعا للتصحرفات
الشاذة التي قد يرتكبونها وهم في هذا السن . ففتحت لهم اقسام داخلية يتولى
الاشراف عليها احد الاساتذة Master وقد سميت به Halls وكان « الاساتذة »
هم الذين يديرن هذه الاقسام في بادئ الامر ؟ غير ان ادارتها قد انتقلت
بعد ذلك الى « الجامعة » نفسها . وحينما أخذت « الكليات » تنمو بدأت
الاقسام الداخلية Halls تناقص سنة بعد سنة . فقد كان عددها سنة ١٤٣٨
قرابة ٧١ قسمًا في مدينة اكسفورد . ولم يبق منها الا اربعة في القرن التاسع
عشر ، والا واحد في الوقت الحاضر هو سنت ادمون St. Edmon's Hall

وكانت أول كلية تأسست في أكسفورد هي كلية باليول Billiol وهي مترون Matron وكان سبب تأسيس الأولى هو أن السر جون دي باليول افترف اثماً كثيراً نحو الكنيسة؛ فقررت المحاكم الكنسية جلده علانية تكثيره عن ذنبه، وتکلیفه بالانفاق على الطلبة الفقراء في أكسفورد. ولكن لم ينفع إلا في حدود ضيقه، فخصص لكل طالب أربعة فلوس فقط. ولكن ارملته زادت المبلغ بعد وفاته وأسست كلية باليول سنة ١٢٨٢ تخليداً له.

أما كلية ميترون فقد أسسها ولتردي مترون Walter de Merton سنة ١٢٧٤؛ وكان رئيس مجلس اللوردات Lord Chancellor of the (*) لدورات England وقد بذل أموالاً طائلة في سبيل تأسيسها، وصارت مثلاً لغيرها ومع ان وثيقة تأسيسها قد نصت على أن تكون الكلية خاصة بالقراء، وإن أقرباء المؤسس يفضلون عند الدخول إلا أنها لم تمنع التحاق الأغنياء بها. قد اوقف ولتردي ميترون مساحات عظيمة من أراضيه على الكلية، وحصر أدارتها في الكلية نفسها. وصار هذا التقليد أحدى الخصائص الأساسية لكل كلية من الكليات. فقد أصبحت كل كلية تدير نفسها بنفسها عملاً بوصية مؤسسها، وتملك أراضي تستعين بها على سد مصر وفاتها.

وبعد مرور قرنين تأسست كليات كثيرة أهمها أوريل Oriel College وكويز كولج Queen's College (١٣٤٠) ونيو كولج (١٤٤٨). وفي ١٥٢٥ شرع الكاردينال ولسي Walsey ببناء أجمل كلية في أكسفورد، واراد أن يسميها بكلية الكاردينال؛ وبسقوطه سنة ١٥٢٩ أخذ الملك هنري الثامن الحطة والحق الكلية بكنيسة المسيح الكاتدرائية في أكسفورد ولكن كرايست جيرج ليست كلية بالمعنى المألوف. وتسمى عادة بـ The House. وتعتبر بكاتدرائيتها وقوعها الجميلة ورياضتها من أجمل المؤسسات الموجودة في إنكلترا.

(*) وكان بالإضافة إلى هذا وزيراً للعدل.

وسارت كيمبرج فى تأسيس كلياتها فى الطريق الذى سارت عليه اكسفورد نفسه . فتأسست كلية بيترهاؤس على غرار كلية ميترون .

وقد مرت الجامعات الانكليزية فى فترة عصيبة سنة ١٥٤٦ حينما انتصر الملك هنرى على سلطان البابوية فى انكلترة . فقد ألغى جميع الاديرة ، واستولى على أراضيها . وقد خوله البرمان صلاحيات كثيرة ، واطلق يده فى الكليات والمستشفيات وغيرها من المؤسسات الدينية . ولكن زوجته السادسة الملكة كاترين ومستشاريه اقتروا عليه ان يتراك « الكليات » المختلفة حرقة طليقة ؟ فقبل اقتراهم من جهة ، واسس هو نفسه كلية عظيمة . فقد ضم كليتين صغيرتين وجعلهما « كلية » واحدة ، وأوقف عليها أراضي واسعة سلتها من الاديرة ، واطلق عليها اسم « ترينيتى كوليج Trinity College ومن الحقوق التى اكتسبتها هذه الكلية هو حق رفع « العلم الملكى » Royal Standard العلم الخاص بخلافة ملك الانكليز . وعميد كلية ترينيتى يعين دون غيره من عمداء كليات جامعة كيمبرج ببارادة ملكية . وفي تعينه يستشير الملك رئيس الوزراء دائمًا قبل صدور الارادة الملكية بذلك .

« وتأسست سنة ١٦٠٠ اثنان وثلاثون كلية من مجموع الأربعين كلية الموجودة فى اكسفورد وكيمبرج . وقد جرت التقاليد ان يقضى اولاد (السادة) ثلاثة او اربع سنوات فى احدى الجامعتين . وكل رجل من رجال السياسة يتعلق عادة باحدى كليات هاتين الجامعتين وينظر اليها نظرة اكبار واعجاب . وقد وهب كثير منهم اموالا طائلة الى كلياتهم القديمة ، أو اوقفوا عليها اراضي شاسعة ، أو شيدوا لها ابنية جديدة جميلة . وقد ظل تأثير الكنيسة طوال القرن السابع عشر والثامن عشر عظيما جدا . فلم يقبل الا الطلبة الذين كانوا يتمون الى الكنيسة الانكليزية . اما الطلبة الذين كانوا يتمون الى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، او الخارجون على الكنيسة الانكليزية فلم يقبلوا فيها . وحيث ان هؤلاء كانوا يؤلفون نسبة ضئيلة من

السكان فلم يترتب على حرمانهم من الدراسة ضرر كبير . وحينما استطاع جون ويسلى ، وكان نفسه طالبا في لنكولن كوليج (اكسفورد) ، ان يجمع حول مذهبة المعروف بالميودست Methodist انصارا لم تكن الكليات الانكليزية مفتوحة امام جميع الطلاب او قومية بأى معنى من المعانى . وبدت خل البرلان سنة ١٨٧١ فتحت ابواب الجامعتين القديمتين والكليات الى جميع الطلبة بغض النظر عن معتقداتهم الدينية . وحدثت بعد هذا التاريخ اصلاحات أخرى ٠٠٠ »^(٢٥) .

الأجور الدراسية :

وتمنح كل كلية مساعدة مالية Scholarship تتراوح بين ٥٠ - ١٠٠ دينار في السنة ، او تمنح مساعدات قليلة تسمى Exhibitions تتجاوز قيمتها الى ٥٠ دينارا في السنة . ولا يحصل عليها الطلاب الا بعد النجاح في امتحان مسابقة عسير . ويبلغ مجموع المنح المالية السنوية ٨٠٠ منحة . ويسمى الطالب الذي يحصل على مساعدة مالية بـ Scholar وبعد هذا اللقب شرفا عظيما له ، ويسمى اليه الاغنياء والقراء . ويطلق على الطالب الذي يدفع نفقات دراسة بـ Commoner . ويشترط عليه أن ينجح في امتحان دخول . ولكن لا يشترط هذا الامتحان على خريجي (مدارس الخاصة) او « المدارس الثانوية » .

الحياة الداخلية :

لقد أصبح عدد طلبة الجامعتين كبيرا بحيث لا تستطيع الكليات استيعابهم في اقسامها الداخلية . وعلى هذا الاساس أجازت الكليات لعدد من

(25) Stephens, W.E.D., English Education, P, 64-65

طلابها أن يسكنوا في المدينة . ويتناول الطلاب وجبات الطعام في أي مطعم يشاؤون . الا انه في الوقت نفسه يتطلب من كل واحد منهم ان يتناول وجبة الغذاء في القسم الداخلي الخاص بكلية عدة مرات في الاسبوع . اما اذا كان الطالب يسكن في احدى الاقسام الداخلية الملحقة بالكلية التي يدرس فيها فان احد الخدم (ويسمى في جامعة اكسفورد بـ Scout وبجامعة كيمبرج Gyp) هو الذي يوقظه في الصباح ، وهو الذي يحضر له طعام الافطار أو وجبة الغذاء اذا شاء ، وهو الذي ينفف غرفته .

الانضباط :

وقد وضعت كل جامعة مجموعة من الانظمة لمراقبة سلوك الطلاب في داخل الجامعة وخارجها ، وتعويدهم على الطاعة والاحترام النظام . ومن هذه الانظمة ما هو قديم ، ومنها ما هو حديث . فمثلا ينبغي على كل طالب ان يلبس « جبته » اذا كان خارج الكلية بعد غروب الشمس ، وان يكون في كلية او في غرفة منامه قبل الساعة الثانية عشرة مساء . وتستخدم كل جامعة لمراقبة الطلبة ضباط خفر خاصين Proctors ومرافقين Bull dogs تتحضر مهمتهم في حراسة المدينة من تصرفات الطلبة الشاذة اولا ووجوب لبس « الجبة » ثانيا . وعلى الطالب الذي « يقيد » اسمه ضابط الحرس ان يراجع « كلية » في اليوم الثاني وان يحضر امام « العميد » . واذا ظهر انه ارتكب مخالفة بسيطة دفع غرامة قدرها ٣٥٠ فلسا ؟ اما اذا ارتكب جرما كبيرا فيطرد طردا موقتا او مؤبدا .

تنظيم الدراسة :

تألف جميع الجامعات الانكليزية من المعاهد الستة التقليدية المعروفة وهي : اللاهوت والآداب ، والعلوم ، والقانون ، والطب ، والهندسة ، ويشترط في الحصول على شهادة الليسانس عادة B. A., B. Sc. دراسة طولها

ثلاث سنوات ، وفي الحصول على الماجستير M. A., M. Sc دراسة طولها سنتان بعد دراسة الليسانس . ولا يشترط ان يؤدى طلبة الماجستير في جامعة او كسفورد وكيمبرج امتحانا للحصول على الشهادة المذكورة ، وانما يشترط عليهم ان يدفعوا الاجور ، ويحضروا المحاضرات .

ويخصص لكل طالب في جامعة اكسفورد ، وكيمبرج مدرس Tutor يقوم بتوجيهه وارشاده الى نوع المحاضرات التي ينبغي ان يحضرها . ويقضى الطالب عادة في كل اسبوع ساعة مع مدرسه تعرف بـ Tutorial في مراجعة بحث او كتابة موضوع .

ويخصص الطالب ساعات الصباح عادة لسماع المحاضرات وللمطالعة والمخبر . ويقضى ساعات العصر في الالعب والرياضه وساعات المساء في الدراسة ، او في حضور احدى الحفلات ، او يزجيء مع زملائه في مناقشة المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والادبية ، او غيرها .

وعلاقة الطالب باستاذه (ويطلقون عليه "Don") علاقة وثيقة وودية وطبيعية بعيدة عن التجمل الكاذب والتلف في الطبع والكلام . ولا تكون هذه العلاقة في قاعة المحاضرات حسب ، وانما تكون على المائدة ، وفي ساعات الشاي ، وفي المآدب والاحتفالات والاجتماعات والجمعيات . ويعيش الاستاذ العزب في الكليات . اما المتزوجون فيعيشون في بيوتهم الواقعه داخل المدينة او على مقربة منها .

وتنقسم السنة الدراسية الى ثلاثة فصول ، وطول كل فصل ثمانية اسابيع . ويقضى معظم الطلبة عطلهم في الدراسة والبحث ؟ ويستطيع الطالب ان يمضى قسما من عطلته الصيفية في كلية اذا اراد ؟ وترواح مدة الدراسة بين ٤-٣ سنوات للحصول على شهادة الليسانس كما بينا . ويباصل اكثرا الطالب الذين يتسلّمون مساعدات مالية Scholars دراستهم للحصول على شهادة

« الشرف » Honours ويقضون سنة اخرى في الاختصاص بموضوع من المواضيع أو بمجموعة من مواضيع متقاربة ، وينالون بعد نجاحهم في الامتحان شهادة « الشرف » . وهي على ثلاثة مراتب : مرتبة اولى وثانية وثالثة . وتنتمي مرتبة الشرف الاولى بمستوى علمي عال . وكان عدد الطلبة الذين حصلوا على « مرتبة شرف اولى » في جامعة اكسفورد وكيمبرج سنة ١٩٣٨ م ٢٩٣ طالبا فقط ، اي بنسبة طالب واحد لكل عشرة طلاب . واكثر الطلاب ينهون دراساتهم بعد حصولهم على درجة الليسانس .

وينال الطلبة الذين احرزوا نجاحا باهرا في الامتحانات ، والذين يودون ان يكونوا مدرسين "Dons" او يرغبون في مواصلة بحوثهم الخاصة مساعدات عالية من الجامعة كافية لسد نفقاتهم الشخصية والدراسية ، او ينخرطون في سلك « زمالة الكلية » College Fellowship ويقع هذا الاختيار في سلك الزمالة من جانب السلطات الجامعية ؟ ويتم اما بامتحان تحريري او بمعرفة شخصية الطالب نفسه بغية اختيار احسن مدرس Don . وقد تبلغ قيمة الزمالة احيانا ٦٠٠ دينار في السنة . ولكنها لا تبلغ عادة الا نصف هذا المبلغ . ويتلقى المدرس نظير هذه « الزمالة » سكنا مجانيا في احدى الاقسام الداخلية ، ويكرس جهوده اما الى التدريس فيكون مدرسا Tutor او محاضرا Lecturer واما الى القيام بالبحوث لاكتشاف آفاق جديدة من المعرفة ، واما ان يقوم بهما معا .

ويستهدف التعليم في هاتين الجامعتين تحقيق الاهداف التقليدية للتربيـة الانكليزية ، وهي تربية الخلق وتنمية الشخصية لا عن طريق الفعاليات العقلية حسب ، وانما عن طريق الالعاب والرياضة والنشاط الاجتماعي ، والطالب الذي لا يستطيع ان يتتفوق في دراسته على اقرانه يستطيع ان يجد

في الحياة الجامعية مجالاً لهذا التفوق ، وأن يستفيد منها أحسن قائد . وأهمها الفعاليات الرياضية والألعاب Sports وينال الطالب « الرياضي » كما هو الحال في « مدارس الخاصة » ، اعجاب الطلبة واحترامهم . ولكن جامعة شعار رياضي ؟ وليس لاحد ان يحمل هذا الشعار الا طلبة الفرق الرياضية الذين يتبارون بعضهم مع بعض . وتختص جامعة اكسفورد بلون « ازرق غامق » عادة ؟ وجامعة كيمبرج بلون « ازرق فاتح » . وتوزع « الالوان الزرقاء » Blues على جميع الفائزين في المباريات الرياضية كالتجديف والكريكت ، وكرة القدم ؛ وأهمها المباريات الرياضية وتوزع الالوان « نصف الزرقاء » Half Blues على الفائزين في الالعاب الرياضية غير المهمة .

وفي الجامعتين اتحادان شهيران للمناقشة Union Debating Societies يتدرّب الطالب فيما على المناقشة والجدل في جو علمي هادئ ؛ ويقال ان كثيراً من رجال السياسة الانكليزية قد اظهروا قابليةهم الخطابية في هذين الاتحادين . وقد يشق الطالب الذي يكون « رئيساً President لاتحادين طريقة في الحياة العامة بنجاح . وكثيراً ما يدعى الاتحاد بعض رجال السياسة اثناء السنة الدراسية لقاء بعض المحاضرات العامة في الشؤون الداخلية او الخارجية ؛ ويحضرها عدد كبير من الطلاب من مختلف الكليات . وفي الجامعتين جمعيتان شهيرتان The Oxford & Cambridge Dramatic Societies وقد يجد الطالب الذي يحسن التمثيل فرصة لأن يصبح ممثلاً محترفاً في المستقبل .

ويطمن بعض الطلاب رغباتهم في نواحي أخرى من نواحي الفعاليات الاجتماعية والقومية . فقد يلتحقون بسرب طيران الجامعة University Air Mountaineering Squadrons ليتعلموا الطيران ، أو يتضمنون الى « نادي الجبلين »

ليتسلقوا جبال سويسرا أو انكلترة أثناء العطل الصيفية . ويحصل طلبة هاتين الجامعتين على تربية اجتماعية راقية حينما يعيشون في كف أستاذة مشهورين في إبحاثهم واكتشافاتهم ؛ وفي خلقهم وقابلياتهم العقلية . ولقد قيل أن أهم تربية ينالها طلبة جامعة أكسفورد وكيمبرج هي التربية التي يحصلون عليها بأنفسهم ، لا التربية التي يأخذونها عن أستاذتهم . ويرينا هذا القول أهمية الحياة الاجتماعية في التربية الانكليزية . فالحياة الجامعية زاخرة بالفعاليات الحرة الابداعية . وبمقدور كل طالب أن يتربى على وجه من وجوهها ، ويتحمل مسؤوليات تعينه على استقبال الحياة العامة . إن هذه الحياة الاجتماعية التي يجتمع الطلبة على صعيدها من أهم خصائص الحياة الجامعية في جامعة أكسفورد وكيمبرج .

نفقات الدراسة :

وتتقاضى هاتان الجامعتان أجورا دراسية باهظة بحيث يتذرع على إبناء الطبقتين الوسطى والفقيرة دخولهما . ولقد ذهب بعض الناقدين إلى أنهما قد أصبحتا جامعتين « طبقتين » ، وإنهما للاغنياء دون الفقراء ويشير غيرهم إلى أن هذه « الطبقة » كانت أحدي خصائصها الماضية أي قبل ثلاثين سنة تقريباً، أما الآن فقد تبدلت طبيعتهما تبدلاً محسوساً ، وذلك بتقديم مساعدات مالية إلى الطلبة النابغين المعوزين . ولكن مما لا شك فيه أن نفقات الدراسة في هاتين الجامعتين ما زالت كثيرة وإن الحد الأدنى لكل طالب هو ٢٥٠ ديناراً في السنة ؟ وهو حد لا تنهض به إلا الطبقة الغنية . ويستطيع أن يتحقق ذلك طالب المعوز في أحدي هاتين الجامعتين إذا ما ظفر « بمساعدة مالية » Scholarship منها التي كان عددها ٨٩٨ مساعدة في سنة ١٩٣٨ ؟ وقد ظفر خريجو المدارس الثانوية الاعدادية منها بـ ٤٣٧ مساعدة . يضاف إلى ذلك أن عدد المساعدات المالية التي تقدمها وزارة المعارف سنوياً والتي تتمكن أصحابها من الالتحاق بالجامعات الانكليزية ٣٠٠ مساعدة . وتقدم « سلطات

التعليم المحلية » مساعدات مالية اخرى الى الطلبة الذين يظفرون بهذه المساعدات التي تمنحها الجامعتان لسد نفقات التعليم الكثيرة . وقد قدر ان نصف عدد طلاب هاتين الجامعتين تقريبا كانوا يتسلّمون مساعدات مالية قبل سنة ١٩٣٩ ، مساعدات قلت او عظمت ، ويتحقق في جامعة اكسفورد و كيمبرج كثير من الطلبة الاجانب وكثير من طلاب المستعمرات والدوليين . ويدخل في جامعة اكسفورد في كل سنة سبعون طالبا مختارا من طلبة الدوليين والولايات المتحدة الامريكية بعد ان يحصلوا على مساعدة رودس المالية الشهيرة Rhodes Scholarship نسبة الى صاحبها سيسيل رودس الذي كان من كبار رجال الاستعمار البريطاني .

وفي جامعة اكسفورد اربع كليات للبنات ، تضم ٨٠٠ طالبة ، وفي جامعة كيمبرج كلية تضمان ٥٠٠ طالبة . ولكل كلية ملاك خاص . الا ان الطالبات يستطيعن حضور المحاضرات التي تلقى في الكليات الاخرى الخاصة بالطلاب .

مكتبة بودليان :

والمكتبة بودليان في اكسفورد Bodeleian Library و « مكتبة الجامعة » فى كيمبرج University Library شهرة واسعة جدا . وتضم الاولى كتب خطية نفيسة ، وتحتضنها بناء قديمة . اما بناء مكتبة كيمبرج فحديثة ؟ وتحضر آلاف المجلدات الثمينة . وتمتنع المكتبتان بشهرة واسعة لا تختلف عن شهرة مكتبة المتحف البريطاني . وتسلمان ، اسوة بالمكتبات البريطانية الاخرى ، نسخة من كل كتاب يطبع في بريطانيا العلمي . ولهمما مطبعتان . وقد تأسست مطبعة اكسفورد سنة ١٤٦٨ .

الجامعات الحديثة :

نشأت الجامعات الحديثة قبل قرن ونيف . وقد اريد بها ان تكون

مفتوحة الى ابناء الطبقة الوسطى والدنيا ، وان تنزع نزعة حديثة ، وان تتحرر من التعصب الديني والطائفى . وقد كانت جامعة لندن اول جامعة حديثة تأسست في انكورة . فقد شرع جماعة من المصلحين الاجتماعيين وعلى رأسهم Jeremy Bentham بتأسيس University College سنة ١٨٢٦ لتكون نواة جامعة حديثة تفتح ابوابها الى جميع الطلاب بغض النظر عن معتقداتهم الدينية واصولهم الاجتماعية ؟ اذا كانت كل من جامعة اكسفورد وكيمبرج لا قبل الا من كان على منذهب « الكنيسة الانكليزية » Church of England كما اريد بها ان تقوم بتدریس العلوم الحديثة جنبا الى جنب مع الاـداب الكلاسيكية والرياضيات التي تؤلف منهج الجامعتين القديمتين . ولم تكن هذه الكلية الجديدة داخلية ، بل نهارية ، ولم يخل تأسيسها من معارضة شديدة من حيث أنها لم تعن بالشعور الديني للطلاب والاساتذة والمحاضرين . وقد شرع جماعة آخرون بتأسيس كنكر كوليج King's College سنة ١٨٢٩ في حي السترند لمكافحة نزعة الكلية « الالحادية » .

وفي سنة ١٨٣٦ تأسست جامعة لندن ؟ ولم تكن في هذا التاريخ الا لجنة امتحانات Examination Board لطلبة كلية يوتيفورستي كوليج وكنكر كوليج ينال الطالب بعد نجاحه في الامتحان درجة العلمية . ولم تمض مدة طويلة الا واصبحت هذه الامتحانات مفتوحة امام جميع طلبة المعاهد الأخرى بعد ان كانت خاصة بطلبة هاتين الكليتين .

وظلت « جامعة لندن » تقدم تقدما مطردا ، وتكتسب شهرة علمية في بريطانيا وخارجها ، وتوثر في الحياة الجامعية تأثيرا ملحوظا ؟ وصارت درجاتها العلمية تدل على مستوى ثقافي عال ، واصبحت مقبولة في الجامعات البريطانية كلها ؟ وفتحت صفوفا متساوية للطلاب الذين لا يستطيعون مواصلة

دراساتهم في النهار ، وتوطدت قوانينها وانظمتها في سنة ١٩٢٦ ، وتمت باالاستقرار في حياتها العلمية . واقدم كلياتها يونيفرستى كوليج ، واحدتها « مدرسة الاقتصاد والعلوم السياسية » .

وتكون جامعة لندن من المعاهد الموجودة داخل لندن وضواحيها . وقد سارت الجامعات « الحديثة » في تطورها سيراً متشابهاً لا جامعة لندن ودورهام Durham فقد تأسست الثانية على غرار جامعة أكسفورد .

وقد يؤسس أحد رجال الاعمال « كلية » أو معهداً عالياً لتدريس المواضيع العلمية والدروس الفنية والصناعية ، كما فعل السر جوزيا ميسون Mason وهو رجل عصامي ، كلية ميسون Mason College تدرس المواضيع العلمية وابعاد الدراسات الادبية والدينية ، والتي اصبحت فيما بعد جامعة برمتكهام . وقد تضاف إلى هذه الكلية « كلية طب » أو يضاف قسم لاعداد المعلمين ، أو قسم للآداب . ثم تأتي المرحلة النهائية حينما تحصل هذه الكلية النامية على وثيقة ملكية Royal Charter لتصبح جامعة لها حق منح الدرجات العلمية . وعلى هذه الشاكلة تطورت بين سنة ١٩٠٠ - ١٩١٠ عدة جامعات ، فشتلت اولاً جامعة برمتكهام ، وبعدها ليفربول ، ثم مانجستر ، وليدز ، وشيفيلد ، وبرستول ؟ واصبحت كلها جامعات مستقلة . وقد حصلت جامعة ريدنك Reading وهي جامعة داخلية كجامعة دورهام ، على وثيقتها الملكية سنة ١٩٢٦ .

وتختلف الجامعات « الحديثة » عن الجامعتين القديمتين في وجوده كثيرة . فالاولى «اقليمية » Regional (ماعدة جامعة لندن) والثانية «قومية » National وتفاخر كل مدينة في جامعتها ، وتمدها بالمساعدات المادية والمعنوية . وتقدم البيوتات الصناعية مساعدات عظيمة ؟ فتشيد لها الأبنية والمختبرات . وهي مقابل لهذا العون المادي توجه عنيتها إلى الصناعات

والفنون التي تشتهر بها تلك المدينة او الاقليم وتعنى بدراساتها وتنميها . فمثلاً تشتهر جامعة برمنكهام بالتعدين والتقطير ، وجامعة ليدز بالنسيج ، وجامعة شفيلد بالهندسة ، وجامعة يفربول باللاحقة وكل ما يتعلق بشئون البحار ، وجامعة ردينك بالزراعة . وهذا التجاوب الاقليمي له حسنان وله مساوى .^٥ فمن حسنانه اتصال الجامعة اتصالاً مباشراً بالمجتمع الذي تتمى اليه وتعتمد عليه ، وينحدر الطلاب منه . ومن مساوئه تحويل الجامعات الى كليات فنية مجردة . الا ان الجامعات الحديثة كما يقول الاستاذ ستيفنس ، استطاعت ان تدفع عنها هذا الخطر ، وان توازن بين الدراسات الفنية والفلسفية او الاجتماعية .^٦

ولا تلعب الرياضة والالعب في الجامعات الحديثة نفس الدور الذي تلعبه في الجامعتين القديمتين لعدم وجود ساحات وافية في الجامعات نفسها او لوجودها على مسافات بعيدة عنها . والجامعات الحديثة مختلطة ؟ وبلغ عدد طلابات ربع عدد الطلاب تقريباً . ومع ان كليات جامعة لندن مفتوحة جميعها الى الطلاب الا ان هناك خمس كليات داخلية خاصة بالبنات ، منها كلية بدنفورد Bedford التي تأسست سنة ١٨٤٩ . والجامعات الحديثة ، شأنها في ذلك شأن الجامعتين القديمتين ، لا تخضع لسيطرة الدولة خضوعاً تماماً . وتحصر علاقتها الرسمية الاساسية بالمدينة او المنطقة التي هي فيها . وتظهر هذه العلاقة بوجود بعض الاعضاء في مجلس Council ادارة الجامعات . وهو لاء ترشحهم سلطات التعليم المحلية . ويبحث هذا المجلس في القضايا المالية والسياسات العامة اما القضايا التي تتعلق بالتدريس وبالتنظيم الجامعي فيحيثها مجلس ادارة الجامعة Senate الذي يتكون من كبار اساتذة الجامعة . وختاماً تقدم بعض المعاهد دراسات جامعية اخرى وهذه المعاهد هي : الكليات الجامعية University College والمعاهد الفنية العليا . فمن الاولى اكسستر ، ونوتنكهام ، وسوئهامبتون ولستر ، وهول . وتألف المعاهد الفنية

العليا قسما لا يتجزأ من الدراسات الجامعية . وكثيرا ما تكون هذه المعاهد منفصلة وشبه مستقلة . ولها مشاكل تميز بها عن غيرها . وقد تشكلت لجنة خاصة لبحث مشكلة المعاهد الفنية العليا ووضعت تقريرها وقدمته الى الحكومة سنة ١٩٤٥ Percy Report . ومما جاء في هذا التقرير ان صلة المعاهد الفنية العليا بالصناعة و حاجاتها وبالفن وسائليه ضعيفة ؟ ولا بد من ضمان درجة عالية من التسييق . ولا يجاد هذا التسييق اقتراح اللجنة تأليف « مجالس استشارية إقليمية » تتولى تسييق التعليم الفني العالي في جميع الكليات والجامعات مع حاجات الصناعة المختلفة . كما اقترحت احداث « مجلس قومي تكنولوجي National Council of Technology » وقد تقبلت الحكومة هذه المقترنات سنة ١٩٤٧ واخذت تعمل لتحقيقها .

الجامعات الاسكتلندية :

تأسست في أواخر القرون الوسطى ، بوثيقة من البابا ، ثلاث جامعات اسكتلندية أولاهما جامعة سنت اندروز St. Andrew's University التي يرجع تاريخ تأسيسها إلى سنة ١٤١١ . وتأسست بعدها بقليل جامعتا كلاسكُ Glasgow وابردين Aberdeen اما جامعة ادنبرة فقد تأسستها « مجلس البلدية » سنة ١٥٨٣ بعد ان حصل على وثيقة من ملك اسكتلندية . وقد حذرت الجامعات الاسكتلندية في تنظيمها حذو الجامعات الاوربية ؟ ومع انها قد تبدلت في القرن التاسع عشر تبلا عظيما الا أنها ظلت تحفظ بطبع القرون الوسطى .

والجامعات الاسكتلندية نهارية ، الا جامعة سنت اندروز فانها جامعة داخلية ، وتقع في مدينة صغيرة قديمة . اما الجامعات الأخرى فانها تقع في المدن الكبيرة شأنها في ذلك شأن الجامعات الحديثة . ويلتحق أكثر الطلبة الاسكتلنديين في الجامعات في سن مبكر اذا ما قيسوا بطلبة الجامعات الانكليزية ، ويقدمون للحصول على الدرجات العلمية « الاعيادية »

Ordinary Honours في دروس عدة بدلاً من درجات «الشرف» الجديدة
ويواصل بعض الطلاب النابهين دراساتهم في جامعة اكسفورد وكيمبرج .
وبلغت نسبة طلبة الجامعات الاسكتلندية إلى السكان ضعف نسبة طلبة
الجامعات الانكليزية . وتعزى بعض اسباب هذا التوسيع إلى ان نفقات التعليم
الجامعي قليلة جداً في اسكتلندا عما هي في انكلترة ، وإلى قيام مؤسسة
كارنيجي Carnegie Trust بتقديم القروض او المنح المالية إلى الطلاب النابهين ،
وإلى التقاليد الاسكتلندية القائمة على تمجيل العلم والعلماء ، وإلى مثلهم العليا
في احرار قصب السبق في ميادين التقدم ، وإلى وجوب حصول المدرسين
في اسكتلندا ، بما في ذلك معلمو المدارس الابتدائية ، على شهادات عالية ،
ولذلك فإن كثيراً من نظائر الطلبة الذين يتحقون في جامعات الاسكتلندية
يلتحقون في انكلترة بدور المعلمين (٢٦) .

وتتمتع كليات الطب ، وخاصة كلية طب جامعة ادنبرة ، بشهرة واسعة ،
ويقصدها الطلاب من مختلف الاقطارات . وهي في ادارتها وانظمتها وحتى
مناهجها لا تختلف كثيراً عن كليات الطب في الجامعات الحديثة .

* * * *

والانسان يأخذ العجب حينما يدرك من نظرة عامة ما حل بالجامعات
البريطانية في غضون الأربعين سنة المنصرمة . فقد تطورت جامعة اكسفورد
وكيمبرج في هذه المدة تطوراً اجتماعياً يقلها من مؤسسات علمية ارستقراطية
إلى مؤسسات ديمقراطية ، وجعل نصف طلابها تقريباً ينالون مساعدات مالية
تفاوت في مقدارها ، وأصبح أساتذتها يمثلون كل طبقة اجتماعية . أما الجامعات
الحديثة فقد قطعت مراحل النمو كلها ، وما زالت تنمو اليوم في عدد طلابها ،
وفي مستواها العلمي وفي سمعتها العلمية ٠٠٠ (٢٧) .

(26) Stephens, W. E. D., English Education P., 78
(٢٧) المصدر الانكليزى السابق نفسه .

كليات جديدة :

وتأسست في إنكلترة سنة ١٩٥١ ، وبتأثير التقدم التكنوقратي الذي حدث أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها ، كليات فنية على انقاض معاهد ومدارس فنية وصناعية متعددة . ولعل من أشهر هذه الكليات المستقلة التي اخذت تمدها بعض الشركات بالابنية والمساعدات المالية : كلية الجلود الوطنية National Leathersellers' College والكلية الوطنية لفن صناعة المطاط National College of Rubber Technology وكلية التدفئة والتهوية National College of Heating and Ventilation وكلية فن التغذية College for Heating and Ventilation National College of Food Technology

★ ★ *

خاتمة

لم يعرف تاريخ التعليم في إنكلترة قانونا غير معالم التربية الانكليزية تغيرا كليا ، ووضعها على أساس جديدة ، وفتح امامها آمالا واسعة مثل ما فعل قانون معارف سنة ١٩٤٤ . فلقد اعطى كل طفل وشاب وفتاة فرصة سانحة للتعليم ، يستطيع كل واحدة منهم ان يتمتع بها ويستفيد منها الى الحد الذي يتفق هو وقدراته وحاجاته . ولكن القوانين وحدتها لا تجدى الا اذا أصبحت جزءا من حياة الامة ، وعملت بها ما وسعها ان تعمل ، وضحت في سبيلها ما وسعها ان تضحي . وهذه هي المسئولية الملقاة على عاتق الشعب الانكليزى اليوم . ويواجه التعليم في إنكلترة وفي كل قطر مشاكل جمة تتصل بفلسفه الشعب واهدافه ومثله العليا ، وتتصل بامكاناته الاقتصادية والانسانية . وتقع وراء جميع هذه المشاكل والمثل قضية اساسية واحدة وهي : ما هي محتويات تربية الاطفال والمواطنين في مجتمع ديمقراطي ؟

« لقد آلينا على انفسنا ان تكون الديمقراطية طريقتنا في الحياة ، وان
يسير نظامنا التعليمي في هذا الاتجاه ، وان يتخذ هذا الشكل . وما قانون
معارف سنة ١٩٤٤ الا خطوة جبارة في بلوغ هذا المثل الاعلى » (٢٨) .

— : ٥ : —

مراجع البحث الاساسية

- 1 - Barker, Ernest, British Universities, London, 1946.
- 2 - Briggs, T. H., Secondary Education, 1937, New York.
- 3 - Dent, H. C., British Education, 1946.
 - ◆ ◆ ◆ The New Education Bill, 1944.
 - ◆ ◆ ◆ Secondary Education for All, London, 1949
- 4 - Education in 1951, H. M. S. O., 1952
- 5 - Hans, Nicholas, Comparative Education, London. 1949.
- 6 - Kandel, I. L., Comparative Education, New York, 1933.
- 7 - Ministry of Education, a Guide to the Education System
of England and Wales, H. M. S. O., 1945.
- 8 - ◆ of Art Education, H. M. S. O., 1946.
- 9 - ◆ of the Education of the Adolescence, H. M. S.
O., 1962.
- 10 - ◆ of Education, Youth Opportunity, 1945.
- 11 - ◆ ◆ ◆
- 12 - ◆ ◆ ◆ the New Secondary Education,
1947.
- 13 - Norwood, Cycil, the English Tradition of Education,
1931.
- 14 - Secondary Education, a Report of the Advisory Council
of Education in Scotland, H. M. S. O., 1947.
- 15 - Secondary Education, with Special Reference to Gram-
mar Schools and Technical High Schools (Spens Rep-
ort) 1938.
- 16 - Stephens, W. E. D., English Education, London, 1947.
- 17 - Stead, H. G. Modern School Organisation, London,
1945.
- 18 - The Education Act 1944, University of London.
- 19 - The Public Schools and the General Education System
(Fleming Report) H. M. S. O., 1944.
- 20 - W. E. A., The Problem of Public Schools.

التعليم في الولايات المتحدة

لم تكن الخصائص القومية ولا التقاليد التاريخية عاملًا مهمًا من عوامل نشوء الحياة الأمريكية ، كما كانت في نشوء الحياة الانكليزية والفرنسية والالمانية والروسية مثلاً ؟ ولم تحدث في الولايات المتحدة ثورات او تبدلات او انقلابات عنيفة كما حدثت في الاقطان الاوروبيه الاّنفة الذكر . فماضيها قريب ، وحياتها ما زالت في دور التكوين ، حتى لقد أصبح هذا الماضي جزءاً من حاضرها ؛ ولم يعد عاملًا من عوامل استقرار الحياة الاجتماعية فيها . ولا يعتز الامريكيون « بالماضي » كما تعزز الامم الأخرى بل يحسبونه « حملًا لا يتفع به » . وتراءهم يتطلعون دائمًا إلى الامام ، ويعتقدون ان عالم الغد افضل من عالم الامس .

ان هذه النظرة الى الحياة تعود الى الظروف القاسية التي أحاطت باكثير المهاجرين حينما عبروا المحيط ينشدون سواحل القارة الأمريكية واندفعوا وراء حدودها المجهولة ، والى الحشود الكثيرة من المضطهدرين الذين كانوا ي يريدون ان ينسوا ماضיהם المليء باللمسى والآلام يوم كانت اوروبا زاخرة بالاضطهادات السياسية والدينية والفكرية . ولقد حملت هذه النفوس البرمة بالحياة في اطوائها ثورة على الانظمة القائمة ، ووقفت من الماضي وارتباطاته موقفاً سلبياً ، وبعثت ظروفها المعاشرة والحياتية حينما طفت تغزو « غرب » القارة الأمريكية وتندفع في سهولها وهضابها سعيًا وراء الذهب اندفاعاً جنوبياً وسيطر عليها قانون بقاء الاصلاح في نفوس الرواد الاولين حب الاستقلال والنزوح الى المبادرة في العمل . يضاف الى هذا ان امريكا كانت تزخر بفرص

ذهبية عظيمة استهويت ملايين الناس في مختلف اقطار العالم ولاسيما في اقطار الاوروبية تحديدهم في ذلك رغبة ملحة للاثراء السريع . وقد اثرت هذه العوامل ، كما اثرت غيرها ، في تاريخ أمريكا ، ومهدت لهم السبيل الى تكوين مجتمع جديد ، وشجعت على ولادة شعب جديد مستقل . وما من شئ ان الفلسفة الامريكية في الحياة ونظامها التعليمي يعكسان الاحوال التي اكتفت نمو أمريكا ، وانها ادت الى ظهور الفلسفة العملية Pragmatism ، وبعد جون ديوى رائد التربية الامريكية الاول ، ورمز الفلسفة الامريكية . لقد عبرت الفلسفة العملية عن روح الحياة الامريكية تعبيرا صادقا ، واثرت في النظريات والطرق التربوية الامريكية المعاصرة تأثيرا عظيمـا^(١) .

ومع ان الامريكيين كانوا في مطلع حياتهم يتزرون الى حيـام جديدة ، ويحاولون القاء الماضي عن كواهـلهم الا انهم لم يستطـعوا ان ينفصلوا عن ماضـיהם الثقافـي وتاريخـهم الاوروبـي كل الانفصال . فقد انتقلـت معـهم الحركة الانسانـية Humanism والحركة السلفـية في الدين Puritanism وكانتـ عـاملـين مهمـين من عـوامل صوغ التقـالـيد الـامـريـكـية ؟ ونقلـوا نـظمـ التعليم ، وطفـقـوا يـقيـمـونـها في وطنـهم الجـديـد ويشـيـدونـه بها ، ويـستـقـيدـونـ منها ، ويـحـورـونـ فيها لـتلـائمـ ظـرـوفـهمـ الحـيـاتـيـةـ الجـديـدةـ ، ويـقـيمـونـ غيرـها ، فـتـعدـتـ صـورـها ، وـتـبـيـأـتـ اـهـدـافـها ، وـتـنـوـعـتـ مـراـحلـها لـاسـيـماـ نـظـامـ التعليمـ الثـانـوىـ ؟ كما نـقلـوا عـانـصـرـاـ ثـقـافـةـ وـالـحـضـارـةـ الاـورـوبـيـةـ ، فأـقـامـواـ عـلـىـ اـسـسـهاـ بـنـاءـ عمرـانـياـ وـصـنـاعـياـ وـتـجـارـياـ عـلـىـ جـانـبـ عـظـيمـ منـ الدـقةـ وـالـاـتقـانـ .

وقد ظـلـ نـظـامـ التعليمـ حتـىـ اوـاـخـرـ الـقـرـنـ الثـامـنـ عـشـرـ متـعـدـ الصـورـ وـالـاشـكـالـ ، واـخـذـ يـعـكـسـ فـيـ الـقـرـنـ التـاسـعـ عـشـرـ حـيـاةـ مجـتمـعـ زـرـاعـيـ بـسيـطـ . فـلـمـ حدـثـ تـبـدـلاتـ عـظـيمـةـ فـيـ الـحـيـاةـ الـاجـتمـاعـيـةـ الزـرـاعـيـةـ ، وـظـهـرـتـ مـدـنـيـةـ

صناعية ميكانيكية معقدة لم تكتيف السياسات التربوية والمناهج التعليمية ، كما يقول الاستاذ جورج كاوتس G. S., Counts هذه السياسات والمناهج تنطوى على أمور جمة هي من ذكريات مدنية سالفة^(٢) .

ولكن الامريكيين استطاعوا في فترة ليست بالطويلة ان يعمموا الفرص التعليمية بين مختلف طبقات الشعب ، وان يحلوا التعليم المجاني محل رفيعا في نظام التعليم ، وان يحسبوه ركنا من اركان النظام الديمقراطي . و « لقد حسب مشاهير مؤسسي الجمهورية الامريكية ان التعليم عامل ضروري من عوامل استقرار الامة ، وفي تحقيق مثلها العليا ، وفي قيام المجتمع بواجباته خير قيم . وقد بحثوا وهم في غمرة هذا الاعتقاد الشديد فائدته ، ووضعوا الخطط له ، وطالبوه بتأسيس معاهد ثقافية تتفق هي وظروف امريكا . واظهروا بعملهم هذا ادراكا عظيما للقوى التي يتطلبها تكوين مجتمع من المجتمعات ، والتي يحتاجها في تسيير شؤونه . وقد عملوا هذا وغير هذا ، وضرروا الى الاجيال القادمة كافحة مثلا رائعا ، وناشدوها ان تبذل جهودها المتواصلة في نشر التعليم على مقاييس واسع ، وعلى اسس سديدة في السياسة العامة ، واوضحوا ان التعليم يتطلب دائما وابدا اعلى مراتب الذكاء ، واحسن مراحل التفكير ، وانه شديد الصلة دائما بمستقبل الامة الثقافى^(٣) .

التعليم الابتدائي :

وكانت أول محاولة لنشر التعليم الابتدائي في الولايات المتحدة هي

-
- 2 - Counts, C. S., American Road to Culture, PP., 7,8
 - 3 - Educational Policies Commission, The Unique Functions of Education in American Democracy, P., 67, Washington, 1937

محاولة ولاية ماساجوست ° فقد شرعت هذه الولاية في أوائل سنة ١٦٤٢ وسنة ١٦٤٧ قوانين تطلب فيها ان تؤسس كل مدينة عدداً من المدارس لتدريس الأطفال القراءة والكتابة والدين والدستور ° غير ان تأسيس هذه المدارس خارج حدود ولايات « انكلترة الجديدة » لم يحدث الا في النصف الاول من القرن التاسع عشر حينما اخذ الرأي العام في كل ولاية يؤمن ان التعليم العام وظيفة من وظائف الولاية سنة بعد اخرى ° فقد سنت ولاية نيويورك سنة ١٨١٢ قانوناً بتأسيس المدارس ، وخلقت ولاية اوهايو سنة ١٨٢١ فرض ضرائب خاصة للتعليم ، وتبعتها ولاية الينوي سنة ١٨٢٥ ، وانديانا سنة ١٨٤٩ ، ثم الولايات الأمريكية الاخرى °

وفي اواخر القرن التاسع عشر اخذت بعض الولايات تشرع القوانين التي تلزم بموجبها الاطفال الالتحاق بالمدارس في سن معينة ° فكانت ولاية ماساجوست أول ولاية قامت بهذا العمل سنة ١٨٥٢ ، وتبعتها ولاية نيويورك سنة ١٨٥٣ ، وكانت ولاية ميسيسبي آخر ولاية ° فقد سنت قانون التعليم الازامي سنة ١٩١٨ ° ولم تشرع حكومة الاتحاد قانوناً تحدد به النهائين الصغرى والكبرى للتعليم الازامي العام ، بل تركت لكل ولاية حرية تحديد هاتين النهائيتين ° وكان من جراء ذلك ان اختلفت الولايات في تحديد سن الابتداء والاتمام ° ولكن الدراسة الابتدائية الازامية تبدأ عادة في السابعة من العمر (واحياناً في السادسة او الثامنة) وتنتهي في السادسة عشرة من العمر (وأحياناً الرابعة عشرة او الثامنة عشرة) ° يتضح من هذا ان الطفل يقضى عادة تسع سنوات في الدراسة الازامية : ٦ منها في مدرسة ابتدائية و ٣ في مدرسة متوسطة °

وفي كثير من الولايات تضم المدرسة الابتدائية الاطفال الذين تراوح اعمارهم بين الخامسة والرابعة عشرة من العمر ° ويلتحق كثير من الاطفال الذين هم دون الخامسة من العمر في رياض اطفال مجانية ° وقد تبدأ المدرسة

الابتدائية بالصف الاول وتنتهي بالصف السادس ، وهى خطة فى التنظيم
 جديدة ، او قد تكون من الصف الاول حتى الصف الثامن وهى خطة فى
 التعليم قديمة وشائعة فى القرى والارياف 。 والمدرسة الابتدائية مدرسة شعبية
 عامة يلحق بها الاطفال مهما كانت الفوارق الاجتماعية والطائفية والرسية
 الموجودة بينهم 。 ويصح هذا القول على الكثرة الغالبة من المدارس فقط 。
 فمدارس الولايات الجنوبية تقسم الى طائفتين : طائفة تغنى بتعليم « البيض »
 واخرى بتعليم « السود » 。 وللكلاثوليك مدارس خصوصية يلتتحق بها اطفالهم 。
 واذا كانت نسبة الاطفال الذين يتلذعون في مدارس خصوصية ابتدائية في
 الولايات المتحدة هي ١١٪ من مجموع الاطفال فانها تبلغ ٧٪ في انكلترة
 و ٢٠٪ في فرنسه ، وهي غير موجودة مطلقا في الاتحاد السوفياتي 。
 ولا تشدد الولايات المتحدة في تطبيق قانون التعليم الازامي مثلما تشدد
 انكلترة وفرنسا 。 وتقدر نسبة الذين لا يدخلون المدارس في انكلترة ١٪
 فقط من مجموع الاطفال الذين تراوح اعمارهم بين ٥ - ١٦ سنة ، بينما
 تبلغ هذه النسبة في الولايات المتحدة حسب احصاء سنة ١٩٤٠ قرابة ١٠٪
 من مجموع الاطفال 。 وهذا معناه ان مليوني طفل لا يشملهم التعليم الازامي 。
 وتبين الاحصائية نفسها ان عشرة ملايين شاب امريكي قد نالوا من التعليم
 قسطا ضئيلا بحيث يمكن احتسابهم في عدد الاميين ، وجلهم من زنوج
 امريكا 。

ومناهج الدراسة الابتدائية قد تكون قديمة او حديثة ، وقد تجمع
 اكثراها بين القديم والجديد في آن واحد 。 وتحتوى المناهج التقليدية على
 الموضوعات المعروفة الخاصة بتنمية المهارات وهي : القراءة والكتابة والحساب
 والأملاء والجغرافية والتاريخ والموسيقى والفنون 。 اما المناهج « الحديثة »
 فتعنى بتنشأة الطفل في التواهي العاطفية والاجتماعية والعقلية
 والجسمية 。

والمدرسة الامريكية العامة مدرسة دنيوية لا تعنى بتدريس المواضيع الدينية ، بل تعد التربية الدينية وظيفة من وظائف البيت . وهذا مما ادى بالكاثوليك ان ينصرفوا عن المدارس الحكومية العامة ، ويسوسوا مدارسهم الخصوصية . وتحتفل الولايات بعضها عن بعض في مدى عنایتها بالتربيه الدينية بينما يجعل بعضها قراءة الانجيل امرا الزاماً في مدارسها تحرمه الاخرى تحرى ما تاماً . وذلك فليس من المستغرب ان يصادف المرء قسماً كبيراً من الشباب الامريكي من لم تتح له دراسته فرصة قراءة الكتاب المقدس ! هذا من جهة ، اما من الجهة الثانية فان من احدى خصائص المدرسة الامريكية العامة اهتمامها بالطقوس والشعائر القومية وعنايتها بتدريس التربية الوطنية . ويعتقد المربون الانكليز ان امريكا تبز انكلترة في ذلك . وتهتم المدارس الامريكية « بالطريقة الامريكية في الحياة » وبالنظريات السياسية « غير الامريكية » او الدخيلة اهتماماً قد يؤدى في نظر بعض النقاد الى « تلقين » سياسي يتنافى وطبيعة الحركة الديمقراطية .

ويكون التعليم الابتدائي من نوعين : تعليم عام وتعليم خصوصي غير مجاني . وقد بلغ عدد تلاميذ المدارس الابتدائية العامة ١٩٤٠٤٦٩٣ تلميذاً حسب احصاء ١٩٤٩ - ١٩٥٠ ، وبلغ عددهم في المدارس الخصوصية ٩٨٨٦٨٠ ٢٧٠٧٧٧٧ تلميذاً في المدة نفسها . وتتضمن هذه الاحصائيات طفلاً في رياض اطفال عامة ، و١٨٢٠٠٠ طفلاً في رياض خصوصية . وفي الولايات المتحدة مدارس للحضانة يؤمنها الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين الستين والاربعة . وقد تأسست حديثاً ، وكانت الحرب العالمية الثانية عملاً من عوامل انتشارها . ويعد قانون لينهام لسنة ١٩٤٠ Lenham Act التي تأسست بموجبه ١٥٠٠ داراً للحضانة ضمت ٥٢٠٠ طفلاً من اهم الاسباب الذي ساعد على نموها .

التعليم الثانوى

المراحل التاريخية :

ينظر الى التعليم الثانوى فى الولايات المتحدة عادة من حيث هو جهد منظم يبذله المجتمع لتربيه المراهقين الذين تتراوح اعمارهم بين الثانية عشرة الى الثامنة عشرة ، واحيانا الى العشرين ، ويجرى فى مدرسة ثانوية عامة Public High School تتالف من مدرسة « متوسطة » وأخرى « اعدادية » ؟ ويختلف من ولاية الى أخرى ؟ وقد يمتد التعليم الثانوى ، فى بعض الولايات ، الى مرحلة ثالثة ، هي مرحلة الكليات المتوسطة Junior Colleges

ومع ان « المدرسة الثانوية العامة » هي تاج أمريكي خاص ، ولكن جذورها تمتد فى تربة أوروبية ، وتنطوى على « طرق وتقالييد » مقتبسة من نظم غربية ؟ فقد تطورت عن الاكاديمية Academy ؟ وهذه عن « المدرسة العلمية اللاتينية » Latin Grammar School . فلقد جلب المهاجرون الاولون الى العالم الجديد » كما يقول الاستاذان كروسبى شابمن وجورج كاوتس ، « معظم نظم التعليم الثانوى ومناهجه وطرائقه من العالم القديم ، كما جلبو عاداتهم وتقاليدهم وفنونهم » . وتأثرت المدارس الثانوية الامريكية ، بصورة خاصة ، بتقالييد المدارس الثانوية الانكليزية . فكانت خصوصية ، وكتنسية ، ومستقلة عن المدارس الابتدائية ، وللبنين دون البنات ، وتستوفى أجورا ؟ وكانت ، كما يقول الاستاذ برتون W. Burton ، غير نفعية وطبقية ولغوية .

١ - المدرسة العلمية اللاتينية :

تعد الفترة الواقعة بين سنة ١٦٣٥ الى سنة ١٧٥٠ اول مرحلة من مراحل تطور الدراسة الثانوية فى الولايات المتحدة ، فقد تأسست فى بدايتها (١٦٣٥)

اول مدرسة ثانوية في مدينة بوسطون ، وعرفت أولا « بالمدرسة العلمية الكلاسيكية اللاتينية » ، ثم « بالمدرسة العلمية اللاتينية » وبعدها « بالمدرسة العلمية » . وكانت مناهجها تتالف من اللغات اللاتينية واليونانية والإنكليزية والرياضيات ، وكانت مدة الدراسة فيها اربع سنوات فقط ، وتأسست في هذه الفترة كثير من المدارس العلمية ؟ ولما سنت ولاية ماشاجوست تشعريا خاصا بتنظيم التعليم الثانوى سنة ١٦٤٧ سارت اثرها كثير من الولايات ، وانتشرت المدارس انتشارا كثيرا . ولا يوجد من المدارس العلمية اللاتينية الا عدد قليل جدا في الوقت الحاضر ، منها المدرسة التي تأسست في مدينة بوسطن سنة ١٦٣٥ .

٢ - الأكاديمية :

ونشأت في المرحلة الثانية المدارس الثانوية المعروفة بالأكاديميات . وكان نشوئها أولا في القارة الأوروبية ، ثم في الولايات « انكلترة الجديدة » واسس بنجامين فرانكلن Franklin أول أكاديمية^(*) في مدينة فيلادلفيا سنة ١٧٥١ ، وانتشرت حركة تأسيس الأكاديميات في الولايات المتحدة ، فتأسست أكاديمية فيلبيس - آندوفر Philips-Andover المشهورة سنة ١٧٧٨ وحلت محل « المدارس العلمية اللاتينية » ، ومهدت السبيل لظهور المدرسة الثانوية العامة ، حتى لقد بلغ عددها ٦٠٠٠ مدرسة في سنة ١٨٥٠ تضم أكثر من ٢٦٣٠٠٠ طالبا وطالبة ، وبلغ عدد مدرسيها حوالي ١٢٠٠٠ مدرسا . وتطورت عن الأكاديميات كثير من المعاهد العامة ، كدور المعلمين ، وكليات المعلمين وبعض كليات الآداب^(٤) . وكانت أول مؤسسة ساهمت في حركة التعليم العالى للنساء .

^(*) وتطورت بعد ذلك الى جامعة بنسلفانيا .

4 - Edmonson & Others' The Administration of the Modern Secondary School, P., 7, New York, 1948

« وتحتفل الاكاديمية عن المدرسة العلمية اللاتينية في بعض الوجوه الاساسية : (١) فلم تكن مدرسة « اعدادية » تهوى الطلاب للالتحاق بالمعاهد العالية ، ولم تصل بها كل الاتصال و (٢) كان منهاجها يحتوى على موضوعات يسعين بها الطلاب في حياتهم اليومية بالإضافة إلى الرياضيات والعلوم واللغات الحديثة والتاريخ ، و (٣) كانت تقدم تعليما شاملا ، إلى الطلاب الذين أتموا دراستهم اللغة الانكليزية في المدرسة العامة . و (٤) كانت تعد طلابها إلى الحياة الحرة وتهيئهم إلى المهن الكثيرة و (٥) كانت متصلة بالمدارس العامة لا منفصلة عنها ، على خلاف المدرسة العلمية اللاتينية ، ومهدت السبيل لظهور المدرسة الثانوية العامة الحاضرة »^(٥) .

لقد كانت الاكاديميات تعيرا عن الفلسفة الواقعية في تربية الشباب وتطيقا لها ؛ وكانت نقطة تحول من المدارس الكلاسيكية التقليدية التي سيطرت عليها الكليات ، كما يقولون ، إلى المدارس الثانوية العامة التي عبرت عن رغبات الشعب الامريكي وحاجاته^(٦) . غير ان الاكاديمية لم تكن مجانية ، بل كانت خصوصية ، بل خاصة ، وتستوفى اجرورا لا يستطيع ان يدفعها اكثر افراد الشعب . وبتزايد الوعي الاجتماعي ، ظهرت حاجة الامريكيين الى مدرسة ثانوية تقدم فرضا تعليمية مجانية الى جميع الطلاب والطالبات . وهكذا انبثت فكرة التعليم الثانوي المجاني ، وتأسست في مدينة بوسطن سنة ١٨٢١ أول مدرسة ثانوية مجانية سميت « بالمدرسة الكلاسيكية الانكليزية » The English Classical School ثم « بالمدرسة الثانوية الانكليزية » ويلخص الاستاذ أدمونسون Edmonson خصائص هذه المدرسة بما يأتي :

(١) كانت عنايتها باللغة الانكليزية تفوق عنايتها بالدراسات الكلاسيكية ،

5 - Rivlin, Harry N., (Editor), Encyclopedia of Modern Education, P., 4 - 5, New York, 1943

6 - Ibid, P., 5

و (٢) كان هدفها اعداد الشباب لتعلم مهنة من المهن و (٣) مدة الدراسة فيها
ثلاث سنوات و (٤) للبنين دون البنات و (٥) كانت متصلة بالمدارس الابتدائية
العامة غير منفصلة عنها

مجانية التعليم الثانوى :

لم يتوصل الامريكيون الى اقرار مبدأ مجانية التعليم الثانوى الا بعد كفاح
طويل ؟ فلم تكن المدرسة الثانوية المجانية قسما من تراث امريكا الطبيعي
كالارض والغابات ، بل كانت مثلا أعلى استهدفوه وبلغوه بعد كفاح شاق
متواصل (٧) . ولم يخل تطبيقه من بعض المشاكل والصعوبات ، من ذلك ما حدث
في ولاية مشيغان حينما امتنع احد المواطنين في مدينة كalamazoo

أن يدفع لسلطات التعليم ضريبة خاصة بالتعليم الثانوى ، وقال :

« لا تستطيع اية سلطة حكومية ان تفرض ضرائب عامة تتفقها على تأسيس
مدارس ثانوية مجانية . ان تعليم اللغات الحديثة ودراسة الروائع الادبية
في هذه المدارس ليس تعليما عمليا مفيدا ، ولا هو تعليم ضروري ، ولا يفيد
سود الشعب ؟ بل هو تعليم تستفيد منه الاقلية الموسرة على حساب الاقلية
المعدمة من دافعى الضرائب . ينبغي ان ينفق على التعليم الثانوى اولئك الذين
يريدون الاستفادة منه . وليس من المصلحة ان يدخل فى نطاق الضرائب
العامة » . وكان ذلك تحديا صريحا ل المجانية التعليم الثانوى وهزة كبيرة .
وحينما احيلت الدعوى الى المحكمة العليا في ولاية مشيغان سنة ١٨٧٢ ردت
المحكمة الدعوى بما يأتى :

« ليس في سياسة ولايتنا ولا في دستورها ولا في قوانينها ، وهذا ما
اقتنعنا به ، ان تحصر مناطق ادارة المدارس تدريسها في تلك الموضوعات

7 - Edmonson, J. B., Bacon, Francis, L., The Administration of the Modern Secondary School, P., 3
(3 d Edition), 1948

التي يراد من رجال التعليم ان يقوموا بتدريسيها ، ولا تقتصر على مرحلة معينة من مراحل الدراسة اذا ما وافق الناخبون في تلك المناطق على تحمل نفقاتها وجباية الضرائب من أجلها ٠

وقد كان لقرار المحكمة العليا صدى استحسان عظيم في نفوس المربين ، وترك أثراً كبيراً في جميع الولايات الواقعة في وسط القارة الأمريكية وغربها؛ وقبل الشعب الأمريكي منذ ذلك الحين مبدأ مجانية التعليم الثانوي ، وكان حجر الأساس الذي قامت عليه حركة المدرسة الثانوية المجانية كما يقول الاستاذ كبرلى E. P. Cubberley ، بل كان نقطة تحول في تاريخ التعليم الثانوي ، واحد الناس منذ ذلك الحين يتنافسون في تأسيس المدارس الثانوية ويماخرون بها ٨ .

٣ - المدرسة الثانوية العامة :

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة تأسيس المدارس الثانوية العامة المجانية ؟ ففي هذه المرحلة التي ابتدأت في مطلع القرن العشرين أخذت المدرسة الثانوية تسير في اتجاه جديد ؟ وأخذت اللجان القومية تعنى بدراسة مشاكلها واعادة تنظيمها ، وتعين صلتها بالكليات والمعاهد العالية ، وتحدد وظائفها واهدافها . ومع ان التعليم في الولايات المتحدة هو وظيفة من وظائف كل « ولاية » إلا انه قد تأثر لدرجة كبيرة ، ولا سيما في ميدان التعليم الثانوي ، بالتقارير التي وضعتها بعض اللجان القومية المعروفة التي تمثل هيئات تعليمية ذات صلة وثيقة بمهمة التعليم . وإذا كانت توصياتها لم تكتسب تأييداً كلياً من الجهات المسئولة فإن عدداً منها ولا شئ قد أثر تأثيراً عظيماً في نشوء المدرسة الثانوية . وقد قامت « رابطة التربية القومية » National Education Association

بقطط كبير جدا في بحث قضايا التعليم الثانوى . ففي سنة ١٨٩٢ عينت لجنة قوامها عشرة اشخاص لدراسة مناهج المدارس الثانوية ، وخاصة دراسة مشكلة علاقة الكليات بالمدارس الثانوية . فوضعت اللجنة التى سميت « بلجنة العشرة » Committee of Ten تقريرا ذكرت فيه ان المدرسة الثانوية ليست مؤسسة اعدادية ، ولا ينبغي ان تكون كذلك ما دامت اكثريه طلابها لا تروم الالتحاق بالكليات ؟ اما الطلاب الذين يودون متابعة سيرهم فى معاهد عاليه فينبغي ان ينالوا مثل هذا الاعداد . واقتصرت ان تصنف الموضوعات على هذا الاساس . وقد دافع التقرير عن نظرية انتقال التدريب القديمة ، وطالب ان تقدم الرياضيات و دروس الآداب موضوعات تساعده على مثل هذا « التدريب » الى جميع الطلاب ، سواء ا كانوا يريدون مواصلة دراساتهم فى معاهد عاليه أم لا .

وفي سنة ١٨٩٩ ألغت لجنة أخرى سميت « بلجنة الثلاثة عشرة » Committee of Thirteen عهد اليها اقتراح الوسائل التي ينبغي ان تتبع فى تنفيذ مقررات « لجنة العشرة » . فأوصت اللجنة ان ينص على عدد الموضوعات « الاعدادية » التي تخول الطالب الالتحاق بالمعاهد العالية ، وان تكون بعض الموضوعات من « المختارات » electives وبعضها من الثوابت Constants ، وان تعين مفردات كل موضوع مقرر فى حدود « الوحدات » Units التدريسية ، وان تزداد العناية بالوظيفة الاعدادية وان تكون هدفا من اهدافها الاساسية .

وفي سنة ١٩١٢ عينت « رابطة التربية القومية N. E. A. لجنة لبحث مشاكل الدراسة الثانوية . وقد انشئت هذه اللجنة عن « لجنة اتصال المدرسة الثانوية بالكلية » (*) . ومما جاء في تقريرها الذى اتمته فى السنة نفسها انه

* Committee on the Articulation of High School and College.

ينبغي على الكليات ان تعيد النظر في شروط القبول حتى تستطيع المدرسة الثانوية ان تكيف نفسها الى حاجات الطلاب وتؤدي واجبها نحوهم ، وفي الوقت نفسه يبقى الباب مفتوحا امامهم لمواصلة دراستهم العالية 。 وعلى اثر هذا افت « رابطة التربية القومية » لجنة لدراسة « تجديد تنظيم التعليم الثانوى »(*) . وكانت جهود هذه اللجنة في دراسة مشاكل التعليم الثانوى عظيمة جدا ؟ ووضعت تقارير عددة ، منها التقرير الذى سمي بـ « المبادىء الأساسية للتعليم الثانوى » . وقد طبع هذا التقرير سنة ١٩١٨ ؟ فأوضح اهداف التعليم الثانوى ، وقدم خلاصة عن المبادىء التى استند اليها في تنظيمه ، وهى :

« وعليه نوصى بتجديد نظام التعليم بحيث تخصص السنوات الست الاولى للتعليم الابتدائى ليسد حاجات الطلاب الذين تراوح اعمارهم بين ١٢-٦ سنة تقريبا ، وان تخصص السنوات الست الثانية للتعليم الثانوى ليسد حاجات الطلاب الذين تراوح اعمارهم بين ١٢ - ١٨ سنة تقريبا . ونوصى ان تقبل المدارس الثانوية جميع الطلاب الناجحين ، وتعدهم منهجا يتاسب وقدراتهم ، بحيث تكون الفوائد التى ينالونها من المدرسة الثانوية اعظم من التي يحصلون عليها فى المدرسة الابتدائية .

« وترى هذه اللجنة وجوب اعادة تنظيم التعليم بحيث يشجع كل طالب سوى وطالبة على ان يدرس حتى يبلغ الثامنة عشرة دراسة تستغرق جل وقته او جزءا منه »^(٩) .

* Commission on the Reorganisation of Secondary Education

9 - Cardinal Principles of Secondary Education, P., 18 - 19

لدراسة هذه المبادىء دراسة مفصلة راجع صفحه ١٥٠ - ١٥٢ من كتاب « اصول التربية الثانوية » للمؤلف .

وقد تمت أول دراسة شاملة للمدارس الثانوية سنة ١٩٢٩ حينما أصدر الكونغرس الامريكي في شهر شباط من السنة نفسها قانوناً لهذا الغرض خول فيه «مكتب التعليم» في واشنطن القيام بدراسة موضوع «تجديد المدارس الثانوية وادارتها ، ونفقتها واعمالها واتصالها بالتعليمين الابتدائي والعلمي » على ان تم هذه الدراسة في غضون ثلاث سنوات . وتألفت لجنة لهذا الغرض برئاسة وليم جون كوبير Copper قومسيير شئون التربية والتعليم في حكومة الاتحاد ، كان من اعضائها الاستاذ ليونارد كوس V. Koos استاذ التعليم الثانوي في جامعة شيكاغو ، يساعدته في ذلك الاستاذ كارل جيسن Jessen مستشار التعليم الثانوي في «مكتب التعليم» بوشنطن . كما تألفت لجنة استشارية أخرى قوامها تسعة أشخاص سميت « بمجلس المستشارين » ، كان من اعضائها كبرلى ، وشارلز جد ، وجون نورتون ، ووليم رسل (عميد كلية المعلمين بجامعة كولومبيا) . وتألفت لجان فرعية أخرى كانت مهمتها استشارية . وقد استهدفت هذه الدراسة بحث اربعة امور اساسية : (١) تجديد تنظيم المدارس الثانوية واعادة النظر في واجبات «النواحي» Districts العديدة التي تولى ادارة التعليم في القرى والارياف ، و (٢) بحث مشاكل طلاب المدارس الثانوية وطالباتها و (٣) درس المشاكل الادارية والتفيشية وقضايا المالك والفاعليات المدرسية و (٤) بحث المناهج الدراسية وما يتعلق بها من مشاكل . وقد وضعت اللجنة ، بعد ان اتمت عملها ، ٢٨ كراساً ، كل كراس يتناول مشكلة معينة (*) .

لقد اخذت حركة تجديد المدارس الثانوية تزداد وتقوى سنة بعد أخرى ، وقامت اللجان المذكورة بقسط كبير في تدعيمها ، وتحديد اهدافها وادخال

(*) تعرف هذه الدراسة بـ « نشرة مكتب التعليم للولايات المتحدة الامريكية لسنة ١٩٣٢ رقم ١٧ » .

طرق تدريسية جديدة فيها ، وتوسيع مناهجها . وقد تميزت الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين (١٩١٤ - ١٩٤٥) باصلاحات كثيرة ، كان من اهمها تنظيم الدراسة الثانوية وفق خطة جديدة ، ونشوء « المدرسة المتوسطة » . وكانت « رابطة التربية القومية » ، كعادتها ، من انشط الجمعيات . وقد وضعت « لجنة السياسات التربوية Educational Policies Commission» المنبثقة عن هذه الرابطة عدة تقارير تناولت مختلف المسائل التربوية ، اهمها : التقرير (*) المسمى بـ « تعليم الشباب الامريكي كافة » لسنة ١٩٤٤ ، والقرير المسمى : « التعليم للشباب الامريكي كافة » الذى يعد متمماً للتقرير الاول . وفي سنة ١٩٤٥ وضع لفيف من اساتذة جامعة شيكاغو تقريراً مهما تناول مشكلة التعليم العام فى مرحلتي الدراسة الثانوية والعلية سمي بـ « التعليم العام فى مجتمع حر » (**).

ولم ينحصر اهتمام هذه التقارير فى تنظيم علاقه المدرسة الثانوية بالمعاهد العالية ، ولا فى تنظيمها وتنويع مناهجها حسب بل اهتمت ، كما اهتم غيرها ، بتوضيح اهداف الدراسة الثانوية . فوضعت لجنة دراسة التعليم سبعة اهداف تربوية عرفت فيما بعد « بالمبادئ السبعة الاساسية للتعليم » وهى : (١) الصحة و (٢) اتقان المواضيع الاساسية و (٣) العضوية النافعة فى الاسرة و (٤) المواطنة و (٦) الاستفادة الحسنة من اوقات الفراغ و (٧) الخلق القوي . ومع ان تقرير المبادئ السبعة الاساسية قد راعى مصلحة الفرد والمجتمع معا الا ان « لجنة تقرير الاهداف الاجتماعية والاقتصادية لامريكا » التى

(*) لدراسة التقرير دراسة مفصلة راجع صفحة ١٥٤ - ١٥٦ من كتاب « اصول التربية الثانوية » للمؤلف .

(**) يرجى مراجعة صفحة ١٥٦ - ١٥٩ من كتاب « اصول التربية الثانوية » للمؤلف للوقوف على خلاصة التقرير .

الفتها « رابطة التربية القومية » نفسها^(١٠) حاولت ان يضع خطة سلية تستند الى ادراك صحيح لاهداف المجتمع الامريكي نفسه . اذا ان تحديد الاهداف عمل اجتماعي لا فردي ، ويحتاج الى جهود موحدة لا مبعثرة . وقد استطاعت اللجنة ان تضع عشرة اهداف وهي :

- (١) قوة ورائية (٢) سلامة بدنية (٣) المشاركة في ثقافة متقدمة نامية عن طريق المهن والمهارات والفنون (٤) المشاركة في ثقافة متقدمة عن طريق القيم والمعايير والمفاهيم (٥) شخصية فعالة مرنة (٦) مهنة مناسبة (٧) سلامة اقتصادية (٨) سلامة عقلية (٩) الحرية (١٠) الانصاف .

ومن التقارير الاخرى التي تناولت دراسة اهداف التعليم بصورة مفصلة التقرير الذي وضعته « لجنة السياسات التربوية » سنة ١٩٣٧ المنبثقة من « رابطة التربية القومية » ايضاً وسمته « اغراض التربية في الديمقراطية الامريكية »^(١١) وقد أقرت اللجنة اربعة اهداف تربوية تتصل بـ (١) ادراك النفس و (٢) العلاقات الانسانية و (٣) الكفاءة الاقتصادية و (٤) المسئوليات المدنية . وقد لاقى التقرير ، كما لاقت تقارير اخرى كثيرة ، اهتماماً كبيراً من المختصين بشؤون التربية والتعليم . فقد حاول ان يشرح الامور التي ينبغي ان تقوم بها الولايات المتحدة ، وان يذكر بعض الامور التي لابد من انجازها عند صوغ هذه الاهداف . « وتناول الفصول الاولى من التقرير بعض الاراء الخاصة ب العلاقة التربية بالديمقراطية . فالتربيـة يعنيها ان تعرف نوع المجتمع الذى يود ان يعيش فيه الافراد . ان الديمقراطية فى الحياة تقرر غرض التربية الامريكية ، وتتزاوجها قوى داخلية وخارجية . وقد تستطيع هذه القوى

10 - Social - Economic Goals of America, Washington,
National Education Association

11 - Purposes of Education in American Democracy,
Educational Policies Commission 1934

ان تزعزع أحياناً الطريقة الديمقراتية في الحياة . ان هذه الحقائق المرة تجعل تحقيق الديمقراتية بالأساليب التربوية اهم مشكلة تواجه مهنة التعليم ، وتنطلب حل سريعاً » .

ومن الجمعيات التربوية التي تقوم بدراسة التعليم ، وخاصة التعليم الثانوي، «رابطة التربية الحديثة» Progressive Education Association التي يرجع تاريخ تأسيسها الى سنة ١٩١٩ . وقد وضعت هذه «الرابطة» سبعة مبادئ تربوية كانت باعثاً على اجراء كثير من التبدلات التي طرأت على عدد من المدارس الثانوية ، وسبيلاً في تحويل الاساليب التربوية فيها وهي : (١) ضمان تقويم الطفل تقويمياً طبيعياً حراً و (٢) السولع هو الباعث على العمل و (٣) المدرس مرشد و (٤) دراسة تكوين الطالب دراسة علمية و (٥) زيادة الاهتمام بكل ما يؤثر في تكوين الطفل الجسمى و (٦) التعاون بين المدرسة والبيت استجابة لحاجات الطفل الحياتية و (٧) المدرسة رائدة من رواد الحركة التربوية . ومن الدراسات المهمة التي قامت بها «الرابطة» في حقل التعليم الثانوى دراسة مناهج الدراسة الثانوية(*) ، والفلسفات التربوية .

وفي سنة ١٩٣٧ نشرت لجنة «ادارة مديرى التعليم الثانوى» التابعة لرابطة التربية القومية تقريراً شاملاً عن وظائف التعليم الثانوى ، وأقررت عشر وظائف اساسية . وقد شرحت كل وظيفة منها شرعاً وافياً والحقت بتوصيات خاصة (١٢) . وقبل ان تدرس اللجنة وظائف التعليم الثانوى درست

* Commission on Secondary School Curriculum, Progressive Education Association, Reorganising Secondary Education 1939.

12 - Committee on Orientation, Functions of Secondary Education, N. E. A., 1939

سلسلة من مشاكل التعليم الثانوى (١٣) . وقد اشترك فى وضع التوصيات
التي توصلت اليها هذه اللجنة فى هذين التقريرين أكثر من ثمانين رجل
ادارى ، واشخاص آخرين . وبعد نشر هذين التقريرين تألفت حلقات عدة
من رجال الادارة لدراسة مشاكل التعليم الثانوى (١٤) فى مدارسهم ، واجراء
الاصلاحات الضرورية فى ضوء هذه المبادئ العامة والتجارب الشخصية .
اما الوظائف العشر فهى : (١) الانسجام (٢) وتطمين الحاجات و (٣) كشف
التراث الرسى و (٤) استكشاف الاولاع والقدرات والقابليات (٥) وتنظيم
المعرفة وتطبيقها و (٦) تكوين الاولاع وتوجيهها و (٧) الارشاد و (٨) ضرورة
الاستقلال فى التفكير والحصول على مبادئ اساسية فى البحث فى طرق التعلم
والتعليم و (٩) التوقيع و (١٠) الاحتفاظ بالطلبة وتوجيههم (١٥)

ان الدور المهم الذى اخذت تقوم به المدارس الثانوية فى الحياة الامريكية ، وملاءين الطلاب الذين تضمهم بين جدرانها ، والبالغ الطائلة الى تتفق عليها أوجبت توضيح اهدافها وتعيين وظائفها . وبعد ان كان عددهم ٣٥٠٠٠ طالبا وطالبة اصبح اليوم ٧٢٥٠٠٠ و يؤلفون ٠٧٥ / ٠ من مجموع المراهقين الذين فى سن الدراسة الثانوية ، وتضمهم ١٥٥٠ مدرسة واكثر ، ويقوم بتعليمهم ٤٠٠٠ مدرس و مدرسة ، ويفقد الشعب الامريكي على تعليمهم سنويا نحوا من بليون دولار فى السنة . ويواصل ربع عدد المتخرين منهم تقريبا دراساتهم العالية .

13 - Committee on Orientation, Issues of Secondary Education, 1939

14 - Committee on Planning, Talking it Through, N.E.
A., 1938

^{١٥} راجع كتاب أدمونسون ورفاقه صفحة ٣٩ - ٤٢ للتوضيح في

شرح الوظائف

وعلى المربين الذين يشرفون على ادارة المدارس الثانوية ان يستنيروا بفكرة واضحة عن الاهداف والوظائف الحقيقة التي تتوخاها من تربية الطلاب من جهة ومن بناء المجتمع من جهة ثانية ؟ وعلى المدرسة الثانوية ان تقدم الى الطلاب تلك الخبرات والمعارف التي تساعدهم على أن يتشاروا نشأة صحيحة في سنوات المراهقة من حيث هم افراد ، وفي سنوات الشباب من حيث هم مواطنون . ولا تتحقق هذه الاهداف ولا تلك الوظائف الا اذا ادرك المسؤولون وعرفوا ما وسعهم ذلك ، حاجات الطلاب العاجلة منها والاجلة ، والا اذا حولت هذه الحاجات الى اهداف عامة ووظائف خاصة ، والا اذا وجه المنهج الدراسي للبلوغ هذه الاهداف وانجاز هذه الوظائف . وحينما تصل المدرسة الثانوية الى اعلى مراحل تنشئة الطلاب وتكون لهم فانها تساهم في رفاه المجتمع وتقدمه وذلك بتحسين نوعية المشاركة في الفعاليات الاجتماعية (١٦) .

المدرسة المتوسطة :

ليست حركة « المدرسة المتوسطة » جديدة بل يرجع تاريخها الى مطلع هذا القرن . وجاءت اثر انصراف الجهد الى تجديد نظام التعليم . فقد وجد ان مدة الدراسة الابتدائية طويلة وان مدة الدراسة الثانوية قصيرة وان تنظيم هاتين المدتتين امر لا بد منه . وكان اول من بعث فكرة حركة المدرسة المتوسطة هو الاستاذ شارلز ايليوت Charles Illiot رئيس جامعة هارفارد في خطابه الذى القاه فى « رابطة التربية القومية » . فقد اوضح الرئيس ان (١) معدل سن الدراسة فى الكليات آخذ بالارتفاع سنة بعد اخرى وان (٢) مدة الدراسة الاختصاصية التى تلى دراسة الليسانس قد امتدت وطالت واصبحت ثلاث او اربع سنوات وانه (٣) يستحسن ضغط الدروس بعضها في بعض للارتفاع بالوقت الفاقد وتحسين كفاءة المدرسين بالتحفيض من اعبائهم الجامعية .

(١٦) المصدر السابق نفسه صفحة ٢٦ .

وذكر ان طريقة توفير الوقت وزيادة كفاءة الاساتذة تتلخص بما يأتى :-

(١) تحسين ملاك المدارس بزيادة رواتب المدرسين و (٢) وزيادة نسبة المدرسين من الرجال في المدارس و (٣) اتصال مناهج الدراسة بالحياة وجعلها مفيدة و (٤) الاقلال من عدد المراجعات و (٥) تهيئة الوسائل التي تساعد الطالب على النجاح سنة بعد أخرى بصورة طبيعية و (٦) تمديد اليوم المدرسي والسنة الدراسية .

وكان هذا الخطاب الذي اشار فيه الى بعض نواصص تنظيم الدراستين الابتدائية والثانوية بداية حركة اصلاحية في التربية الامريكية . ففي جامعة مشيغان اوصت لجنة مجلس الاساتذة سنة ١٩١٣ بعد موافقة الجامعة ما يأتى :

أ - توصي سلطات التعليم المختلفة الحق الصيف السابع والثامن الابتدائي بالمدرسة الثانوية لتصبح مدة الدراسة فيها ٦ سنوات .

ب - وتقسيمها الى مرحلتين : مرحلة متوسطة Junior وطولها ثلاث سنوات ومرحلة اعدادية Senior وطولها ثلاث سنوات ايضا ، حيثما تكون الظروف مواتية .

وتقبلت سلطات التعليم هاتين التوصيتين قولا حسنا لانها ارادت ان تضع مناهج دراسية جديدة ومتعددة لطلبة الصفوف السابعة والثامنة . ولانها ارتأت أن توصل الفجوة الموجودة بين المدرسة الابتدائية والثانوية بمدرسة متوسطة . وتعرف المدرسة المتوسطة بانها وحدة من نظام التعليم العام ؟ تتالف عادة من الصف السابع والثامن والتاسع وتكون في تنظيمها وادارتها وحدة منفصلة من نظام التعليم ، ويدبرها مدير خاص ويدرس فيها مدرسون خاصون ، وتميز بمرؤنة في انتقال الطالب من صف الى آخر وباكتشافها قابليات الطلاب وميولهم ، وبسعها الى معرفة الفروق الفردية بينهم . على ان تكون

(المختارات) محدودة كلما قربت مرحلتها الخاتمة^(١٧).

وتتجه أكثر المدارس اليوم إلى اتباع الخطة الجديدة وهي :-

اولا - دراسة ابتدائية طولها ٦ سنوات ، تعقبها دراسة ثانوية مدتها ٦ سنوات ايضا ؛ على ان ت分成 الاخرية الى مرحلتين متساويتين : مرحلة متوسطة طولها ثلاث سنوات ومرحلة اعدادية وطولها ثلاث سنوات ايضا . ويسمى هذا النوع من التنظيم بخطة ٣-٣-٦ .

ثانيا - دراسة ابتدائية طولها ٦ سنوات . تعقبها دراسة ثانوية مدتها ٦ سنوات وتليها دراسة طولها ستة يقضيها الطالب في كلية متوسطة . ويسمى هذا النوع من التنظيم بخطة ٢-٦-٦ .

ثالثا - دراسة ابتدائية مدتها ٤ سنوات تليها دراسة متوسطة طولها ٤ سنوات ، تعقبها دراسة أخرى طولها ٤ سنوات ايضا ، يقضيها الطالب في مدرسة ثانوية عالية او اعدادية Senior High School . ويعرف هذا النوع من التنظيم بخطة ٤-٤-٦ .

وتعد المدرسة المتوسطة مرحلة « التوسيع النفسي » Psychological Differentiation ؟ وتراعي مناهجها قدرات الطلاب وميلهم وحاجاتهم . وت تكون من مجموعة مشتركة وهي : اللغة الانكليزية والرياضيات والتاريخ والدروس المدنية ، ومجموعة اختيارية واسعة جدا . وينتقل الطالب بعد نجاحه من مرحلة الدراسة المتوسطة الى المدرسة الاعدادية دون امتحان .

نفقات التعليم العام :

تسوفى نفقات التعليم العام في الولايات المتحدة من الصنائب العامة ،

17 - Edmonson, J. B., and others, the Administration of the Modern Secondary School, P., 13., New York, 1948

وستوفى نفقات التعليم الخاص من مصادر خاصة . وقد تقوم الحكومة بتقديم مساعدات مالية الى المدارس الخصوصية ولكنها لا تفعل ذلك الا على اسس معينة . ولا يتحقق بالمدارس الخصوصية المذهبية وغير المذهبية الا ١١٠ / ٥٠ من مجموع الاطفال الذين هم في سن التعليم الالزامي . وتدبر ٩٥ / ٥٠ من المدارس الخصوصية تقريرا الكنيسة الرومانية الكاثوليكية .

ولا تشرف الدولة عادة على المدارس الخصوصية في الولايات المتحدة سواء اكانت ابتدائية أم ثانوية أم عالية ، ولكنها تضع الشروط التي يتم بموجبها تأسيس مثل هذه المدارس . « وفي عدد من الولايات القديمة تمنع المدارس الطائفية بين حين وآخر مساعدات مالية . غير ان اكثر دساتير الولايات تمنع ارصاد مبالغ من الميزانية لاغراض طائفية . وحين لا يصبح الغرض من تأسيس المدارس الطائفية وغيرها من المدارس الخصوصية ماديا تستثنى عادة من رسوم الضرائب » (١٨) .

وتجبى نفقات المدارس العامة سنويًا من ضريبة الاملاك التي تضعها سلطات التعليم المحلية المختلفة ، ومن حكومة الولاية ، وحكومة الاتحاد . ففي سنة ١٩٤٨ - ١٩٤٩ بلغ ما انفقته الاولى ٥٩ / ٠٠ ، والثانية ٣٩ / ٠٠ والثالثة ٢٠ / ٠٠ من نفقات التعليم العام كلها . ولما كانت الولايات تختلف في امكانياتها الاقتصادية ، وتختلف كل منطقة عن الاخري في داخل كل ولاية ، وحيث ان نسبة زيادة الولادات في المناطق الفقيرة هي اكبر عادة من المناطق الغنية تفاوتت الولايات في فرصها التربوية ، واصبح قسم منها يقدم للأطفال تعليمًا جيدا والآخر رخيصا . ولاجل المساعدة في تخفيف هذه الفوارق وتحقيق

18 - American Council of Education, (Mary Irwin, Editor) American Universities and Colleges, P., 7, Sixth Edition, 1952

فرص تعليمية متساوية نوعاً ما لسكان الولايات المتحدة اخذت حكومة الاتحاد ترصد في ميزانيتها اعتمادات بل مساعدات خاصة إلى الولايات الفقيرة تنفقها على شؤون التعليم العام . لقد بلغت نفقات التعليم الابتدائي والثانوي العام ١٩٤٨ ١٧٦٠٢٣١١٢٦٠٤ دولار في السنة المالية المنتهية في ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ . وبلغت نفقات التعليم العالي الذي ارصدهته الولايات للسنة نفسها في ميزانيتها ١٣٤٩٨٩٠٠٠ دولار ؟ وبلغت نفقات التعليم الخاص ٦٥٤١٠٠٥٤ دولار .

التعليم الفني والمهني

يرجع اهتمام الولايات المتحدة بشؤون التعليم الفني والمهني إلى عهد قريب جداً . ومع أن عدداً من المدارس الفنية والمهنية كانت قد تأسست في القرن التاسع عشر إلا أن الحاجة إلى إناس مدربياً تدرّيّياً فجأة لم تظهر إلا في أوائل القرن العشرين حينما اخذت حركة التصنيع تتشّعب وازداد الاتساع والاستهلاك معاً .

وكان حركة التصنيع في الفترة الواقعة بين تاريخ تأسيس الجمهورية وسنة ١٨٦٠ تسيراً بطيئاً، ولم تترك في اقتصاديات البلاد إلا اثراً ضئيلاً . ولكن الفترة المتقدمة بين سنة ١٨٦٠ إلى ١٨٩٠ امتازت بانقلاب عظيم، وحدثت تبدلاً أساسياً في حياة الشعب الأمريكي . وتمر الولايات المتحدة اليوم في أعلى مرحلة من مراحل تقدمها الصناعي ، وتعنى في شؤون التعليم الفني عناءً بالغة جداً .

وحيث أن الصناعة الأمريكية قد تأثرت في أوائل نهضتها وتنظيمها بالصناعة الروسية فقد قام بعض الأفراد وقامت بعض السلطات الحكومية بتأسيس مدارس فنية كثيرة لاسيما في الفترة الواقعة بين ١٨٩٠ - ١٨٨٠ .

على غرار المدارس الروسية^(*) . وكان لقانون موريل Morril الذي صدر في سنة ١٨٦٢ تأثير عظيم في تعضيد حركة التعليم الفني والمهني ؟ فانتشرت في القرن التاسع عشر الكليات التجارية انتشاراً كبيراً ، وبلغ عدد طلابها حوالي ١٠٠٠٠٠ طالب وطالبة ، ولكنها لم تكن في مستوى تعليمي جيد .

ونشطت الولايات المتحدة الأمريكية المختلفة ومجالس البلديات الواقعة في المدن الكبيرة في نشر التعليم الفني ، وتأسست معاهد فنية لنشر هذا النوع من التعليم . وكانت ولاية ميشيغان (١٩٠١) أول ولاية وجهت عناتها إليه ، ثم تتها ولاية يينوي (١٩٠٣) . وفي طيس الحرب العالمية الأولى الفت حكومة الاتحاد لجنة لدراسة حالة التعليم الفني ، وقد وضعت هذه اللجنة تقريرها واظهرت أن البلاد تفتقر إلى التعليم المهني افتقاراً شديداً ، وأنه يُولَف مشكلة كبيرة تتطلب جهوداً قومية عامة لا محلية ، وأن الفقر بعض الولايات يحول دون حل هذه المشكلة ، وأن على الحكومة أن تقوم بالإجراءات المناسبة لتذليل هذه العقبة وحل هذه المشكلة ، وأن تحول السكان آخذ بالإزدياد لتحسين وسائل المواصلات ، وأن اعداد العلميين اعداداً مهنياً يتطلب نفقات باهضة ، وأنهم يتحولون من ولاية إلى أخرى^(١٩) . ولهذه الأسباب مجتمعة أصدر الكونغرس الأمريكي قانون سميث وهیوز لسنة ١٩١٧ Smith & Hughes ؟ وقد تألف بموجبه مجلس اتحادي للإشراف على شؤون التعليم المهني والفنى ، وصنفت المساعدات المالية التي

(*) أسس جماعة من اصحاب معامل النسيج في ولاية فيلادلفيا سنة ١٨٨٣ «معهد فيلادلفيا لصناعة النسيج» Philadelphia Textile Institute بعد أن أحسوا أن أمريكا تعتمد في استخدام عمالها الفنانين على أوروبا . ولم يزل هذا المعهد قائماً حتى يومنا هذا ، ويتحقق به عدد من الطلبة الأجانب . ويضم (احصاء ١٩٥٢) ٣٦ طالباً يمثلون ١٨ قطرة .

تدفعها حكومة الاتحاد وغيرها من السلطات الأخرى إلى اقسام ثلاثة :
 (أ) قسم يخصص إلى التعليم الزراعي و (ب) ثان إلى التعليم التجارى والصناعى
 لإتذليل المنزل و (ب) ثالث إلى اعداد المعلمين الذين يتولون تدريس المواضيع
 المهنية . وقد بلغت هذه المساعدات في سنة ١٩١٧ - ١٩١٨ نحو من
 ١٥٨٠٠٠٠٠ دولار ، ثم زيدت سنة ١٩٢٥ حتى بلغ ما خصص للتعليم
 الزراعي وحده ثلاثة ملايين دولار في السنة ، وللتعلمين التجارى والصناعى
 ثلاثة ملايين آخرى ، ولإعداد المعلمين مليون دولار ، وللبحوث الفنية
 ٢٠٠٠٠٠ دولار(*) . وفي سنة ١٩٣٤ بلغ عدد طلاب المدارس المهنية
 حوالي ١١٠٠٠٠٠ طالب وطالبة يتلقون دراساتهم في مدارس ثانوية شاملة .

وقد تجلت مشكلة التعليم الفني ابان الحرب العالمية الثانية ؟ فسارع
 الكونغرس الامريكي وارصد ١٥٠٠٠٠٠ دولاراً لانفاقها على شؤون
 التعليم المهني التي تتصل بمقتضيات الدفاع الوطنى اتصالاً مباشراً ؟ بلغ
 مجموع ما أرصد من اعتمادات في الفترة الواقعة بين ١٩٤٠ - ١٩٤٥ حوالي
 ٣٢٧ مليون دولار للتعليم الصناعي والتجارى ، و٦٣ مليون للتعليم الزراعي .
 ويقدر عدد الشبان الذين انتفعوا بهذه الانواع من التعليم طوال المدة المذكورة
 بـ ١١٥٠٠٠٠٠ شاباً وشابة .

ويجري التعليم المهني والفنى في مستويات مختلفة : فمنه ما يجرى في
 مستوى الدراسة الجامعية وهو ما اشرنا اليه ، وما مستتكلم عنه بتفصيل عند
 التطرق الى التعليم المهني (العالى) ، ومنه ما يجرى في معاهد ترقى الى مستوى

(*) كان عدد المدارس التي تساعدها حكومة الاتحاد سنة ١٩١٨ حوالي ١٧٤١ مدرسة يتلقى العلم فيها قرابة ١٦٤٨٦ طالباً وطالبة . وفي سنة ١٩٢١ ارتفع هذا الرقم حتى صار ٣٨٥٩ مدرسة تضم ٣٠٥٢٤ طالباً وطالبة . وفي سنة ١٩٣١ شرعت ٣١ ولاية من الولايات جمهورية امريكا قوانين الزمت فيها الطلبة الذين تتراوح اعمارهم بين ١٤ - ١٦ (أو ١٨) بالالتحاق في صفوف فنية يمضون فيها بعض الوقت .

الدراسة الثانوية أو يزيد ، ومنه ما يجرى في مدارس مسائية وصفوف تكميلية ، ومنه ما يجرى في مدارس ثانوية شاملة . وتنصل بالتعليم المهني تلك « الدراسات التكميلية Continuation Courses » التي ظهرت وانتشرت في أوروبا ، وانتقلت منها إلى أمريكا ، فساهمت في تكوينها وتنظيمها ، كما تنصل به تلك « الصنفوف المسائية » التي يلتحق بها الشباب في أوقات الفراغ أحياناً . إن هذه العناية بالتعليم المهني لم تستلزم ماسترزات المواطن الأمريكية . « فإذا أراد فرداً أن يبرر عضويته في المجتمع الأمريكي فعليه أن يؤدي عملاً من الأعمال ، وأن يسدى خدمة من الخدمات . إن التعليم من أجل عمل غائي قد أقره الكونغرس الأمريكي بصورة قانونية من حيث هو هدف من أهداف الأمة » (*) .

وتقديم حكومة الاتحاد إلى التعليم الفني والمهني (غير العالي) مساعدات كبيرة بموجب قانون سمث وهيوز ، وبموجب قوانين تكميلية أخرى إلى الولايات المختلفة لتفقها على شئون التعليم الزراعي والصناعي والتجاري وتدبير المنزل . كما تقدم الولايات نفسها إلى هذه الاتساع من التعليم مساعدات تكميلية أخرى . وقد بلغت نفقاتها في سنة ١٩٥٠ نحو من ١٢٩٠٨٥٦٩١ دولار ، وكان ما دفعته حكومة الاتحاد وحدها ومصادر أخرى ١٠٢٤٦٢٧٣٣ دولار . وقد بلغ عدد الطلاب الذين التحقوا بصفوف زراعية في السنة نفسها ٧٦٤٤٠٨ ، وفي صنفوف تدبير المنزل ١٤٢٩٧٥٧ طالبة ، وفي الصنفوف التجارية والصناعية ٨٠٤٨٠٧ طالباً وطالبة ، وفي صنفوف مهنية أخرى ٣٦٤٧١٢ . فيكون المجموع ٣٣٦٣٦٨٤ طالباً وطالبة . وتقدم حكومة الاتحاد إلى الشبان المقددين وأصحاب العاهات مساعدات مالية تتفق على تدريفهم في أعمال مهنية . وقد بلغت هذه المساعدات ٢١٠٠١٣٨٨ .

(*) التقرير السنوي لمكتب التعليم في مدينة واشنطن سنة ١٩٤٦ .

دولارا في سنة ١٩٥١ من اصل ٣٠٢٧٢٨٥٤ دولار .
مدرسة هنرى فورد :

وتعتبر هذه المدرسة Henry Ford Trade School التي اسسها هنرى فورد صاحب معامل السيارات المعروفة في مدينة ديربورن الواقعة في ولاية ميشيغان من اهم المدارس الفنية . فقد كانت تتألف من غرفة واحدة ، ويتوسط ادارتها مدرس واحد ، وتضم ستة طلاب فقط .اما اليوم فيها من الصنوف وقاعات العمل ما تبلغ مساحتها ثلاثة ایکرات ، ومن الساحات ٤٥٠ ایکرا ، ومن البساتين ستة ایکرات ، ومن ساحات الرياضة ستة ايضا ، وتضم من المدرسين ٦٨ ومن الطلاب ٧٠٠ .

تعليم الراشدين

يرجع تاريخ حركة تعليم الراشدين في الولايات المتحدة إلى سنة ١٨٢٦ حينما اسس جماعة من الريفيين والميكانيكيين أول « ليسه » في ولاية ماساجوست للداوله في شؤونهم العامة والحصول على ثقافة شعبية ، وتمضية اوقات الفراغ بصورة مجده . وانتشرت بعد هذا التاريخ انتشارا واسعا . ولكنها سرعان ما تحولت إلى مؤسسات تجارية بحيث فقدت طابعها الشعبي العام ورسالتها التصيفية .

وبتدفق حوالي ٢٥ مليون عامل اوروبى أمريكي بين سنة ١٨٨٠ الى سنة ١٩١٠ على شواطئ القارة الامريكية اتسعت حركة مكافحة الامية وتعليم الراشدين ، وساهمت فيها بعض المؤسسات الحكومية . وكانت مشكلة تعليم المهاجرين اللغة الانكليزية والثقافة الامريكية تؤلف اهم مشكلة من مشاكل تعليم الراشدين . ولم تزل حكومة الاتحاد تتضمن صفوفا لتعليم المهاجرين القراءة والكتابة ، ولم تزل الامية متفشية في بعض الولايات الجنوبية لوجود عدد كبير من الزنوج الاميين هناك .

وتتنوع الفعاليات الخاصة بتعليم الراشدين ؟ و تتعدد المؤسسات التي تتبناها ؟ فهى اما ان تكون عامة او خاصة . فمن العامة المدارس على اختلافها ، والمدارس المهنية ، والكليات المتوسطة ، والكليات والجامعات ، والمعاهد الفنية ، والمتاحف والمكتبات ، ومدارس المراسلة ، وجمعيات الشبان المسيحيين والشبابات المسيحيات وغيرها . وتستهدف تحقيق اغراض متعددة ، تتعلق بالتدريب المهني واعداد المواطن ، والنهوض بالصحة العامة ، وتكوين رغبات استمتعية متنوعة . ولتنسيق العمل بين هذه المؤسسات المختلفة تأسست سنة ١٩٥١ « جمعية تعليم الراشدين للولايات المتحدة » (*) . وتتفرع من « رابطة التربية القومية » N. E. A. دائرة خاصة بتعليم الراشدين تسمى « دائرة تعليم الراشدين » Department of Adult Education للاغراض نفسها)** (.

وساهمت نقابات العمال فى حركة تعليم الراشدين منذ القرن التاسع عشر ، وكأفيحت الاممية فى صفوف العمال الزنوج ، وفتحت صفوفاً مسائية لتدريبهم تدریباً فنياً وتزويدهم بثقافة شعبية ديمقراطية . وتعد نقابة « اتحاد العمال الامريكيين » A. F. L. و « نقابة العمال الصناعيين » C. I. O. في طليعة المنظمات العمالية التي تعنى بهذا النوع من التعليم .

وقوم مدارس المراسلة بقسطل كبير في تعليم الراشدين ؟ ويشترك بها عدد من الامريكيين رجالاً ونساء للتثقيف من ناحية وللتسلية من ناحية

* Adult Education Association of the United States of America.

(**) وتقدير الاحصاءات الحديثة ان ٢٨ مليون اي ٤١٪ من الذين انهم دراستهم الالزامية المقررة ينتمون الى بعض صفوف تعليم الراشدين لزيادة معلوماتهم .

ثانوية · حتى لقد بلغ عددها ٤٥٠ مدرسة خصوصية و١٢٥ كلية · واشهرها «مدرسة المراسلة العالمية International Correspondence School» وقد سجل فيها منذ تاريخ تأسيسها حتى الان ، اي في غضون الستين سنة التي انساخت من تاريخ حياتها ، قرابة خمسة ملايين رجل وامرأة ·

وتساهم في حركة تعلم الراشدين الاقسام المعروفة بالجامعات بـ « حركة نشر الثقافة الجامعية University Extension » التي بدأت عملها منذ سنة ١٩٠٦ وتعتبر هذه الاقسام في طليعة المؤسسات الشعبية حتى لقد بلغ ما انفقته المعاهد العالية على هذا النوع من التعليم ٨٦٦٧٤٠٠٠ دولاراً اي ما يساوى ٥٥٪ من مصروفاتها السنوية . وتتولى وزارة الزراعة نشر الثقافة الزراعية بين الفلاحين والزراعين ، كما تقوم المكتبات والاذاعات والمتحاف ، وجميع الوكالات غير المقصودة الاخرى بدورها في المساهمة بتعليم الراشدين . ولعل من احدث التطورات التي حدثت في هذا المضمار تأسيس « مؤسسة فورد » Ford Foundation التي انشأت تخليداً لهنري فورد صاحب معامل السيارات المعروفة باسمه في اليوم الخامس عشر من شهر نيسان سنة ١٩٥١ . ومما جاء في البيان الذي اذيع يوم تأسيسها: « ينبغي ان يستجحب التعليم الى حاجات الانسان الروحية ، وان يساعد الافراد على تكوين فلسفة شخصية مرضية ، وشعور بالقيم ، وتربيه اذواقهم في الآداب والموسيقى والفنون ، وزيادة قابليتهم في تحليل المشاكل والوصول الى تائج سلامة » (*) .

(*) في الولايات المتحدة مؤسسات خيرية عدّة تتفاوت في أهميتها وماليتها . ولكن أشهرها خمسة وهي :

- ١ - مؤسسة فورد ويقدر رأس المالها بـ ٢٠٤٨٥٥٩٧٦ دولار
 ٢ - مؤسسة روكلر ويقدر رأس المالها بـ ١٩٨٢٢٩٩٩٦ دولار
 ٣ - مؤسسة كارنيجي ويقدر رأس المالها بـ ١٧٠٦٨٧٥٢٠ دولار
 ٤ - مؤسسة ديلوك ويقدر رأس المالها بـ ١٣٥٠٠٠٠٠ دولار
 ٥ - مؤسسة كرسجي ويقدر رأس المالها بـ ٧٥٠٠٠٠٠ دولار

التعليم الخاص

تحفظ بعض الطوائف الاجتماعية ذات الامتيازات الاقتصادية بكونها الخاص بالرغم من وحدة نظام التعليم العام ومجانيته في الولايات المتحدة . و تعمل المدارس الخاصة على تخليد هذه الامتيازات التي تمسك بها هذه الطوائف الاجتماعية ، وتعد اطفالها في مدارس ابتدائية وثانوية وعالية كما تدعهم « مدارس الخاصة » في بريطانيا تقريراً . ولعل من أشهرها « الاكاديميات » والمدارس التطبيقية التي يبلغ مجموعها حوالي ٣٠٠٠ مدرسة ، والتي يؤلف طلابها ٧٠٪ من مجموع طلبة المدارس الثانوية . وكثير من الاكاديميات مدارس داخلية ، وتسير على غرار مدارس الخاصة الانكليزية . ويلتحق الطلاب الذين يتخرجون منها ، عادة بالجامعات الاستقرائية الشهيرة ، كجامعة هارفارد ، ويل ، وبرنسون .

وفي الولايات المتحدة مدارس « خصوصية » يديرها افراد أو هيئات تسير جنباً إلى جنب مع المدارس العامة ؟ وقد تكون أعلى مستوى منها ، أو بالعكس . ولا يوجد تشريع خاص يحول دون تأسيسها . وحينما رفضت ولاية اريكون منح اجازة بتأسيس مدرسة اهلية رفعت القضية الى المحكمة العليا وأقررت في سنة ١٩٢٥ مبدأ عاماً استندت اليه حركة تأسيس المدارس الخصوصية ، وعدهت عمل ولاية اريكون عملاً غير دستوري . وهذا نص القرار :

« ان النظرية الاساسية التي يقوم عليها مفهوم الحرية والتي تستند اليها ولايات الاتحاد الامريكى قاطبة وتسعى الى تطبيقها لا تخول اية سلطة من سلطات حكومة الولاية تكوين انماط متشابهة من اطفالها بالزامهم على ان يتلعلموا في مدرسة واحدة ، وعلى ايدي مدرسين حكوميين فقط تعليمها واحداً . ان الطفل لا يعود الى الدولة ، وعلى هؤلاء الذين يتعهدونه ويرسمون مستقبله

واجب مقدس ، هو الاعتراف بشخصيته واعداده الى واجبات سامية (٢٠) ٠

ان معظم المدارس الخصوصية تديرها وتتفق عليها الكنيسة الكاثوليكية ؟ ولكنها تخضع الى رقابة الحكومات المحلية وشرائها ٠ وتسمى بـ المدارس الكنيسة او الطائفية ٠ ولا تختلف في مناهجها وتنظيمها عن المدارس الحكومية العامة ، الابتدائية منها والثانوية ، ولكنها تختلف اختلافاً أساسياً في الأجرور التي تستوفيها « اذ تستوفى اجروراً من طلابها ، وتستهوي صفة ممتازة منهم ، وهي اكثراً استقراطية من المدارس الثانوية العامة ، وتقرب من المدارس الثانوية الاوروبية ٠ وهي ، في الاعم الاغلب ، ليست مختلطة ، شأنها في ذلك شأن المدارس الاوروبية » (٢١) ٠

وتنتشر المدارس الكاثوليكية الابتدائية في ٤٨ ولاية ، ويختلف عددها من ولاية إلى أخرى ؟ فهو في ولاية نيفادا مدرستان ، وفي ولاية نيويورك ٩١٠ ، وهو في الولايات الاتحاد كلها ٨٥٨٩ مدرسة حسب احصاء سنة ١٩٥٠ أما عدد المدرسين فقد بلغ ١١٦٠٤٣ مدرساً ، منهم ٩٥٩٦٨ من رجال الدين ، وعدد الطلاب ٢٥٦٠٨١٥ طالباً . ويؤلفون ٠٠١٣٪ من مجموع طلبة المدارس الابتدائية . أما المدارس الثانوية الكاثوليكية فقد بلغ عددها ٢١٨٩ مدرسة وأكاديمية ، وعدد المدرسين ٢٧٧٧٠ ، منهم ٤٠٨٣٪ من رجال الدين ، وعدد الطلاب ٥٥٥٧٢ طالب .

ويتحقق خريجو المدارس الثانوية الكاثوليكية عادة بالكلليات والجامعات الكاثوليكية التي بلغ عددها في الولايات المتحدة نفسها ٢١٣ كلية وجامعة سنة ١٩٥٠ ؟ ٢٧ كلية منها للرجال ، و٥٠ ذات اربع سنوات دراسية ، و٥ كلليات متوسطة للرجال ، وجامعة واحدة للنساء ، و١٠٨ كلليات ذات اربع

20 - Kandel, I.L., Comparative Education, P., 198

21 - Colvin, S.S., An Introduction to High School Teaching, P., 5.

سنوات دراسية ، و ٢٢ كلية متوسطة للنساء ° ولقد بلغ مجموع اعضاء الهيئة التدريسية حوالي ١٨٠٠٠ وجلهم من غير رجال الدين ، وعدد الطلاب طالبا ، ونسبة الذكور ٣٥٢٨٨١ ° °

ومن المدارس الخصوصية الثانوية المدارس « التطبيقية » الملحقة بالمعاهد التربوية ° وتعد هذه المدارس مدارس نموذجية ، ويتحقق بها عادة ابناء الاساتذة وموظفي الجامعات ، وينال متخرجوها امتيازات خاصة ° ولكنها لا تستطيع ان تصل الى مستوى مدارس « الخاصة » الانكليزية °

المدارس الاختصاصية

في الولايات المتحدة قرابة اربعة ملايين طفل مصابون بانحراف في سلوكهم النفسي والاجتماعي والعقلي والجسمى ، بحيث يحتاج كل واحد منهم الى عناية خاصة ؟ ومن هؤلاء الاعمى والابكم والاصم والكسيج والاعرج والمعتوه والجامح ° ويجرى تعليمهم اما في مدارس عامة أو مدارس اختصاصية داخلية ، كما هي العادة ، أو في صنوف معينة او في مستشفي من المستشفيات ° ومع ان العناية بهؤلاء الاطفال قد اخذت تزداد في السنوات الاخيرة واساليب علاجهم قد اخذت تقدم الا ان نسبة الذين يتمتعون بهذه العناية في مثل هذه المدارس لا تتجاوز ١١٪ من مجموع الاطفال الشاذين °

لقد وضعت كل ولاية تقريرا خطة لتعليم العميان والصم ، وassistت مدارس داخلية تقع في داخل المدينة أو ضواحيها ، واصبحت جزءا من نظام التعليم العام ° وقد بلغ عددها ٤٥٤ مدرسة داخلية في سنة ١٩٤٨ ، تضم حوالي ٦٣٧٦١ طفلا ° وكان عدد الولايات التي شرعت قوانين تخول بها مجالس التعليم المحلية تقديم هذه الفرص التعليمية للأطفال الشواذ ٤١ ولاية في سنة ١٩٤٨ °

تعليم العبيد والاقليات

في الولايات المتحدة أقليات عنصرية ملونة لم تزل تحتفظ بطابعها الخاص أشهرها العبيد والهنود الحمر والأسكيمو الذين يقطنون شبه جزيرة ألسكا ، والاقليات التي تتكلم اللغة الإسبانية التي تقطن جنوب غرب الولايات المتحدة . وتألف هذه الأقليات مشكلة ثقافية وسياسية واجتماعية .

ويتلقي أكثر أبناء العبيد تعليمهم في مدارس منفصلة عن مدارس «البيض» ، كما هو الحال في مقاطعة كولومبيا وفي ١٧ ولاية من الولايات الجنوبية . وفي بعض الولايات يلتحق أبناء العبيد والبيض في مدارس واحدة . وتعاني التربية الأمريكية ، بل الديمقراطية الأمريكية كلها ، مشكلة كبيرة من جراء هذا الانفصال ، وتتعرض الولايات المتحدة إلى كثير من النقد والتشهير . غير أن روح التسامح ونشاط بعض الجمعيات الخيرية في مكافحة الغرور الرسّي وموقف أكثر المحاكم من الخلافات التي تنشأ بسبب هذا الانفصال قد ذلل كثيراً من الصعوبات التي تقف في طريق تعليم العبيد .

وتدل الإحصائيات التي نشرت في عام ١٩٤٨ ان نفقات التلميذ «البيض» قد بلغت ١٣٦ر٧٣ دولاراً في السنة ، بينما بلغت نفقات التلميذ «السود» ٧٤ر٦٧ دولاراً ، وأن مجموع الطلبة العبيد الذين التحقوا بمدارس ابتدائية منفصلة عامة كان ٢٩٩ر٢٢٦ طالباً ، ويمارسون ثانوية ٢٠٠٦ر٨٣٦ طالباً .

أعداد المعلمين

ان الرغبة في اعداد المعلمين « اعدادا خاصا » لمهنة التعليم لم تظهر الا في النصف الاول من القرن التاسع عشر حينما أخذ لفيف من المربيين امثال وليم رسل ، وسامويل هول وجيمس كارتر يدعون الى تأسيس معاهد خاصة باعداد المعلمين . وقد اشتدت هذه الرغبة ، وتضاعف هذا الاهتمام بتأثير حركة اعداد المعلمين في بروسيا . ويرجع الفضل في تأسيس أول دار للمعلمين الى الاستاذ جيمس كارتر ومعاضدة هوارس مان . فقد افتتحا أول معهد لاعداد المعلمين سنة ١٨٣٩ في مدينة لكتنكتون من اعمال ولاية ماساجوست ؟ ومنها انتشرت الى ولايات أخرى .

وبتوسيع حركة التعليم الثانوى بعد سنة ١٩٠٥ ارتفع مستوى الدخول الى دور المعلمين واقتصر على خريجي المدارس الثانوية ، وصارت مدة الدراسة سنتين ؟ ثم زيدت الى اربع سنوات ؟ وتحولت بعض دور المعلمين ذات السنتين الى كليات للمعلمين ذات الاربع سنوات . ومع ان اعداد اكبر معلمي المدارس الابتدائية ومدرسي المدارس الثانوية يتم في كليات المعلمين او كليات التربية وينال الطالب أول « درجة » علمية احصاصية الا ان بعض سلطات التعليم المحلية في بعض الولايات الامريكية تتطلب من المدرس ان يكون من حملة شهادة « استاذ علوم » ليكون اهلا للتعليم في المدارس الثانوية .

لقد مر اعداد المعلمين في مراحل تاريخية مهمة ؟ فكان يجرى اولا في دور المعلمين ، ثم في كليات العلوم والآداب ، وبعدها في « أقسام التربية » الملحقة بالجامعات ، وأخيرا في كليات المعلمين او كليات التربية . ويعتقد اكثربالمربيين الامريكيين ان مهنة التعليم لا تضاهيها مهنة أخرى ، وان المعلم ينبغي ان يعد « اعدادا خاصا » ، وان هذا الاعداد لا يكون الا في

مؤسسات خاصة تتولى تدريبه المهني والثقافي ، وان افضل المؤسسات هي « كليات التربية » لا دور المعلمين ولا « دوائر التربية » .

وقد اخذت بعض الولايات تنظر الى التعليم من حيث هو مهنة خاصة ، ومن حيث هو « رسالة » . ولقد تأسست في الآونة الأخيرة جمعية معلمي المستقبل في أمريكا The Future Teachers of America التي تضم حوالي ٢٠٠٠ طالب وطالبة متشربين في مختلف المدارس الثانوية والكليات العالية ؟ ويعد هؤلاء انفسهم لمهنة التعليم اعدادا خاصا ليصبحوا قادة من قواد المستقبل .

وتختلف الولايات في نظام اعداد المعلمين ، وفي منسح الشهادات والدرجات العلمية ، وفي الطرق المتّبعة في استخدام المعلمين وتحديد رواتبهم . وفيه تتعكس أكثر المفارقات التي تسبّبها العوامل الاقتصادية والاجتماعية في حياة الشعب الأميركي نفسه .

ادارة التعليم

كانت الولايات الأمريكية المختلفة تخشى من تدخل حكومة الاتحاد في شؤونها العامة ، وتحاشرى كل حركة ترمي إلى توثيق اشرافها على شئون التعليم خشية ان يصبح استقلالها صوريا ، وارادتها مفقودة . وبلغت هذه المخاوف شدتها في الاوساط الدينية التي كانت تولى شؤون التعليم وفي الولايات الجنوبية . ومن اجل هذا فقد ترك دستور حكومة الاتحاد كل ولاية حرية في تأسيس المدارس التي توافق حاجاتها وظروفها . ومع ان اكثر الولايات الأمريكية قد جعلت التعليم وظيفة من وظائفها الا انها ألقت مسئولية تأسيس المدارس على عاتق مجالس التعليم المحلية . وهو عمل يتفق وطبيعة الحياة الأمريكية وتقاليدها . فحينما هبطت الطوائف الأمريكية وسكنت في اماكن متباينة نائية كانت تحكمها ظروف طبيعية قاسية ، وكانت تهددها

الخطار جسيمة ، مما اضطر كل « جماعة » ان تلتقي حول نفسها وتدافع عن مراكزها من هجمات الهنود الحمر ، وتصبح مرجعاً نهائياً في علاج شؤونها الثقافية والقضائية . وحيث ان كل قرية من هذه القرى كانت في الاعم الأغلب متجانسة في معتقداتها ومستوياتها الاجتماعية فقد استطاعت ان تؤسس مدارسها وتحضّرها لادارتها ؟ وكانت الوحدة المحلية في الادارة اصلاح لها وللحاجات الرواد الذين عاشوا في آخر عهد من عهود « حياة الحدود » . وتوارث الامريكيون هذه التقاليد المحلية ، وجعلوا من احدى تقاليدهم التاريخية ان تكون ادارة التعليم ادارة محلية .

وبازدياد عدد سكان الولايات المتحدة وتكلّمهم في مجتمعات كبيرة اصبح ضرورياً اجراء تبدل في « الوحدة المحلية » الادارية يتلاءم والتغيرات الجديدة . ولكن جميع المحاولات التي بذلتها الولايات في جعل ادارة التعليم ادارة مركزية أحبّتها المجالس المحلية وباءت اكثراً بالفشل . فقد كانت هذه المجالس تلتزم بحقها في استخدام المعلمين الذين يتمسّون الى كيساتها ، وتعدّه حقاً مقدساً من حقوقها . وقد دعمت هذا الحق مختلف الكنائس ، لأنها رأت فيه حماية لها من نزعة الولايات الدينوية . « وهكذا نجد انه بالرغم من التبدل الكلي الذي طرأ على الاحوال الاقتصادية والاجتماعية فقد ظلت الوحدة المحلية في الادارة المدرسية حتى يومنا هذا احدى الخصائص الامريكية الذاتية (٢٢) .

ويُخضع التعليم الى ادارة « محلية » و « مركزية » و « اتحادية » بدرجات متفاوتة تزداد سيطرة في الادارة المحلية ، وتضعف في الادارة الاتحادية . و « يختلف التعليم في سيطرته الادارية في امريكا عنه في اقطار أخرى . واذا كانت الحكومة المركزية او حكومة الاتحاد في اكبر

«م العالم هى التى تسيطر على شئون التعليم سبيطه مباشرة فان الولايات المختلفة هى التى تسيطر وتنتفق لدرجة كبيرة على المدارس . فقد أنشأت كل ولاية نظاما تعليميا عاما بموجب دستورها وقوانينها وصار لها الاشراف على المدارس الخصوصية . وبالرغم من هذا كله فان حكومة الاتحاد لها تأثير عظيم جدا فى شئون التعليم ؛ وازداد بصورة خاصة فى الآونة الاخيرة حينما أخذت تمد الولايات بمساعدات مالية لتفقها على المدارس العامة . يضاف الى هذا النشاط التعليمي الواسع الذى تقوم به فى الحقوق الاختصاصية التي تقع خارق نطاق المدارس العامة » (٢٣) .

وادا كانت نظم التعليم تتفاوت من ولاية الى اخرى في بعض الامور التفصيلية فانها تقارب في خطوطها العامة بفعل عوامل كثيرة منها :

اولا - انتقال السكان الذين يحملون عادات واساليب راسخة من «الولايات القديمة الى الجديدة .

ثانيا - قيام الجمعيات الوطنية والاقليمية والمحلية بتنظيم المؤتمرات والدراسات ونشر المطبوعات العامة .

ثالثا - قيام مكتب التعليم التابع لحكومة الاتحاد بتقديم الاحصاءات والمعلومات والاستشارات بين حين وآخر .

رابعا - استمرار التقليد القديمة في قيام حكومة الاتحاد بتقديم مساعدات مالية الى الولايات المختلفة لاغراض تعليمية معينة .

خامسا - انتقال الطلاب من ولاية الى اخرى وضرورة تنسيق العمل بين المدارس لاستقبال أمثل هؤلاء الطلاب .

سادسا - هجرة المدرسين والمقتشفين ورجال الادارة من ولاية الى اخرى واستيطانهم هناك .

الادارة المحلية :

لقد وضع مجلس كل ولاية نظاماً لادارة المدارس ومساعدتها والسيطرة عليها . واحفظت كل ولاية لنفسها بعض الصالحيات وتحملت بعض المسؤوليات والواجبات ، وألقت قسماً منها على الوحدات الادارية المحلية تمارسها كما تشاء . ولكن « الاتجاه في ادارة التعليم يسير في كل ولاية نحو قيادة مركزية سيراً تدريجياً ، والمساهمة في تعضيد المدارس العامة مالياً مساهمة كبرى ، وتحمل مسؤولية وضع حد أدنى من المقاييس التعليمية التي ينبغي ان تسير بموجبها جميع الوحدات المدرسية المحلية . وبقدر ما يتعلق الامر في طوال السنة الدراسية والشروط التي ينبغي ان توفر في اعداد المعلمين فقد وضعت جميع الولايات حدوداً دنياً»^(٢٤) .

وفي الولايات المتحدة ٨٥٠٠٠٠ وحدة ادارية محلية ، كل وحدة فيها مسؤولة عن ادارة مدارسها . وتفاوت في سعتها ففي ولاية ميريلند ٢٤ وحدة مدرسية ، وفي مينيسوتا ٧١١٧ ! ومنها ما تكون ريفية صغيرة بحيث لا يعلم في مدرستها الا معلم واحد ولا يتحقق بها الا عدد ضئيل من الاطفال ، ومنها ما تكون مدينة كبيرة يتولى شئون التعليم فيها آلاف المدرسين ، ويتحقق بها مئات الالوف من الاطفال . ان وحدات المدارس المحلية تديرها « مجالس تعليم » او « مجالس امناء » ويتخذهم الشعب انتخاباً مباشرة .

وتخضع ادارة المدارس الى ثلاثة انواع من الانظمة الادارية . ويکاد يكون « نظام الناحية »^(*) District System أقربها الى قلوب الامريكيين المحافظين . بحيث ان « نظام الناحية » يتصف حوله سكان تلك الناحية وجلهم من الريفيين ، ويعود الى تفاوت في نوعية التعليم من

(٢٤) المصدر السابق نفسه صفحه ٨

(*) نسبة الى الناحية وهي اصغر وحدة ادارية في العراق .

حيث مراقبه وكفأة مدرسيه ، والى تأسيس مدارس نائية في الارياف قد لا يستحسن تأسيسها فقد اخذ رجال الادارة المختصون في شؤون التعليم يعتقدون ان « نظام الناحية » قد صار عقبة اساسية تعترض سبيل اصلاح نظام التعليم .

اما النظام الثاني فهو « نظام القضاء » Township System الذي يسود في الوسط الغربي من الولايات المتحدة ؛ والثالث « نظام اللواء » County System الذي يتشر في الجنوب وفي سواحل المحيط الهادئ . وتخصيص اكثـر المدارس الى ادارة هذين النظـامـين . وفي كل « ناحية » و « قضاء » و « لواء » مجلس معارف Board of Education يتولـي ادارة المدارس وتأسيسها والاتفاق عليها . وتعد ولاية دالـوير Delaware الولاية الوحيدة التي تتبع نظام الولاية State System في ادارة المدارس . ومن اجل هذا فانها تسـيـطـرـ سـيـطـرـةـ مباشرةـ على جـمـيعـ المـدـارـسـ العـامـةـ ؛ ويعتقد كـثـيرـ منـ المـربـينـ انـهاـ استـطـاعـتـ انـ تـهـيـءـ فـرـصـاـ تـعـلـيمـيـةـ مـتسـاوـيـةـ الىـ جـمـيعـ الـاطـفـالـ اـحـسـنـ مـنـ اـيـةـ وـلـاـيـةـ اـخـرـىـ .

تدخل حكومة الاتحاد

وبـدـىـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـخـلـقـةـ ،ـ كـمـاـ بـيـناـ ،ـ مـعـارـضـةـ شـدـيـدةـ فـيـ تـنـخـلـ الحـكـوـمـةـ الـاـتـحـادـيـةـ فـيـ شـؤـونـ التـعـلـيمـ .ـ وـتـشـتـدـ هـذـهـ مـعـارـضـةـ بـصـورـةـ سـخـاصـةـ فـيـ الـوـلـاـيـاتـ الـجـنـوـبـيـةـ حـيـثـ يـخـشـىـ «ـ الـبـيـضـ »ـ انـ يـؤـدـيـ تـدـخـلـهـاـ إـلـىـ اـنـصـافـ «ـ السـوـدـ »ـ ،ـ وـالـاخـلـالـ بـالـتواـزنـ الـاـقـصـادـيـ فـيـ الـجـنـوـبـ الـزـرـاعـيـ ،ـ وـاتـرـاعـ سـيـادـةـ الرـسـ «ـ الـبـيـضـ »ـ التـارـيـخـيـ عـلـىـ الرـسـ «ـ الـاسـوـدـ »ـ .ـ وـمـعـ اـنـ القـانـونـ لـاـ يـخـولـ حـكـوـمـةـ الـاـتـحـادـ أـبـدـاـ تـدـخـلـ فـيـ شـؤـونـ التـعـلـيمـ تـدـخـلـاـ سـافـرـاـ وـلـكـنـهاـ حـاـوـلـتـ مـنـذـ تـأـسـيـسـهاـ تـشـجـعـ نـشـرـ التـعـلـيمـ فـيـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـخـلـقـةـ وـتـعـضـيـدـهـ مـاـنـيـاـ .ـ فـقـدـ أـقـرـ «ـ مـجـلـسـ الـاـتـحـادـ »ـ Congress of Confederation ،ـ حـتـىـ قـبـلـ

تأسيس الاتحاد سنة ١٧٨٩ ، سياسة منح أراضي ومساعدات مالية الى الولايات
لانفاقها على المدارس . وكان قانون ١٨٧٥ الذي شرع لتسوية الاراضي
الواقعة في المناطق الغربية أول خطوة اتخذتها حكومة الاتحاد في دعم حركة

التعليم *

وقد نصت احدى مواد هذا القانون على ان المربع السادس عشر
(او المقاطعة) من كل قضاء Township ارض اتحادية تستغل لمفعمة
التعليم في ذلك القضاء . وباتصال ملكية هذه الاراضي التي تقدر مساحتها
بـ ٤٠٠٠٠٠٠ ربع ایكرا من حكومة الاتحاد الى الولايات المختلفة ستد
جانباً مهماً من نفقات التعليم في كل ولاية من الولايات امريكا .

وقد وافق الكونغرس الامريكي بعد ان أقر دستور الولايات المتحدة
على الاستمرار في اتباع هذه السياسة ؟ و وسلمت الولايات الثلاثون التي
تألف منها الاتحاد اعوانات على هيئة أراضي ينفق عليها على المدارس العامة
واراضي اخرى تتفق عوائدها على بعض المؤسسات الخاصة بالتعليم العالي .
كما ان حكومة الاتحاد قد منحت بعض الولايات اراضي المستنقعات والاراضي
التي يستخرج منها الملح لاستغلالها في الاعمار الداخلي ، ولتأسيس المدارس .
وأخذ الكونغرس يقدم منذ أوائل القرن التاسع عشر مساعدات مالية
إلى بعض الولايات لتنفقها على شؤون التعليم . ففي سنة ١٨٠٢ منح ولاية
أوهايو الجديدة ٥٠٠ من صافي بيوعات اراضي حكومة الاتحاد لانفاقها على
الاصلاح الداخلي . ومنح مثل هذه المساعدات إلى ٢٨ ولاية اخرى ، واشترط
على ١٦ ولاية ان تتفقها على شؤون التعليم .

وبتصدور قانون موريل سنة ١٨٩٢ حدث تبدل في سياسة حكومة
الاتحاد . وإذا كان الكونغرس لم يطالب ان تتفق هذه المساعدات على نوع
خاص من انواع التعليم فقد اشترط في هذا القانون ان تتفق قبل كل شيء

على التعليم الفني والزراعي . وكان من جراء هذه السياسة ان حظت مجموعة من الكليات والجامعات بهذه المساعدات ؟ حتى لقد اصبح عددها اليوم ٦٩ مؤسسة تتألف من : ٣٦ جامعة ، و٤٧ كلية ، منها ١٧ كلية خاصة بالبعيد .

واستمرت سياسة تعضيد حركة التعليم العملي ايضا حينما اخذ الكونغرس سنة ١٩٤٧ يرصد في الميزانية في كل سنة اعتمادات لمساعدة محطات التجارب الزراعية الخاصة بكل ولاية ، والكليات الزراعية والتدبير المنزلي سنة ١٩٤٤ . وبصدور قانون سمث وهيوز سنة ١٩١٧ انحصرت هذه الاعتمادات بتشجيع حركة التعليم المهني التي تسير في المدارس العامة التي هي دون مستوى الكليات . وقد تطلب هذا القانون تأسيس « مجلس اتحادي للتعليم المهني »^(*)

وتواترت تشريعات اخرى كان آخرها قانون جورج وبarden سنة ١٩٤٦^(**) الذي أرصد ٢٨٥٠٠٠٠٠ دولار في السنة لتعضيد حركة التعليم المهني في الولايات المختلفة . وفي سنة ١٩٥١ أرصد الكونغرس الاعتمادات الآتية للتعليم العملي :

دولار

٥٠٣٠٠٠٥ للجامعات والكليات التي تستعين بعوائد الاراضي
land-grant

٢٠٨٢٦٢٢١٢ للمحطات الزراعية التجريبية .

٣٧٨٣٠٨٢١٢ لكليات الزراعة والاقتصاد المنزلي

٨٨٢١٢٧٢٧ للتعليم المهني .

ولم تقف حكومة الاتحاد عند تقديم هذه المنح والمساعدات ، بل كانت

* Federal Board of Vocational Education

** George - Barden Act of 1946

تقدم مساعدات أخرى أيام الازمات التي تأخذ بخناق بعض المؤسسات التعليمية المختلفة . فخصصت سنة ١٩٣٣ وسنة ١٩٣٥ قرابة ١٣٣ مليون

دولار لمساعدة ١٠٠٠ مؤسسة علمية (*)

ان هذا التدخل الذي تقوم به حكومة الاتحاد في شؤون التعليم منذ أمد بعيد قد لاقى معارض شديدة . وقد تجلت هذه المعارضة حينما عزم رجال الحكومة على تأسيس « دائرة اتحادية للتعليم » سنة ١٨٨٧ . ولما فشلوا

Bureau of Education استقر رأيهم على تأسيس « مكتب للتعليم » يقوم بجمع المعلومات ووضع الاحصاءات ونشر التقارير التربوية . ثم تبدل اسمه واصبح « دائرة التعليم » Office of Education ومع ان تدخل حكومة الاتحاد قد اصبح حقيقة ملموسة الا انه ما زال منحصرا في دائرة ضيقة . ولقد حاولت الحكومة اثناء الحرب العالمية الثانية ان تتدخل تدخلها حقيقة ولكنها اصطدمت بمعارضة شديدة من الهيئات الدينية ، لا سيما من الكنيسة الكاثوليكية التي ترى ان هذا التدخل « غير امريكى » و « غير مسيحي » . فناشد « اتحاد ولاية لويسيانا للجمعيات الكاثوليكية » جميع الكاثوليك ان يعدوا العدة لصد هذه الخطط التربوية الهدامة التي ت يريد ان تشييد أسوارا تحمى وراءها الاخطار العظيمة التي اخذت تهدد الدين والدستور والعائلة والامة » .

ولقد ألف الرئيس روزفلت سنة ١٩٣٨ لجنة استشارية للتعليم ، فأوصت في تقريرها الذي وضعته ان « تقوم حكومة الاتحاد بعمل حاسم وسريع في رفع مستويات التعليم ، وان تظل ادارة التعليم في كل ولاية في حوزة

(*) هذا بالإضافة إلى مبلغ ٦٠٠٠٠٠٠ دولار المخصص إلى تعليم

الراشدين والتعليم الريفي والمهنى بموجب التزامات دائرة :

Education Division of the Federal Emergency Relief Administration

مجالس المدارس الواقعة في النواحي والمدن . وكان من جراء هذه التوصيات أن اخذت حكومة الاتحاد تتجزء بعض المشاريع التربوية ، وعدتها جزءاً من سياسة «النيوديل» التي كان يسير عليها الرئيس روزفلت ؛ فقامت بتدريب الشباب على مختلف الأعمال في «مؤسسة الشباب الوطني» (*) و «كتائب المدنيين» (**) . وقد اهتمت هاتان المؤسستان بعداد الشباب العاطل على الأعمال الثقافية والمهنية والعسكرية . فانخرط في «كتائب المدنيين» ، وهي لشبان الذين تزيد اعمارهم عن السابعة عشرة ، منذ سنة ١٩٣٣ - ١٩٤٢ حوالي ثلاثة ملايين شاب ، ضمهم ١٥٠٠ مخيم للتدريب .

واهتمت حكومة الاتحاد أثناء الحرب العالمية الثانية بالدراسات التي تتصل بالمجهود الحربي ، وسيطر «مكتب التعليم» سيطرة مباشرة ، وشرف على توجيهها لاسيما الدراسات الفنية الخاصة باعداد مهندسين للدفاع الوطني . وفي سنة ١٩٤٠ صدر قانون اعطى «مكتب التربية» صلاحية تنظيم دورات فنية قصيرة في مستوى الدراسة العالمية لاعداد طبقة من المهندسين الصناعيين والعمال الماهرین الذين يتوقف عليهم المجهود الحربي ، واعد لهم منهاجاً خاصاً (***) بموجب منهاج النجاح الحربية للطلاب Student War Loans Program

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وضعت حكومة الاتحاد منهاجاً تعليم الجنود الذين سرروا من الخدمة . وكانت على نوعين : فمن كان عاجزاً عن العمل فيساعد بموجب قانون خاص ، ومن كان قادرًا على الدراسة وتركتها عند التحاقه بالجيش فيساعد بموجب قانون سنة ١٩٤٤ لاكمال تحصيله في احدى الجامعات والكلليات (****) . وقد بلغ عدد الذين نالوا

* National Youth Administration

** Civilian Conservation Corps

*** Engineering Defence Training

**** Servicemen's Readjustment Act of 1944

مساعدات كهذه سنة ١٩٥٠ حوالى ٢٥٨٠٠٠ طالب ، وبلغت نفقاتهم السنوية ٣٤٠ ر ١٢١ ر ٢٨٧٤ دolar .

هذه هي المساعدات التي تقدمها حكومة الاتحاد الى الطلبة في الولايات المتحدة نفسها ؟ اما المساعدات التي تقدمها الى الشبان الامريكيين الذين يودون الالتحاق بعض المعاهد الاجنبية والى الطلبة الاجانب الذين يفضلون الدراسة في الولايات المتحدة فكثيرة . وتقوم حكومة الولايات المتحدة كذلك بتبادل الاساتذة والخبراء ، وتأسيس المكتبات والمراکز الثقافية في الاقطان الاجنبية . وقد تركت الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية كثيرا من المعدات الحربية في بعض الاقطان الاجنبية ، فباعتها بموجب قانون فلبرait واخذت تتفق المبالغ المتجمعة في تلك الاقطان لمساعدة الرعايا الامريكيين الذين يدرسوون او يودون الدراسة في احدى معاهدها ، ولمساعدة المؤسسات الثقافية الامريكية القائمة فيها . هذا من جهة ، اما من الجهة الثانية فقد انفق قسم منها على رعايا تلك الدول الذين يرثمون الدراسة في الولايات المتحدة .

دائرة التعليم

يرجع تاريخ تأسيس دائرة التعليم في الولايات المتحدة الى سنة ١٨٦٧ حينما أقر الكونغرس إنشاء دائرة مستقلة « تقوم بجمع الاحصاءات والحقائق وتساعد على معرفة حالة التعليم ومدى تقدمه في مختلف الولايات ، ونشر المعلومات الخاصة بإدارة المدارس وتنظيمها ، وتنظيم التعليم وطرق التدريس التي تساعده الشعب الامريكي على تأسيس نظم تعليمية صالحة والمحافظة عليها ، وتسعى الى نشر رسالة التعليم في طول البلاد وعرضها » . وفي سنة ١٨٦٩ أصبحت مديرية تابعة لوزارة الداخلية . واستمرت كذلك حتى سنة ١٩٣٩ ؟ ثم أصبحت قسما من دائرة أخرى هي « وكالة الامن الاتحادية » . وتألف دائرة التعليم التي يرأسها Federal Security Agency

« قومسيр » للتعليم يعينه رئيس جمهورية الولايات المتحدة بعد موافقة مجلس الشيوخ والتي بلغت ميزانيتها سنة ١٩٥١ نحو من ٥٠٠٧٤٧٢ دولار في السنة من الاقسام الستة الآتية : (١) التعليم المحلي والخاص بالولاية و(٢) التعليم الدولي و (٣) التعليم العالي و (٤) التعليم المهني و (٥) التعليم المدنى و (٦) تعليم الجنود المسرحين .

ان من أهم أعمال دائرة التربية هو القيام بالبحوث والدراسات التربوية، والتعاون الثقافي بين الولايات المتحدة وبقى اقطار العالم ، ونشر التقارير والاحصاءات السنوية والادلة التربوية . وتصدر الدائرة ، بالإضافة إلى ذلك، مجلتين هما : الحياة المدرسية School Life والتعليم العالي Higher Education

وتقدير جميع المساعدات التي تقدمها حكومة الاتحاد بـ ٣٠٪ من مجموع ما تتفقه جميع الولايات على شئون التعليم . وتحمل الوحدات الادارية القسم الاعظم منه . ولم تزل المساواة في الفرص التعليمية معدومة في كثير من الولايات بسبب تباين الثروات بين ولاية وآخرى ، وسوء توزيعها بين السكان . « فينما يلتحق بعض الطلاب بمدارس يبلغ ما تتفقه على الصف الواحد سنويًا ٦٠٠ دولار يلتحق غيرهم بمدارس تتفق على الصف الواحد ١٠٠ دولار في السنة » . ان المساواة في الفرص التعليمية لا تتحقق بصورة مرضية الا اذا روعيت ثلاثة أمور في كل سياسة مالية سليمة وهي : الحاجة والقدرة ، والجهد .

التعليم العالى فى الولايات المتحدة

اهدافه

اذا علمنا ان عدد المعاهد العالية في الولايات المتحدة ١٨٥٧ معهداً ، وان عدد الطلاب الذين يدرسون في هذه المعاهد ٤٤٤٠٢ (٢١٦٥٤٤٠) طالب ، وان نفقات التعليم العالى السنوية ٥٩٥٠٠٠ (١٣٩١٥٩٥) دولار ، وان مقدار ما تنفقه الكليات والجامعات على البحث العلمي ٤٥٠٠٠٠٠٠ (٥٠٠٠٠٠٠٠٠) دولاراً في السنة ، وانها منحت ٦٥١٠ شهادة دكتوراه ٢١٩٥ (٥٨٢١٩٥) شهادة استاذ علوم في سنة ١٩٥٠ ، وان ٦٠٠٠٠٠ نسمة من مجموع السكان البالغ عددهم ١٥٨ مليون نسمة قد حصلوا على دراسة عالية – اذا علمنا كل هذا ادركتنا مبلغ اهتمام الامريكيين بالتعليم العالى ، ومدى التقدم الذى أحرزه في غضون سنوات ليست بالطويلة . « فالتعليم العالى في امريكا حديث كحداثة معاملها ومدنها ، ويتقدم باطراد كما تتقدم مدنيتها الميكانيكية » . ويعتقد الامريكيون ان التعليم العالى ينبغي ان يتمتع به جميع الطلاب الذين يستطيعون الاستفادة منه ، وان يتاسب هو وحاجاتهم ، والا يقتصر على « الصفة المختارة » فقط ، كما هو شأن اكبر المعاهد العالية الاوروبية ، وان ٣٢٠ / ٠ من السكان قادرون على مواصلة دراسة عالية طولها اربع سنوات (٢٥)؛ وان يهدف (دراسة اربع سنوات) الى توسيع مفهوم « الثقافة العامة » ، وتزويد الطلاب والطالبات بأكبر قسط منها ليتمكنوا ان يدرسوا بها مشاكلهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية دراسة نيرة . ولا يراد به ان يكون ، في الاعم الغلب ، دراسة « اختصاصية » كما هو الحال في بريطانية وفرنسا والمانية وغيرها من القطران الاوروبية . اما الدراسة الاختصاصية او الدراسة

(*) حسب احصاء سنة ١٩٥١ .

(**) حسب احصاء سنة ١٩٤٧ .

« الجامعية » الحقيقة ف تكون فى نظر اكثراً المربين الامريكيين بعد دراسة الليسانس . و تهدف الدراسة العالية ايضاً الى رعاية الشخصية الإنسانية و تشجيعها على الدراسة المستقلة والبحث الأصيل . وقد ارادت جامعة شيكاغو ان تعالج اهداف التعليم العالى معالجة جديدة ، فاختار « مجلس امناء » جامعتها قبل ربع قرن تقريراً روبرت هنتر Hutchins « رئيساً » ، وكلفه « بإجراء تجارب في حقل التعليم العالى » ؟ وكان عمره اذ ذاك ثلاثون سنة . فقام بسلسلة اجراءات عرفت في الاوساط التعليمية « بخطة شيكاغو » Chicago Plan .

وقد اظهر الرئيس الجديد سخطة على اتجاهات التعليم العالى ، وشجب التخصص في مراحل الدراسة الاولى ، ودعى إلى تزويد الشباب بثقافة عامة . وكان يعتقد ان التعليم المهني مجرد لا ينفع المواطن الديمقراطي كثيراً ، وان هدف التعليم العالى ينبغي ان ينحصر في تنمية قوى الانسان العقلية ، وان يدرّب الطلاب على التفكير السليم المستقل ، وان اشد ما يحتاجه الانسان ثقافة واسعة موحّدة تعينه على التفكير الناجح المستقل ، ومعالجة الامور بحكمة وروية ، واثراء تراث الماضي . وكان يرى ان « التعليم الموحد » ينبغي ان يؤكّد على تربية « الانسان الكل » Whole man أولاً و « الانسان المهني » Vocational man ثانياً ، وان تشتد العناية بالافكار ، والا تهمل الحقائق والمهارات .

وظهرت آراؤه بوضوح في نشرة الجامعة ، حينما بين ان الغرض الاسمي من التعليم العالى العام Liberal Arts هو « ان تعد الكلية الطالب اليوم اعداداً يؤهله لأن يعيش في عالم أوجده العلم بصورة عامة ، وان يحصل على الافكار العلمية السائدة في الوقت الحاضر ، وان يعرف الطرق التي ابتدعها العلم ، وان يجد محله في نظام سياسي واجتماعي واقتصادي معقد ، وان يكون ملماً بهذه الميادين العلمية . وعلى هذه الشاكلة سيكون وارث

انجازات المدنية الغربية في الفنون والموسيقى والآداب والفلسفة . ومن
الضروري أن يعدها بعدادها يساعد على التمتع بهذه الفنون والأفادة منها .
ويقدر ما يتزود بمعلومات عن الطبيعة والمجتمع والفنون فإنه بحاجة إلى أن
يتعلم أحسن طريقة في تكوين هذه المعلومات وفي إيصالها إلى أفراد آخرين» .

وقد قصر الدكتور هوجنز مدة الدراسة في الكلية ووصلها بأخر
مرحلة من مراحل الدراسة الثانوية ، وجعلها دراسة ثقافية عامة ، والغى
التخصص ، وجعل حضور الطالب الصيف اختيارياً ، والغى الامتحانات العامة
واستعراض عنها بنظام الوحدات Course Credit System ، وسمح لكل طالب
أن يتقدم في الدراسة بقدر ما تسمح به قابلاته ، وان يحصل على درجة
ليسانس في الفنون بعد انتهاء السنتين الأولى من سنتي الكلية ، وان يتحقق
طلبة الاختصاص في كلية عالية Graduate او في كلية مهنية .

وكان يرى ان دراسة الواقع الأدبية والفلسفية التي اتجهها عقول
اعظم مفكري العالم لازمة لادران القيم والمبادئ العامة . فادخل في مناهج
التدريس الكتب الكلاسيكية القديمة والمؤلفات العلمية الحديثة كجمهورية
أفلاطون وكتب فرويد التي صارت تؤلف ٧٥٪ من قراءات الطلاب الذين
يعدون أنفسهم لحصول درجة لisanس في الفنون . ولم يخلص الدكتور
هوجنز (*) من سهام الناقدين ؟ فكانت نظرياته التربوية في التعليم العالي عرضة
لهجمات كثيرة .

وتخالف الجامعات الأمريكية في نظامها وفسيتها عن الجامعات
الأوروبية اختلافاً كبيراً . فيبينما نجد أن أكثر الجامعات والمعاهد الفنية العليا
حكومية في القارة الأوروبية ، أو تسلم مساعدات مالية جسمية من الحكومة

(*) استقال روبيت هوجنز من رئاسة جامعة شيكاغو سنة ١٩٥١

والتحق بادارة « مؤسسة فورد » .

نجد ان المعاهد العالية الامريكية تقسم الى عدة اقسام : فهي اما ان تكون « حكومية » او تساعدها الحكومة او مجانية ، واما ان تكون « مستقلة » تديرها هيئات خاصة او مجالس كنسية متعددة ، وتستوفى اجورا باهضة . وبعبارة اخرى تقسم من النواحي المالية الى : حكومية وبلدية وخصوصية وطائفية .

ونقدم الجامعات الامريكية دراسات مهنية اختصاصية كثيرة ، وتفتح أبوابها الى طالبي الدخول بمقاييس واسع . وهذه الجامعات المشهورة ببنائها الجميلة ومكتباتها الكبيرة لا تقتصر على الدراسات الاكاديمية المعروفة بل انها تمنح « درجات » علمية في دراسات مختلفة وفي موضوعات مهنية كثيرة مما جعلها تختلف في مساحتها العلمية عن الجامعات الاوربية . ولذلك فليس من المستغرب أن تجد شبابا جامعا يعمل في الحقل أو في المترجم أو في شركة من شركات الغسيل . ويدهب كثير من المربيين في القارة الاوربية الى أن هذا التوسع في التعليم العالى في الولايات المتحدة وهذه الدراسات الكثيرة والدرجات المتعددة قد أدى الى هبوط في مستوى الدراسة الجامعية ويشاركون في ذلك بعض المربيين الامريكيين .

ويجري التعليم العالى في الولايات المتحدة في (١) الكليات المتوسطة و(٢) الكليات و (٣) الجامعات و (٤) المعاهد الفنية . وتحتفل « الكليات » بعضها عن بعض : فمنها ما كانت صغيرة وتعنى بناحية واحدة من نواحي المعرفة ، ومنها ما كانت كبيرة قد تضاهى جامعة من الجامعات وتعنى بنواحي مختلفة من المعرفة . والكلية « (١) مؤسسة علمية عالية تختص منهاجها بدراسة العلوم والاـداب فقط ، وتنحصر الدرجات العلمية و (٢) قسم كبير من اقسام الجامعة (وعادة قسم الاـداب والعلوم) لاسيما القسم الذي يدخله الطالب عند اجتيازه مرحلة الدراسة الثانوية »^(٣٦) . ويشير قاموس التربية الى تداخل

استعمال كلمتى جامعة وكلية في الولايات المتحدة ؟ فلم تكن المعاهد التي تأسست لتصبح جامعات الا في الحقيقة كليات للآداب ، والتي تأسست لتكون كليات أصبحت في الحقيقة جامعات تضم معاهد مهنية عالية تلى دراسة الكلية ، وكليات للآداب والعلوم .^(٣٧)

وتسمى الكلية في الولاية المتحدة ، من حيث هي معهد يختلف عن المعهد المهني ، باسماء كثيرة ؟ فمرة تسمى « كلية الآداب » ، ومرة « كلية الآداب والعلوم » واخرى « كلية الآداب والعلوم والفنون » . وقد تكون قطبا تدور حوله الجامعة ، أو وحدة منفصلة ومستقلة كل الاستقلال عن اي جامعة من الجامعات . مثال ذلك : كلية امهرست ، وكارلتون ، وملنر(*) . وفي الولايات المتحدة ايضا عدد كبير من المعاهد المهنية العالية التي لا تتألف من كليات للآداب والعلوم ، بل من معاهد احترافية ، وتعد الطلاب اعدادا مهنيا ، كمعاهد الحقوق والموسيقى . ومع ان كليات المعلمين تعد نوعا من انواع المعاهد المهنية الا انها تصنف بمادة في مقوله خاصة . وتقوم اكثر كليات الآداب والعلوم باعداد المعلمين الى جانب وظائفها الاخرى . ويلعب اصحاب المهن كالمحامين والاطباء والمعلمين دورا كبيرا في الاشراف على سياسة اعداد الطلاب في المعاهد المهنية العالية . ومن الكليات التي تتصل بالتعليم العالى مرة وبالتعليم الثانوى مرة اخرى « الكليات المتوسطة » التي مدة الدراسة فيها سنتان ، و « الكليات الشعيبة » التي أخذت تنتشر في بعض المناطق لؤدي وظيفة خاصة .

اما الجامعة فيعرفها « قاموس التربية » بانها « مؤسسة للتعليم العالى تتالف عادة من كلية للآداب والعلوم ، وتقدم دراسة تلى دراسة الكلية ، وتضم في الاعم الاغلب معهدین مهنيین او أكثر ، ولها حق

27 Ibid, P., 439

* Amhurst College, Carleton College, Mills College.

منح الدرجات العلمية في مختلف فروع التدريس » أو هي « مؤسسة تعليمية تتكون من كلية للآداب والعلوم Undergraduate ، ومن مدارس مهنية ، ومن كلية عالية graduate او مدرسة School تقدم منهاجا دراسيا للبحث في الدراسة الثانوية ، و يؤلف أول مرحلة من مراحل منح الدرجات المهنية » (٢٨) .

وستعمل كلمة جامعة في الأوساط التربوية للدلالة على الدراسات العالية التي تلي دراسة الكليات . هذا من جهة ، أما من الجهات الثانية فقد تجد بعض الكليات التي تقدم دراسات عالية وتنفتح الدرجات العلمية ، بما في ذلك درجة الدكتوراه ، ولكنها لا تحسن جامعات . مثال ذلك : كلية برن مور ، ومعهد كاليفورنيا التكنوقратي ، وكلية جورج بيسودي للمعلمين ، وكلية التربية في ولاية كولورادو (*) .

وتنتشر في الولايات المتحدة أيضا « المعاهد الفنية » او التكنوقратية (**) ، وهي مؤسسات توفر على دراسة بعض المواضيع العلمية الاختصاصية والتكنوقратية ومنح الدرجات العلمية . وقد تنمو بعضها نموا كبيرا بحيث تصبح في عدد الجامعات .

لقد بلغ عدد المؤسسات العالية في الولايات المتحدة حسب احصاء سنة ١٩٥١ (١٨٥٨) معهدا ، منها سبعة معاهد تديرها حكومة الاتحاد ، و ٣٧٠ معهد تديرها حكومات الولايات ، و ٢٦٣ تديرها المجالس المحلية في كل ولاية ، و ٥٠٧ تديرها هيئات خصوصية لا كنسية ولا حكومية ، و ٤٧٦ تديرها

28 Irwin, Mary (Editor) American Universities and Colleges, P., 45

* Bryn Mawr College, California Institute of Technology, George Peabody College, Colorado State College of Education.

** Institutes of Technology

الكنيسة البروتستانتية ، و ٢٢٩ تدیرها الكنيسة الكاثوليكية ، وخمسة معاهد تدیرها الطائفة اليهودية . وجملها مختلطة . ولكن ٢٢٧ مؤسسة منها للرجال دون النساء .

وتحتفل الكليات والجامعات في عدد طلابها^(*) . واكبرها جامعة نيويورك التي تضم ، بموجب احصاء سنة ١٩٥٠ ، ٤٦،٣٥٧ طالبا ، وتليها جامعة كاليفورنيا وتضم ٣٩،٤٩٢ طالبا ، وكلية مدينة نيويورك وتضم ٣٣،٢٠٣ طالبا ، وجامعة كولومبيا وتضم ٢٧،٦٣٦ طالبا ، وجامعة الينوي وتضم ٢٢،٢٥٠ طالبا ، وجامعة انديانا وتضم ١١٢٥ طالبا ، وجامعة اوهايو وتضم ٣٧٨ طالبا ، وجامعة نورثويسترن وتضم ١٢٨ طالبا ، وجامعة وين وتضم ١٩،٣٠٧ طالبا .

الكليات المتوسطة :

ينظر كثير من المربيين الامريكيين الى التعليم الذي يجري في الكليات المتوسطة على انه ضرب من ضروب التعليم الثانوى المجانى والعام ، وينظر اليه آخرون من حيث هو مرحلة توجيهية من مراحل الدراسة العالية . وتتوقف هذه النظرة على وظيفة الكلية المتوسطة ، والهدف الذى ترمى اليه . واذا اردنا ان نقىس مستوى الطالب الامريكي الذى يتخرج من الكلية المتوسطة ويقضى ستين دراستين بمسوى الطالب الفرنسي الذى يتخرج من اللisse والالمانى الذى يتخرج من الجمنازيوم نجد انه يصل فى تعليمه الى مرحلة يضاهى بها كلا من الطالب الفرنسي والالمانى^(٢٩) .

لقد أطلقت كثير من الكليات والجامعات على الستين الاولى والثانوية اسم « الكلية المتوسطة » ، وحاولت ان توصلها بالمدرسة الثانوية من جهة

(*) بلغ عدد طلبة المعاهد العالية سنة ١٩٥١ نحو من ١١٦،٤٤٠ طالبا وطالبة .

(٢٩) المصدر السابق نفسه صفحة ١٠ .

وبالجامعة من الجهة الثانية استجابة لحاجات الطلبة المختلفة . وهي اما ان تكون عامة او خصوصية . وطول الدراسة فيها ، كما سبق ان اشرنا الى ذلك ، ستان . وقد تضم السنتين الاخيرتين من سنوات الدراسة الثانوية وتطلق على نفسها كلية متوسطة ذات اربع سنوات . ان هذه الكليات التي تأسست في كثير من المدن الصغيرة لتساعد الطلاب على الدخول في أول مرحلة من مراحل تحصيلهم العالى وهم على مقربة من اهلهם وذويهم والتي تقدم دراسات عامة في الآداب والعلوم قد اصبحت في نظر بعض المربين ، وسواء كانت متطرفة عن مدرسة ثانوية او متصلة بجامعة من الجامعات ، مرحلة اعدادية للدراسات الاكاديمية في الجامعات الامريكية .

الكليات والجامعات

لحنة تاريخية : يقول الاستاذ دونالد توكسبرى Donald G. Tewksbury : كان الغرض من تأسيس « الكلية » الامريكية سد « حاجات روحية » . وكانت جميع الكليات التي تأسست في « عهد المستعمرات » قبل « الحروب الاهلية » تقريبا تخضع لاعتبارات دينية ، وتهدف الى اعداد رجال الدين وتنمية الخلق المسيحي بالتدريب العقلى والضبط الخلقي . وهكذا تأسست كلية هارفارد سنة ١٦٣٦ ، وكلية وليم آندميرى سنة ١٦٩٣ ، وكلية ييل سنة ١٧٠١ ، وكلية نيو جيرزى ، التي سميت فيما بعد بجامعة برنسون سنة ١٧٤٦ ، وكلية رود آيلند التي عرفت فيما بعد بجامعة براون سنة ١٨٠٤ . وقد حذرت الكليات الامريكية عند تأسيسها حذو الكليات لا الجامعات الانكليزية ، وصارت الكليات المنفصلة والمستقلة عن الجامعة ولمدة طويلة المؤسسات الوحيدة للتعليم العالى في الولايات المتحدة . ولم تؤسس الجامعات الامريكية الا في غضون المئة سنة الاخيرة . وما زالت الكليات المنفصلة أكثر عددا من المؤسسات العالية الأخرى .

وفي نهاية القرن التاسع عشر اخذت الكليات تستجيب لمطالب الحياة الاجتماعية الامريكية بتأثير الجامعات الاوروبية ، وتحرر منهاجها من طابع الفسيق الذى لازمها^(*)؛ وطبق مبدأ الاختيار فى الدروس ، وعنى باللغات الحديثة والعلوم والاعداد المهني والاختصاصى ، والقاء المسؤوليات على الطلبة فى مراقبة سلوکهم الخاص . وأخذ طابعها الدينى يتضاءل سنة بعد اخرى ، وضررت جامعة هارفارد مثلاً للجامعات الأخرى حينما الفت حنية الحضور في الكنيسة، وقد وجدت الجامعات المستقلة القديمة نفسها مضطرة على ان تدخل فى منهاجها عدداً من الدراسات الحديثة لتساير الحاجات الجديدة . فقد استت جامعة كولومبيا مثلاً ، وهى احدى الجامعات القديمة ، بالإضافة الى كلياتها التقليدية المعروفة وهى كليات الآداب والعلوم والقانون والطب واللاهوت والهندسة ، كليات جديدة للتجارة والصحافة والهندسة المعمارية والمعلمين وتنظيم المكتبات والاسنان والصيدلة والعلوم السياسية .

ومن الجامعات والكليات ما كانت تابعة لكل ولاية من الولايات *State University* فتصبح حكومية ، ومنها ما تناول مساعدات مالية ، او مجانية ، ومنها ما تكون مستقلة تديرها هيئات خاصة او كنائس مختلفة ، وتستوفى اجوراً عالية . ومن الجامعات المستقلة جميع المؤسسات التي تأسست يوم كانت امريكا تابعة لانكلترة ، وشهرها جامعة هارفارد ، ووليم اندمرى ، وبيل ، وبرنسون ، وكولومبيا ، ودارتموث . فإذا اضفنا اليها جامعات كورنيل ١٨٦٥ وجونز هوپكنز (١٨٦٧) وستانفورد (١٨٩١) وكثيراً من الجامعات الأخرى الشهورة وجدنا ان اهم معاهد التعليم العالى في الولايات المتحدة مستقلة وخصوصية .

ولكل ولاية ، باستثناء ولاية كاتاريك ، ومساجوست ، ونيوجيرزى ،

(*) فمثلاً أسست جامعة ستانفورد في سنة ١٩٤٨ « مركزاً للكتابة الابداعية » Creative Writing Centre « لاعداد الكتاب الشباب الموهوبين وتشجيعهم » .

نيويورك ، ورود آيلند جامعة حكومية خاصة بها^(*) .

وحيث ان اجر التعليم العالى فى المعاهد المستقلة القديمة باهضة فقد أخذت الولايات تؤسس الجامعات لاعطاء فرص متساوية الى جميع الطلاب والطالبات ، وتستوفى منهم اجرها ضئيلة . وقد نادى الجمهوريون اثناء الحرب الاهلية بضرورة تأسيس معاهد عالية تسيطر عليها الولايات . ومن الجامعات الاولى التي سيطرت عليها احدى الولايات ونالت مساعدة مالية منها هي جامعة جورجيا التي تأسست سنة ١٧٨٥ . ومع ان كثيرا من زعماء أمريكا ، ومن بينهم جورج واشنطن ، كانوا ي يريدون تأسيس جامعات « قومية » الا ان الجامعات التي قامت بتأسيسها الولايات قبل نشوب الحرب الاهلية وعددها ٢١ جامعة نالت ، بعد ان منيت فكرة تأسيس جامعة قومية بالفشل ، من حكومة الاتحاد مساعدات اتخذت صورة منحها اراضي حكومية .

ان ٤٥ ولاية من الولايات امريكا اليوم تتفق وتدير وتسيطر على جامعة حكومية او اكثرا . وكانت ولاية نيويورك الى امد قصير جدا لا تدير جامعة « حكومية » State ؟ ولكنها اسست في سنة ١٩٤٨ « جامعة ولاية نيويورك »^(**) التي تتالف من ٣٣ معهدا للتعليم العالى منتشرة في مختلف نواحي الولاية . وتأسس جامعات الولايات اما بموجب دساتيرها واما بموجب قانون خاص يشرعه مجلس الولاية . ويعين « حاكم » الولاية عادة مجلس « امناء » الجامعة بعد استشارة المجلس التشريعى . وفي حالات خاصة ينتخب « الامناء » من قبل المواطنين .

اما النوع الآخر من الجامعات فهو الذى تقوم بتأسيسه البلديات وتسمى « جامعة البلدية » Municipal University ؟ وقد بلغ عدد الجامعات

(*) وتعتبر جامعة ولاية بنسيلفانيا الجامعه الوحيدة التي تتسلّم من ولايتها مساعدة مالية .

* * State University of New York

والكليات التي تستمد نفقاتها من الضرائب التي تفرضها البلديات والتي تديرها
عادة مجالس خاصة سنة ١٩٥٠ (١٤) مؤسسة (*)

ويطلب التعليم العالي ، لاسيما التعليم المهني ، نفقات جسمية . حتى
لقد أصبح من المتعذر على بعض الولايات أن تهيء فرضاً تعليمية عالية لمختلف
الدراسات التي ينشدها الطلاب ، يضاف إلى هذا أن عدد الطلاب في بعض
الفروع قليل جداً مما زاد في نفقات الدراسة العالية وأصبح من المتعذر أيضاً
تقديم دراسات اختصاصية في جميع الكليات أو الجامعات . ولحل هذه
المشكلة عمدت بعض الولايات ، وخاصة الولايات الجنوبية ، إلى وضع خطة
مشتركة ؛ فاتفق عشرة من « حكامها » سنة ١٩٤٨ على وضع خطة في تنظيم
التعليم العالي على أساس المناطق لا الولايات وتقديم فرص جديدة إلى الشباب .
وقد وافقت مجالس الولايات التشريعية عليها وانظمت إليها أربع ولايات
أخرى ، وتأسس مجلس إقليمي (**) لإدارتها .

وتعهد كل ولاية ، بموجب هذه الخطة ، بإفاد عدد من الطلاب إلى
بعض المعاهد العالية الواقعة في ولاية أخرى على أن تدفع سنوياً ١٥٠٠ دولاراً
عن كل طالب يدرس الطب أو طب الاسنان ، و١٠٠٠ دولار عن الطالب
الذى يدرس الطب البيطري ، و٧٥٠ دولار عن الطالب الذى يدرس خدمات
اجتماعية ، وان تكون الأجرة التى يدفعها الطالب مساوية إلى الأجرة التى
يدفعها الطالب الذى يسكن فى تلك الولاية . وقد بلغ عدد الطلاب الذين
استفادوا من هذه الخطة فى سنة ١٩٥١ - سنة ١٩٥٢ (٨٥٠) طالباً ،
٥٨٣ منهم « بيضا » و٢٦٧ زوجاً ، التحقوا فى ١٩ جامعة موزعين على التحول

(*) باستثناء جامعة وين الواقعة فى مدينة ديترويت التى تديرها
مديريية معارف مدينة ديترويت .

** Southern Regional Education Board

الآتى : ٣٠٠ لطلب ، و٢٦٥ لطلبسيطرى ، و٢٥٠ لطلب الاسنان و ٣٥
لخدمات الاجتماعية .

السيطرة على التعليم العالى :

تخضع المعاهد العالية الى سيطرة حكومات الولايات ؟ ولا تمارس حكومة الاتحاد سيطرة عليها ، ولا تخضع الشروط التي ينبغي ان توافر فيها (*) .

وتحتفل الولايات بعضها عن بعض فى الشروط التي ينبغي ان توافر فيمن يريد ان يؤسس جامعة او كلية ، وبينما « اجازة » بذلك . فمن الولايات ما تتطلب شروطا صعبة ، كولاية نيويورك ، ومنها لا تتطلب اى شرط مطلقاً . وحيث ان الولايات لا تود وضع مقاييس عامة ، وان بعض الكليات والجامعات والمعاهد العالية يلزمهها ضعف كبير فقد ظهرت حاجة البلاد الى تأسيس جمعيات « اعترافية » Accrediting تستطيع ان تضع مقاييس عامة في كل فرع من الفروع . وهذه الجمعيات التي تأسست منذ مدة طويلة لا تقبل في عضويتها الا المعاهد التي توافر فيها تلك الشروط المعينة او المقاييس العامة . وتحتفظ كل جمعية اعترافية عادة بقائمة تتضمن اسماء الجامعات التي تعرف بمستواها العلمي ؟ وبالاضافة الى « رابطة الجامعات الامريكية » التي تضم ٣٥ جامعة ففى اكثر مناطق الولايات المتحدة جمعيات اعترافية اقليمية تحتفظ بقائمة تتضمن اسماء الكليات والمدارس الثانوية التي تعرف بها هذه الجمعيات . وقد بلغ عددها ست جمعيات .

(*) تستثنى من ذلك المعاهد التي تقوم باعداد ضباط الجيش والاسطول وحرس السواحل وهى

أ - الاكاديمية العسكرية فى ويست بوينت at West Point

ب - الاكاديمية البحرية فى انابوليس Naval Academy at Annapolis

ج - اكاديمية الحرس الساحلى فى نيولندن Coast Guard Academy at New London

ادارة المعاهد العالمية :

تدبر الكليات والجامعات عادة « مجالس » ؟ فتسمى « مجالس الامانة » أو « مجالس المديرين » او « مجالس الاوصياء »^(*) . ويتكون مجلس الادارة عادة من اناس مدنيين مشهود له بحب العلم وتقدير رجاله ؟ ولا يتألف من اعضاء الهيئة التدريسية . واذا كانت مجالس الكليات والجامعات قد تألفت في الماضي من بعض رجال الدين فتألف اليوم من بعض رجال المال والاعمال الذين يتبرعون بمسخاء الى هذه المؤسسات ويعدون عضويتها شرفاً . ومجالس الادارة شخصيات حكمة ، وهي مرجع جميع السلطات . ولكل مجلس « رئيس » President وسكرتير وأمين صندوق ؟ وقد يتتألف المجلس من ثلاثة اعضاء ، أو يتضخم فيضم ٢٥٠ عضواً . وتكون مجالس المعاهد الخصوصية عادة اكبر من مجالس المعاهد التابعة للولايات ، ولكنها لا تقل عن ١٥ عضواً . وتعهد أعمال المجلس ، اذا كان كبيراً ، « لجان فرعية » . ولمجالس ادارة المعاهد العالمية التابعة للكنيسة الكاثوليكية وظائف اخرى غير التي ذكرناها قبلًا . واكتراها تعنى في املاك المؤسسة ؟ ويتنبّح اعضاء مجالس الادارة عادة من اعضاء الهيئة التأسيسية . ولكن سياسة المعهد واختيار الموظفين والاساتذة اليه أمر يعود الى المراجع الدينية العليا .

ويتولى ادارة الكلية او الجامعة في الحقيقة « رئيسها » الذي يتمتع بصلاحيات واسعة اكبر مما يتمتع رئيس اية جامعة او كلية في المانيا او انكلترة . ويساعد الرئيس عادة مجموعة من الموظفين ، اهمهم سكرتير الجامعة ومساعدو الرئيس ، والعميد والمدير . و « العميد » هو المسئول عن شؤون الدراسة في معهده ، ويكون « المسجل » مسؤولاً عن قبول الطلاب

* Board of Trustees, Board of Directors, Board of Regents.

والاحتفاظ بوئاقهم ودرجاتهم . وتألف الكلية الامريكية من « أقسام » Departments عدّة تسع باسع عدد الموضوعات الدراسية . ولكن الجامعات تسير في الوقت الحاضر على اساس تنظيم الاقسام في مجتمع كبير من المعرفة كقسم : الانسانيات ، والعلوم الاجتماعية ، والعلوم الفيزيائية ، والفنون ، والعلوم البايولوجية . وكل قسم رئيس يدير جلسات القسم ويحتفظ بمقرراته .

الهيئة التدريسية :

تألف « الهيئة التدريسية » Faculty من جميع المدرسين الذين يتولون شؤون التعليم في الجامعات الامريكية ، ويترأّس اجتماعاتها « رئيس » الجامعة ؟ وعند تقييمه ينوب عنه احد العمداء ؟ ويقوم « المسجل » بأعمال سكرتارية « الهيئة » ؟ ويسجل محاضر الاجتماعات . وتسيطر « الهيئة التدريسية » على سياسة المعهد التعليمية ، بما في ذلك الامور المتعلقة بتنظيم مناهج الدراسة ، وشروط قبول الطلاب ، ومنح الدرجات العلمية(*) . ولا تتحسب وظيفة « رئيس القسم » عادة لقابا علميا بل وظيفة ادارية .

ويبدأ عضو الهيئة التدريسية عمله في الجامعة « مدرسا » ، ثم يصبح « استاذ مساعد » بعد مرور مدة تتراوح بين ٣ - ٥ سنوات ، ولا يكون « استاذ مرافق » الا بعد قضاء ٣ - ١٠ سنوات في التدريس . اما درجة « الاستاذية » فلا ينالها الا من تعمق في اختصاصه واشهر ، وقد يبقى بعض اعضاء الهيئة التدريسية في مراكزهم العلمية ويتقاعدون دون ان يصلوا إلى درجة « الاستاذية » .

وليس ضروريًا ان يبدأ عضو الهيئة التدريسية حياته « مدرسا » في معهد من المعاهد ، بل كثيرا ما تعيّن بعض الشخصيات العلمية البارزة في بعض

* Instructor, Assistant Professor, Associate Professor, and Professor.

الكراسي الشاغرة وتمنح القابا علمية عالية دون ان تكون لديها خبرة سابقة في التدريس تقديرًا لجهودها واعترافا بمكانتها . وكتير من الكليات المتوسطة ، وكميات المعلمين لا تمنح مدرسيها القابا علمية ، بل تنظر اليهم من حيث انهم « مدرسوون » وحسب .

القبول في المعاهد العالية :

يقبل الطلاب الى المعاهد العالية بعد انتهاء مرحلتي الدراسة الابتدائية وطولها ٨ سنوات والدراسة الثانوية وطول اربع سنوات . وتتبع المعاهد العالية طريقتين في انتقاء الطلاب : الاولى طريقة اداء امتحان Examination والثانية « خطة الشهادة » Certificate Plan .

ان اقدم طريقة متبعة في انتقاء الطلبة الى المعاهد العالية هي طريقة « امتحان الدخول » Entrance Examination . ففي سنة ١٩٠٠ ألغت مجموعة من الكليات « مجلس امتحان للدخول » وجعلت مركزه جامعة برنسون الواقعة في مدينة نيوجيرزي . ويعقد هذا الامتحان ثلاث مرات في السنة : في شهر نيسان وحزيران وتشرين الثاني . وتعقد بعض الكليات امتحانا خاصا بها ، ولا تعترف بالامتحانات الأخرى . واذا كانت مديرية معارف الولاية هي التي تعقد الامتحانات العامة للدراسة الثانوية فإن شهادة الدراسة الثانوية تخول حاملها حق الالتحاق باحدى معاهد تلك الولاية العالية .

اما الخطة الثانية ، وهي « خطة الشهادة » ، فقد أوجدها جامعة ميشيغان سنة ١٨٧١ . وخلاصتها ان احسن طريقة تتبع في اختيار الطلاب لا تتحصر في شهادة الدراسة الثانوية وامتحان الدخول فقط ، بل ينبغي أن ترکن الجامعة او الكلية الى آراء المدرسة التي درس فيها الطالب . فادارة المدرسة تستطيع ان تقدم فكرة حسنة عن مؤهلاته وقبلياته وائليته للدخول في احدى المعاهد العالية أكثر من اية جهة أخرى . والقبول بموجب هذه الطريقة لا يستند الى درجات الطالب حسب بل الى الصفات الأخرى التي

يتصف بها ، والى نتائج امتحانات المعرفة والقدرة وغيرها .

الامتحانات :

تسير الجامعات والكليات الامريكية على « نظام النقاط »^(*)؛ وللحجاج فى الحصول على درجة بكالوريوس علوم يشترط ان ينال الطالب طوال اربع سنوات دراسية ١٢٠ نقطة ويدرس الطالب فى كل فصل عادة ١٥ نقطة ؟ ولكل درس قيمة عددية تتوقف على عوامل عدة . واكثر الجامعات تستوفى اجرورها الدراسية بنسبة عدد النقاط التى يأخذها الطالب . ويشترط فى الحصول على درجة استاذ علوم او آداب ان يمضى الطالب سنة دراسية بعد مرحلة دراسة درجة البكالوريوس . وتحتختلف النقاط التى ينبغي ان يأخذها من جامعة الى اخرى ، ومن قسم لا آخر ، وتحتختلف لعوامل اخرى . وتتطلب بعض الجامعات كتابة رسالة بالإضافة الى عدد النقاط . ويحتاج طلبة الدكتوراه عادة الى دراسة ثلاث سنوات بعد انتهاء مرحلة الليسانس . ولا بد لكل واحد منهم أن يضع أطروحة فى بحث أصيل يدل على قابليته فى البحث المستقل ، وينجح فى اداء امتحانين احدهما شفهي يتعلق بمحتويات الأطروحة ، والثانى تحريري يتناول جميع المواضيع التى لها صلة باختصاص الطالب ويستغرق عدة ايام ، ويطلب استعدادا خاصا من الطالب ، فقد يضطره ان يراجع عدة كتب وخاصة اذا كان من طلبة العلوم الاجتماعية .

نفقات التعليم العالى :

تقدر النفقات التى صرفت على التعليم العالى فى الولايات المتحدة حسب احصائية سنة ١٩٤٧ - سنة ١٩٤٨ حوالى ١٣٩١٥٥٩٥٠٠٠ دولار . وإذا أضفنا اليها النفقات التى تصرف على مكتبات المعاهد والاقسام الداخلية والمطاعم ومقدارها ٤٣٨٦٨٨٨٠٠٠ دولار والنفقات التى صرفت لاغراض غير تعليمية ومقدارها ٥٢٦٨٧٠٠٠ دولارا ادركتنا جسامه هذه النفقات .

* Point or Credit System.

وتسكون مدخولات المعاهد العالية من عوائد الهبات ، والهبات الخيرية ، والاجور الدراسية ، واعنات الحكومات التي اخذت تزداد سنة بعد اخرى . فبعد ان كانت هذه الاعنات سنة ١٨٧٩ - ١٨٨٠ تؤلف ٥٧٪ من النفقات السنوية العامة للجامعات والكليات صارت ٣٦٪ في سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٠ ، ثم ارتفعت الى ٥٩٪ في سنة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ . واذا قلنا اعنات حكومية فقصد بها المساعدات التي تقدمها الادارات المحلية ، وحكومات الولايات المتعددة ، وحكومة الاتحاد . فالاولى تدفع عادة حوالي ٣٪ من النفقات وتذهب اكثرا الى الكليات المتوسطة ، وتدفع الثانية ٢٪ لوجود جامعة او معهد عال في كل ولاية ، وتدفع الثالثة ٣٪ حسب احصاء سنة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ ، بينما لم تتعذر هذه النسبة قبل الحرب العالمية الثانية ٥٪ من مجموع النفقات السنوية العامة . ان ٣٪ مما تدفعه حكومة الاتحاد يدفع الى المعاهد العالية لتنفقه على الطلاب الذين التحقوا في صفوف الجيش في الحرب العالمية الثانية ولم يستطيعوامواصلة دراساتهم العالية . ولقد ازداد عدد الطلبة في الكليات والجامعات عقب تسریع التجنيد والمجندات . فبلغ عدد المسرحين وحدهم ٨٠٠,٠٠٠ طالب ، وعدد الذين كانوا يتّهبون للدخول ٢٠٠٠,٠٠٠ طالب وطالبة . وقد أقر الكونغرس الامريكي قانونا لمساعدتهم ، فخصص كل واحد منهم بـ ٥٠٠ دولار في السنة اجورا دراسية ، و٦٥ دولارا في الشهر ان كان اعزبا و٩٠ دولارا ان كان متزوجا .

ومع أن الهبات التي تتلقاها الجامعات الامريكية والكليات قد اخذت تزداد سنة بعد سنة الا أن نفقات الدراسة قد اخذت بالزيادة عاما بعد عام نظرا لارتفاع كلفة المعيشة في الولايات المتحدة فقد ارتفعت كلفة المعيشة هذه سنة ١٩٤٠ الى ٧٠ بالمائة في حين أن رواتب اساتذة الجامعات لم تزد الا ٣٠ بالمائة ولقد قامت جريدة نيويورك تايمز المشهورة (عدد ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٩٥٠) بدراسة حالة الجامعات العالية فوجدت أن جامعة واحدة من

كل خمس جامعات تشكو عجزاً مالياً • وقدرت العجز المالي الذي تشكو منه جامعة ييل بـ ١٠٠ مليون دولار • وقد هي جماعة من رجال المال والقانون والأساتذة إلى علاج هذه الحالة • فاجتمع ١٤ شخصاً منهم في سنة ١٩٤٩ وألقووا «لجنة تمويل التعليم العالي» برئاسة أحد أستاذة جامعة كولومبيا المشهورين وهو الدكتور فرانك فاكنتال Fackenthal ليبحث المشكلة من جميع وجوهها وجمع المال إلى الجامعات المهمة لانفاقها على البحوث والدراسات العلمية •

ومما هو جدير بالذكر أن الجامعات الأمريكية الخصوصية تصلها مساعدات مالية كبيرة من مختلف البيوتات المالية والشركات • ولقد أعلنت جامعة هارفارد مثلاً أن مجموع الاعانات التي سلمتها لغاية شهر حزيران من سنة ١٩٥٠ بلغت (١٦٠٠٠٠٠٠) دولار ، وأعلنت جامعة ييل أنها حصلت على (٥٥٠٠٠٠٠) دولار ، وسلمت جامعة برنستون أكثر من ثلاثة ملايين دولار • ووهبت بعض الكليات الشهيرة في المدة نفسها أيضاً مبالغ جسيمة • فقد بلغ ما حصلت عليه كلية «سميث كوليج» سبعة ملايين دولار ، وما دخل جامعة مينيسوتا من الهبات ٣٣ مليون دولار • وما دخل جامعة كاليفورنيا ٥٣ مليون دولار وما دخل جامعة تكساس من شركات النفط ١٢٩ مليون دولار •

البحث العلمي :

أصبح البحث العلمي من أهم اعمال الجامعات والمعاهد الخاصة ، ومن أهم اعمال الشركات الصناعية والمؤسسات الحكومية والبيوتات التجارية • وتتفق الولايات المتحدة مبالغ جسيمة على الابحاث العلمية • فقد جاء في احدى التقارير الرسمية(*) أن مجموع المبالغ التي ارصدت للبحث العلمي بلغت (١٦٠٠٠٠٠٠) دولار في سنة ١٩٤٧ • وكان ما أنفقته حكومة الاتحاد وحدها (٦٢٥٠٠٠٠) دولار ، والشركات الصناعية

* President's Scientific Research Board.

تقرير «لجنة الرئيس عن التعليم العالي» :

في سنة ١٩٤٦ عين المستر ترومان رئيس جمهورية الولايات المتحدة لجنة لدراسة مشكلة التعليم العالي (*) ضمت طائفة شهيرة من أساتذة ورجال دين ، ومن مدنيين وختصصاً في شؤون العمال يمثلون مؤسسات مختلفة . وقد وضع الجنة تقريرها سنة ١٩٤٧ ، ورفعته إلى رئيس الجمهورية ؟ وسمته « التعليم العالي للديمقراطية الأمريكية » (**) ؛ ويقع في خمسة أجزاء . وتناولت الأجزاء الاربعة الأولى دراسة مشاكل التعليم العالي و حاجاته ، وتقديم توصيات عنها . وذهب واضعوه إلى أن نسبة كبيرة جداً من سكان الولايات المتحدة لا تستطيع ان تنهض بمسؤوليات المواطنة في مجتمع ديمقراطي حر ، لنقص في ثقافتها ؟ فقد نال عشرة ملايين مواطن تعليمًا ابتدائيًا ناقصاً ؟ وذهب إلى أن ٤٠٪ من السكان ، على أقل تقدير ، يستطيعون أن يتلقوا تعليم عال طوله ستة سنين ، وأن ٣٢٪ منهم بتعليم عال طوله أربع سنوات ؟ وان العائل الذي يقف دونهم هو الفقر . ويوصي التقرير ان تبذل الولايات المتحدة جهودها في توسيع معاهدها العالية بحيث تستوعب ٤٠٠٠ طالب وطالبة في سنة ١٩٦٠ ، اي ضعف عدد طلبة المعاهد العالية المسجلين في سنة ١٩٤٧ ، وأن تساهم حكومة الاتحاد بسخاء في الانفاق على التعليم العالي .

* President's Commission on Higher Education.

** Higher Education For American Democracy,
Washington, December, 1944.

الحرية العلمية :

ربما تكون «الحرية العلمية» من أهم الخصائص التي تميز بها الجامعات الغربية، لاسيما الأمريكية منها؟ بل هي الأساس الذي يقوم عليه التقدمي العلمي والفكري. وقد أصبت منذ الحرب العالمية الثانية بانتكاسة شديدة؛ وأخذت السلطات الأمريكية، لاسيما بعد انتصار الشيوعية وانتشارها في مختلف الأقطار، وتوجلها في الولايات المتحدة، تحسها صورة من صور النظم «الكلية» الديكتاتورية، ورمزاً للخيانة، وإداة من أدوات الهدم في مشاريع الدفاع الأمريكية.

وتقوم اليوم عدة لجان فرعية تابعة لمجلس الشيوخ الأمريكي باجراء تحقيق واسع في مدى انتشار الشيوعية بين أساتذة وطلاب الجامعات والكليات الأمريكية. وقد مثل أمام هذه اللجان عدد كبير من مشاهير الأساتذة للتحقيق معهم في التهم المنسوبة إليهم باتهامهم للحزب الشيوعي الأمريكي في السابق أم في الحاضر، أو علاقتهم بسائر المنظمات الشيوعية السرية، وقيامهم بترويج المبادئ الشيوعية بين طلابهم وطالباتهم.

وقد أثار هذا الموضوع جدلاً في مختلف الأوساط التربوية في الولايات المتحدة، واهتمامًا في شتى الأوساط الثقافية، واعتبرت بعضها قرار الكونغرس بالتحقيق مع أساتذة الجامعات خرقاً صريحاً لحرية التعليم، مما حدا «برابطة الجامعات الأمريكية»^(*) أن تدرس المشكلة دراسة

(*) كانت «رابطة الجامعات الأمريكية» American Association of Universities قد الفلت لجنة برئاسة المستر غرسوالد A. Whitney Griswold رئيس جامعة بيل وعضوية : آرثر هولى كومبتون Compton رئيس جامعة واشنطن، وفرانكلن ميرفيس Murphy رئيس جامعة كانساس، ووالاس ستيرلنج رئيس جامعة ستانفورد Sterling Riston من جامعة براون لدراسة الموضوع فوضعت تقريرها المسامي : Rights and Responsibilities of Universities and their Faculties

واسعة ، فوضعت تقريرها عن « حقوق ومسئولييات الجامعات وهيئاتها التدريسية » بسلطت فيه آراؤها عن ماهية « الحرية الأكادémie » والمدى الذي ينبغي ان تسير فيه ، وهل تحرق اذا ما سمح لاستاذ شيوخى ان يدرس في احدى الجامعات ، او هل تحرق اذا خيل بينه وبين التدريس في جامعة من الجامعات ؟ وقد جاء في التقرير ما يأتي : « الجامعة مؤسسة علمية تتجسم فيها رغبة الانسان الغريزية في اكتشاف سبل المعرفة ؟ وهي قديمة كقدم الجنس البشري . والجامعة الامريكية الحديثة راية علماء تضم طائفة من العلماء الذين يتغلبوا على المثل الاعلى الذي يقوم عليه التعليم ، والى الميثاق الخلقي الذين يستند اليه سلوكهم العام ، والى الوطن الذي يعيشون فيه ، والى شكل الحكومة التي ارتضتها ذلك الوطن . وتقدم الجامعات ميادين متعددة من المعرفة ، و تعرض وجهات نظر كثيرة . وأهمية التثبت الفردي في التواحى العقلية لا تختلف عن أهميته للتقدم الاقتصادي .

« عليه ينبغي على الجامعة ان تفتح صدرها لتقبل مختلف المهارات ووجهات النظر . وان تتحلى بروحية البحث والنقد وعرض الاراء في جو متبوع بالحرية والتقة المتبادلة . وهذا هو المفهوم الحقيقي للحرية (العلمية) . ومن الضروري ان يضمن مجلس الجامعة هذه الحرية للهيئة التدريسية ، وان يقف الرأي العام على الاسباب التي تدعو الى ضمان هذه الحرية . » ويضيف التقرير الى ذلك : ان قيام الهيئة التدريسية بواجباتها خير قيام يتطلب ان تستمر في دراسة المؤسسات والعقائد السائدة وتمحيصها وتقديرها . وان هذا البحث لا يمكن ان يقتصر على العالم المادى . وحيث ان التقدم الخلقي والاجتماعي والسياسي لم يمش جنبا الى جنب مع السيطرة على العالم المادى اصبح التوغل في الاستقصاء والبحث في جامعاتنا العلمية ضرورة ماسة . ان رسالة العالم تتطلب دراسة وتمحيص بعض الاراء غير المستحبة ، او المبادىء التي تعتبر مقيمة وحتى خطيرة . والجهر بأرائه ومعتقداته مهما كلفه الامر . »

ثم يمضي التقرير فيقول : وما ينطبق على حرية البحث ينطبق نفسه على حرية التعليم . وما دامت آراء الاستاذ ذات طابع علمي وتحصل بموضوعه فلا يجوز الحد من حريته بين جدران الجامعة . وينبغي ان يتعرض طالب الجامعة الى آراء وعقائد متساقفة في كل حقل من حقول المعرفة ، حتى يستطيع ان يقلب وجهات النظر المختلفة ، ويصل الى درجة من التضحج بحيث يدرس الامور بفكر ثاقب . وما دام الاستاذ مستوفيا جميع الشروط الاخرى التي تتطلبهما المواطن الصالحة والكفاءة المهنية والذوق حق له ان يتسع بحماية جامعة الى اقصى حد ممكن . ولكن يوجد خط يفصل بين حرية الاستاذ المطلق وحريته المقيدة بعض الواجبات والالتزامات القانونية الذي يترك تحديده للمجالس التشريعية والمحاكم . وتعمود صلاحية تفسير وتطبيق المادة الاولى والرابعة عشرة^(*) من دستور الولايات المتحدة الى « المحكمة العليا » Supreme Court ان هذا الخط الفاصل لا سيل الى تبديله الا عن طريق المجالس التشريعية والقضائية . ولقد اتخذ في حياتنا الاجتماعية مواضع مختلفة يوم كانت متسمة بالقلق وعرضة للخطر . ومع ان تحديد هذه الواجبات والالتزامات التي يفرضها الخط قد لا يخلو من بعض النواقص التي تستثير النقد فإنه ليس بإمكان اي مواطن ان يتجاهل هذه الالتزامات ويتعدي الخط الفاصل دون ان يعرض نفسه للعقوبة اسوة بغيره من المواطنين . ومن الناحية التاريخية تضمن كلمة « الجامعة » مقاييس « خاصة » ؛ فهي لا تتخطى على وجهات نظر استاذتها فقط بل على قدراتهم واستقامتهم ؛ وعلى كل استاذ ان يحافظ على هذه السمعة . ان كفاءته ، من حيث هو عالم

(*) ليس للكونغرس ان يشرع قانونا يتصل بنشر دين من الاديان ، او يمنع حرية القيام بالشعائر الدينية ؛ او يقضى على حرية الكلام او الصحافة لا يحق لایة ولاية ان تنسن او تطبق قانونا يقضي على امتيازات مواطني الولايات المتحدة وحصانتهم ؛ كما لا يحق لها ان تجرد اى شخص من حياته او حريته او ماله بدون محاكمة .

ومدرس ، لا يصيّها الوهن بل القوة اذا ما أدرك زيف آرائه واحكامه بنفسه .
والناس في داخل الجامعة او خارجها احرار في نقد آرائه كما هو حر في
نقد احكامهم و « الحرية العلمية » لا تتضمن حرية عدم النقد .

وكما هو الحال في العلاقات الاجتماعية ، يتقبل الاستاذ العرف حين
يصبح مقبولا ولازما عند افراد المجتمع . وتقع عليه بعض المسؤوليات الادبية
نحو زملائه وطلابه كالنزاهة والاخلاص في العمل وعدم ممارسة اي نوع
من اعمال النشاط السرى او الهدام ؟ كما تقع عليه مثلها نحو ابناء قومه
الآخرين . فاذا دعى الى الاجابة عن معتقداته وجب عليه كمواطن ، والاكثر
من ذلك كاستاذ ، ان يتكلم بصرامة تامة ؟ فاذا احجم عن الكلام اساء الى
سمعة المهنة التي يتمتّع بها ، والتي تفخر بما لها من حرية للكلام ، وما
تحمّل به تلك الحرية من حماية كبرى في مجتمعنا .

واختتمت اللجنة تقريرها بقولها : انتا تشجب الشيوعية الروسية كما
تشجب كل شكل من اشكال الانظمة الكلية . ونحن نشارك الشعب الامريكي
فيما يساوره من قلق لما تتطوى عليه الشيوعية من مؤامرة عالمية كبيرة
 تستهدف القضاء على جميع المبادئ والمؤسسات التي نعتز بها . والشيوعية
 كما نراها تقوم على الاقل على ثلاثة مبادئ يمقتها مجتمعنا الامريكي مقتا
 شديدا هي : (اولا) تهيئة الجو الملائم لقيام ثورة عالمية لبسط النفوذ الشيوعي
 على العالم (ثانيا) الركون الى المخادعة ونشر الاكاذيب من حيث هما وسيلان
 من وسائل الاقناع (ثالثا) السيطرة على حرية الفكر - اي تلقين العقائد التي
 يتحتم على جميع اعضاء الحزب قبولها وتعليمها الى الآخرين . وفي ضوء
 ما تقدم لا يستطيع اي استاذ ان يصل المعرفة على الوجه المطلوب او يتبع
 بحونه ودراساته التي تقربه من الوصول الى الحقيقة . وحيث ان الاتساع
 الى عضوية الحزب الشيوعي يتطلب قبول هذه المبادئ والاساليب فان مجرد
 كون الاستاذ عضوا في الحزب الشيوعي ينفي حقه في اشغال اي منصب

جامعى . وينطبق الشىء نفسه على الاستاذ الذى يصبح « داعية » لحزن من
الاحزاب السياسية .

ان « الحرية الاكاديمية » ليست درعا يحمى وراءه اولئك الذين يخرجون على القانون . غير انه ما لم يرتكب الاستاذ خرقا صريحا للقانون فان الاجراءات الانضباطية بحقه ينبغي ان تتخذ من قبل الجامعة التى يتبعها ، لا عن طريق اية سلطة سياسية . والجامعة بمقدورها ان تؤلف مجلسا قضائيا لدراسة القضايا التى يتعرض اليها اعضاء الهيئة التدريسية كافة ، وتقرير طبيعة ودرجة خرق الحرية العلمية ، وتعيين العقوبة المناسبة^(٣٩) .

مصادر البحث الرئيسية الانكليزية

1. Annual Report of the Federal Security Agency,
U. S. A. Office of Education, 1946
2. Briggs, T. H. Secondary Education, New York, 1937
3. Burton, W. H., Introduction to Education,
New York, 1930
4. Colvin, S. S., Introduction to High School Teaching,
New York, 1931.
5. Counts, G. S., American Road to Culture,
John Day Company, New York, 1930.
6. Edmonson, J. B., and others, The Administration of
the Modern Secondary School, Third
Edition, New York, 1948.
7. Educational Policies Commission:
 - (a) Education for All American Youth,
N. E. A., Washington, 1944.
 - (b) Functions of Education in American
Democracy, N. E. A., Washington, 1937.
 - (c) Social and Economic Goals of America,
N. E. A., Washington, 1933.
 - (d) The Unique Functions of Education in
American Democracy, 1937
8. Hans, Nicholas, Comparative Education, London 1949
9. Irwan, Mary (Editor) American Council of Education,
American Universities and Colleges, 1952.

10. Report of the Harvard Committee, General Education in Free Society, Washington, 1945.
11. Rivlin, Harry N., (Editor) Encyclopedia of Modern Education, New York, 1943
12. Rugg, H, Readings in the Foundations of Education, Vol, I., New York, 1941
13. Summary Report of the U. S. Office of Education to the Tenth International Conference on Public Education, Geneva, 1947.

التعليم في فرنسه

تمهيد

انقسمت فرنسة منذ القرن الثامن عشر الى جبهتين ثقافتين متعارضتين: جبهة بنت التقاليد الكاثوليكية الدينية وأخرى بنت القوى الثوروية الدينوية؛ واخذت كل جبهة تعزز مكانتها ، وتعمل على ترسیخ مثلها الثقافية العليا؛ الاولى في اوساط الفلاحين المحافظين والثانية في اوساط العمال الساخطين . وقد تعاظم هذا الانقسام الثقافي في القرن التاسع عشر من جراء حركة «تصنيع» البلاد ونمو طبقة البروليتاريات في المدن الصناعية الكبرى مما ترك اعظم الاثر في حياة المجتمع الفرنسي الفكرية . فضل اكتسحان الارياف او الفلاحين مواطنين موالين الى التقاليد الكاثوليكية القديمة ومحافظين في امور السياسة وشئون التعليم ، وبقى اكثر سكان المناطق الصناعية ومراسك التعدين يتمسكون بتقاليد الثورة الفرنسية الراديكالية الالادية ، وانتسبوا في القرن العشرين الى الاحزاب الاشتراكية اولا والى الاحزاب الشيوعية اخيرا . غير ان هذا الانقسام الثقافي لم ينس الافرنسيون طوال تاريخهم الحديث انهم قبل كل شيء «افرنسيون» ، وانهم حملة تراث ثقافي عظيم ، وانهم مهما اختلفوا وتباذعوا فإن رابطة ممتنة واحدة تشد بعضهم الى بعض هي الرابطة القومية . وسواء ا كانوا من الجزوiet او الجينسيست(*) في الماضي او

(*) احد اتباع كورنيليس جانس Jansen (1585 - 1638) رئيس اساقفة مدينة Ypres . وقد انتشر هذا المذهب في فرنسة في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وبشر في رياضة اخلاقية عنيفة ، وفي عقيدة

كاثوليك وشيوخين في الحاضر فإن الطبقة الافرنسيه المثقه تنهل جميعها من معين واحد : هو معين ديكارت وفولتير وكوندروريه وترفل في تقاليد الملكية والثورة الفرنسيه والعقد النابليوني^(١) .

وفي فرنسيه نظامان للتعليم : نظام تديره الدولة ومستقل عن الكنيسة ، وآخر تديره الكنيسة ومستقل عن الدولة ، وكلاهما نظامان من كزيان يتشاركان في تنظيمهما وإدارتهما وطريقهما ، وكلاهما يتنازعان السيادة على تربية النساء منذ أمد طويل . ولكن هذا النزاع الشديد لم يقف الا حينما شرعت الدولة بعض القوانين ، منها قانون ١٨٨٢ و ١٩٠٤ فأصبح نظام التعليم العام دينويا ، وصار نظام التعليم الكاثوليكي مستقلًا و اختياريا . وقد بذلك الدولة محاولات كثيرة ، ظاهرة ومستترة ، في تحطيم سيطرة الكنيسة على المدارس الخصوصية ، الا انها لم تستطع ان تتحقق شيئا ملموسا حتى يومنا هذا ، وظللت المدارس الكاثوليكيه ، سواء ما كان منها خاضعا لادارة بعض الافراد او الجماعات ، تخضع الى سيطرة الكنيسة خصوصاً كبيرا . ومع ان الكنيسة لم تقبل فكرة انقسام التعليم الى ديني ودنيوي ، واتهمت نظام التعليم بالفساد والالحاد الا انه تعذر عليها افرض سيطرتها على نظام التعليم كلها . فقد صار نظام التعليم العام ، لاسيما الابتدائي ، نظاماً حكومياً قومياً راسخاً ، يتمتع به اربعة اخماس التلاميذ الذين هم في سن الدراسة الابتدائية ، واخذ عدد المدارس الثانوية الكاثوليكيه يتقلص سنة بعد اخرى لاسيما بعد ان اصبح التعليم الثانوى في مدارس الليسه Lyces والكوليج College مجانياً من سنة ١٩٣٦ .

التجرد وانكار الذات انكاراً تاماً ، وفقدان الارادة . وقد كانت هذه العقائد موضع استنكار البابوات والملوك والحكومات .

ان سيطرة الدولة على نظام التعليم ، لاسيما في الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين ، قد ضعفت قليلا اثر هزيمة فرنسة في الحرب العالمية الثانية ، وازدادت سيطرة الكنيسة ° وقد لعب المارشال بيتان دورا مهما قبل الحرب العالمية الثانية واتماء الحماية الالمانية في العمل على تثبيت التقاليد الكاثوليكية في نظام التعليم وانحاز منذ سنة ١٩٣٤ الى « الحزب الكاثوليكي » ، وانتقد نظام التعليم الديني (الحكومي) في ذلك الوقت انتقادا مرا ، واظهر اسفه الشديد على انتشار العقائد الاشتراكية والشيوعية والفووضوية من جراء تصنيع فرنسة ° وطالب ان تعود فرنسة الى ثقافتها الزراعية والى تقاليدها وطرائقها الحياة القديمة فيها ° واقتراح ان تتولى الكنيسة الكاثوليكية السيطرة على التعليم ° ومن اجل هذا فقد ادخل الدين في مناهج الدراسة الحكومية وجعله درسا زاميا ° وعيّن بعض رجال الدين لتدريسه ومنحهم الرواتب من خزينة الدولة واعطى المدارس الكاثوليكية المستقلة مساعدات مالية حكومية وبذلك عادت من جديد فكرة الانقسام الثقافي ، والتطاحن بين النظام الديني والديني ونجحت المدارس الكاثوليكية بتجاهها ملموسا ولقد عد هذا التجهيز من حكومة فيشي خرقا للدستور ° وأثار معارضته شديدة من بعض الاباء والمدرسين ° وقد اصبح التوغل الكاثوليكي في نظام التعليم حقيقة واضحة مما استوجب ان تعيد الحكومة التي جاءت عقب اندحار المانيا في الحرب العالمية الثانية وانهيار نظام فيشي النظر في مدى هذا التوغل ° وبما ان حركة المقاومة كانت تتألف من جميع العناصر الوطنية ومن جملتها العناصر الكاثوليكية وان الحكومة التي تألفت كانت تضم العناصر الكاثوليكية والاشراكية والشيوعية وان المصلحة الوطنية تتطلب استمرار الحكم الائتلافى فقد اعيد النظر في تدريس الدين وفي مقدار المساعدات المالية °

وما زالت هذه الثنائية في التعليم قائمة ، وما زالت تسبب متاعب ومشاكل

جمة الى القائمين على شؤون التعليم . فبينما يطالب الاشتراكيون والشيوعيون بوجوب سيطرة الدولة على التعليم وحرمان الكنيسة من اية سيطرة على التعليم الطائفي نلاحظ ان الكاثوليك يريدون ان تؤلف المدارس الكاثوليكية قسما من نظام التعليم الحكومي . ويررون ان يقرر تدريس الدين في المدارس ويعرف بحق الكنيسة في الاشراف على هذه المدارس . ويبدو ان تحقيق هذين المطلبين الاساسيين او حتى تحقيق احدهما امر متعدد في الوقت الحاضر وان العودة الى التانية القديمة بوجود نظام تعليمي كاثوليكي ديني ونظام حكومي دنيوي لنهي التسوية العملية الوحيدة الممكنة للنجاة دون قيام نزاع خطير بين الجهتين المتعادتین .

المركزية في التعليم :

وتضرب فرنسه ، كما يقول الاستاذ كاندل ، مثلا رائعا على سيطرة الدولة على التعليم وتخليد النظام المركزي . وقد نشأت هذه المركزية في القرن السابع عشر وفي ايم لويس الرابع عشر بصورة جلية ، وواصلت نموها بالرغم من حدوث تبدلات وتطورات كثيرة في تاريخ فرنسه . واذا كانت فكرة ان الدولة هي مصدر جميع الخبرات (أو etatisme) قد اتشرت في عهود الابوريون ، فان مبدأ «المركزية» قد ازدهر أيام الثورة الفرنسية ، والغيت جميع الادارات المحلية ، واعتبرت المركزية أحسن وسيلة لضمان حقوق الافراد . وتوسيع نابليون في تطبيق هذه المفاهيم ، وجعل الادارة مركزية ، واستمرت على هذه الصورة ، واصبحت حتى يومنا هذا احدى تقاليد الدولة الفرنسية الراسخة (٢) . ووُجِدَت مبادئ نابليون طريقها الى نظام التعليم ، واستقرت فيه . ولا يرى الفرنسيون تعلقهم « بالمركزية » على اسس « ثقافية » حسب ، بل يعتقدون انها اعظم درع تقوى به فرنسا هجمات اعدائها الداخلين

والخارجين ، وانها أحسن وسيلة لتحقيق « التضامن الاجتماعي » ٠ ويدرك
الفرنسيون العالم ان حدودهم مكشوفة ، وان بلادهم كانت دوما مطمعا للغزاة
والفاتحين ٠ وقد اوجدت « الجمهورية الثالثة » مبدأ ان فرنسة « جبهة واحدة
لا تتجزأ » ، وان بقائها متحدة امام جميع القوى المعادية امر ضروري ، وان
سلامتها ينبغي ان تكون فوق جميع الاعتبارات الاخرى وان تقدم على كل
شيء آخر ، وان كل عدو ان يقع على سلطان الدولة يعد عملا ثورريا ٠ وذهب
الفرنسيون الى ان « المركبة » تضمن سلامه هذه الجبهة الواحدة ، وانها
ينبغي ان تطبق في نظام التعليم نفسه ٠

ويتمسك الفرنسيون « بالمركزية » في نظام التعليم لانه يخشون عودة
« الملكية » و « سلطان الكنيسة » ؟ وكلاهما يسيطران سيطرة كبيرة على
عقول كثير منهم ٠ غير ان العامل الاساسي في تمسكهم « بالنظام
المركزي » هو خوفهم من تكوين نظام طبقي بين السكان ، واعتقادهم ان
المركزية تستطيع ان تؤلف نظاما اجتماعيا متوازنا ، وتمهد السبيل أمام الجميع
لاظهار تفوقهم ومقدراتهم ولابراز ذكائهم ٠ ويسعرون ، من الناحية الايجابية ،
ان النظام المركزي يتطلب شروطا واحدة ومقاييس موحدة ، و يؤدي الى
تكوين مثل عليا عامة وعواطف اجتماعية مشتركة في حدود مراعاة الالهاجات
وال حاجات والعادات المحلية ٠ ويررون ان السيطرة البيروقراطية على ادارة
التعليم تعد من الناحية الثانية مقياسا حسنا لضمان الكفاءة في الادارة
والتنظيم ٠ ولكن هذه المقاييس الموحدة والتشابه في النظم قد حالت ، كما
يقول الاستاذ كاندل ، دون اجراء اي تجارب تربوية مهمة في فرنسة ٠

ثم ان الدولة الفرنسية لا تحسب نفسها حامية للعلوم والفنون والآداب ،
بل تهدف تزويد جميع الفرنسيين بتلك الثقافة الفرنسية التي تحددها

وتصعنها الدولة نفسها . وهكذا تصبح الثقافة الفرنسية وسيلة من وسائل السيطرة على طفولان الروح الفردية . وتنطوي « الثقافة العامة » Culture generale التي يتوخاها الفرنسيون على العناية باللغة الفرنسية من حيث هي رابطة مشتركة واداة من ادوات التفكير . « فالافرنسي الصحيح من كان في روحه وقلبه ، ومن رأسه الى احصى قدميه ، يعرف اللغة الفرنسية ويتكلماها ويقرأها » . وتنطوي كذلك على معرفة تاريخ فرنسه وجغرافيتها ، وعلى دروس اخلاقية مقررة .

ومن العوامل الاجنبى فى بقاء « المركبة » فى فرنسه هي العاصمة - باريس . فالافرنسيون جميا يحبونها دائمًا مركزا سياسيا وثقافيا واداريا أكثر من اية عاصمة أخرى . ويتاثر الرأى العام الفرنسي كثيرا بالاحداث التي تجرى فى باريس نفسها ، ويطمح كل شاب فرنسي وكل شابة فرنسية ان يستقر أو يقضى شطرا من حياته فيها ، كما يطمح الانجليزى ان يسكن فى لندن ، والامريكي فى نيويورك ، والمصرى القاهرة . واخيرا فان مرور مدة طويلة على نجاح تجربة الادارة المركبة فى فرنسه جعلت الفرنسيين يؤمنون « بالبيروقراطية » من حيث هي وسيلة صالحة لادارة شؤونهم .

واصبحت المركبة شكلا مقدرا من اشكال الادارة فى فرنسه . ولكن هذه « المركبة » بالرغم من فوائدها لم ترق لکثير من رجال التربية والمعدين بشئون التعليم . فقد اظهروا مساوىء النظام المركبى ، وطالبوه بإجراء تبديلات أساسية تساير حاجات المتعلق المختلفة ، وتكون على جانب عظيم من المرونة والتكيف .

اهداف التعليم

التعليم الابتدائي :

والتربيـة الـافرنـسـية فـى جـوهرـها وـاسـاليـها تـرـبـية قـومـية وـتـجـلىـ هـذـهـ التـرـبـيةـ القـومـيةـ فـىـ المـدارـسـ الثـانـوـيـةـ بـصـورـةـ خـاصـةـ .ـ وـتـقـومـ عـلـىـ تـقـدـيسـ فـرـنـسـةـ وـتـعـزـيزـ مـكـاتـبـهـاـ الدـولـيـةـ وـتـحـقـيقـ رـسـالـتـهـاـ الـاسـتـعـمـارـيـةـ الـاـنـسـانـيـةـ كـمـاـ يـدـعـونـ ،ـ وـعـلـىـ اـمـتـصـاـصـ تـارـيـخـهاـ وـآـدـابـهاـ بـلـ «ـ تـقـالـيدـهاـ الـافـرنـسـيـةـ »ـ وـ«ـ رـوـحـيـتـهاـ الـافـرنـسـيـةـ »ـ ،ـ وـهـىـ تـرـبـيةـ تـعـهـدـهـاـ الدـوـلـةـ بـجـمـيعـ مـؤـسـسـاتـهـاـ الـمـتـوـعـةـ .ـ وـفـيـ كـتـابـهـ هـذـاـ يـقـولـ المؤـرـخـ الـامـرـيـكـيـ الشـهـيرـ كـارـلـتونـ هـيـزـ C. THayesـ فـرـنـسـةـ :ـ اـمـةـ مـنـ الـلـوـطـنـيـنـ France: a Nation of Patriotsـ ماـ يـأـتـىـ :-

ـ وـالـدـوـلـةـ الـافـرنـسـيـةـ الـتـىـ تـكـادـ تـسـيرـ جـنـبـاـ إـلـىـ جـنـبـاـ مـعـ الـفـوـمـيـةـ الـافـرنـسـيـةـ اوـ تـسـاـيـرـهـاـ فـعـلـاـ وـالـتـىـ تـحـفـظـ بـالـتـقـالـيدـ وـتـقـومـ بـالـوـظـائـفـ الـتـىـ اوـضـحـنـاـهـ اـعـظـمـ قـوـةـ مـرـكـزـيـةـ تـصـوـغـ النـفـسـيـةـ الـقـوـمـيـةـ فـىـ فـرـنـسـةـ وـتـسـقـهـاـ .ـ فـسـاعـدـهـاـ الـمـدـنـىـ -ـ وـيـتـكـونـ مـنـ الـمـوـظـفـينـ وـالـبـيـرـقـاطـيـنـ -ـ يـرـبـطـ الـدـوـلـةـ بـالـرـعـاـيـاـ الـافـرنـسـيـنـ رـبـطاـ تـاماـ وـمـتـعـداـ .ـ وـيـتـأـلـفـ مـنـ مـجـمـوعـةـ هـائلـةـ مـنـ الرـجـالـ الرـسـمـيـنـ الـذـينـ يـحـسـبـونـ انـسـهـمـ اـمـثـلـةـ فـىـ الـوـطـنـيـةـ وـرـسـلاـ لـهـاـ ؟ـ وـسـاعـدـهـاـ الـعـسـكـرـىـ -ـ وـيـتـكـونـ مـنـ رـجـالـ الـجـيـشـ وـالـبـحـرـيـةـ -ـ يـعـدـ جـمـيعـ الـافـرنـسـيـنـ إـلـىـ خـدـمـةـ الـعـلـمـ الـمـدـافـعـ عنـ الـوـطـنـ .ـ وـهـوـ فـىـ الـوقـتـ نـفـسـهـ وـسـيـلـةـ وـغـايـةـ لـنـشـرـ الـعـواـطـفـ الـوـطـنـيـةـ بـيـنـ سـكـانـ فـرـنـسـةـ .ـ وـاـنـ جـمـيعـ الـجـنـودـ وـالـبـحـارـةـ ،ـ وـجـمـيعـ الـمـوـظـفـينـ وـالـبـيـرـقـاطـيـنـ بـلـ رـجـالـ فـرـنسـاـ وـنـسـاءـهـاـ جـمـعـاءـ ،ـ الاـقـيلـ مـنـهـمـ ،ـ قـدـ دـخـلـوـاـ الـمـدارـسـ الـافـرنـسـيـةـ وـالـتـىـ هـىـ اـدـوـاتـ نـاقـذـةـ الـمـفـعـولـ وـوـاسـعـةـ الـمـدىـ فـىـ تـكـوـينـ هـذـهـ الـنـفـسـيـةـ الـقـوـمـيـةـ .ـ الـافـرنـسـيـةـ الـحـقـيقـيـةـ »ـ .ـ

ـ وـكـانـ اـعـزـ مـاـ يـطـمـحـ إـلـيـهـ الـوـطـنـيـوـنـ الـافـرنـسـيـوـنـ مـنـذـ الـثـوـرـةـ الـكـبـرـىـ اـعـطـاءـ

كل طفل فرنسي تعليماً مقصوداً والزامياً ومجانياً ووطنياً تحت توجيه الدولة
وسيطرتها .

فالتعليم في فرنسه يستند إلى أسس قومية ، وتمتد جذوره في مثل
فرنسية عليا ، وينهل من معين فلسفة فرنسية ، ومن ثقافة فرنسية . ومن
خصائصه العامة انه يحسب الطفل ، لاسينا في المدرسة الابتدائية ، رجلاً
صغيراً لا طفلاً من الأطفال ، ويطلب من عملية التدريس ان تعنى ب التربية
الطلاب على الاستدلال والمنطق لا على الفاعلية الحرة . وما زال أكثر المربين
الفرنسيين يعتقدون بأن نمو الطفل وتكوينه لا يتم الا اذا ألم بالمادة الماما تماماً ،
وبتشesse عقله ، وأن المادة ينبغي ان تكون مقدمة في الثقافة الفرنسية .
وهكذا فإن التعليم الابتدائي يتميز بخصائص : العناية بالثقافة الفرنسية ،
والاهتمام ب التربية العقل . وتصبح وظيفة المدرسة الابتدائية تحقيق هاتين
الناحيتين ؟ وتكون مهمة منهج الدراسة تعريف الطفل بالروح العظيمة التي
تزرع بها العلوم الإنسانية ، وبالعرف والمعلومات التي يشترك فيها جميع
المواطنين الفرنسيين . والاهتمام بال التربية العقلية التي هي أسمى وأهم صفة
يتمتع بها الإنسان . اما الثقافة فسينالها كلما انتقل من مرحلة نفسية الى
أخرى ؛ وستكون العناية أولاً بالأشياء المحسوسة ، وبتدريب الحواس ،
ثم يحصل في المرحلة الثانية على أسس المعرفة العامة والمعلومات الضرورية ؛
وتزداد العناية في المرحلة الثالثة بال مجردات والتفكير الاستقرائي .
فمنهجه قد وضع سلفاً ، ونظم تنظيماً يتاسب ودرجة نمو الطفل ونضوجه ،
ويتوسع بالاعادة والتكرار ؟ ويعنى بالحقائق أولاً ، وبالافكار ثانياً - هذه
الحقائق والافكار التي تستند إلى مجموعة من المعارف والمعلومات التي
انحدرت إلى المجتمع وحسبها ترائه الصحيح . ولا تستند طريقة التعليم ،
كما يقول كاندل ، إلى فاعليات الأطفال المتصلة بأولاعهم والمشتقة من محیطهم ،
بل إلى ضرورة قيامهم بالحصول على المعلومات والمعرفة قبل ان يعبروا

عن انفسهم تعبيراً ابداعياً . وهكذا نجد ان الفاعليات والمشاريع والمشاكل التي تحتل الصدارة في فلسفة التربية الحديثة لم تلق قبولاً كبيراً عند معظم المربين الفرنسيين . فعلى الطفل ان يفهم جميع ما يتعلمه من المدرسة ؟ وان ما يتعلم يقتصر بنوع الفرد الذي يسعى الى تحقيقه المجتمع من حيث هو مواطن ورجل ؟ اذ ان « المدنية » التي ينبغي ان تتلقاها التربية شيء يختلف عن طبيعة الفرد ، ولا يمكن بلوغها بالأنساق وراء طبيعة الفرد نفسه » - وبعبارة اخرى الانساق وراء اولاد الاطفال ونوازعهم كما يقول فيلكس بيكون Pecaut الذي يرى ان هدف فلسفة التربية هو تنمية « شخصية » الطفل ؟ ولكنه يختلف عن غيره في تحديد مفهوم الشخصية حيث يقول :

« يميز الفلسفه الافرنسيون ، كما هو معروف ، بين الفردية والشخصية . فالفرد لا يصبح كذلك الا انه يختلف عن غيره من الافراد ؛ وهو لا يصبح شخصا الا انه يمثل الشعور المشترك بالحقائق ، والارادة على ان ينجز واجباته التي يشترك فيها جميع الناس . وينبغى على الفرد ان يتطور فيصبح شخصا . وبعبارة اخرى ينبغي ان يحرر نفسه من سلطان الفردية . وتلك هي مهمة التربية وواجبات الاشخاص » ^(٣) .

يتضح من هذا ان التعليم الابتدائي يخضع لارادة الدولة ، وارادة اعضاء المجتمع البالغين ؟ وهو الذي يمثل ثقافتهم وتقاليدهم ، ويعبر عن آمالهم وامانيهم . وحيث ان الدولة الفرنسية قد وضعت عزماً ، منذ تأسيس الجمهورية الثالثة ، لاسباب تتصل بتاريخها الخاص لا بموقفها العدائى من الدين ، ان تفصل كما يقول كاندل بين الدولة والكنيسة ، فقد تطورت المدرسة الافرنسيية وصارت مؤسسة دينية . وحيث أنها قررت ان تكون محايدة في شؤون الدين فقد تأسست مدارسها على قواعد مقبولة من جميع المواطنين . ولكنها مع ذلك لم تخل عن مسؤولية تربية الطلاب تربية روحية .

التعليم الثانوى :

يسهدف التعليم الثانوى فى فرنسيه ، كما يقول الاستاذ هانز Hans فى كتابه « التعليم المقارن » الذى ورد ذكره فى هذا الكتاب اىصال « الثقافة العامة الى الطلاب ، وتقويمهم على هذه التقاليد الفرنسية التى جعلت المفكرين الأفرنسيين يختلفون عن غيرهم من مفكرى العالم ، وتدرييهم على التفكير المنطقى السليم ، واعداد « الصفة المختارة » التى هي مثل التعليم الاعلى فى فرنسيه . وقد واصلت الدراسة الثانوية عملها فى تحقيق هذا المثل الاعلى مما جعل نسبة النجاح فى امتحان البكالوريا العام تصل الى ٥٣٠٪ . اما الباقي من الطلاب الذين لفظتهم المدارس الثانوية فيحسبهم الفرنسيون « نفaiات » declasses ، فلا هم يستطيعون ان يلتحقوا برتب « الصفة المختارة » ، ولا هم يصلحون للمهن التجارية والصناعية . وحيث ان « عملية الاتقاء النفسى » تواصل عملها بعد الدراسة الثانوية فى الجامعات ومعاهد العالية الاخرى فقد ظهرت أقلية صغيرة من الناجحين والتاجحات ومجموعة كبيرة من النفaiات . ويعتقد اكتر المربيين الفرنسيين ان التعليم الثانوى معين لا يستطيع ان ينهل منه الا اصحاب الموهاب والقابليات ، وانه امتياز للصفوة المختارة من الطلاب والطالبات لا حق يتمتع به الا ذكاء واسوأ على حد سواء . وقد نجم من ذلك ان انحصرت الدراسة الثانوية ، في الاعم الاغلب ، في طبقة خاصة ، وتعدى على كثير من ابناء الطبقة الوسطى والتى دونها ان تستمع بالتعليم الثانوى الذى يجرى اكتره في اليسة والكوليج . وبفضل المساعدات التي بدأت تقدمها السلطات الحكومية ، وبالغاء أجور الدراسة الثانوية ، وبزيادة الوعى الاجتماعى تحطم كثير من الحواجز التي كانت تحول دون التحاق ابناء الشعب بالمدارس الثانوية ، وارتفى كثير منهم الى سلم القيادة والتوجيه فى المجتمع الفرنسي . كل ذلك بفضل الاصلاحات التربوية التي حدثت قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها .

الاصلاحات التربوية العديدة :

اظهرت الدراسات التربوية والنفسية التي قام بها بعض المربين في فرنسة طوال السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية والتي اعقبتها ان نظام التعليم يحتاج الى اصلاح جذري كى يساير التطورات الصناعية والاجتماعية التي حدثت في فرنسه ، لاسيما في ميدان التعليم الصناعي والتجارى . فقد تعذر على النظام القديم ان يستجيب الى الحاجات المستجدة . فكان من بين الاصلاحات التي تمت الحق الطلاب الذين بلغوا أو أتموا الثانية عشرة من العمر واجتوا امتحان الدراسة الابتدائية العام فى « صنوف توجيهية » او مدارس توجيهية ذات فروع مختلفة . فقد اقسمت ماهجها الى ثلاثة فروع يضمها قدر اساسي مشترك Common Core . فاحتوى الفرع الاول ، من بين ما احتوى ، اللغة اللاتينية وبعد اللغات الحية ، واحتوى الفرع الثاني لغة حية ؟ وانصرف الفرع الثالث الى الاهتمام بالدروس العملية والفنية . ويدخل الطالب الى الفرع الذي يساير ميله وحاجاته بعد استشارة ولی أمره . ويجوز نقله الى فرع آخر اذا عجز عن تكيف ميله وقبلياته الى الفرع الذي اختاره اولا . ولقد كانت نتائج هذه التجربة عظيمة . غير ان اندلاع الحرب العالمية الثانية حال دون استمرار العمل بها . وما انهارت المانية واصل اصحاب هذه الخطة عملهم في فرنسة والجزائر ، وتشكلت لجنة تربية برئاسة الاستاذ بول لانجفان Langevin وبنيابة كل من هنرى بيرون Pieron وهنرى فالون Vallon الذى يعدون من اشهر اساتذة « الكوليج دى فرنس » (*) . وتشكل معهد للدراسات العلمية في وزارة التربية الوطنية ، واعيد تنظيم المجلس الاعلى للتربية الوطنية (**) ، فضم ممثلي عن نقابات المعلمين

(*) يعد الاستاذ بول لانجفان من اشهر المعنيين بالدراسات الانسانية .
اما بيرون فالون فهما من اشهر علماء النفس البارزين في فرنسه .
Conseil Supérieur de L, Instruction Publique (**) *

المختلفة ، والهيئات التعليمية الأخرى .

ان اللجنة التربوية التي بدأت عملها سنة ١٩٤٤ وقدمت تقريرها سنة ١٩٤٧ الى وزارة التربية الوطنية تناولت اصلاح التعليم اصلاحاً اساسياً ، واحدثت تبدلاً في التقاليد التربوية الفرنسية التي تستند الى التدريب العقلي والثقافة العامة . وقد أدرك اعضاء اللجنة خطراً «الشكلية والبيغائية» على التعليم ، وخطر الانقسام الاجتماعي المتأتي من وجود النزعة الثانية فيه ، فأوصوا بتحقيق ناحيتين مهمتين : (١) ابدال طرائق التعليم القديمة بطريق جديدة تستند الى مذهب الفعالية ، واعتبار الطفل شخصية فذة نامية و (٢) ادخال الاعمال اليدوية والدروس الفنية في منهج الدراسة الثانوية الحديثة لتكون على قدم المساواة مع الدروس الاكاديمية النظرية في المناهج القديمة القائمة على اللغات الكلاسيكية . وأقر الاصلاح كذلك مبدأين اساسيين هما : (١) العدل الاجتماعي ، حيث يستطيع كل طفل ان يتلقى ذلك النوع من التعليم الذي يلائم قدراته وقبلياته ، ويصبح التعليم اكثر ديمقراطية من قبل و (٢) توسيع الثقافة العامة ، حيث يعتقد لانجفان ان توسيع آفاق الثقافة العامة يقارب بين المواطنين ويزيد في تضامنهم وانسجامهم ؛ وحيث يعتقد فالون ان تطور الصناعة يتطلب من الافراد ان يكونوا عملاً ماهرين ومواطنين متقدرين . ومما قاله فالون :

« ان الوضع العام لنظام التعليم الفرنسي بحالته الراهنة ليس ديمقراطياً . فلقد نشأ في فرنسة خلال تاريخها الطويل نظامان منفصلان للتعليم : احدهما قصد به تربية الطبقة البورجوازية والثاني قصد به تربية الطبقات الشعبية . هذان النظمان يجب الا تحول دون ادماجهما صعوبة ما . ومع هذا فإن ادماجهما هو مشكلة المشاكل فضلاً عن انه يثير تعصباً خاصة . ذلك ان سلطة البورجوازية ونفوذها جذوراً قديمة في فرنسة . فقد استخدم الملوك هذه الطبقة في القضاء على الاشراف قبل ان تصبح هي ذاتها مسؤولاً لهدم

الملوك ° والتعليم الثانوى فى الاصل تعليم بورجوازى قد نظم ليفى بحاجات
 البورجوازيين كما ان الثقافة التى نشرها هذا التعليم والتى كان ولا يزال
 يسعى فى تثبيت وتوطيد اقدامها ، قد نشأت عن تلك الفترة التى ارادت
 فيها البورجوازية ان تحرر نفسها عقليا من ضغط العصور الوسطى فارتدت
 الى الدراسات الكلاسيكية ° وطلت الثقافة الكلاسيكية مفخرة هذه الطبقة
 حتى عندما اضمنحت هذه الثقافة ° ولقد بذلك البورجوازية كل مجده فى
 سهل الاحتفاظ بالدراسات الكلاسيكية باعتبارها المؤهل الوحيد للوظائف
 الادارية بحجة ان هذه هي الدراسات الوحيدة التى تستحق ان تسمى ثقافة °
 وعندما كانت الدراسات التى يطلق عليها اسم الدراسات الحديثة تحاول ان تجد
 لها مكانا فى التعليم الثانوى كان الآباء والمعلمون ينظرون اليها باعتبارها مواد
 غير مرغوب فيها ° مواد لا تتناسب الا الطلبة الذين ليس لهم حظ وافر من
 الذكاء او الطموح ° وكانت النتيجة الطبيعية لهذا التمسك بالثقافة الكلاسيكية
 ان ظلت طرق التدريس تعتمد على الالفاظ والكتاب ° ولم تراع فيها ميول
 الاطفال وتجاربهم الخاصة الا بأقل قدر ممكن (٤) وحينما اصبح تعليم التعليم
 العام ضرورة من ضرورات الحيات الديموقراطية الجديدة وحاجة من حاجات
 النهضة الصناعية لم تفتح المدارس الثانوية البورجوازية كما يقول الاستاذ فالون
 ابوابها الى ابناء الشعب بل اوصدت الابواب فى وجوههم ° فظهرت الحاجة
 الى انواع اخرى من المدارس ذات صبغة عملية، وذات اهداف مغایرة لاهداف
 المدارس الثانوية ° فنشأت مدارس ابتدائية عالية ومدارس متوسطة الى جانب
 المدارس الثانوية التقليدية دون ان يكون بينهما « اتصال » ، واصبح
 في فرنسة نظامان للتعليم : نظام يعد اطفال الطبقة البورجوازية للمهن والوظائف

(٤) صحيفة التربية الحديثة صفحة ٣٠ العدد الاول السنة الاولى
 ١٩٤٨ القاهرة ° وهو مقال عن « اصلاح التعليم في فرنسة » بقلم هنرى
 فالون °

المرموقة في المجتمع ، ونظام يعد أطفال الطبقة الفقيرة إلى المهن التي تعد « أقل احتراما » من الوظائف الأخرى .

وتعد هذه الاصلاحات التربوية التي اقترحتها « اللجنة الوزارية لدراسة اصلاح التعليم » الابتدائي والثانوي والعلمي في تقريرها المرفوع إلى وزارة التربية الوطنية ثورة في نظام التعليم الفرنسي . وترى اللجنة ان الاصلاح الجديد ينبغي ان يساير ظروف الأقاليم معايرة تامة وان يسد حاجاتها المحلية حتى تنهض به ، وان يصبح نظام التعليم مجانيا على اختلاف درجاته ، وان يسهل عملية الانتقال والتقليل من مدرسة الى أخرى ومن اقليم الى اقليم . وتقترح اللجنة ما يأتي :-

أ - ان يكون التعليم الزاميا من السادسة الى الثامنة عشرة من العمر ، وان يطلق على هذه المرحلة اسم « الدراسة الدنيا » ؛ وتألف من ثلاثة دورات :-

١ - الدورة الاولى (الابتدائية) Elementaire من ١١-٦ سنة .

٢ - الدورة الثانية (التوجيهية) de, Orientation من ١٥-١١ سنة .

٣ - الدورة الثالثة (الشخصي determination de) من ١٨-١٦ سنة . وتألف هذه الدورة من ثلاثة فروع متوازية : فرع عملي Professionalle ومهني Pratique ونظري Theorique . والفرع النظري يتفرع في الوقت نفسه إلى قسم الأدب القديم (الكلاسيك) والفرع النظري ينطوي في الوقت نفسه إلى قسم الأدب القديم (الكلاسيك) والأدب الحديث ، وإلى دراسة علمية نظرية - وعلمية تطبيقية مع مجموعة من الدروس الاختيارية - من صناعية وتجارية وزراعية وفنية الخ .

ب - تعليم عال Superieur وهو مرحلة « الدراسة العليا » ، وتكون بعد

الثامنة عشرة من العمر وت تكون من ثلاثة دورات :-

١ - الدورة الاولى : هي دراسات تحضيرية في مدارس فنية او دور المعلمين قوامها الادب والعلوم والطب والفنون .

٢ - الدورة الثانية : وهي دورة شهادة الليسانس في المعاهد العالية وقوامها دراسات اختصاصية في الفن والادب او العلم والتربية او الطب او القانون .

٣ - الدورة الثالثة - وهي دورة المعاهد العليا في الاختصاص العالي . ويترعرع الطالب فيها للبحث وللحصول على شهادة الاكريكاسيون .

وتدعى اللجنة الى اتخاذ تدابير تمهيدية لتطبيق الخطة الجديدة كتائيف لجان اقليمية لاعادة النظر في توزيع المدارس ، واخرى لوضع مناهج دراسية شاملة ، واقتراح خطة توسيع المدارس ، وزيادة عددها وتحقيق وطأة المركزية عنها ، وتأسيس مدارس في مراكز المدن للدورات الاولى والثانية (من قسم آ) بالإضافة الى مدارس القرى والمديريات والاقاليم . واقتصرت ايضا اتخاذ جملة من الاجراءات لاعداد المعلمين ، ووضعت سلسلة من التوصيات بشأن مناهج الدراسة وتنظيم الدرجات والعقوبات والامتحانات والمسابقات .

أنواع المدارس

تصنف ادارة التعليم في فرنسه بناحتين : سيطرة السلطات الحكومية على شئونه وفق المبادئ التي جاء بها تابليون سنة ١٨٠٨ ، وقيام مراحل دراسية متعددة من ابتدائية ومهنية وفنية وثانوية بجنبا الى جنب ، تدير كل قسم منها دائرة خاصة في وزارة المعارف او في وزارات اخرى دون ان يكون بين هذه الاقسام تناقض او اتصال وثيق . غير ان الحرب العالمية الاولى والثانية قد احدثتا حركات تربوية مهمة للحد من سيطرة المركزية من جهة ، وتكوين مدرسة موحدة ecole unique من الجهة الثانية .

وإذا كانت تقاليد المدرسة الثانوية تعود إلى أيام نابليون فإن التعليم الابتدائي والمهني قد قام على سواعد « الجمهورية الثالثة » ، وتأسس نظام التعليم الابتدائي والابتدائي العالى بموجب قانون غيزو لسنة ١٨٣٣ Guizot ولكن أصب بظهور عظيم في القرن التاسع عشر . أما التعليم الابتدائي المجاني الدينوى فقد نشأ في عهد الجمهورية الثالثة سنة ١٨٨٨ ، وأصبح مجانياً والزامياً بعد سنة من تاريخه . وفي سنة ١٨٨٠ أقيمت أسس التعليم المهني بافتتاح مدارس تجارية عملية (*) ، واعيد النظر في تنظيم مدارس الرضاعة ودور المعلمين والمعلمات الابتدائية . وفي سنة ١٨٨٦ اجريت اصلاحات جديدة في نظام التعليم الابتدائي ظلت باقية حتى يومنا هذا .

ان الاصلاحات التي دعت إليها اللجنة التربوية الانفة الذكر تتصل بنظام التعليم القديم الذي يتالف من نوعين من المدارس ، او يتكون من صورتين من صور الحياة الاجتماعية لطبقتين من السكان مختلفتين : طبقة القراء وطبقة الأغنياء . فقد كان أبناء أصحاب المهن الزراعية والصناعية ، بما في ذلك أبناء العمال وكتبة المتأخر يتلقون دراستهم في المدارس الحكومية المجانية التي تتكون من : رياض الأطفال ، والمدارس الابتدائية ، والمدارس الابتدائية العالية ، والمدارس المتوسطة(**) والصفوف التكميلية . وإذا تخرجو منها انتقلوا إلى الحياة العامة ، ومارسوا الزراعة والتجارة والصناعة والتعليم ، واتخذوها مهنة لهم ؛ بينما ينتقل أبناء الطبقات الموسرة بعد تخرجهم من المدارس الابتدائية الخاصة والمدارس الثانوية إلى المعاهد العالية فيضمون لأنفسهم مستقبلاً أحسن ، ويستمتعون بمنزلة اجتماعية أرقى . وهكذا ينشطر نظام التعليم في فرنسه إلى شطرين ، كل شطر يحتضن ، في الأعم الأغلب ، طبقة خاصة ، ويصبح الانتقال من النظام الأول إلى الثاني صعباً ،

(*) ecoles manuelles d' Apprentissage

(**) ecole maternelle, Primaire, Superieure, cour
complementaire

الاختلاف المنهج والأنظمة .

ويبدأ التعليم الابتدائي الازامي المجاني في السادسة من العمر ، وينتهي اليوم بالرابعة عشرة منه ، وتنقسم الدراسة الابتدائية إلى مرحلتين : المرحلة الأولى (او الابتدائية) وتنتهي في الحادية عشرة من العمر ، ومرحلة الدراسة الابتدائية العالية (او المتوسطة) ، وتنتهي في الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من العمر . وينظر بعض المربين إلى هذه المرحلة من حيث هي مرحلة ثانوية لا ابتدائية . وهكذا نجد ان نظام التعليم العام يتالف من المراحل الآتية :

- ١ - الدراسة القبمدرسية ، وتكون من دور الحضانة ورياض الأطفال .
- ٢ - الدراسة الابتدائية .
- ٣ - الدراسة المتوسطة او الابتدائية العالية .
- ٤ - الدراسة الفنية والمهنية ، وتكون من مدارس التجارة والصناعة والزراعة .
- ٥ - الدراسة الثانوية : وتكون من مدارس الليسه والكوليج .
- ٦ - الدراسة العالية : وتكون من الجامعات والمعاهد الفنية العالية .

١ - رياض الأطفال :

انبثقت رياض الأطفال تاريخياً من المؤسسات التربوية القبمدرسية المعروفة بـ salles d, asile ان هذه المؤسسات التي نشأت حوالي سنة ١٨٣٠ ، والتي ازداد عددها عقب المساعدات المالية التي اخذت تمنحها الحكومة اطلق عليها قانون سنة ١٨٨١ اسم جديداً ، وصارت تعرف منذ ذلك الحين بـ رياض الأطفال ecoles maternelle ، وصارت تؤلف مرحلة من مراحل الدراسة العامة . ولم تكن عامة ولا مجانية كالمدارس الابتدائية ، بل خاصة بالسلطات البلدية ، تؤسستها متى ما شعرت بالحاجة إليها مستقلة عن المدارس الابتدائية أم ملحقة بها وعلى الحكومة ان تقدم مساعدات مالية بعد تأسيسها وقد أصبحت بمرور الزمن مؤسسات مستقلة ، لها طابعها الخاص ، وبنائها

الخاصة . ويلتحق بها عادة الاطفال الذين تراوح اعمارهم بين السنتين والست سنوات ؟ ولا يتجاوز عدد الاطفال في كل روضة عادة عن ١٥٠ طفلا ، ولا يضم الصف الواحد اكثر من ٢٥ طفلا . ويجرى تصنيفهم الى طائفتين استنادا الى ناتج ذكائهم واعمارهم الزمنية . ويقدر عدد الاطفال في رياض الاطفال العامة بـ ٣٢٢٧٩٢ طفلا ، وفي رياض الاطفال الاهلية ١٠٨٠٨ طفلا حسب احصائية سنة ١٩٤٧ - سنة ١٩٤٨ . اما عدد مدارس رياض الاطفال العامة فقد كان ٣٥٧٢ مدرسة .

وقد ازدادت عناية رياض الاطفال بالفاعليات التلقائية الحرة ، وباللعب ، وبتدريب الاطفال على الملاحظة والتفكير ، وقلت في الدروس الشكلية ، وتأثرت باراء متسلرى وفرويل . واهتمت خطة الاصلاح الجديدة بها اهتماما كبيرا، وأوصت بتعميمها في جميع انحاء البلاد و يجعلها مجانية ، واقتصرت زيادة سن الاطفال فيها الى السابعة لتكون حلقة من حلقات التعليم الازلاني . وتبلغ نسبة الاطفال الذين يلتحقون بهذه المدارس حوالي ٥٦٪ من مجموع الاطفال الذين تراوح اعمارهم بين الثالثة والسداسة . وتشتهر رياض الاطفال في حدائق أساليها ، ويرى كثير من المربين ان الطرائق التربوية المتبعة فيها ، واجهزتها وادواتها تصاهي احسن ما في الاقطار الاوروبية والامريكية منها . لقد كان من جراء ازيداد استخدام النساء في الصناعة ان تأسست دور للحضانة Creches للاطفال الذين تراوح اعمارهم بين الاولى والثالثة من العمر ؛ واحد عددها يزيداد سنة بعد اخرى .

٢ - الدراسة الابتدائية :

يرجع تاريخ التعليم الابتدائي الى سنة ١٨٣٣ ، حيث تطلب قانون غيزو Loi Guizot ان تؤسس في كل ناحية مدرسة ابتدائية عامة . الا ان الروح الرجعية التي امتاز بها قانون سنة ١٨٥٠ المعروف بقانون فالو Loi Falloux

والذى اطلق يد السلطات الدينية فى شئون المدارس ، وسبب انحطاطاً فى مستوى التعليم وفي مستوى اعداد المعلمين أعقاك حركة انتشار التعليم الابتدائى ، وترك المواطنين فى جهالة كبيرة ظهرت آثارها فى سنة ١٨٦٥ حينما تعدد على الرجال ٠٤٤٠ / ٠٠٢٦ من النساء ان يكتبوا اسماءهم فى سجلات الزواج ! وقد أراد فكتور ديرو Duruy ان ينهض بالتعليم الابتدائى ويجعله الزامياً ومجانياً ، ولكنه لم يستطع ان يحقق ذلك فى قانونه الذى شرعه البرلمان ؟ بل خول القانون السلطات المحلية ان تفرض الضرائب لسد نفقات التعليم ؟ وأبعد سلطان الكنيسة عن شئون المدارس ، وحدد اشروطى ينبعى ان توافر فى المعلمين ، وأدخل مبدأ منح الطلاب المعوزين مساعدات مالية تساعدهم علىمواصلة دراستهم ٠

وباندحار فرنسة سنة ١٨٧٠ امام الجيوش البروسية ادرك الفرنسيون أهمية التعليم في تفجير الروح الوطنية ، وفي تكوين جهة وطنية متماسكة ، وأولوه عنائهم الشديدة ؟ فصدر في السادس عشر من شهر حزيران قانون سنة ١٨٨١ الذي جعل التعليم الابتدائي مجانياً . وواجب قانون سنة ١٨٨٢ الصادر في ٢٨ آذار ان يكون الحضور الزامي للأطفال الذين تتراوح اعمارهم بين السادسة والثالثة عشرة من العمر . وصدرت بعد هذا التاريخ قوانين اخرى تضمنت المبادئ المقررة الاتية الذكر ، واكدت على أهمية التعليم الابتدائي في التضامن الاجتماعي . وتلعب اللغة الفرنسية دوراً مهماً في حياة الطلاب ، لا بوصفها واسطة لنقل الادب الفرنسي الرفيع ، بل من حيث هي وسيلة من وسائل تشذيب وتلطيف اللهجات المحلية ، وضمان الوحدة الوطنية . كما تتخذ دروس التاريخ والجغرافية اهمية خاصة في دراسة حاضر الامة الفرنسية وغابرها ، وعلاقتها بالامم الاخرى ، وفي غرس الروح الوطنية في نفوس الطلاب ورعايتها .

ويتحقق أكثر التلاميذ الذين يتعلمون دراستهم الابتدائية في مدارس ابتدائية عالية ، أو بعبارة أخرى في مدارس متوسطة ، مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات ٠ ويواصل عدد منهم تعليمهم في صفوف تكميلية تراوح مدة الدراسة فيها من سنة إلى سنتين ، وفي دور المعلمين والمعلمات ٠ ولا تقوم السلطات المحلية بتأسيس الصنفوف التكميلية التي تراوح مدة الدراسة فيها بين سنة إلى سنتين الا اذا تعذر عليها تأسيس مدارس ابتدائية عالية ٠

واستهدفت المدرسة الابتدائية القديمة تحقيق شيئين مختلفين تماماً الاختلاف ٠ فمن ناحية تجد انها كانت المؤسسة الشعبية الوحيدة التي تعد اكثريه الناس الى المواطنـة وتقـدم اليـهم حـدا ادنـى من التعليم العام والتدريب على الحياة المدنـية ليحصلـوا على تـربية شاملـة في نهاية الرابـعة عشرـة من اعـمارـهم ٠ ومن النـاحـية الثانية وعلى اثر الاصـلاحـات التي تمـت في غـضـون الحرب العالمية الثانية تـجد انـها استـهدـفت اعداد الطـلـاب الى الـدـرـاسـةـ الثـانـوـيةـ ٠ الا انـ عـدـدا قـليـلا من الطـلـاب استـطـاعـوا انـ يـخـرـجـوا منـها ويدـخلـوا المـدارـسـ الثـانـوـيةـ ٠ فـقدـ كانـ مـفـروـضاـ علىـ المـدـرـسـةـ الـابـتدـائـيـةـ انـ تـهـيـءـ الـاقـلـيـةـ فيـ الثـانـيـةـ عشرـةـ منـ العـمـرـ لـاجـتـياـزـ اـمـتـحـانـ الـدـرـاسـةـ الـابـتدـائـيـةـ ؟ـ وـفـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ كـانـ مـطـلـوبـاـ منـهاـ انـ تـعدـ الاـكـثـرـيـةـ لـمواـصـلـةـ درـاسـتهاـ فيـ الصـنـفـوفـ الـابـتدـائـيـةـ العـلـيـاـ لـمـدـدـةـ سـنـتـيـنـ ٠ـ وـلـقـدـ كـانـ مـنـ الصـعـبـ جـمـعـ هـذـيـنـ الـهـدـفـيـنـ فيـ منـهـجـ درـاسـيـ واحدـ،ـ وـفـيـ مـدـرـسـةـ وـاحـدـةـ ،ـ مـمـاـ دـادـىـ إـلـىـ تـبـاـينـ فـيـ الـمـنهـجـ وـضـعـفـ فـيـ طـرـقـ التـدـرـيسـ ٠ـ وـلـقـدـ قـضـتـ الـخـطـةـ الـاـصـلـاحـيـةـ الـجـدـيـدةـ عـلـىـ هـذـهـ الثـانـيـةـ فـيـ الـاهـدـافـ وـجـعـلـتـ المـدـرـسـةـ الـابـتدـائـيـةـ مـرـحـلـةـ تـعـلـيمـيـةـ عـامـةـ يـتـلـقـىـ فـيـهاـ الـاطـفـالـ عـنـاصـرـ الـعـرـفـةـ الـاـسـاسـيـةـ ٠ـ وـسـيـتـقـلـ جـمـيعـ الـاطـفـالـ بـعـدـ الـحادـيـةـ عـشـرـةـ مـنـ الـعـمـرـ إـلـىـ الـمـرـحـلـةـ الـاـولـىـ مـنـ مـرـاحـلـ الدـورـةـ التـوجـيهـيـةـ Orientationـ وـهـيـ مـرـحـلـةـ «ـالـلـاحـظـةـ»ـ ٠ـ

Observation (من ١١ - ١٣)

لقد بلغ عدد التلاميذ في المدارس الابتدائية العامة سنة ١٩٤٨ - ١٩٤٩
حوالى ٣٢٦٧٤٠١ تلميذاً ، وفي المدارس الاهلية حوالى مليون طفل ، وعدد
المدارس العامة (١٩٤٦ - ١٩٤٧) ٣٦٩ مدرسة عامة يدرس فيها ١٥٤٦٧١
معلماً ومعلمة . أما المدارس الاهلية فقد صار عددها ١١٣٣٧ مدرسة .

٣ - الدراسة المتوسطة :

كانت المدارس الابتدائية العالية ، التي مر ذكرها ، والصفوف التكميلية
تؤلف في الحقيقة نوعاً من الدراسة المتوسطة وتشغل أكثرها قسماً من بنية
الكوليج الثانوية ؟ وقد أوصت اللجنة الوزارية في خطتها الاصلاحية الغاء
هاتين الدراستين واستبدالهما بدراسة متوسطة .

وكانَت هذه المدارس السلم الوحيد الذي يرقى عليه أبناء الطبقة
العامة الذين تحول طروفهم المادية دون دخولهم المدارس الثانوية المعروفة ؟
وكانَت دور المعلمين المدارس الوحيدة التي يستطيعون الالتحاق بها ويواصلون
دراساتهم فيها .

حركة المدرسة الموحدة : وقد حمل كثير من مربى فرنسيه بعد الحرب
العالمية الأولى حملة شعواء على نظام التعليم الثاني لاسيما بعد ان
اسس جماعة من المربين جمعية(*) اخذت تطالب بضرورة قيام التعليم العام
بتقطفين حاجات الامة من حيث هي وحدة متماسكة ، وبالقضاء على التمايز
الطبيقي ، وبتهيئة فرص تربوية متساوية لجميع الشبان والشابات ، وبتفجير
ذكاء الطلاب وتسمية قابلياتهم (٥) . وقد احدثت حركة هذه الجمعية ضجة
كبيرة في الاوساط الثقافية المختلفة واهتمامها كبيراً في البرلمان والصحافة ،
وذهب اعداؤها إلى ان دعاتها يريدون تأسيس نظام تعليمي موحد يخضع إلى

* Les Compagnons de L' Universite Nouvelle
5- Kandel, I.L, Comparative Education, P., 132

سيطرة الدولة خصوصاً كلياً ، ويجرد الآباء والامهات من حرية تربية
أبنائهم وبنائهم في المدارس التي يرتصونها . وقد لخص أنساتول فرانس
اهداف الحركة فكتب :

« سيكون تعليم الطلاب واحداً ، يساوى فيه الأغنياء والفقراً ؟ وسيتحقق
جميعهم بالمدرسة الابتدائية . فمن كانت قابلاتهم عظيمة واصلوا تعليمهم
في مدارس ثانوية مجانية ، وستضم هذه المدارس صفة مختارة من الشباب
البورجوازي والبروليتياري . وستواصل تجربة أخرى منهم دراستها في
المعاهد العالية للعلوم والفنون » .

وكان من جراء هذه الرغبة المتزايدة عند المربين لتحطيم ثنائية التعليم
أن عين السيو فرنسوال بير وزير التربية الوطنية في وزارة السيو هرييو
سنة ١٩٢٤ لجنة لدراسة المشكلة . وقد أوصت هذه اللجنة بضرورة إعادة
تنظيم نظام التعليم العام وفق الاسس الآتية :

أولاً - أن يتمتع جميع الأطفال الذين تتراوح اعمارهم بين السادسة
والثانية عشرة بدراسة ابتدائية عامية .

ثانياً - أن تكون مدة الدراسة المتوسطة اربع سنوات للطلاب الذين
تتراوح اعمارهم بين الثانية عشرة والسادسة عشرة من العمر .

ثالثاً - أن تمتد الدراسة الثانوية بين السادسة عشرة والتاسعة عشرة
من العمر .

رابعاً - أن تبدأ الدراسات العليا في الجامعات والمعاهد والمؤسسات
الفنية الأخرى بانتهاء مدة الدراسة الثانوية .

وقد أخذ نظام التعليم بعد وضع هذه الدراسة يكيف نفسه إلى الاسس
والاتجاهات المقترحة . وفي سنة ١٩٢٥ تأسست المدرسة الموحدة التي
استهدفت تحطيم الفوارق الموجودة في نظام التعليم العام ، فألغت جميع
الفوارق التي باعدت بين المدارس التحضيرية والمدارس الابتدائية في شؤون

النهاج والشهادات واعداد المعلمين ٠

ان اصلاح التعليم بتوسيع الفرص التربوية وتتويعها وفق قابليات التلاميذ
استند الى اسس ديمقراطية ، وان مواصلة الدراسة في مختلف مراحل
التعليم جعل التعليم اتقائيا ، ولكنه قد يسير في اتجاهات تتويعية ٠ ويتفق دعاة
الاصلاح على ان توسيع الفرص التربوية وتتويعها ينبغي الا يؤديا الى
انحطاط في مستويات التعليم ٠ كما ينبغي « ان تCHAN الخصائص التقليدية
للتقاليف الفرنسية وتزدهر ، وان يخامر فرنسه شعور بانها نفسها بهذا مدينة ،
ومدينة الى القيادة الثقافية التي تستعى بها منذ مدة في العالم ٠ وينبغي ان تربى
الصفوة المثقفة لتكون سدنة الثقافة العامة ، وان تتبع في تربيتها اساليب منوعة -
كلاسيكية وحديثة وعلمية وانسانية فنية ٠ وبعبارة اخرى ينبغي ان تثال ذلك
النوع من التعليم الذي يبعث في الفرد شعورا بالمشاكل الحقيقة التي تواجهه
الانسان من حيث هو انسان ، والمواطن من حيث هو مواطن ، والتي تبعث
فيه اولا عقلية تساؤل مختلف، نواحي الحياة ، والتي تدفع به وراء
الحقائق ، ووراء الاراء لتكون عنده نظرة شاملة وشعور رفيع بضرورب
مختلفة من المعانى ، وبرأى ثاف قادر دائما على أن يدرك معانى الحياة وصورها
المختلفات » (٦) ٠

اما الخطة الاصلاحية الجديدة لسنة ١٩٤٧ فسعى الى تنظيم الدراسة
الابتدائية العالية في مرحلة تعليمية مستقلة اشبه ما تكون من حيث طولها
بالدراسة المتوسطة في العراق ٠ ويقول الاستاذ هنري فالون في هذا الصدد :
وهناك مرحلة ينبغي ان توحد فيها جميع الدروس التي يتلقاها الاطفال ، وذلك
لسبعين : ان بعض هذه الدراسات اساسى لعمليات التعليم العالية ؟ وان القوى
العقلية لا تختلف كثيرا في هذه المرحلة بين طفل الى طفل ٠ اما في نهاية

6- Kandel, I.L, Comparative Education, P., 135-136

هذه المرحلة الدراسية المشتركة فينبعى ان تنوع المناهج تنوعاً يتناسب مع تنوع الاعمال التي سيقوم بها الكبير في المجتمع بعد مغادرة المدرسة . وان يوجه أصحاب القدرات الخاصة في نهايتها الى العمل الذي يتلقى وقدراتهم ، وان تكون بين هذه المرحلة التعليمية الطويلة ونهايتها مرحلة متوسطة تكتشف فيها الميول والقدرات الخاصة عند الطلاب ، على الا تكون طويلة ؟ اذ ليس من الضروري اطالة هذه المرحلة التي تسبق مرحلة التخصص .

وتمتاز هذه المرحلة بمنهج يتكون من مجموعة من « الثوابت » وآخرى من « المختارات » ، وبطرق تدريسية قائمة ، لاسيما في الدروس الاختيارية ، على الحرية الفردية والفعالية الحرة ، وبارشاد يشخص فيه المعلم القدرات الخاصة عند كل طفل . وتمتد هذه الفترة من التوجيه المدرسي من السن الثانية عشرة الى السادسة عشرة . وتحتاج فيها فرص متساوية لتدريس المواد الكلاسيكية التقليدية في فرنسة ، والمواد الانسانية الجديدة (حيث تحل اللغات الحديثة محل اللاتينية واليونانية) والعلوم الطبيعية والعلوم التي تتصل بالرسم الهندسى والميكانيكى وفن الرسم والموسيقى . ويستطيع التلاميذ بعد هذه المرحلة ان يختاروا احد طريقين ؟ اما طريق المدارس الفنية واما طريق اتمام الدراسة الثانوية حتى بدء مرحلة الجامعة والمعاهد العليا (٧) .

٤ - الدراسة الفنية والمهنية :

وهي احدث نوع من انواع الدراسة في فرنسة . فالمدارس « المركبة » التي تأسست سنة ١٧٩٤ بتأثير آراء كوندورسé ادخلت في منهاجها الرسم وبعض الدروس العملية التي تتصف بطبع فنى ، وأدت خدمات جلی الى التعليم المهني طيلة سنوات عشر . وقد الغاها نابليون وانشأ محلها مدارس

(٧) صحفة التربية ، صفحة ٣٢ - ٣٣ ، الجزء الاول السنة الاولى ١٩٤٨ - القاهرة .

الليسه والكوليج الاكاديميتين ؟ فضاعت على فرنسه ، كما يقول بعض المربين ، فرصة ثمينة في قيادة اوروبا في شؤون التعليم المهني والفنى . ومع ان فرنسه كانت تملك عددا من المؤسسات الفنية المتازنة الا انه لم تكن فيها مدارس فنية كافية للطبقة الوسطى تقوم باعداد الفنانين والمرشدين الذين تتطلبهم حاجات البلاد ؟ وعلى اثر صدور قانون أستير Astier لسنة ١٩١٩ تأسست في فرنسة عدة مدارس مهنية وفنية على غرار المدارس الفنية الالمانية المعروفة بـ

Berufschulen

وقد تبلور نظام التعليم المهني والتضفت خطوطه ، واخذ محله في نظام التعليم العام في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية ، وارتبط التعليم الفني منذ سنة ١٩٢٠ بوزارة التربية الوطنية بعد ان كان مرتبلا اكثره بوزارة الصناعة والتجارة ، وصارت اهمية المدارس الفنية التي تلى الدراسة الابتدائية لا تختلف كثيرا عن اهمية مدارس الليسه والكوليج . وفي كثير من المدن الفرنسية صارت الدروس الفنية والاكاديمية في منزلة واحدة . ان التعليم الفني الذي يتصف بالدقة والكفاءة العلمية ، ويتميز بالموازنة بين الدراسة النظرية والعلمية يجرى في انواع من المدارس عديدة : ابتدائية ومتوسطة وثانوية وعالية .

ويجري التعليم الفني والمهني اليوم في عدة مدارس ، ويتناول البنين والبنات . فمن هذه المدارس مدارس الكوليج الفنية التي تترواح مدة الدراسة فيها من ٣ - ٤ سنوات ، والتي يلتحق بها الطالب بعد الرابعة عشرة من العمر . وتنقسم الى طائفتين : تجارية وصناعية ؟ ومنها الاقسام الفنية الحديثة الملحوظة بالكليلات والصفوف التكميلية ؟ ومنها المدارس الحرفية التي لا تختلف كثيرا عن مدارس الكوليج الفنية ؟ ولكنها تعنى بتدريس الحرف المهمة كالتجارة والبناء والاحذية والسيينا والتصوير ؟ ومن المدارس المهنية تلك التي

تقع في مدينة باريس ، والتي يحرى التدريس فيها بمستوى أعلى من مستوى المدارس الثانوية الفنية الاعتيادية . ان هذه المدارس التي يلتحق بها الطالب بعد ان يجتاز امتحان دخول عسير والتي تمتد مدة الدراسة فيها الى خمس سنوات تعنى اكترها بالنواحي الفنية التطبيقية لبعض الحرف الصناعية ، كصناعة الكتب ، والاثاث ، والرسم ، والميكانيك ، والزجاج ، والازيهاء الحديثة ، وغيرها . ويلتحق سنويا في هذه المدارس حوالي خمسة آلاف طالب وطالبة . ومن المدارس المهنية ايضا المدارس الوطنية المهنية ومدارس صناعة الساعات ، وهي كثيرة ، وتفق عليها الدولة من ميزانيتها العامة . ويلتحق بها الطلبة الذين تتراوح اعمارهم بين ١٣ - ١٧ سنة . وقد بلغ عدد الطلاب في هذه المدارس التي تكون مدة الدراسة فيها اربع سنوات حسب احصاء سنة ١٩٤٧ كما يأتي : عدد طلاب ١٨ مدرسة وطنية مهنية للبنين والبنات ومدرستين وطنيتين لصناعة الساعات ١٢٠٧ ، وعدد الطالبات في مدارس البنات المهنية الوطنية ٢٥١٣ . ويعود طلبة هذه المدارس انفسهم لاجتاز امتحان البكالوريا الفنية الذي طبق سنة ١٩٤٦ .

وفي فرنسه خمسة عشرة مدرسة عاليه للت التجارة تديرها غرف التجارة ، وتشرف عليها الدوائر المختصة بالتعليم المهني المركزية والمحلية . ويلتحق الطالب بهذه المدارس التي تبلغ مدة الدراسة فيها سنتين عند اتمامه السابعة عشرة من العمر ، وبعد حصوله على شهادة البكالوريا او اي شهادة اخرى معادلة . وينال طلبة هذه المدارس عقب تخرجهم دبلوم التعليم المهني . وفي فرنسه ايضا مدارس فنية وظائفها مهنية اخرى كثيرة ومتعددة لا مجال لذكرها وحصرها وشرحها ؛ وتفتح في مراكز تعليمها دورات مهنية وفنية وحرفية مختلفة .

وتحتاج هذه المدارس ولا شك الى عدد كبير من الاساتذة المختصين .
ويجري تدريفهم اما في مدارس فنية عالية مستقلة ، او في المعاهد الفنية
الملحقة بالجامعات . ومن هذه المدارس دار المعلمين العليا للتعليم المهني الواقعه
في باريس والتي قد تأسست منذ سنة ١٩١٢ .

وقد تألف بموجب قانون ١٨ أيار سنة ١٩٤٦ المجلس الاستشاري
للتعليم الفني . ويضم هذا المجلس ممثلين عن بعض الوزارات والدوائر
الرسمية وغير الرسمية التي تعنى بها شؤون التعليم الفني . ويعالج المجلس سياسة
التعليم الفني ، ومناهجه ، وشهاداته ، ونظم امتحاناته وغيرها . ومن التطورات
الحديثة ايضاً تأليف لجنة وزارية خاصة للإشراف على هذا النوع من التعليم
تضمن سبعة وزراء ، وتمثل جميع الوزارات التي تدير معاهد ومدارس فنية
ومهنية .

ويسعى نظام التعليم في فرنسه الى احداث توازن بين كفة التعليم الفني
العملي والاكاديمي النظري ، ففي الدورة الاولى من مراحل « الدراسة الدنيا »
التي تقرحها الخطة الاصلاحية الجديدة ، وهي الدورة « التوجيهية »
التي تبدأ بالحادية عشرة من العمر وتنتهي بانتهاء سن التعليم الإلزامي
تتالت الاعمال اليدوية والتدريب المهني الابتدائي طابعاً عاماً ليكون
بمقدور الطالب ان يجد له حرقه بعد تخرجه ، او ان يختار فرعاً من فروع
الدراسة النظرية . وفي الدورة الثالثة وهي دورة التخصص التي تمتد بين
الخامسة عشرة (او السادسة عشرة) والثامنة عشرة يختار الطالب احد
امرين : اما ان يحصل على تدريب عملي كاف على الاعمال الزراعية او
الصناعية او التجارية ، او يلتحق بأحد الفروع النظرية الذي يقدم
دراسة فنية تسير الفرع الكلاسيكي او الحديث او الفنون جنباً الى جنب ،

وإذا تخرج وأتم دراسته بعد الثانية عشرة من العمر واصل دراسته في أحدى المعاهد الفنية العليا .

٥ - الدراسة الثانوية : الليسه والكوليج

يجرى التعليم الثانوى العلمى ، كما يتصوره الفرنسيون ، فى المدارس الثانوية المعروفة بالليسه والكوليج . وحيث ان مدارس الليسه والكوليج لا تختلف بعضاً عن بعض كثيراً فسيقتصر بحثنا على الليسه التى يرجع تاريخ تأسيسها الى تشرع نابليون الذى الغى المدارس « الجمهورية » المركبة ذات الطابع الفنى واستبدلها بالمدارس الثانوية الكلاسيكية التى سميت بمدارس الليسه . وبالرغم من التبدلات الاجتماعية والانقلابات السياسية الكثيرة التى حدثت فى القرن التاسع عشر فقد ظلت هذه المدارس متميزة عن غيرها ، ومحفظة بطبعها « الامبراطورى » وخصائصها الاكاديمية ، وانشهرت فى داخل فرنسه وخارجها ، واثرت فى نظمها التعليمية . ولقد تأثرت المدارس الثانوية فى القارة الاوروبية بمقاييس المدارس الثانوية الفرنسية والبروسية وحدثت حذوها فى التعليم والادارة ، بينما احتفظت المدارس الثانوية الانكليزية بخصائصها المعينة . وتقترب مدارس الليسه فى مناهجها وتقاليدها ومكانتها الاجتماعية ، وعانتها بالروح الفرنسية ومحافظتها على التقالييد الفرنسية ، لدرجة كبيرة ، من مدارس الخاصة الانكليزية . يضاف الى هذا ان مناهجها تتضمن تدريس اللاتينية واليونانية والفرنسية والكلاسيكية واللغات الحية ، والعلوم الطبيعية والرياضية والجغرافية والتاريخ والتربية البدنية والرسم . وتعنى السنوات الست الاولى بالدراسة الثقافية العامة ، ويؤدى الطالب فى نهاية السنة السادسة امتحان بكالوريا القسم الاول الذى يتكون من اربعة امتحانات تحريرية وخمسة شفوية ؟ اذا نجح ينتقل الى السنة السابعة النهائية حيث تصبح الدراسة اختصاصية وتتفرع الى : فرعى الفلسفة والرياضيات . ويضم الفرعان دروساً فى الفلسفة والآداب واللغات

الحية والتاريخ والجغرافية والفيزياء والكيمياء والتاريخ الطبيعي . وترتبط
الدورس الفلسفية والأدبية في الفرع الأول، فرع الفلسفة ، وتناقص الدورس
العلمية ، بينما تزداد الدورس الرياضية والطبيعية في فرع الرياضيات .
ويؤدي الطالب في نهاية السنة السابقة امتحان بكالوريا القسم الثاني .

ومدارس الليسه مؤسسات قومية تتفق عليها الدولة من ميزانيتها العامة ،
في حين ان مدارس الكولييج التي ظهرت بعد مدارس الليسه مؤسسات
محليه تتفق عليها البلديات وتساعدها الحكومة ؟ وبالرغم من افتئافها أثر مدارس
الليسه في ادارتها ومناهجها وتقاليدها الا انها لم تل المنزلة التي تتمتع بها
مدارس الليسه نفسها . ويعد مدرسو الليسه اكثر خبرة وأعلى مستوى من
مدرسى مدارس الكولييج ؟ ويكونون عادة من حملة شهادة الاكربيجيه Agreges
او من حملة Titulaires ، بينما يكون اكتر مدرسو مدارس الكولييج من
حملة شهادة الليسانس أو delegates الذين يلتحقون لأول مرة بمهمة
التعليم . واذا استطاع أحدهم ان يشق طريقه في مهنة التعليم وينال شهرة
واسعة تلقفته مدارس الليسه وانتقل اليها . وتكيف مدارس الكولييج مناهجها
عادة الى حاجات المنطقة التي تشتيد فيها ، خلافا لما درجت عليه مدارس
الليسه ، وتستخدم اساليب تربوية جديدة قد تكون مجھولة لدى مدارس
الليسه .

وليس التعليم الثانوى مختلطا في الاعم الاغلب ، كما هو شأنه في بعض
الاقطارات الاوروبية والامريكية . وتسير مدارس البنات الثانوية منذ سنة
١٨٨١ على غرار مدارس الليسه والكولييج ، وينمو عددها سنة بعد اخرى ؟
اما مدارس البنين الثانوية فقد ازداد عددها زيادة ملحوظة . وفي الحالات
التي يتذرع على البلديات ان تفتح مدارس ثانوية (كولييج) في المدن الصغيرة
تصبح المدارس الثانوية مختلطة . وبينما بلغ عدد الطلاب والطالبات في جميع
المدارس التي تلى الدراسة الابتدائية ٢٢٠٠٠٠٠ في سنة ١٩٣٠ و٣٦٠٠٠٠٠ ر

فى سنة ١٩٣٧ ؟ وبلغ عدد طلاب المدارس الثانوية (الليسه والكوليج) ١٠٣٥٠٠٠ فى سنة ١٩٣٠ ١٩٨٤٦٤ فى سنة ١٩٣٨ ازداد فى سنة ١٩٤٧ - سنة ١٩٤٨ وصار كما يأتى :

		المدارس العامة
بنون	بنات	
٨٢	١٦٠	مدارس الليسه
١١٣	٢٠٤	مدارس الكوليج الklasikia والمدينه
٠٠٥	٢٥	مدارس الكوليج الklasikia والفنية
١٤٧	١١٣	مدارس الكوليج المدينه
٥٤	٩٥	مدارس الكوليج المدينه والفنية
<hr/>		المجموع
٤٠١	٥٩٦	
		مدارس المرحلة الثانية
٩٩٨		المدارس المتوسطة
٧٣٧	٥٩٧	المدارس المختلطة
٤٥١		المجموع
١٥٧٨٥		

اما المدارس الثانوية الاهلية (الخصوصية) فقد كان عددها سنة ١٩٣٨ حوالي ١٥١٠ ، وصارت في سنة ١٩٤٣ قرابة ١٤٥٠ وبلغ عدد طلابها سنة ١٩٤٥ حوالي ٣٢٢٠٠٠ طالب وطالبة .

واخذت الفروق التاريخية بين مدارس الليسه والكوليج تتضاءل شيئاً فشيئاً منذ ان الغيت الاجور الدراسية وابتلاع الصنوف التحضيرية الملحقة بها او المستقلة عنها . و اذا ما نفذت الخطة الاصلاحية الجديدة فيزول كثيرها ، وستقتصر مدارس الليسه والكوليج على الدراسات النظرية العلمية وتتصبح فرعين من الدورة الثالثة من دورات التعليم الثانوى ؟ وستؤلف

الصفوف الاربعة الاولى دورة او مرحلة عامة ، وستضم جميع الاطفال بغض النظر عن اصولهم الاجتماعية او قدراتهم العقلية ، وستقتصر طبيعة الصفوف الثلاثة العليا الاكاديمية الصرف ، وستتألف من اربعة فروع : كلاسيكي ، وحديث ، وفني ، وفنونى . والفرعان الاخيران جديدان .

ان تقسيم التعليم الثانوى الى مراحلتين تقسيما افقيا : طول المراحله الاولى اربع سنوات والثانية ثلاث سنوات واضافة فروع دراسية جديدة وادخال عدد من « المختارات » سيحدث تبدلًا جوهريًا في كيان الليسه والكولييج القديم . وحيث ان المرحلة الاولى ستكون عامه والزاميه ، وان السن الانزامي سيتمتد حتى الخامسة عشرة من العمر فستفتح صفوف جديدة عده ، دون ان يحدث في مراحلتها الاولى تبدل كلی ، بل ستظل الصفوف العليا الثلاثة من الليسه والكولييج على حالتها السابقة . « لقد أدت مدارس الليسه والكولييج وظائفها التاريخية من حيث هي مبدعات في الاساليب التربوية ، وعليها ان تفسح في المجال لظهور مدارس ثانوية جديدة تلائم الديمقراطية الجديدة والاحتياجات المتزايدة الى التدريب الفنى ملائمة اکثر »^(٨) .

ادارة التعليم

يدار التعليم ، كما بيتنا ، ادارة مركزية . فالدولة هي التي تقوم عادة بتأسيس المدارس واداراتها والانفاق عليها ، وهي التي تضع مفردات المناهج الدراسية وترسم الاهداف التعليمية العامة لها . وليس المركزية في ادارة التعليم حدثاً جديداً في تاريخ فرنسه ، بل تمتد جذورها الى ايام الثورة الفرنسية . وقد لعب تابليون دوراً كبيراً في توطيد النظام المركزي ، واسس بموجب قانوني سنة ١٨٠٢ وسنة ١٨٠٨ جامعة باريس الامبراطورية ، وحدنا في تنظيمه المركزي حدو « جمعية اليسوع » وقال : « أود ان اسس نظاماً

عاما لا يسوعين يخضعون الى ملك في روما ، بل يسوعين لا عطامح لهم الا ان يكونوا افرادا نافعين ، ولا مصالح لهم الا المصلحة العامة . ولا اهدف من تأسيس نظام تعليمي الا توجيه الرأى العام توجيها سياسيا واخلاقيا . ولتحقيق مراميه عمد نابليون الى الغاء جميع المؤسسات الجامعية القديمة التي كانت تتمتع باستقلال ذاتي ، واسس « جامعة امبراطورية » واحدة في فرنسه . اشرف على نظام التعليم كله ، وعهد الى رئيس الجامعة الذي يقوم هو باختياره وتعيينه ادارة شئون التعليم .

وقسامت فرنسه الى ١٧ منطقة تعليمية أو أكاديمية ؟ ستة عشرة أكاديمية منها في فرنسه ، وواحدة في الجزائر ؟ وكلها تتشابه في انظمتها الادارية ، وتصل اتصالا مباشرا بالادارة المركزية في باريس ، وهي وزارة التربية الوطنية . وقد حدثت في فرنسه اصلاحات تربوية كثيرة ، ولكنها لم تكن جذرية ، ولم تتناول النظم الادارية ؟ بل تناولت توزيع عدد الاكاديميات ، والغاء منصب رئيس الجامعة ، وابداله بمنصب وزير التربية الوطنية . ولم تستطع الثورات ، ولا الانقلابات ان تبدل كثيرا في الخصائص الاساسية للتنظيم النابليوني القديم ، أو الروح السائدة فيه ؟ بل ظلت كما هي حتى يومنا هذا .

ويعين وزير التربية الوطنية ، كما كان في العهد النابليوني ، رئيس كل أكاديمية Rector الذي يتسع بصلاحيات واسعة . فهو الذي يوجه نظام التعليم في حداته الادنى والاعلى ، وهو الذي يوكل مفتيش المدارس الخصوصية ومراقبتها ، وهو الذي يصدر تعليماته الى مفتشي التعليم . ولكن منطقة تعليمية (أكاديمية) عدد من مفتشي المدارس الابتدائية الذين يخضعون اداريا الى مفتشي الاكاديميات ، واكثرهم ، بما في ذلك مفتشو رياض الاطفال من النساء . اما المفتشون الاختصاصيون فهم مسؤولون عن تفتيش جميع المدارس ، ولا ينحصر عملهم في اكاديمية واحدة معينة . وقد استطاعت فرنسه بهذا

التنظيم المركزي ان توجه ادارة مدارسها ومناهجها وطائق التدريس فيها توجيها واحداً • ولا تشرك السلطات المحلية عادة في ادارة المدارس باستثناء بلدية باريس التي تشرف ، نوعاً ما ، على التعليم المهني •

ويهيمن على شئون التعليم ، كما بينا ، وزير التربية الوطنية ، يساعدته مدربون عامون ثابتون • ويرأس وزير التربية المجلس العالى للتعليم الذى يضع خطط التعليم ، ويرسم الاتجاهات التربوية العامة ؟ كما يشرف على عدة لجان استشارية • ويساعد الوزير مفتشون عامون فى ديوان وزارة التربية الوطنية • وتقسم فرنسه الى ۱۷ منطقة تعليمية ؟ وهذا العدد يساوى عدد الجامعات الفرنسية نفسها • ولكن أكاديمية مجلس تعليمي يتألف من بعض اساتذة الجامعة ، ومن مفتشي الأكاديمية ، ومن ممثليين يمثلون مراحل التعليم المختلفة ، ويضم مستشاراً تربوياً • وينظر المجلس فى التوسعات المطلوبة ، وفي اجراء الاصلاحات التربوية ، وينظر فى القضايا الانضباطية الخاصة بالتعليم الثانوى • ويكون عميد الجامعة رئيساً لمجلس التعليم ، ويهيمن على جميع مراحل التعليم ، ويمثل وزير التربية الوطنية ، ويكون عادة من أكابر العلماء • ويعيد مفتش الأكاديمية المدير الفعلى لشئون التعليم فى الأكاديمية^(۹) •

(۹) محمد فاضل الجمالى - اتجاهات التربية والتعليم فى المانيا
وانكلترة وفرنسا ، مطبعة الحكومة ، بغداد سنة ۱۹۲۸

الامتحانات

يعانى الطلبة الفرنسيون متاعب جسمية ونفسية جمة من نظام الامتحانات، وينادى كثير من المربين بضرورة اصلاحه . فكان الحصول على شهادة الدراسة الابتدائية القديمة(*) يتطلب النجاح فى امتحانين : الاول يؤدى به الطالب وهو فى الحادية عشرة من العمر ويؤهله للدخول فى المدارس الثانوية ، والثانى فى الرابعة عشرة من العمر ، ويؤدى به الطلبة الذين لا يستطيعون الالتحاق بالمدارس الثانوية .

وقد تضمنت خطة الاصلاح التربوية الجديدة الغاء نظام الامتحانات القديم ؛ وسيصبح بمقدور جميع الطلاب عند تفريدها الالتحاق بالمدارس الثانوية بعد الحادية عشرة من العمر دون ان يتحقق جماعة منهم بمدارس أخرى .

وما زال الطلبة الذين لا يواصلون دراستهم بعد الرابعة عشرة من العمر او بعد هذا السن بقليل يعدون انفسهم لتأدية امتحان « البريفه » الابتدائية ، وهو امتحان شهادة الدراسة الابتدائية العالية ، حسب النظام القديم . ويؤدى طلبة الليسه والكوليج ، كما سبق ان بينا ذلك ، امتحان البكلوريا العام الذين يتألف من امتحانين : يجرى الاول فى نهاية السنة السادسة ، والثانى فى نهاية السنة السابعة . فاذا نجح استطاع الالتحاق بحدى الجامعات . ويشترط على الطالب الذى يريد الدخول فى المعاهد العليا ان يدرس دراسة خاصة ، وان ينجح فى امتحان المسابقة .

ولأول مرة فى تاريخ معارف فرنسه وضعت شهادة بكلوريا « فنية » تؤهل حاملها دخول المعاهد العالية . وتقترح الخطة الاصلاحية احداث شهادة

* Certificat d'etudes Primaires

مدرسة اخرى تحل محل شهادة البكالوريا ، وهى « دبلوم اتمام دراسة المرحلة الثانية » (*) لجميع الفروع النظرية (الفنية والكلasية والحديثة والفنونية) حتى لا تصبح الدراسة العالية وقفا على اصحاب الدراسات الثانوية التقليدية القديمة ، بل تناول اصحاب الدراسات الفنية والحديثة الاخرى .

ميزانية التعليم

يستمد التعليم العام نفقاته المالية من الادارتين المحلية والمركزية ؛ فتدفع الدولة اعظم قسط من ميزانية التعليم الثانوى والفنى والعالى ، وتدفع الباقي السلطات المحلية . ويبلغ مقدار ما تتفقه السلطات المحلية على التعليمين الابتدائى والمتوسط ٣٠٪ من مجموع نفقاته العامة . والى جانب هذا تقوم الهيئات المحلية او الكووميون والبلديات بتشييد المدارس وتجهيزها بالاثاث واللوازم المدرسية ، وتدفأتها وانارتها ؛ وتبث عن الواقع التي تصلح ان تشييد عليها وتدفع مخصصات سكنى للمدرسين . ويتناقض جميع المدرسين رواتبهم من خزينة الدولة ، حيث يعدون موظفين فيها .

وفي فرنسه مدارس كاثوليكية خصوصية تستوفى اجورا مدرسة على خلاف المدارس الحكومية . ومع ان المدارس الثانوية قد أصبحت مجانية منذ عام ١٩٣٦ الا ان حكومة فيشى قد أعادت نظام الاجور الى مدارس اليسه والكولييج في فترة الاحتلال الالماني ، وقدمت مساعدات مالية الى المدارس الكاثوليكية الخصوصية . وكان من جراء تقديم هذه المساعدات ان اخذت المدارس الكاثوليكية تستعيد مکانتها وتحتفظ بطلابها ، وتحول دون انتقال

* Diplome de fin d' etudes du second degre

قسم منهم الى مدارس الليسه والكوليج المجانية ° وبعد تحرير فرنسه اعيدت المجانية الى المدارس الثانوية ، واقتصرت المدارس الكاثوليكية على القلة الموسرة من ابناء الاغنياء ، ونشطت حر كة انتقال الطلاب من الثانية الى الاولى ° وليس بمستبعد ان يتقلص عدد طلاب المدارس الكاثوليكية كثيرا من جراء ازدياد النِّفقات المدرسية ، ويتحول قسم كبير منهم عنها ، كما حدث في الولايات المتحدة حينما تقلص عدد الطلاب في المدارس الثانوية الخصوصية ، وكما حدث في انكلترة حينما ازداد اقبال الطلاب على المدارس العامة °

إعداد المعلمين

يتيم اعداد معلمى المدارس الابتدائية فى دور المعلمين الابتدائية ، واعداد مدرسى المدارس الثانوية فى الجامعات و « دار المعلمين العليا » ودار المعلمات العليا ° وهذا النظام يعكس علينا ، دون شك ، الانقسام الموجود فى طبيعة التعليم الابتدائى والثانوى نفسه ، بل يعكس علينا التكوين الطبقى للنظام الاجتماعى ° فقد درجت فرنسه على اعداد معلمى المدارس الابتدائية فى « دور المعلمين » الذى يتحقق بها الطلبة الذين بلغوا السادسة عشرة من العمر تقريبا ، وتخرجوا من المدارس الابتدائية العالية ونالوا شهادة « البريفه الابتدائية » ° وبعد ان يقضى الطالب ثلاث سنوات فى احدى دور المعلمين يحصل على شهادة « البريفه العليا » ، ويعين معلما فى احدى المدارس الابتدائية ، ويبقى « تحت التجربة » مدة من الزمن ؟ فإذا ثبت فى وظيفته أصبح معلما على ملاك التعليم الثابت °

وافتتحت أول دار للمعلمين الابتدائية سنة ١٨١١ فى مدينة سترايسبورغ ؟ ثم أخذت تنتشر رويدا رويدا فى مختلف أطراف فرنسه ؟ وتقىدما عطراً ° ففى سنة ١٨٣٢ خضعت دور المعلمين الى سيطرة الدولة ، وجعل

غىزو مدة الدراسة فيها سنتين . اما دور المعلمات الابتدائية فقد ظهرت في سنة ١٨٤٢ ، وكانت مناهجها ثقافية عامة ، ثم تبدلت مناهجها بموجب قانون فاللو ، وصارت مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات . واعيد تنظيم دور المعلمين سنة ١٨٧٩ ، وأخذت تسمى بسمعة حسنة في الاوساط التربوية لاسيمما بعد ان طرأ تبدل جوهري على مناهجها في سنة ١٨٠١ ، وشقت دروس اللغات الحية والجبر والاشغال اليدوية طريقها الى مناهجها لتجعلها تساير التطورات التعليمية والاجتماعية . وفي سنة ١٩٢٠ اجريت اصلاحات اساسية في نظام دور المعلمين الابتدائية لا تزال آثارها باقية حتى يومنا هذا .

تقوم الدولة بتأسيس دور المعلمين في المناطق التعليمية ، ووضع مناهجها وملأ كاتها ؛ وبانتقاء الطلاب إليها ، وتعيينهم في المدارس ، وبالانفاق عليهم طول مدة دراستهم . واكثرها داخلية . ويشرف على ادارتها رئيس الجامعة في كل اكاديمية ، ويقوم بتفتيشها المفتشون المختصون . ولكل دار للمعلمين مجلس خاص يكون مسؤولاً عن ادارتها وميزانيتها وسير الدراسة فيها ، ويرفع التقارير عنها الى الجهات المختصة .

ويتحقق الطلبة بدور المعلمين عند نجاحهم في امتحان الدخول الذي يتكون من امتحانين : تحريري وشفوي . وتتألف مناهج الدراسة من دروس ثقافية عامة ، ومن دروس مهنية نظرية وعملية . ولكل دار للمعلمين مدرسة للتطبيقات ، تستخدم لأغراض المشاهدة والتعليقات التدريسية .

اما مدرسو المدارس الثانوية فان اعدادهم يختلف عن اعداد معلمي المدارس الثانوية ، ويتم اما في الجامعات او في دور المعلمين العليا . وبعد ان يحصل الطالب على شهادة البكالوريا (الليسه والكوليج) يواصل دراسته في احدى الجامعات مدة سنتين ، وينال بعد تخرجه منها شهادة التدريس في العلوم او الآداب ، ويعين في احدى ثانويات الكوليج . ويتعطل التعيين في مدارس الليسه الثانوية دراسة اختصاصية عالية ، واستعداداً لدخول امتحان

الاكربيكاسيون ، ويتألف هذا الامتحان الذى تقوم به الدولة تحت اشراف احسن اساتذة فرنسيه من قسمين : تحريرى وشفوى ؟ ويعد اصعب امتحان تجريه وزارة التربية الوطنية . ولا تسمح الدولة الا لعدد قليل من الشبان والشابات لتأديته يتناسب هو وعدد الشواخر الموجودة فى مدارس اليشهه والوظائف الادارية الاخري .

وقد أوصت « لجنة لاتحقان » الحق دور المعلمين الابتدائية بالجامعات لتوفى قسمما من المرحلة الاولى للتعليم العالى ، وان يكون اساس الالتحقان شهادة ثانوية معادلة الى شهادة البكالوريا العامة ؟ وان يواصل خريجو المدارس الثانوية (اليشهه والكوليج) دراساتهم العالية حتى يتموا المرحلة الثانية من مراحل التعليم العالى ، كما هو جار الان ؟ وان تستمر الصفة المختارة منهم حتى يتموا المرحلة الثالثة من مراحل التعليم العالى ، وهى مرحلة امتحان الاكربيكاسيون . واما ما نفذت هذه الخطة الاصلاحية فسيصبح جميع معلمي المدارس الابتدائية ذوى مقاومة جامعية ، وستتضاءل الفروق الثقافية والاجتماعية التى تباعد بين مدرسين المدارس الثانوية والابتدائية ، وستكون عملية انتقال المعلمين من التعليم الابتدائى الى الثانوى ممكنة .

التعليم العالى

يتتألف نظام التعليم العالى فى فرنسيه من ثلاث مراحل وهى : (١) الجامعات و (٢) المعاهد الفنية العليا الرسمية و (٣) المعاهد الخصوصية العليا . ولكن مرحلة تاريخ خاص ، واهداف ووظائف خاصة .

اولا - الجامعات :

كانت الجامعات^(*) والمعاهد العليا تتمتع قبل الثورة الفرنسية باستقلال

(*) يرجع تاريخ تأسيس الجامعات الفرنسية الى القرن الثاني عشر . ففى هذا القرن تأسست كل من جامعة طولوز وباريس .

ذاتي وبحرية للبحث العلمي مما جعلها مراكز علمية شهيرة يقصدها طلاب العلم من شتى الأقطار الأوروبية . ولقد تأسس معظمها في القرون الوسطى ، غير أن الثورة الافرنسية لم تحافظ على هذه التقاليد العلمية ، فحلت الجامعات القديمة ، وضيقـت على حرية البحث فيها ، وقـدت استقلالـها الذاتي . وأسس نابليون « الجامعة الإمبراطورية » لـتحل محلـها ، ولـتكون جامعة فـرنـسـه الوحـدة ، ووـضعـها عـلـى اـسـس مـركـزـية . وـبـتأـسـيس هـذـه الجـامـعـة انـظـوت صـفـحة الجـامـعـات القـديـمة المستـقلـة مـدة قـرن كـامـل ، وـلم تـظـهـر لـلوـجـود الا بـعـد اـن تـأسـسـتـ فـي بـارـيسـ وـفـي بـعـض المـدن الفـرنـسـية مـعاـهد اـخـصـاصـية عـلـى مـخـلـفة ، اـسـتـطـاعـتـ اـن تـنـدـمـج بـعـضـها فـي بـعـضـ وـتـشـكـلـ فـي سـنـة ١٨٩٦ نـوـعاـ من الجـامـعـات ، وـاسـتـطـاعـتـ اـن تـحـصـل عـلـى قـدرـ من حـرـيةـ الـبـحـثـ الـعـلـمـيـ وـالـاسـتـقلـالـ الشـخـصـيـ ؟ وـاـخـذـ الـتـعـلـيمـ الـحـكـوـمـيـ الـعـالـىـ يـدـوـ روـيـداـ روـيـداـ ؟ فـتـأسـسـ « دـارـ المـعـلـمـينـ العـلـيـاـ » وـ« المـعـهـدـ الفـنـيـ » . وـبـظـهـورـها عـادـت Eccle Polytechnique وـحدـةـ الـبـحـثـ الـعـلـمـيـ وـفـكـرةـ الـجـامـعـاتـ المـسـتـقلـةـ منـ جـدـيدـ . الاـنـ هـذـهـ حـرـيةـ الـعـلـمـيـ فـيـ الـبـحـثـ وـالتـقـيـبـ التـىـ تـتـمـعـ بـهـاـ الجـامـعـاتـ الفـرنـسـيةـ لاـ تـقـاسـ كـثـيرـاـ بـالـحـرـيةـ التـىـ تـتـمـعـ بـهـاـ الجـامـعـاتـ الـبـرـيطـانـيـةـ وـالـأـمـرـيـكـيـةـ . فـرـؤـسـاءـ الـجـامـعـاتـ ، وـهـمـ اـنـفـسـهـمـ مدـيـرـوـ « الـأـكـادـيـمـيـاتـ » ، يـعـينـهـمـ وزـيـرـ التـرـبـيـةـ الـوطـنـيـةـ ، وـلـاـ يـتـخـبـهـمـ اـسـاتـذـةـ اـنـتـخـابـاـ ؟ وـيـعـينـ اـسـاتـذـةـ الـجـامـعـاتـ بـتـوـصـيـةـ مـعـاهـدـ المـخـلـفةـ .

وـمـرـتـ الـجـامـعـاتـ وـالـمـعـاهـدـ الـعـالـيـةـ فـيـ مـراـحـلـ تـنـظـيمـيـةـ كـثـيرـةـ . فـيـ الـيـوـمـ الاـولـ مـنـ شـهـرـ ماـيـسـ سـنـة ١٨٠٨ مـثـلاـ صـدـرـ قـانـونـ بـتـنظـيمـ الـتـعـلـيمـ الجـامـعـيـ ؛ فـاحـتفـلتـ الـجـامـعـاتـ بـفـرـوعـهـاـ المـخـلـفةـ وـهـيـ : الـلاـهـوـتـ وـالـطبـ وـالـحـقـوقـ وـالـعـلـومـ وـالـآـدـابـ ؟ وـاحـتفـضـتـ الـدـوـلـةـ بـحـقـ منـ الـلـاقـابـ الـعـلـمـيـ ، وـصـارـتـ شـرـطاـ اـسـاسـياـ مـنـ شـروـطـ الـقـبـولـ فـيـ الـوـظـائـفـ الـحـكـوـمـيـةـ . وـقـطـعـ الـتـعـلـيمـ الـعـالـىـ شـوـطـاـ كـبـيرـاـ فـيـ اـيـامـ لوـيـسـ ليـاردـ Liardـ (١٨٩٣ـ - ١٨٩٦ـ) الـذـيـ يـعـدـ بـحـقـ

هؤسس التعليم العالى الحديث فى فرنسه . فقد وضع قانون سنة ١٨٩٣ (الذى صدر فى اليوم الثامن والعشرين من شهر نيسان) التعليم الجامعى على اسس جديدة ، واعطى الهيئات التعليمية شخصيات رسمية ، وأناط بها الادارة على التعليم العالى ؛ ولكنه أقر ذلك دون ان يذكر اسماء تلك الجامعات التى سيسرى عليها مفعول القانون . وفي اليوم الاول من شهر تموز سنة ١٨٩٦ ذكرت اسماؤها ، واسماء « المناطق العلمية » (الاكاديميات) التي ستولى شئون التعليم العالى ؛ بالرغم من صدور قانون ١٨٧٥ الذى أطلق التعليم العالى من جميع القيد الذى كانت مفروضة عليه ، وأجاز للأشخاص الافرنسيين الذين لا تقل اعمارهم عن ٢٥ سنة والذين يتمتعون بحقوقهم المدنية تأسيس الجامعات .

وتنقسم فرنسه الى سبعة عشرة مقاطعة علمية ، وهى : باريس ، مونبلييه ، طولوز ، غريينوييل ، اكس ، كان ، بواتيه ، بوردو ، بوزانسون ، فانس ، ديجون ، رين ، كليرمون ، ليل ، الجزائر ، ليون ، وستراسبورغ . وفي كل مقاطعة علمية المعاهد الــ١٠ : كليات حقوق وطب وصيدلة وعلوم وأداب تتألف منها الجامعة الخاصة بتلك المنطقة ، تضاف إليها المعاهد الخاصة الأخرى .

وتتألف كل جامعة من قسمين على الاقل ، وهما : العلوم والانسانيات (او الآداب) ، ومن « معاهد » كثيرة ومتعددة . وакثر الجامعات الفرنسية تضم كليات للحقوق والطب والصيدلة . وتستثنى من ذلك جامعة ستراسبورغ التي تضم الى كلياتها الاربع المعروفة كلية للاهوت .

ادارة الجامعات :

نظم قانون ١٠ تموز سنة ١٨٦٩ وتعديلاته شئون ادارة الجامعات الفرنسية ، وخلو الحكومة صلاحية تقديم المساعدات المالية اليها ، وأعطى الجامعات حق استلام الهبات والمنح والاواقف من الاشخاص والمؤسسات .

ومع ان الجامعة والمعاهد العليا والمدارس العامة والخصوصية تخضع في ادارتها الى مدير المنطقة التعليمية الذي هو في الوقت نفسه رئيس الجامعة الا ان وزير التربية الوطنية يساهم في ادارة الجامعات والاسراف عليها ، وفي منح الالقاب العلمية ؟ ويبقى مدير المنطقة الذي يعين برسوم جمهوري مسؤولا اعلم وزير التربية الوطنية عن سير اعمال منطقته كافة .

وترتبط الجامعات والمعاهد العليا قاطبة بمديرية التعليم العالي في وزارة التربية الوطنية التي تتألف من ثلاثة اقسام : (١) قسم الادارة ، ويتناول جميع ما يتعلق بشؤون الذاتية و (٢) قسم الشؤون الفنية ، ويختص بالامتحانات والالقاب العلمية ، و (٣) قسم الحسابات . وترتبط هذه المديرية بوزير التربية الوطنية ، ويرأسها مدير عام يتخب من بين رجال التعليم البارزين . وفي فرنسه « مجلس عال للتعليم الوطنى » يتكون من ثمانين عضوا . وللمجلس مكتب دائم يتولى تنظيم اعماله وادارة شئونه ؟ وتحصر وظيفته في دراسة المشاريع والخطط التربوية التي تقدمها مديريات التعليم العالي والثانوى والابتدائى . ويتتألف المجلس من : مدير التعليم العالى (رئيسا) ، ومدير التعليم الفنى ، ومدير المباحث الفنية الوطنية ، ورئيس جامعة باريس ، و ١٤ عضوا يعينهم الوزير و ٣٥ تتتخذه الهيئات التعليمية المختلفة . يضاف الى هذا ان لكل جامعة لجنة استشارية تكون من خمسة فروع ، اي بمقدار الفروع التي تكون منها الجامعة نفسها . وتتألف منها « اللجنة الاستشارية للجامعات » . وبعد مدير التعليم العالى رئيسا لكل لجنة من هذه اللجان .

وتضم كل جامعة عددا من الكليات ؟ ويدبر كل كلية عميد يختاره وزير التربية الوطنية من بين « أستاندة » الكليات نفسها ، ويتولى تنفيذ قرارات مجلس ادارة الكلية . ويرأس هذا المجلس عميد الكلية ، ويتألف من جميع « أستاندة » الكلية ، وتحصر صلاحياته في اعداد الميزانية والمناهج وسد الشواغر ودراسة شئون الطلاب العامة . اما « مجلس المدرسين » فيتكون

اعضاؤه من افراد الهيئة التعليمية كافة ، ويتولى النظر في الشئون التعليمية العامة
فقط

أما « مجلس الجامعة » الذى يرأسه رئيس الجامعة فيتتألف من عمداء
الكليات وعدد من الاساتذة يمثلون الكليات المختلفة ، ومدير المرصد فى كل
أكاديمية وثلاثة أو اربعة اعضاء يمثلون الجامعة كلها . وتحصر وظيفة
مجلس الجامعة فى ادارة الشئون الخاصة بممتلكات الجامعة ، وتنظيم المناهج
الدراسية ، وتعيين مواعيد الدراسة والامتحانات . ولا تعتبر قراراته نافذة الا
بعد مصادقة وزير التربية الوطنية .

تنظيم الدراسة فى الكليات :

تقسم الكليات المختلفة دراسات مهنية واحترافية عالية ؟ وتمتحن الدرجات
العلمية . فكلية الحقوق مثلاً تهيء طلبتها للحصول على درجة الليسانس
والدكتوراه . وتمتحن الشهادات الآتية :

أ - شهادة الليسانس فى الحقوق ؟ وتمتحن بعد دراسة طولها ثلاث
سنوات ، ويقدم الطالب لامتحان مرة فى آخر كل سنة دراسية .
ب - دبلوم الدراسات الحقوقية العليا .

ج - دكتوراه فى الحقوق : وينالها الطالب بعد حصوله على دبلومات
حقوقية عالية ، ووضع اطروحة ومناقشتها بصورة علنية ، ودراسة لا تقل
مدة عنها عن سنتين .

د - شهادة الكفاءة الحقوقية : وتمتحن هذه الشهادة التى تستغرق دراستها
ستين للطلاب الذين لا يحملون شهادة البكالوريا الثانوية .
وتمتحن كليات الحقوق ، بالإضافة إلى هذا ، شهادات متعددة فى فروع
علم النفس الجنائى ، وشهادة المصطلحات الحقوقية ودبلوم الدراسات الحقوقية
المقارنة ، ودبلوم معهد الدراسات الدولية العليا وغير ذلك من الشهادات
والدبلومات .

اما كليات الطب والصيدلة والعلوم فلا تختلف كثيراً عن غيرها من

كليات العالم في تنظيمها و منهاجها و فروعها ، ولكن الأفرنسيون يعنون عنابة كبيرة بالدراسات الأدبية ، ويحسبونها تراثهم الخالد . ومن أجل هذا فإن كليات الآداب تمنح شهادات اختصاصية متعددة وهي : شهادة الدراسات العليا في الآداب ، و دبلوم الدراسات العليا في الآداب ، و دكتوراه الآداب . وإذا كان الطالب لا ينال شهادات الدكتوراه في الآداب إلا بعد أن يواصل دراسته الاختصاصية لمدة سنتين على الأقل بعد حصوله على شهادة الليسانس ، فإن شهادة الدكتوراه في الطب تحتاج إلى دراسة طولها ست سنوات على الأقل .

ثانياً - المعاهد العليا :

يجرى تدريس الدراسات الفنية والتطبيقية في مؤسسات مستقلة تسمى «المعاهد العليا » Grandes Ecole ؛ وترتبط هذه المؤسسات بالوزارات المختصة ارتباطاً مباشراً . فمثلاً ترتبط «دار المعلمين العليا » بوزارة التربية الوطنية ، و «المعهد الزراعي » بوزارة الزراعة و «مدرسة المستعمرات » بوزارة المستعمرات ، وهكذا . ويشترط في الطالب الذي يود الالتحاق بأحدى هذه المؤسسات أن يجتاز بعد انتهاء الدراسة الثانوية بنجاح امتحاناً شاقاً يحتاج إلى اعداد خاص .

و تعد «المعاهد العليا » الأفرنسية من المعاهد العلمية الفريدة في العالم . فالطلاب صنفوا مختاراة ، والأساتذة نخبة من رجال الفكر والعلم . وتنضم هذه المعاهدة عادة عدداً كبيراً من الاختصاصيين الذين قد اشتهروا في مختلف نواحي المعرفة . وتلعب «دار المعلمين العليا » دوراً خاصاً في حياة فرنسه الفكرية والاجتماعية . فليست هذه المؤسسة ، كما قد يتادر إلى الذهن أول مرة ، معهداً لإعداد المعلمين أو معهداً من معاهد التربية والتعليم حسب ، بل هي تلك الأرض الطيبة التي تنمو فيها « الثقافة العامة » وتغرس « الروح الفرنسية » التي يفخر بها الفرنسيون أيما افتخار ، ويعتزون بها أيما اعتزاز ، ويدعونها تراثهم الخالد . وإذا كان هذا المعهد ليس بالمعهد التقني الخاص بإعداد المدرسين

فليس ذلك معناه انه لا يعد الصفة المختارة من رجال التربية والتعليم ، فان كثيرا من مدرسي مدارس الليسيه ينالون اعدادهم فيها . والحقيقة ان خريجي « دار المعلمين العليا » يعدون في طليعة العناصر المثقفة ، ويمدون الشعب الفرنسي بمجموعة من الرجال يصلحون ان يكونوا قادة في مختلف ميادين الحياة العقلية والعملية .

وفي فرنسه معاهد Institut آخرى للدراسات والبحوث الخاصة ؟ وهي اما ان تكون شعبة فى كلية من الكليات أو قسمًا فى احدى الجامعات . ويقضى الطالب فيها عادة مدة لا تقل عن السنة ينال بعد نجاحه شهادة (دبلوم) فى الفرع الذى التحق بها من أجله . وقد يتبارى الى الذهن ان « معهد فرنسا » Institut de France هو احدى هذه المعاهد التى اشرنا اليها . ولكنه ليس كذلك ؟ انه ملتقي جميع المؤسسات العلمية الشهيرة فى فرنسة(*) . ومن المعاهد الاخرى تلك التى تعنى بالابحاث Research فقط ؛ والدراسة فيها اختصاصية عالية ، ويلتحق بها الطلبة الذين قد انهوا مرحلة الليسانس .

ان اهم المعاهد العليا فى فرنسه هي :

أ - دار المعلمين العليا : تأسست سنة ١٧٩٢ ؟ وهى من ثمرات الثورة الفرنسية . وقد اعيد تنظيمها فى ا أيام العهد الامبراطورى ، وتطلب قانون ١٧ مارت سنة ١٨٠٨ ألا يتجاوز عدد طلابها عن ٣٠٠ طالبا ، وان يعدوا

(*) وهي :

Academie Francaise

Academie des Inscriptioin et Belles-Lettres

“ des Sciences Morales et Politiques

“ des Sciences

“ des Beaux Arts

أعداداً علمياً وأدبياً ليكونوا قادرين على التعليم في المدارس العامة . وفي سنة ١٩٠٣ التحقت بجامعة باريس ولكنها ظلت محافظة على تقاليدها الخاصة . وتنقسم إلى شعبتين : شعبة للاـداب واخـرى للعلوم . ويـشترط في الطالب الذي يروم الـاتـحـاق بها ان يـجـتـاز امـتـحانـاً مـسـابـقـة عـسـيرـة على أـن لا يـقل عمرـه عن ١٨ سـنة وـأـلـا يـتـجـاـوز ٢١ سـنة . ويـتـراـوـح عـدـد الطـلـاب الـذـين يـقـبـلـونـها سنـوـيـاً بـيـنـ ٥٠ - ٣٠ طـلـابـاً لـفـرعـ الـادـابـ وـ٢٠ طـلـابـاً لـفـرعـ العـلـومـ . اـمـاـ مدـدـةـ الـدـرـاسـةـ فـهـىـ أـربعـ سـنـوـاتـ ،ـ يـقـضـىـ الطـالـبـ مـنـهـاـ سـتـيـنـ استـعـداـداـ لـحـصـولـ الـلـيـسانـسـ ،ـ وـسـنـةـ أـخـرىـ لـلـدـبـلـومـ الـعـالـىـ ،ـ وـسـنـةـ رـابـعـةـ لـاجـتـازـ اـمـتـحانـ الـاـكـرـيـكـاسـيونـ الشـهـيرـ .

وـتـمـتـعـ دـارـ المـعـلـمـيـنـ الـعـلـيـاـ ،ـ كـمـاـ بـيـنـاـ ،ـ بـشـهـرـةـ عـلـمـيـةـ وـعـالـمـيـةـ وـاسـعـةـ ،ـ وـتـضـمـ طـائـفةـ منـ كـبـارـ الـإـسـانـدـةـ وـالـعـلـمـاءـ وـالـأـدـبـاءـ .ـ وـبـمـقـدـورـ الطـالـبـ بـعـدـ تـخـرـجـهـ مـنـهـاـ انـ يـوـاصـلـ بـحـوـثـهـ وـدـرـاسـاتـهـ فـيـهـاـ .ـ وـقـدـ كـانـتـ طـوـالـ تـارـيـخـ فـرـنـسـةـ الـحـدـيـثـ وـفـيـ مـخـتـلـفـ الـظـرـوفـ الـتـىـ مـرـتـ بـهـاـ فـرـنـسـةـ مـرـكـزـ نـشـاطـ سـيـاسـيـ عـظـيمـ .

بـ - دـارـ المـعـلـمـيـنـ الـعـلـيـاـ :ـ تـأـسـسـتـ بـمـوجـبـ قـانـونـ ٢٦ـ تمـوزـ سـنةـ ١٨٨١ـ لـاـعـدـادـ مـجـمـوعـةـ مـنـ مـعـلـمـاتـ لـلـتـدـرـيـسـ فـيـ الـمـارـسـ الثـانـوـيـةـ .ـ اـنـ هـذـاـ المـهـدـ الـذـيـ لـاـ يـتـجـاـوزـ عـدـدـ الطـالـبـاتـ فـيـهـ عـنـ ١٥٠ـ طـالـبـةـ ،ـ وـالـذـىـ اـنـتـقـلـ مـنـذـ مـدـدـةـ قـرـيـبةـ جـدـاـ مـنـ سـيـفـرـ فـيـ ضـوـاحـيـ بـارـيـسـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ بـارـيـسـ نـفـسـهـاـ يـسـيرـ فـيـ تـقـالـيـدـهـ وـادـارـتـهـ وـامـتـحانـاتـهـ وـمـنـاهـجـهـ وـانـظـمـتـهـ تـقـرـيـباـ عـلـىـ غـرـارـ دـارـ المـعـلـمـيـنـ الـعـلـيـاـ .

جـ - دـارـ المـعـلـمـيـنـ الـعـلـيـاـ فـيـ سـانـ كـلـوـ لـلـبـيـنـ وـفـونـتـيـنـهـ أـورـوزـ لـلـبـنـاتـ :ـ وـهـمـاـ معـهـدـانـ خـاصـانـ بـاعـدـادـ الطـالـبـاتـ وـالـطـالـبـاتـ لـلـتـدـرـيـسـ فـيـ مـارـسـ الـكـولـيـجـ الثـانـوـيـةـ .

دـ - معـهـدـ الـدـرـاسـاتـ الـعـلـيـاـ الـعـمـلـيـ :ـ اـسـسـ هـذـاـ المعـهـدـ فـكـتـورـ دـيـروـيـ سـنةـ ١٨٦٨ـ لـتـلـافـيـ الـاـخـطـاءـ الـكـثـيرـةـ الـتـىـ اـرـتـكـبـاـ الـتـعـلـيمـ الجـامـعـيـ فـيـ السـوـاحـيـ

العلمية . ويستهدف توجيه الطلاب وترغيبهم في متابعة البحوث العلمية والعملية . ويتألف من ثلاثة أقسام أحدهما خاص بالدراسات الأدبية . ولا يزال المعهد بمختبراته ومكتبه واقسامه قائما حتى يومنا هذا . ويرتفع مستوى التعليم فيه إلى مستوى الدراسات الاختصاصية التي تقدمها الكليات الأخرى .

هـ - معهد الوثائق والمستندات : افتتح المعهد سنة ١٨٢١ لاعداد الطلبة في شئون دراسة الوثائق والسجلات والمستندات وتنظيمها من جهة وفن ادارة المكتبات من الجهة الثانية . ففي الihالة الاولى يمنح المعهد الى المتخرج بعد دراسة طولها ثلاث سنوات دبلوما خاصا ، وفي الihالة الثانية شهادة خاصة . ويشترط في دخول المعهد ان يكون الطالب قد اجتاز امتحان الدراسة الثانوية ، ونجح في امتحان الدخول . ولا يزيد عدد الطلبة الذين يلتحقون في المعهد سنويًا عن عشرين طالبا . ويعين وزير التربية الوطنية مدير المعهد ، واساتذته الشمائية عشرة ، والاساتذة المساعدين ، وعددا آخر من الموظفين .

و - معهد اللغات الشرقية الحية : كان الوزير الفرنسي كوبنير قد اسس سنة ١٦٦٩ معهدًا خاصًا للترجمة ؟ واستمر كذلك مدة من الزمن طويلا . وفي سنة ١٧٩٥ صدر قانون بحادث معهد اللغات الشرقية الحية هي لغات الشرق الادنى والاقصى واوروبا الشرقية . ولا يزال المعهد قائما حتى يومنا هذا ، ومعروفًا بالاسم نفسه . وتتألف الهيئة التدريسية من ٢٠ أستاذًا فرنسيًا ، واربعة محاضرين ، وعدد من المعدين الاجانب . ويشرف على ادارة المعهد مديرون ومجلس للمدرسين .

ز - كوليج دو فرنس : في فرنسه معهد قديم لابحاث العلمية هو الكوليج دو فرنس^(*) College de France . ويحتل هذا المعهد منزلة

(*) انشاء سنة ١٥٣٠ الملك فرنسو الاول باسم « الكلية الملكية » ويتألف ملاكه من ٤٢ أستاذًا ، و ٢٧ مساعد مدير مختبر ، ورؤساء ابحاث ، وعدد من المساعدين .

عظيمة في حياة فرنسة العلمية والعلقيلة . وهو مؤسسة حكومية لابحاث والدراسات لا كلية من الكليات . وتديره وزارة التربية الوطنية وتنفق عليه . ويعين وزير التربية الوطنية جميع أستاذة هذا المعهد ويختارهم من بين علماء فرنسة المشهورين في الاوساط العلمية . ويتمتع الاستاذ الذي يعين في هذا المعهد بحرية مطلقة للقيام بأى بحث من البحوث والقاء أية محاضرة من المحاضرات العامة ، كما بمقدوره ان يكف عن القاء المحاضرات أو اعداد البحوث . ولا تحضر المحاضرات التي يلقىها أستاذة هذا المعهد الا الصفة المختارة من الطبقية المنفعة في باريس لاهميتها وصعوبتها ادراها من متسعى الناس . ولا تجرى امتحانات فيه كما لا تعطى شهادات تتصل بهذه المحاضرات وجميعها عامة ومجانية . ولما كان هذا المعهد يضم طائفة شهيرة من الاستاذة والاختصاصيين فكثيرا ما تستدعي الحكومة هؤلاء الاختصاصيين لدراسة مشكلة من اشتراك الكبير ووضع الحلول المناسبة لها . ومع أن الكوليج دي فرنس قسم من السوربون (جامعة باريس) ويتصل به اتصالا ويتقا الا أنه مستقل عنه كل الاستقلال . ان هذا المزير من سيطرة الدولة الفعلية على هذا المعهد ومن حرية البحث العلمي المطلقة والقاء المحاضرات العامة لا نغير له في أقطار أخرى .

ح - المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي : تأسس في القرن السابع عشر مستقلا عن جامعة السوربون باسم حدائق الملك ، ثم تبدل اسمه ، واحد يتسع شيئا فشيئا حتى آتى به الامر الى ما هو عليه الان من تنظيم وادارة وشهرة عالمية .

وترتبط جميع المعاهد المذكورة اعلاه بوزارة التربية الوطنية من حيث ادارتها وميزانيتها وملوكيتها ، وتنصل بها اتصالا مباشرا . يضاف الى هذا ان (١) دار المعلمين العليا للتعليم الفنى و(٢) المدرسة المركزية للفنون والصناعات اليدوية و (٤) المدرسة الوطنية للفنون الجميلة و(٥) المدرسة الوطنية العليا لفنون الزخرفة و (٦) مدرسة اللوفر و (٧) المعاهد الوطنية للموسيقى ترتبط

كلها بمبادرة المعاهد الفنية • ولو وزارة الحربية والطيران والبحرية والمستعمرات والأشغال والاتصالات الوطنية والبرق والبريد والزراعة ورئاسة الوزارة معاهد عليا اختصاصية ايضا • ومن المعاهد العليا التي تأسست حديثا «مدرسة الادارة الوطنية» • وترتبط بديوان مجلس الوزراء • وقد تأسست بموجب قانون ٩ شرين الثاني سنة ١٩٤٥ لاعداد كبار موظفي الدولة • وتكون من اربعة فروع وهي : العلوم الدبلوماسية ، والتفتيش المالي ، وتفتيش شؤون العمال ، وادارات الوزارات والدوائر الرسمية الاخرى • ويشرط في الطالب الذي يروم الالتحاق بالمدرسة ان يكون قد نال شهادة علمية عالية تتصل باختصاصه ، وان يجتاز امتحان مسابقة عسير • وتأسس في سنة ١٩٤٥ معهد آخر باسم «معهد الدراسات السياسية» والتحق بجامعة باريس • ومدة الدراسة فيه ثلاثة سنوات •

ثالثا - المعاهد العليا الخصوصية :

وفي فرنسه ، كما في غيرها من الاناطور الديمقراطيه ، معاهد علمية مستقلة ، لا ترتبط بوزارة التربية الوطنية ، بل تدار ادارة خاصة ، منها معاهد الصيدلة وطب الاسنان التابعة للكلية الكاثوليكية في باريس وليل وانجيه وليون وطولوز • وتعترف بشهاداتها جامعة باريس ، وتندرج الالقاب العلمية الى الطلاب بعد تخرجهم منها • وفيها معاهد اخرى متفرقة ومتعددة اهمها : المدرسة العليا للكهرباء ، ومدرسة الدراسات العليا للامور التجارية للبنات ، ومدرسة الهندسة المعمارية • وتقسم المعاهد العليا الخصوصية الى طائفتين : طائفة تعترف بشهاداتها وزارة التربية الوطنية وهي المعاهد الفنية ، وآخرى لا تعرف بها لاسباب لا تتصل بمستوياتها العلمية بل بوظائفها الخاصة ، كالمعهد الكاثوليكي ، ومدارس طب الاسنان ، ومعهد باستور(*) .

(*) تأسس معهد باستور سنة ١٨٨٨ لاحياء ذكرى العالم الشهير ، وللقيام بإجراء البحوث والتجارب في التلقيح والامصال .

سياسة القبول

يرى أكثر رجال التعليم في فرنسه ان التعليم العالى ينبغي ان يكون قاصرا على الصفة المختارة من الطلاب والطالبات وامتيازا لهم لا حق يتمتع به كل واحد منهم ، كما هو شأنه في الولايات المتحدة مثلا . وقد أدت سياسة الانتقاء الثقافى الى انتقاء اجتماعى ، فانحصر التعليم العالى فى الاسر الغنية والمتقدمة(*) . وتعد الجامعات الفرنسية في هذه الناحية أقل الدول الديمقراطية ديمقراطية .

ونكن الاقبال على التعليم العالى قد اخذ يزداد سنة بعد اخرى . فبعد ان كان عدد طلاب المعاهد العالية ٢٩٠٠٠ طالبا وطالبة سنة ١٩٠٠ ، و٧٨٠٠٠ سنة ١٩٣٨ و٩٨٠٠٠ سنة ١٩٤٥ أصبح اليوم أكثر من ١٢٠٠٠ طالبا وطالبة . وقد سببت هذه الزيادة مشاكل ثقافية واجتماعية وادارية الى الطلاب من جهة ، وإلى ادارات الجامعات والمعاهد العالية من الجهة الثانية ، لاسيما وان عددا كبيرا من الطلاب تضطرهم ظروفهم الاقتصادية الى الاشتغال في بعض الاعمال لمواصلة دراستهم . فلقد ارتفعت نسبتهم في مدينة باريس وحدها الى ٥٦٪ من مجموع الطلاب ، وتراءحت في المقاطعات من ١٥٪ الى ٣٠٪ .

وكان من جراء ذلك ان اخذت الحكومة تزيد في مساعداتها المالية الى الطلاب والجامعات ، واضطربت في سنة ١٩٤٥ ، اي بعد تحرير فرنسه وانتهاء

(*) وجد في شهر تموز من سنة ١٩٤٥ ان ١٤٦٣٨ طالبا وطالبة من مجموع ٨١٢٨٥ ينتمون إلى ابناء رجال التعليم وبناتهم ، وان ١٣٤٣٩ من ابناء اصحاب البيوتات التجارية والصناعية وبناتهم ، وان ٢٠٣٧٣ من ابناء الموظفين وبناتهم ، وان ١٠٦٢٣ من ابناء الكتاب والباعة وبناتهم ، وان ١٦٧ من ابناء العمال الصناعيين وبناتهم ، وان ٦١٤ من ابناء الفلاحين وبناتهم .

الحرب العالمية الثانية ، ان تضاعف هذه المساعدات السنوية كما يتضح من الاحصائية الآتية :

السنة	عدد الطلاب المساعدات	مقدار المساعدات	المعدل السنوي
١٩٢٥	٣٤٥	١٦٣٨٢٨٠ فرنك	٣٨٠٠
١٩٣٧	١٢٧٠	٦٣٧٢٥٠٠ فرنك	٥٠٠٠
١٩٤٤	٢٤٩٧	١٣٤١٧٠٠٠ فرنك	٥٤٠٠
١٩٤٦	٣٤١١	٨٠٢٢٢٥٠٠ فرنك	٢٣٥٠٠

ويعنى من الاجور الدراسية ورسوم الامتحانات فى كل سنة حوالى ٠٠٢٥ من مجموع الطلاب ؟ وللكليات ان تمنح مساعدات خاصة الى الطلبة المتفوقين والموهوبين فى كل سنة ، وتوزع عليهم الجوائز ، كل ذلك مساعدة لهم على مواصلة دراستهم وتشجيعا للمجددين منهم .

واخذ طلاب الجامعات والمعاهد العالية بعد الحرب العالمية الثانية ينضمون صفوفهم ويوحدون جهودهم حل مشاكلهم الدراسية والاجتماعية ؟ واخذنوا يطالبون ادارات الجامعات بضرورة سماع شكاوهم وعرض وجهات نظرهم فى القضايا التى تتعلق بهم وتمس مستقبلهم . فجرى فى سنة ١٩٤٥ اول انتخاب عام فى المعاهد العالية لاختيار ممثلين عنهم لحضور جلسات مجالس الكليات ، وسمحت الحكومة ان تضم هذه المجالس خمسة ممثلين عن كل كلية . وتأسس فى السنة نفسها « اتحاد الطلاب الجامعيين الفرنسيين » ، بعد استحصل موافقة الحكومة ، والتحق به اكبر عدد من اساتذة الجامعات وطلابها ، وقسم من طلبة المدارس الثانوية ، وافتتح الطلبة فى الجامعات نفسها مكاتب خاصة لتهيئة الاعمال الى المعوزين منهم ، ومكاتب للألعاب الرياضية ومكتبات خاصة بالطلاب ، ومكاتب سياحة فى جميع المعاهد العالية لتسهيل مهمة السفر والاصطياف والاشتاء .

اصلاح التعليم العالى :

ان مشكلة القبول وتزايد عدد الراغبين فى الالتحاق بالمعاهد العالية لم تغب عن انتظار المسؤولين ؟ فقد أولوها عنايتهم واهتمامهم . ولذلك فان الخطوة الجديدة فى اصلاح التعليم العالى لا تستهدف النهوض برفع المستويات العلمية حسب بل تعتمده على اكبر عدد ممكن من الطلاب والطالبات . ولا شك انه حالما ينتهي المسؤولون من اصلاح نظام التعليم الثانوى والامتحانات والشهادات المدرسية فسيتحقق بالجامعات عدد كبير من الطلاب والطالبات كانوا لامد غير بعيد محروميين من التمتع به .

ان الخطوة التى اقترحتها تقرير لانجفان فى اصلاح التعليم العالى ترى ، كما بينا سابقا(*) ، ان يتالف التعليم العالى من ثلاثة دورات هي :
أولا - الدورة الاولى : (من ١٨ سنة - ٢٠) وهى المرحلة التحضيرية
الى الدراسات العالية والفنية واعداد المعلمين .

ثانيا - الدورة الثانية : من (٢٠-٢٢) وتضم الكليات التى تعد الطلبة للحصول على شهادة الليسانس (الدرجات الاولى) فى العلوم والفنون والطب والقانون والتكنوقراطية .

ثالثا - الدورة الثالثة : وتضم «المعاهد التطبيقية العليا» التى تعد الى امتحان «الاكريلكاسيون» والبحوث العالية . وعلى هذا فستؤلف المعاهد العليا قسمًا من المرحلة الثالثة من مراحل التعليم العالى ، وسيتحقق بها أولئك الطلاب الذين قد حصلوا على شهادة الليسانس فقط . وسيكون امتحان الاكريلكاسيون خاصا بأولئك الذين سيتمنون دراستهم في «المعاهد التطبيقية العليا» . أما طلبة «المعاهد العليا» وهم طلاب المرحلة الثالثة فسينالون شهادات «المعاهد العليا» و «شهادات خاصة بالدراسات العليا والابحاث العلمية» .
وأشعار التقرير الى انهيار المستويات العلمية التي اخذت تتحدث عنه

(*) انظر صفحة ٢٠٨ من هذا الكتاب .

أو ساط المتفقين في فرنسه ، والى عقم الاساليب التعليمية المتبعه في الجامعات
 والمعاهد الفنية العليا . ويعزو التقرير اسباب تردى المستويات العلمية الى
 عوامل عده اهمها : (١) المشكلة المالية ، حيث بلغت نسبة الاعتمادات التي
 خصصت للتعليم العام ٣٠٪ من مجموع الميزانية العامة ، اي ٢٠٠ مليون
 فرنك سنويًا ، وهو المبلغ الذي خصص في ميزانية سنة ١٩٤٧ ٠ و(٢) تناقص
 نسبة عدد الاساتذة الى عدد الطلاب . فقد وجدت لجنة لانجفان ان عدد
 اعضاء الهيئة التدرسيه في معاهد التعليم العالى لا يتناسب مع عدد الطلبة
 المتزايد سنة بعد اخرى ، وان نسبة عدد الطلبة الى عدد المدرسين اليوم هي
 استاذ واحد لكل ستين طالبا ، بينما كانت استاذًا واحدًا لكل عشرة طلاب ،
 وفي بعض الاحيان استاذًا واحدًا لكل خمسة طلاب . ولا شك ان التعليم الجامعى
 قد تأثر كثيرا بهذا التناقص المستمر في نسبة عدد الاساتذة الى عدد الطلاب ،
 وترك نقصا بازرا فيه . والمشكلة (٣) الثالثة هي زيادة نفقات التعليم العالى
 بنسبة واحد الى خمسة ، في حين ان تكاليف المعيشة قد زادت بنسبة
 واحد وسدس بالمائة . واهم من هذه المشاكل كلها ، كما يفيد تقرير لجنة
 لانجفان (٤) تراكم الديون الكثيرة التي بذمة كثير من المختبرات . فقد
 اضطرت هذه ، بضغط ظروفها المالية ان تقلص بعض بحوثها وتجاربها
 المخبرية .

وتساير التعليم العالى ، بالإضافة الى ما سبق ، مشاكل اخرى تتعلق
 بالتعقيد والحصر والتجريد . اما التعقيد فيتضح في نظم التعليم العالى ، واما
 الحصر فيدو في تمركز التعليم العالى في العاصمة باريس وضواحيها ،
 وتقلصه في المناطق الاصرى ؟ فقد بلغ عدد طلاب المعاهد العالية في باريس
 وحدها حوالي ٥١٠٠٠ طالب وطالبة ، اي ما يعادل نصف عدد طلاب المعاهد
 العالية كلها . وأما التجريد فيظهر في الاهتمام بالتعليم النظري المجرد ؟ فقد
 طغى هذا النوع من التعليم على الانواع الاصرى ، وأصبح أكثره بعيدا عن

حاجات العصر الحديث ومتطلباته ، وصارت الثقافة النظرية المجردة أهم ما تتصف به الصفة المختارة من المثقفين ٠

ولهذه الاسباب مجتمعة يعود تدهور المستويات العلمية في الجامعات والمعاهد العليا ؟ ولهذه الاسباب كذلك تألفت في شهر تموز سنة ١٩٤٧ لجنة لانجفان لدراسة مشاكل التعليم العالي في فرنسه ٠ وقد أوصت اللجنة ان تحتوى الدراسة الجامعية على عنصرين اساسيين : على ثقافة عامة ، ودراسة اختصاصية نظرية وعملية وفنية ، وان يرتكز اصلاح التعليم العالي في نقاط ثلاثة هي :

الاولى - حصر التعليمين النظري والفنى في الجامعات : فكثيراً ما تتغلب انواع من التعليم على انواع اخرى ؟ وتشتد الغاية بضرب من ضروبها وتضعف في ضروب أخرى ؟ فعندئذ لا ينال الطالب تعليماً جامعياً متوازناً ويوصي تقرير لانجفان ان تلتحق المعاهد الفنية للبحوث والدراسات بالجامعات المختلفة ، وتصبح مراكز خاصة بالدراسة ، وتمتع باستقلال ذاتي في كل ما يتعلق بادارتها ومناهجها ومواردها ٠ في جامعة باريس تضم مثلاً معهدان للدراسات النفسية يحتوى على مختبرات لاجراء التجارب النفسية ٠ وتضم معاهد وكليات اخرى مؤسسات متشابهة ؟ فلو ضمت هذه المعاهد بعضها الى بعض ، وتأسس معهد نفسي جديد لكان أجدى وافع ٠ ومع هذا فلا مانع منبقاء هذه الفروع على اتصال دائم بالكليات والمعاهد المتفرعة منها ٠ ويصح القول كذلك على الدراسات الاقتصادية التي تقدمها كليات الحقوق والآداب والعلوم ٠

ويينبغى ان تتحول المعاهد المهنية الى معاهد فنية وتلتتحق بالكليات ومراكز الدراسات ، وتجرى فيها الدراسات الفنية الاختصاصية ٠ ونلاحظ اليوم ان هذه الدراسات موزعة بين الكليات والمعاهد الفنية المختلفة ، وان اداراتها وامتحاناتها أصبحت متعددة ومعقدة ٠ ويوصي التقرير ان تكون مدة الدراسة فيها ستين ، يدرس الطالب خلالها دراسة نظرية وعملية ، وينال

بعد تخرجه منها لیسانس فی العلوم ، ثم يواصل دراسته فی معاهد اختصاصية
عليها ؟ وان يحصل وزير المعارف على موافقة الوزارات الایخرى المختصة عند
تنظيم مناهجها وامتحاناتها ، كوزارتی الاشغال والزراعة .

الثانية - اعادة تنظيم الجامعات : اذا ما ارادت الجامعات الاقليمية ان
ترزود بما تحتاجه من اساتذة ومخبرات حديثة ومرافق حيوية اخرى وتودی
رسالتها كاملة فينبغي ان يعاد تنظيمها وتوزيعها على مختلف الاكاديميات او
المناطق التعليمية ؟ ولا يخفى ما لاعادة التنظيم من فوائد جمة ؛ وستبقى لكل
جامعة تقاليدها الموروثة ، وستحتفظ بخصائصها العامة .

الثالثة - حصر وظيفة التعليم الجامعى في نقاط ثلاث :

أ - يستطيع التعليم العالى الذى يبدأ بمرحلة جامعية بداية حسنة وينتهي
بدراسات اخلاقية عملية في المعاهد الفنية نهاية محمودة ان يتلافى الاخطاء
التي وقع فيها التعليم الجامعى من قبل .

ب - و تستطيع مراكز البحوث ، اذا ما مدت بأجهزة حديثة وتهيأ لها
الجو العلمي الصحيح ، وزودت بمناهج علمية صحيحة ، وتمتعت باستقلال
ذاتي صحيح ، ان تؤدي وظيفتها وتعطى نتائج طيبة ؛ وسيجد باحثو
المستقبل في المعاهد الاحقية ومراكز الدراسات كل عون و تشجيع
وتقدير .

ج - ينبغى أن ينال التعليم الثقافي المجرد حرية كبيرة ؛ وان يضم
اكبر عدد ممكن من الطلاب ، لاسيما اولئك الذين لم يحصلوا على ثقافة عامة
في المدارس الفنية والمهنية التي تخرجوا منها قبل ان يلتحقوا بالجامعات ؛
وينبغى ان توفر في هذه الثقافة العامة صفتان : العمق والاسعة .

★ ★ ★

وختاما « تتطلع فرنسة اليوم الى المستقبل تطلعًا تاما وتقيم المساواة في
الفرص التعليمية والاجتماعية . ولكن الافرنسيين على نقىض الامريكيين
والروسين يريدون ان يحافظوا على نوعية تعليمهم العالية - هذا التعليم الذي

يقوم على تقاليد من الدراسات الإنسانية . فلا البرقماطية الأمريكية ولا المادية الروسية تستطيعان ان تحلا محل تقاليد الثقافة العامة التي يجتمع حولها الكاثوليك الدينيون واليساريين الدينيون . وفي هذا نستطيع ان نقارن فرنسة بانكلترة فى ادخالها اصلاحات جوهرية دون ان تبتدىء القيم المتأتية من تراثها التاريخى .^(٩)

مراجع البحث الرئيسية

- 1 - Hans N., Comparative Education
- 2 - Kandel, I. L., Comparative Education
- 3 - Nates & Documentaires et Etudes;
No. 843, 1948
- No. 853, 1948
- No. 925, 1948
- No. 1009, 1948
- No. 1312, 1950

وهي مجموعة نشرات في التعليم الابتدائي والثانوي والتقني والعلمي
اصدرتها رئاسة مجلس الوزراء الفرنسي - قسم الوثائق .

9-Hans, N., Comparative Education, P.354

التعليم في الاتحاد السوفيatici

كانت الامبراطورية القيصرية مهدًا تاريخيًّا لكثير من الثقافات المتباينة
في لغاتها ، وتقاليدها ، وعناصرها وأديانها ونظمها الاقتصادية والعلمية .
وكانَت روسية ، وما زالت ، مركز التقلُّل في هذه الامبراطورية المترامية
الاطراف . فمنها كان أكثر الحكم ورجال الادارة والجيش ؟ ومنها كان
أكثر رجال والمال والاعمال والتعليم ؟ ومنها اندلعت الثورة الشيوعية ، ومنها
ظهر أكثر رجال الثورة ، وعليها وقعت أكثر التبعات .

فـلما ورث الاتحاد السوفيatici هذه المخلفات الثقافية القيصرية التي
انحدرت اليه من القرون الوسطى وجد أن حياة الناس في كثير من أطرافه
ما زالت تعصف فيها رياح الإوهام والخرافات والبدع ، وان المناطق الآسيوية
ما زالت ترزح تحت هذه المخلفات التاريخية الثقيلة ، وتعيش في ظروف
حياتية قاسية ، ان لم تكن كلها ابتدائية . فغمز على أن يقرب بين هذه العناصر ،
ويقضى على هذه البدع والاديان والخرافات ، ويرفع من مستوى الأفراد ،
ويتساوی بين الناس ، ويقضي على نظام الطبقات ، ويستولى على وسائل الانتاج ،
ويحرم الملكية الفردية ، ويعمم التعليم - وبعبارة أخرى عزم على أن يقيم
مجتمعًا شيوعيًا تتعدم فيه الفوارق الاجتماعية ، وتلغى الملكية ، وتوسّس حكومة
العمال والفلاحين .

وتسيطر الثقافة الروسية ، بلغتها وآدابها وتاريخها ، وكما كانت في
عهود القياصرة الجبارية ، على حياة الناس وعقولهم سيطرة تامة في جميع
أطراف الاتحاد السوفيatici . وإذا كانت العناصر غير الروسية قد ساهمت في

بناء المجتمع الشيوعي الجديد فانها لم تستطع أن تفعل ذلك الا بعد أن تزودت بالثقافة الروسية وترعرعت في ظلها .

ويعمل الاتحاد السوفياتي ، على قلب نظم الحياة القديمة ، بادخال الصناعة وبتصنيع الزراعة ، وبإقامة مجتمع شيوعي ، وبتأسيس نظام تعليمي مجاني يستمد قوته وطبيعته من حاجات الناس ، ويستبق أهدافه وأساليبه من أهداف المجتمع الجديد وأساليبه . فقد أدرك مربو الروس أن النظام التعليمي القديم لم يمت إلى حياة الناس اليومية كثيرا ، بل أنه لم ينشأ في أرض روسية . فقد كان نظاماً ألمانيا وفرنسيا في صوره ومحفوبياته .

ويساهم نظام التعليم في الاتحاد السوفياتي اليوم في تكوين درجة من التمايل والانسجام في الحياة العامة القائمة على قدر كيسير من المفارقات والمناقضات . فهو وإن كان يستعمل في التدريس ١٨٠ لغة ، ويستخدم محتوياته ومقوماته الأساسية من الثقافات القومية المتعددة ، إلا أنه في كثير من صوره وتنظيمه روسي ، وتمتد جذوره إلى ما قبل الثورة الكبرى .

وإذا أردنا أن نفهم النظريات التربوية السوفياتية وطراائفها فينبغي أن نضع نصب أعيننا هذا التسلسل التربوي في روسية القيصرية والاتحاد السوفياتي الماركسي . في بينما كانت المدرسة القيصرية تعنى بأمور الدين ، وكانت طبقية ، وشكلية ، وأكاديمية ، وتحقر العمل اليدوي ، ونظرية ، ولغوية ، وتمنع تشكيل الجمعيات المدرسية ، وتشكلت في قيمتها التربوية ، نجد أن المدرسة السوفياتية تحارب الدين ، وتفتح أمام جميع الطلاب وخاصة أمام العمال وال فلاحين ، ومناهجها فنية ومهنية تعنى بالدراسات العلمية والعملية الحديثة ، وتشجع تأليف المنظمات المدرسية ، وتعدها وسيلة مهمة من وسائل تربية البنين على الحياة الجماعية . « ويختلف نظام التعليم في الاتحاد السوفياتي اختلافاً أساسياً عن جميع نظم التعليم الأخرى بما في ذلك النظم التي شاعت في روسية القيصرية ، ويختلف عن النظم

القائمة في الأقطار الرأسمالية . ويعود سبب هذا الاختلاف ولا شك إلى طبيعة الاتحاد السوفيتي نفسه من حيث هو دولة من طراز جديد - الدولة الاشتراكية ^(١) .

لمحة تاريخية :

وقد تأسس (*) أول نظام حكومي للتعليم في روسية سنة ١٧٨٣ في أيام الملكة كاترين الثانية . وقد كان نظاماً مجانياً ودنيوا ومحاطا ، ومشاعاً لجميع طبقات السكان حتى الارقاء منهم . وأعد الملك اسكندر الاول سنة ١٨٠٢ خطة جديدة لتنظيم التعليم متاثراً بخطة كوندورسه ، فأقام نظاماً تعليمياً مجانياً عاماً ، تألف من مرحلتين متصلتين : مرحلة ابتدائية ومرحلة ثانوية . وكان الطلاب الفقراء يتلقون مساعدات مالية كثيرة لمواصلة دراستهم العالية . الا أن الملك ينقولا الاول غير نظام التعليم في سنة ١٨٢٩ ووضعه على أساس « طبقية » ومنع الارقاء والطبقات الدنيا من دخول المدارس الثانوية . وحاول الملك اسكندر الثاني سنة ١٨٦٠ أن يدخل اصلاحاً جديداً في نظام التعليم ، ويوسّس مدرسة موحدة ، الا أن محاولاته هذه قد ذهبت سدى وظل نظام التعليم طبيقاً ورجعاً ومحدوداً ، حتى ان الميسيو ديليانوف Delyanov وزير المعارف أصدر أمراً سنة ١٨٨٧ من فيه « اطفال سائقى العربات وابناء الخدم والطهاة

1- Medinsky, Y.N., Public Education in the
U. S. S. R., P. 8, Moscow, 1952

(*) كانت الكنيسة أول من وضع أساس التعليم في روسية ، وكان مولد التعليم في مدينة كييف . ففي سنة ١٦٣٣ أسس بيتر موجيلا Peter Mojila أول أكاديمية لتعليم اللغات الكلاسيكية واللاهوت والفلسفة والخطابة . وقد دعت مدينة موسكو بعد ربع قرن من تأسيس هذه الأكاديمية ثلاثة من رهبان كييف لترجمة التوراة من اليونانية إلى اللغة السلافية ، وتأسست على أثر ذلك مدرستان في موسكو ، كان أساتذتها من رهبان كييف .

وابناء الغسالات وغيرهم من ابناء الطبقات الدنيا » الالتحاق بالمدارس الثانوية المعروفة بالجمنازيوم ، وذهب الى ان حاجتهم الى الدراسة الثانوية والعالية ليست ضرورية ! ٠ وكان من آثر ثورة سنة ١٩٠٥ أن شرع مجلس الدولة Duma وحينما ظفر الشيوعيون بالحكم بعد ثورة سنة ١٩١٧ تبنت الحكومة السوفياتية المثل التربوية العليا التي آمنت بها الطبقة المثقفة ، وتأسست سنة ١٩١٨ مدرسة موحدة ديمقراطية ٠ وكانت مجانية ودينية ومختلطة ٠

ولم تظهر في تاريخ التربية في روسية ، كما يقول الاستاذ كاتدل ، حركات أو اتجاهات تربوية جديدة الا في عهد الملكين اسكندر الاول والثاني ٠ غير أن التربية بقت طوال القرن التاسع عشر قديمة في نظمها وأساليبها ، وظلت مقتصرة على طبقة معينة من الناس ٠ ولم تبذل جهود صحيحة الا في سنة ١٩٠٥ ، حينما افتتح أول مجلس نيابي ، وأقر مبدأ تعليم الابتدائي على السكان كافة وفسح امام جميع الطبقات في المجال للاعتماد بالتعليم الذي يلي الدراسة الابتدائية ٠ وكان أكثر وزراء المعارف منذ هذا التاريخ حتى « ثورة اكتوبر » يسعون الى اجراء بعض الاصلاحات التربوية الا أنه لم يستطعوا أن يحققوا شيئاً منها ٠ وقد قدمت أول لائحة لجعل التعليم الزامي الى « الدوما » سنة ١٩٠٨ ، وتقرر فيها أن تضع سلطات التعليم المحلية خططاً لتعيم التعليم بعد استحصل موافقة السلطة المركزية ؟ وأن تشييد أبنية المدارس ؟ وترتب على السلطات المركزية أن تدفع رواتب المدرسين ، وأن تؤيث المدارس وتجهزها باللازم المدرسي ، وتقديم لها المساعدات المالية ٠ وكان مقرراً على أن يكون التعليم الابتدائي الزامي ومجانياً من الشامنة الى الثانية عشرة من العمر ، وأن يجري في مدرسة ابتدائية مدة الدراسة فيها أربع سنوات ٠ وفي الفترة الممتدة بين الثورتين تم اصلاح المدارس الثانوية ، ودخل عدد كبير من أولاد العمال والفلاحين الى المدارس ، وتأسست مدارس ثانوية

كثيرة الى البناء ٠ وكانت هذه الاصلاحات دليلا على وعي الدولة ، وتحسّنها بضرورة نشر التعليم وتعيمه ٠ الا أنها قد جاءت متأخرة ، فلما اندرت القيصرية ، وسلّمت الشيوعية مقاليد الحكم كانت نسبة الاميين في الامبراطورية الروسية عظيمة جدا ٠

وقد أحدث زعماء السوفيت انقلاباً اساسياً في نظام التعليم ، وحسبهم ركناً أساسياً من أركان المجتمع الجديد ٠ فلم تتفهم الاسس والمبادئ القيصرية كثيراً ٠ واعتقدوا أن المدرسة جزءاً من المجتمع ، وأن العمل أساس عملية التعليم ، وأن المدرسة لا تستطيع أن تقف بعيدة عن النظريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يقوم عليها هذا المجتمع الجديد ؛ وعليها أن تكون فيه وأن تساهم في بنائه ٠

وقد صرّح رجال الثورة أن منهاجهم التعليمي يرمي إلى القضاء على الامية ، ونشر التعليم الابتدائي المجاني الدّينوي ٠ ولكنهم لم يستطعوا أن يحققوا أماناتهم الثقافية في الفترة الواقعة ١٩١٧ - ١٩٢١ ولا بعدها ٠ فقد كانت الموارد قليلة ، والمتابع جسيمة ، والصراع الداخلي شديداً ٠ هذا إلى أن عدداً كبيراً من المعلمين لم ينضموا إلى الثورة ولم يتسبّوا إلى الحزب الشيوعي ، مما اضطرّ الحكومة الجديدة إلى أن تستعين بخيارهم وبالموالين منهم وبغيرهم من الطبقات المثقفة ٠ وقد تضاعفت جهود المسؤولين في التهوض حينما قال لينين كلمته المشهورة سنة ١٩٠٢ : « أنه من المستحيل أن تقيم دولة شيوعية في قطر أمي ٠ »

وقد ازداد منهاج الثورة التربوي وضوها في المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي المنعقد سنة ١٩٢٣ ، حينما أعلن : ينبغي أن تكون المدرسة أداة من أدوات محاربة الطبقات الاجتماعية وإقامة دولة شيوعية ، وأن يكون التعليم ، تحقيقاً لهذه الغاية ، مجانياً والزاماً إلى أن يبلغ الطفل السابعة عشرة من العمر ، وأن يعم على جميع السكان دون تفرّق في الجنس ، وأن تفتح مؤسسات

تربيوية للأطفال الذين لم يশملهم السن الالزامي ، وأن تنظم المدرسة تنظيما عمليا وتتصل اتصالا وثيقا بالصناعة والانتاج ؟ وأن تحارب الدين ، و تكون مختلطة ، وأن يكون التدريس بلغة الطفل القومية ؟ كما ينبغي أن يكون هدفها تلقين المثل العليا الشيوعية لجميع الأطفال ، وأن تقدم إلى الأفراد الذين تخطوا السابعة عشرة من العمر تعليما مهنيا ، وأن تهيء لهم مجال مواصلة دراستهم العالية في الجامعات ولا سيما الكادحين منهم ، وأن تستخدم جميع الوكلالات التربوية من متاحف ومسارح وأندية وغيرها في الدعاية إلى المبادئ الشيوعية ، وأن ينظم التعليم في ثلاث مراحل أساسية : عامة أو اجتماعية ، مهنية وفنية وسياسية^(٢) . وما دامت الدولة تعتقد أن التعليم أهم وظيفة من وظائفها فقد ألغت المدارس الخصوصية . وقد سمحت بعض المدارس الخصوصية أن تواصل عملها في دائرة ضيقة مماثلة للظروف الخاصة إلا أنها عادت وألغتها عملا بهذا المبدأ .

أهداف التربية السوفياتية

كانت النظريات التربوية معروفة في الاتحاد السوفيتي منذ القرن التاسع عشر ، وقد نشرها وغذيها وحورها كثير من مربى الروس وأشهرهم بيلنسكي V. V. Belinsky وبيرو كوف N. I. Pirogov الذي أكد على الفرد من حيث هو إنسان ، ويوشنسكي K. D. Ushinsky الذي أكد على الثقافة Culture Complex من حيث هي أساس التعليم واقتراح استعمال الطريقة « المركبة » فى التعليم وأحد الذين ساهموا في وضع أساس علم التربية ، وليو تولستوي Leo N. Tolstoy الذي نادى بمبدأ الحرية المطلقة في التعليم وكوفينكو S. N. Kuvinko وكروبوتين P. A. Kropotkin اللذان جعلا « العمل »

2- Kandel, I.L., Comparative Education P. 175

مرکز كل فعالية تعليمية ، وغيرهم من كبار المربين ٠

وقد أخذ رجال الثورة بهذه الآراء والنظريات في منهاجم التربوى ٠ ولكن نجاحها كان يتوقف على مدى اتصال المدارس والنظام الجديد والعقائد الشيوعية بعضها مع بعض ٠ وقد نادى لينين : ينبغي أن تكون التربية تربية سياسية ؛ وأن يكون واجبنا في المدرسة القضاء على الطبقة البورجوازية ، يقول بصرامة : ان المدرسة بعيدة عن الحياة ، بعيدة عن السياسة أكذوبة ورياء ٠ كما نادى ان روسية القصصية قد استخدمت المدارس « لضمان سيطرة الطبقة البورجوازية ، وإن المدارس قد تشجعت بروح الطبقة البورجوازية شيئاً فشيئاً ، وإنها كانت تستهدف تزويد الرأسماليين بخدم أذلاء وعمال أ��فاء » ٠

وقد أقر مربو الثورة الشيوعية هذا المبدأ ، وزادوا فيه(*) ، وذهبوا إلى أن هدف المدرسة إعداد بناء المجتمع الشيوعي وتكوين الأبطال الذين يؤمنون بالمثل العليا التي تؤمن بها البروليتاريات ؛ وإن المناهج الدراسية ينبغي أن تستمد محتوياتها من ثلاثة عناصر : من الطبيعية والمجتمع والعمل ، وإن وحدة التعليم لا تتم إلا إذا نظرنا إلى هذه العناصر الثلاثة نظرة « تركية » واحدة ٠ وفي هذا يقول بنكيفتش : « ولا شك أن ادراكنا الاشتراكي ، وتقديرنا الماركسي يختلف عن ادراك البورجوازيين وتقديرهم اختلافاً أساسياً ٠ فعلينا أن نربي جنوداً للاشتراكية ، ويفهمون مشكلات طبقتهم فيما واضح ، ويستطيعون أن يزدروا أهم المعبارات الثقافية المعاصرة بأنفسهم دون أن يلتجئوا إلى غيرهم ٠٠٠ فتحن اليوم نحلم بتربية انسان مجهز بأدوات المعرفة

(*) وهم : لوناكارسكي Lunacharsky وبوكروف斯基 Pokrovski وبنكيفتش Pinkevitch وشاتسكي Shatsky وكروبسكايا Krupokaya وكثيرون غيرهم ٠

أحسن تجهيز ٠٠٠ بانسان فعال ، قوى ، يناضل في مجتمعه عن طريق الطبقات الثوروية من أجل ادراك المثل العليا التي يستجلب إلى العالم السعادة والسلام ٠٠ ان الاهداف التي تتغياها التربية السوفياتية تختلف كل الاختلاف عن اهداف الديمقراطيات الغربية ٠ ففي الوقت الذي يذهب مربو الروس الى ان الاقطار الرأسمالية تؤسس مدارس مختلفة لطبقات مختلفة من السكان ، كما في فرنسه والولايات المتحدة وبريطانيا ، و « ان هدف المدرسة البورجوازية هو اعداد خدام امناء وسدنة اويفاء الى النظام الرأسمالي ، وتربية الشباب على روح الولاء نحو الطبقات الحاكمة المستغلة والى نظم الحكم التي ابتدعوها ، وانها تسمى في طلابها صفات خلقية اساسها الانانية وتملك الثروة » ، وانها تبعث الغرور وتثير العداء القومي والتفريق العنصري ، وان البورجوازيين لا يسمحون للعمال الا ان يتزودوا بذلك القدر من التعليم الذي يتاسب ومحاسبيهم ^(٢) ». يؤكدون على « ان نظام الحكم السوفياتي قد نهض بالتعليم العام الى مستوى لم يسبق ان بلغته ايّة دولة رأسمالية » ، وان هدف المدرسة السوفياتية ، كما نص على ذلك منهاج الحزب الشيوعي تحويل المدرسة « من أدلة سيطرة تستخدمها الطبقة البورجوازية الى اداة يقضى بها على الانقسام الطبقي في المجتمع قضاء مبرما ، الى اداة بعث مجتمع شيوعي » ٠ ويستند نظام التعليم ، كما يقول الاستاذ ميدنسكي ، الى المبادئ الآتية :

- اولا - المساواة التامة بين القوميات ٠
- ثانيا - المساواة التامة بين الرجل والمرأة ٠
- ثالثا - التعليم عام ومشاع ٠
- رابعا - والتعليم وظيفة من وظائف الدولة وحدتها ٠

3- Medinsky, Y.N., Public Education in the
U. S. S. R., P., II

خامساً - وجود رابطة وثيقة بين المدرسة والحياة العامة .
سادساً - انفصال المدرسة عن الكنيسة .

سبعاً - تنسيق المدارس ، واتصال انواعها بنظام التعليم العام .
وتستهدف التربية الشيوعية في كل خطوة من خطواتها وفي كل مرحلة
من مراحلها تكوين مواطن ثوري مثالى . وقد وصف الاستاذ توماس
وودي(*) في كتابه « عقول جديدة : أنس جيدون » هذا المواطن الشيوعي
فقال :

« يؤمن المواطن الجديد في دكتatorية الحزب الشيوعي أو في
دكتatorية البروليتاريات كما يقولون عادة ؛ ويستطيع هذا المواطن أن يقيم
الدليل على صحة هذه الدكتورية بالداليكتيك الماركسية ، وأن يضحي
بنفسه في الدفاع عنها ، والدعوة إليها . وينبغى أن يكون شاعراً في تكوينه
الطقي ، وأن يحارب في الوقت نفسه نظام الطبقات ، وفي هذا تناقض ظاهر ؛
وأن يؤمن بالحركة العمالية ، ويحترم العامل احتراماً عظيماً ، وأن يزدرى
المستغل اعظم ازدراه ، وأن يكون تفكيره دنيوا (يسيطر عليه العلم) ،
والحاديا ، وسياسيا ، وجمعا ، ولا قوميا ، وأمميا ، وأن يكون صحيح العقل
والجسم ، وتفكيره غير جنسى ، أي لا يعترف بمقاضلة ذكر على أنثى ؟ إن
الإنسان الجديد هو الذي يتصرف بهذه الخصائص » .

تلك هي أهداف التربية السوفياتية ، وهي تختلف عن الأهداف التي
يضعها عادة عامة المربيون في الأقطار الديمقراطية ، كقولهم : « إن هدف
التربية « تكوين الخلق » أو « اعداد الشخصية » أو « اعداد المواطن » أو « ا يصل
الثقافة » ، وغيرها من التعريفات التي نجدها مشوّهة في كتب التربية الامريكية
والإنكليزية وفي غيرها من البلاد الديمقراطية .

* Thomas Woody, New Minds, New Men?

نظام التعليم العام

كان نظام التعليم فى مطلع ثورة ١٩١٧ يمر فى فترة انتقال . فلم يزل النظام الطبى الذى وضعه الملك يقولا الاول سنة ١٨٢٩ قائما لم تمسه أيدي المصلحين كثيرا . فقد كان يتتألف من مجموعتين من المدارس منفصلتين بعضهما عن بعض : مدارس أعدت لسود الناس وعامتهم ، ومدارس للطبقة المثقفة وخواصهم . وكانت مدة الدراسة فى المدارس الابتدائية (ريفية أم مدنية) اربع سنوات للأطفال الذين تراوح أعمارهم بين ٨ - ١٢ سنة ، وفي المدارس « الابتدائية العالية » ، التى تقع جميعها فى المدن ، أربع سنوات أيضا للأطفال الذين تراوح أعمارهم بين ١٢ - ١٦ سنة . وقد كان بمقدور خريجى المدارس الابتدائية العالية أن يلتحقوا أمّا « بدور المعلمين » الابتدائية وأمّا « بالمدارس الفنية الثانوية » . أمّا أبناء الطبقة المثقفة فكانوا يلتحقون في نوعين من المدارس الثانوية : الجمنازيا والریال وهى شبيهة بالمدارس الالمانية ان لم تكن تماثلها . وكان الطالب يلتحق باحدى هاتين المدرستين وهو في التاسعة من العمر بعد أداء امتحان دخول . وكانت الجمنازيا تتتألف من ثماني صفوف (بما في ذلك الصف التجهيزى) ، والریال من سبعة صفوف (وقد تتتألف أحيانا من ثمانية) . وكان خريجو مدارس الجمنازيا الكلاسيكية يلتحقون في الثامنة عشرة من العمر وبعد نجاحهم في الامتحان العام بالجامعات ، ولا يعوقهم عائق . أمّا خريجو الریال فانهم اما أن يلتحقوا « بالمعاهد الفنية العليا » بعد أداء امتحان مسابقة ، وأما بالجامعات بعد امتحان في اللغة اللاتينية التي لم يسبق ان درسوها من قبل .

ولما ظهرت محاولات حقيقة في مجلس الامة للقيام باصلاحات اساسية في نظام التعليم اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى ، ونيران ثورة اكتوبر سنة ١٩١٧ . ولما تسلم البولشفيكين مقايد الحكم بذلوا جهودا كبيرة في نشر

التعليم الابتدائي والثانوي ، وفي محو معالم الامية التي كانت قائمة في روسية القيصرية وممتلكاتها الآسيوية ، وفي اصلاح نظام التعليم العام لتحقيق اغراض الثورة الشيوعية ؟ وأحدنا انقلابا ، بل ثورة كبرى في الكيان الثقافي العام.

وتبدو هذه الثورة واضحة في الاجازات العظيمة التي قام بها الشيوعيون . فقد كان عدد طلبة المدارس في روسية القيصرية عام ١٩١٤ حوالي ثمانين مليون طالب وطالبة ؟ وكان عدد الاطفال الذين ظلوا محرومين من التعليم ، كما تدل الاحصاءات السوفياتية ، ٣٠ مليونا ؟ وبلغت نسبة المتعلمين في روسية القيصرية ٠٠٢٤ / ١٨٩٧ سنة من مجموع السكان الذين تجاوزوا التاسعة من العمر ، وكانت النسبة اعظم في شعوب اواسط آسيا . وحيث ان الشيوعيين كانوا يعتقدون ان الثورة لا تستطيع ان تنجح في قطر سوده الامية فقد اصدر « مجلس قومسيرى الشعوب » السوفياتية في الثامن والعشرين من شهر كانون الاول أمرا يقضى بضرورة التكافف في ازالة معالها وتقويض اركانها بين الاشخاص الذين تتراوح اعمارهم بين الثامنة من العمر والخمسين ؟ وتعليمهم القراءة والكتابة واللغة . وتطوع الى هذا العمل مئات من المعلمين والمتفقين وطلبة المدارس ، ولعبت « عصبة الشباب الشيوعى » دورا مهما في مكافحة الامية . بلغ عدد الراشدين الذين حضروا صنوف مكافحة الامية في سنة ١٩٣٢ حوالي ٧٦٠٠٠٠٠ راشد وراشدة ؟ وارتفع عدد الذين يقرأون ويكتبون في الاتحاد السوفيatic خلال سنة ١٩٢٠ - ١٩٤٠ حوالي ٥٠ مليونا نسمة .

وأتجه زعماء الروس بعد الاصلاحات التي قاموا بها في نظام التعليم ، وبعد شن حملة واسعة على الامية الى نشر التعليم الابتدائي الالزامي . وفي المؤتمر السادس عشر الذي عقده الحزب الشيوعي سنة ١٩٣٠ صرخ ستالين : « ان أهم ما ينبغي ان نعمله الان هو نشر التعليم الالزامي ؟ وأقول

أهم ، لأنني اعتقد ان تبديلاً كهذا سيكون خطوة حاسمة في تحقيق الثورة الثقافية . ولقد أصبح لزاماً علينا ان نخطو هذه الخطوة ؛ اذا اتنا نملك اليوم جميع الوسائل الضرورية لنشر التعليم الالزامي العام في اكثر مناطق الاتحاد السوفياتي » .

وفي اليوم الرابع عشر من شهر آب سنة ١٩٣٠ أصدرت اللجنة التنفيذية المركزية للحزب الشيوعي ومجلس قومسيري شعوب الاتحاد السوفياتي قراراً بتطبيق التعليم الالزامي على الاطفال الذين بلغوا الثامنة من العمر ، وبجعل مدة الدراسة اربع سنوات . فصار الحد الادنى من التعليم الابتدائى اربع سنوات فى القرى والارياف ، وسبع سنوات فى المناطق والمدن الصناعية ، وانتشار التعليم اتساراً كبيراً كما يستدل من الاحصائية الآتية :

١٩٢٨ - ١٩٢٩ - ١٩٣٠ - ١٩٣١ -
١٩٣٢ ١٩٣١ ١٩٣٠

عدد المدارس الابتدائية
وال المتوسطة والثانوية ١٢٤٨ ر ١٣٣٢ ر ١٥٢٨ ر ١٦٨١
(بالآلاف)

عدد طلبة المدارس (بالملايين) ٢٠٩٦ ١٧٦ ١٣٥ ١٢٥ ٢٠٩

يتضح من هذا أن الزيادة في عدد الطلاب بلغت من سنة ١٩٢٩ سنة ١٩٣٣ حوالي تسعه ملايين ، وشيدت من سنة ١٩٣٣ - ١٩٣٨ أكثر من عشرين الف مدرسة ، وارتفاع عدد طلبة المدارس الى ٣١٥٠٠٠٠ طالب في سنة ١٩٣٨ - ١٩٣٩ . ولم تقتصر هذه الزيادة على التعليمين الابتدائي والثانوي بل لازمت التعليم العالى ايضاً . فيعد ان كان عدد المعاهد العالية في روسية القصريّة سنة ١٩١٤ (٩١) معهداً وعدد الطلبة ١١٢٠٠٠ بلغت سنة ١٩٣٩ (٧٥٠) معهداً عالياً ، واصبح عدد طلاب المعاهد العالية نفسها ٦٢٠٠٠٠ . واصبحت المدارس الابتدائية والثانوية والعالية باضرار جسيمة اثناء الحرب العالمية الثانية ، واستطاع الاتحاد السوفياتي أن يعوض عن هذه

الاضرار ، وان يفتح ابواب المدارس على مصراعيها ؟ فبلغ عدد طلبة المدارس الابتدائية والثانوية والمدارس الفنية العليا (*) ودور المعلمين والمؤسسات الاخرى ٣٧ مليونا ؛ وبلغ عدد المعاهد العالية في السنة نفسها ٨٨٠ معهدا ، يدرس فيها حوالي ٢٤٧٠٠٠ طالب (بما في ذلك طلبة مدارس المراسلة) ٠

سلم التعليم

يتناول نظام التعليم في الاتحاد السوفيتي مختلف الأعمار ، ويتألف حداه من نهاية صغرى هي دور الحضانة ومن نهاية كبيرة هي المعاهد العالية ومدارس اعداد الراشدين ، أى انه يتكون من : مدارس للحضانة ، ورياض الأطفال ، ومدارس ابتدائية ، وثانوية ، ومهنية وفنية ، ومعاهد عالية ٠

ولما كانت التربية في معناها السوفيتي عملية من عمليات « تكيف » وفق اتجاهات معينة وجب أن تبدأ هذه العملية في مرحلة مبكرة من مراحل النمو ، وأن يحاط الطفل بطائفة من المؤثرات الخارجية لتحقيق درجة النمو المطلوبة ٠ ومن أجل هذا ، ولعوامل اقتصادية ناتجة عن ازدياد استخدام النساء في الاتاج وضرورة تخفيف واجباتهن البيتية ، وجه السوفيت عنائهم إلى تربية الأطفال منذ ولادتهم فأسسوا عددا كبيرا من دور الحضانة للأطفال الذين تراوح أعمارهم بين عام واحد وتلاتة أعوام ، وعددا من « رياض الأطفال » الذين تراوح أعمارهم بين ٣ - ٧ سنوات ٠

وتتحقق دور الحضانة عادة اما بالمعامل ، واما بـ « الحقول الجماعية » ، وتشرف عليها وزارة الصحة ، وترمى إلى ضمان نشأة الرضيع نشأة صحية بالألعاب والعناية الصحية ، ونشأة تربوية واجتماعية وفق المباديء السوفيتية . وهي وإن كان عددها قليلا في الوقت الحاضر ، الا أنها تسدى خدمات جليلة

(*) ينبغي دائما ان تؤخذ احصاءات الاتحاد السوفيتي بشيء من التحفظ ؛ اذ ان السوفيت تستهويهم الارقام كثيرا ٠

إلى الآباء والأمهات بعنائتها بالأطفال ، وباعتبارها من كثرا لبث الثقافة
الصحية والنفسية والتربوية .

رياض الأطفال :

كانت رياض الأطفال في العهد القبصري مؤسسات خصوصية تعنى ب التربية أبناء الخاصة ، ولم تؤسس إلا في المدن ؟ ولم يتجاوز عددها أكثر من ٢٥٠ روضة . أما الآن فقد بلغ عددها ٢٥٠٠٠ روضة وأصبحت مؤسسات حكومية عامة . وهي أما أن تكون نهارية أو داخلية ، وتديرها وزارات المعارف في كل جمهوريات . وينص نظام ١٩٤٤ على «أن رياض الأطفال مؤسسات حكومية لتربية الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٣ - ٧ من العمر تربية سوفياتية مدنية ، وأن غرضها تنشئة الأطفال وتربيتهم تربية متعددة الجوانب . وهي في الوقت نفسه تساعد النساء على أن يساهمن في الوظائف الحكومية ، وفي الصناعة ، وفي الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية » . كما تعنى بتنمية الخلق والقدرات العقلية ، بتعليم الأطفال تلك العادات الحسنة التي تعودهم الترتيب والنظام في أعمالهم وفي ألعابهم واستعمالهم للآلات والأدوات ؟ وتنمى فيهم حب العمل الجمعي لمناهضة ميلهم الفردية ؟ وتغرس فيهم حب الوطن السوفياتي ، وحب زعمائهم وخاصة لنين وستالين ؟ وتعنى بالموسيقى والاغانى عنابة عفيفة . وفي هذا يقول الاستاذ ميدنسكي المربى المشهور «يتعلم الأطفال حب الوطن السوفياتي ، حب شعبهم وقادتهم ؟ وينالون تربية مفعمة بالروح الجمعية ، وتكون عندهم عادات على العمل والتنظيم ، ويتعلمون كيف يكونون نظيفين ومرتبين ، وكيف يحسنون التصرف بين الصغار والكبار ، ويتعلمون احترام الكبار وحب والدين ٠٠٠ » (*) .

(*) يقضى الطفل يومه في روضة الأطفال بالوجه الآتي :
تفتح الروضة أبوابها بين الساعة السابعة والعشرة صباحاً ويتوقف

وقد اتخذت رياض الاطفال السوفياتية موقفا عدائيا من آراء فرويد ومنتسرى ، وعدهما آراء اصطناعية ، بعيدة عن الحياة ، وغريبة عن المعتقدات السوفياتية . وقد اخذت تتمي الفعالities الجماعية بين الاطفال ، وتجعل نظرها الطفل الى الحياة ، حتى في هذا السن المبكر ، نظرة مادية ، وتلقنه المبادئ السوفياتية والعقائد الماركسية .

« فقد وضعت التربية السوفياتية نظاما خاصا بالتربيه القبمدرسية يختلف كل الاختلاف عن النظم الاجرى ؟ وتعتقد ان طرق فرويد ومنتسرى المتبعة في الاقطان البورجوازية تتلوي على نوافض كثيرة ؟ وانها تتحو الى تدريب الاطفال لا تربيتهم ؟ وان جميع الفضائل والاساليب التي تحلى بها طريقة

ذلك على موعد ذهاب الآباء والامهات الى العمل . ويمضي الاطفال عادة ساعة واحدة في الالعاب وفاعليات اخرى يجرونها في ساحة الروضة قبل تناول طعام الافطار وتببدأ الدروس الصباحية بعد الافطار ، وهي الرسم والغناء والحركات الایقاعية والقراءة وقراءة القصص ، والالعاب الثابتة والسيارة ، والرياضية البدنية . وتختلف مدة الدراسة من درس لآخر ، ويتوقف على عمر الطفل . فصغر الاطفال يقضون بين ٢٠ - ١٢ دقيقة ، والمتوسطون بين ٢٥ - ٣٠ دقيقة ، والكبار بين ٣٠ - ٤٠ دقيقة . ويعطى درسان في كل يوم الى الكبار بعد الانتهاء من الدروس العامة . ثم يخرج الاطفال عادة الى التمشي واللعب في ساحة الروضة ، وفي الصيف يؤخذون الى الساحات العامة القريبة او البعيدة ، والى الغابات ، ويقومون بتربيه الحيوانات . ويطلب الى الاطفال اثناء تجوالهم ان يلاحظوا حياة الحيوانات والنباتات . وبعد تناول طعام الغداء ينام الاطفال لمدة ساعة ونصف او ساعتين ، واذا استيقظوا من قبيلتهم أعد لهم الشاي ثم يواصلون اللعب والدراسة حتى الساعة السادسة او السابعة مساء ، حيث يعودون الى بيوتهم لتناول طعام العشاء .

وتنتقل جميع رياض الاطفال في الصيف الى الارياف .

فروبيل - كقصص اشكال معقدة من الورق .. والقيام بحركات بغية تمية البصر والسمع وحاسة اللمس الخ .. لا تثير جميعها أولاع الاطفال ، ولا تجدى نفعا ، وتؤدى الى التعب ^(٥) . وهي على تقىض ذلك تحسب اللعب اساس الفاعلية التربوية ، وتأخذ بنظر الاعتبار عمر الطفل ونفسه و اولاعه الخاصة ، وتعامل كل طفل كما لو كان عالما حقيقيا لا صورة مجردة .

وتبدأ المؤثرات التربوية «المقصودة» تعمل في نفوس الاطفال عن طريق الفعاليات المتصلة بالعمل وبالطبيعة والمجتمع . فالطفل في روضته يحاكي الكبار في اعمالهم وحركاتهم ، ويتدرب على العادات «الجمعية» وتفتح قواه العقلية بالقيام بالفعاليات الابداعية . وقد منع مربو الروس استعمال القصص الخرافية وحسبوها من مخلفات صراع الطبقة البورجوازية ، كما منعوا القصص الشعبية وحسبوها روابط خرافية ، وحل محلها قصص حقيقة مستمدة من حياة الناس المادية اليومية .

ويستطيع الطفل في آخر سنة من سنوات رياض الاطفال ان ينضم ، اذا توافرت فيه شروط العضوية ، الى مؤسسة «الاوكتوبريين» ^(*) Okitabrata . ويعد الاتصال بهذه المؤسسة أول مرتبة من مراتب اعداد القادة ورجال الحزب . وقد قال لينين ان من واجبات الاوكتوبريين هي : أولا ، وهو أهم واجب ، أن يساعدوا العمال وال فلاحين في كفاحهم دوما ، وثانيا ، أن يدرسوا ، وثالثا وأخيرا ، أن يجعلوا منظماتهم قوية .

التعليم الابتدائى :

بذلك الحكومة السوفياتية عقب تسليمها زمام الحكم جهودا عظيمة فى نشر التعليم الابتدائى ، الا أنها لم تستطع أن تجعله الزاميا الا بعد أن أقرت

5-Medinsky, Y.N., Public Education in the U.S.S.R., P., 43-44

(*) نسبة الى اكتوبر شهر الثورة الشيوعية فى روسية .

«اللجنة المركزية للحزب الشيوعي» بوصية من «المؤتمر الشيوعي السادس عشر» في الخامس والعشرين من شهر تموز سنة ١٩٣٠ مبدأ التعليم الازامي المجاني للبنين والبنات الذين تراوح اعمارهم بين ٨ - ١٢ سنة . وتقرر أن تكون مدتها أربع سنوات ، وأن تتحذذ وزارات المعارف في كل جمهورية من الجمهوريات الاجراءات الالازمة لشرعها به والانتهاء منه في ١٩٣٤ .

وقد أصبحت الدراسة الابتدائية سنة ١٩٤٤ - ١٩٤٥ ، وبعد أن امتد السن الازامي تبدأ بالسادسة من العمر وتنتهي في الحادية عشرة ، أو بعده بقليل ، وأصبح أمدها قريباً من أمد الدراسة الابتدائية الانكليزية والفرنسية . ولم تزل المدرسة الابتدائية في الريف ، كما بینا آنفاً ، مدرسة مستقلة ، ولم تزل تؤلف في المراكز الصناعية وفي المدن قسماً من «المدرسة الثانوية الناقصة» ذات السنوات السبع ، أو قسماً من «المدرسة الثانوية التامة» ذات السنوات العشر . ولاتختلف مناهج السنوات الأربع الأولى ونظمها عن المدارس الابتدائية المستقلة أو الملحقة بالمدارس الثانوية الناقصة والتامة بعضها عن بعض ، مما ساعد الطلاب على الانتقال من المدرسة الابتدائية إلى الصف الخامس الثانوي بعد أن يجتازوا الامتحان العام ، وينجحوا في اللغة الروسية (تكلماً وكتابة) والحساب (التحريري والشفوي) . كما لا تختلف مناهج المدارس الابتدائية في الاتحاد السوفيتي عن مناهج اقطار غربي أوروبا كثيراً ، إلا فيما يتعلق بدراسة اللغات ؟ حيث أن طبيعة تكوين المجتمع تتطلب من المواطن السوفيتي أن يلم بلغتين أو أكثر . وينطبق هذا على الأطفال الروس الذين يسكنون مناطق روسية انتهاقاً صحيحاً . فهو لا يتكلمون أكثر من لغة . أما الأطفال الروس الذين يقطنون جمهوريات أخرى وتكون لغة التعليم فيها غير الروسية فينبعى أن يتعلموا لغة الجمهورية نفسها . وعلى الأطفال الذين ليسوا من أصل روسي أن يتعلموا اللغة الروسية . وإذا كان ذلك يسيراً على الروس البيض والأكرانيين لدرجة ما فإنه يصعب على الأطفال الذين

يتكلمون التركية مثلاً ، مما يتطلب أن يبذلو جهوداً في تعلمها أكثر من غيرهم .
ويتعلم أطفال بعض الأقليات ثلاثة لغات سوفياتية . فان كانوا يهوداً يسكنون
اوكرانياً تعلموا العبرية والاوكرانية والروسية ؟ وان كانوا أرمناً يسكنون
جمهورية جورجيا مثلاً تعلموا اللغات الارمنية والجورجية والروسية .

ويجري التدريس في المدارس الابتدائية بلغة الأطفال القومية ، وتعليم
اللغة الروسية بصورة الزامية في كل جمهوريات من الجمهوريات ابتداء من
الصف الثاني ابتدائي . وفي هذا يقول الاستاذ ميدنسكي : وتضع المدرسة
الابتدائية الى التلاميذ (أو تقدم الصنوف الاربعة الاولى من المدرسة المتوسطة
او الناقصة او السباعية) اساساً متنا في اللغة الروسية ، فتعلّمهم القراءة
والكتابة والتّكلم تعلماً جيداً ، وتعزّز لهم بالادب الروسي الذي يناسب هو
واعمارهم ، وتبعث فيهم القدرة على التعبير عن افكارهم كتابة وتلّكم ، وتعلّمهم
قواعد النحو الأساسية .

وتبدأ السنة الدراسية في اليوم الاول من شهر ايلول من كل سنة ،
وتقسم الى اربعة فصول : فيبدأ الفصل الاول في اليوم الاول من شهر ايلول
وينتهي في الخامس من شهر تشرين ثانٍ ؛ وفيبدأ الفصل الثاني في اليوم
الحادي عشر منه وينتهي في اليوم الثالث والعشرين من شهر آذار ؛ وفيبدأ الفصل
الرابع في اليوم الاول من شهر نيسان وينتهي في العشرين من شهر مايس .
ويتمدّد الفصل الرابع الى اليوم الخامس من شهر حزيران بالنسبة للتلاميذ
السنة الرابعة استعداداً لاجتياز امتحان الدراسة الابتدائية . وينتقل تلاميذ
الصنوف الثلاثة الاولى من سنة الى اخرى على اساس سعيهم السنوي وبدون
امتحان ، الا تلاميذ السنة الرابعة الذين عليهم أن يجتازوا امتحانين الاول
باللغة الروسية ان كانوا روساً (او اللغة القومية المحلية) والثاني بالحساب .
وستعمل المدرسة الابتدائية المقاييس الخمسى لتقدير جهود تلاميذها .
فدرجة ٥ ترمز الى (ممترّاز) و ٤ الى (جيد) و ٣ الى (متوسط) و ٢ الى
(ردئ) و ١ الى (ردئ جداً) .

ويتمنى طلاب المدارس الابتدائية الى منظمات «الرواد» والكومزومول، ويتدربون على الطاعة والقيادة والخدمة . ويعرف «الرائد» في المدرسة من شاراته ، ويتحمل كافة المسؤوليات . فهو ، كما يقول الاستاذ كاندل «لا يترك الطلبة يتبحرون عنه ، بل يلاحقهم ويتصل بهم ، ويحاول أن يضمهم الى منظمته ، ويعرفهم بعمله . وعليه أن يساهم مساهمة فعلية في الحياة المدرسية، وأن يدعم الانضباط المدرسي ، وأن يجلب الى حلقات المناقشة والى الالعاب والفعاليات المدرسية عددا آخر من الطلاب ، وأن ينظم الاجتماعات ، ويشرح واجبات الرواد وأهدافهم - ويشرح بصورة خاصة أوامر قائدنا ومعلمنا ، الرفيق لينين . »

التعليم الثانوى

كان التعليم الثانوى القديم ينحصر فى الصفة المختارة من الطلاب العالبات ، وكانت الثقافة ، كما ينظر اليها تاريخيا ، هى التى تقرر مناهج الدراسة لدرجة كبيرة ، ولكن الاتحاد السوفياتي لم يقبل هذا الحصر ولا هذه الثقافة ليكونا أساسين من اسس النظام التربوى الجديد الذى يستهدف تكوين عقول جديدة ، ويدع الشبان الى تقبيل صور من الحياة جديدة كما ترسمها وتلوّنها العقائد الشيوعية . فقد كانت المدرسة الثانوية القديمة فى رأى الشيوعيين ، أداة من ادوات تخليل الفوارق الطبقية ، ووسيلة من وسائل ابعاد الطبقية المثقفة عن طبقة البروليتاريات العمالية . وقد اعتقد مربو الروس أن المدرسة الثانوية قسم من اقسام «مدرسة العمل الموحدة» ، وأن جهودها لا تتحصر فى ا يصل المعرفة من أجل المعرفة نفسها كما هو شأنها فى انكلترة وفرنسا ، وإنما ينبغي أن تسيرها وتسيطر عليها المثل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للنظام الاجتماعى الجديد . ولا يمكن أن تسير بعيدة عن العمل ، وعن العقائد الشيوعية ؟ كما لا يمكن أن تكون عازفة عن تالية حاجات

المجتمع التي هي فيه ^(٦) .

وقد كانت الدراسة الثانوية في الاتحاد السوفيتي عملية ، وتنصل كل فعالية من فعالياتها بمهمة من المهن اتصالاً قد يشتد في ناحية وقد يضعف في ناحية أخرى . وإذا كان هدف التعليم الثانوي مهنياً فينبع أن يكون مفيداً للعامل ، ومرتبلاً بمشروع الحمس سنوات الأول . وهذا ما حدث فعلاً . فقد اصطبغت كل فعالية من فعاليات المدرسة بالعمل - المنهج وحياة الطلبة ، والعمل في داخل الصف وخارجيه . إلا أن المدرسة الثانوية ، وكذلك المدرسة الابتدائية ، قد تبدل طبيعتها في السنوات الأخيرة ، وتركت طابعها المهني قليلاً ، لاسيما بعد أن شاركت المدارس في مشاريع الحمس سنوات ، وبعد أن أحرزت روسية تقدماً هائلاً في ميدان الصناعة والاقتصاد .

وتتدخل المدارس الثانوية والابتدائية بعضها في بعض أحياناً ، فمنها ما كانت مستقلة ، ومنها ما كانت ملحقة ، وتوازيها وتسايرها مدارس مهنية . فيستطيع خريجو المدارس الابتدائية مثلاً أن يواصلوا دراستهم في مدارس أخرى ملحقة بالعامل لمدة ثلاث سنوات إن كانوا من أهل المدن ؟ أما إذا كانوا من أهل الريف فقد توسيس لهم أحياناً مدارس تجمع بين الدراستين الابتدائية والثانوية ، وأحياناً قد توسيس منفصلة إذا اقتضت الحاجة . وترمى هذه المدارس إلى تحقيق هدف مهني ، وهو تدريب الشبان على الاعمال الزراعية ، واعداد الفلاحين الحديثين ، وتدريب التعاونيين . وقد افتتحت في المدن أيضاً مثل هذه المدارس ، واحلقت بالعامل والمشاريع الصناعية لأغراض مهنية وعملية .

وتؤلف المدارس الابتدائية الازامية « مدارس الدرجة الأولى » ؟ والمدارس الثانوية ، بقسميها الناقص والتابع ، « مدارس الدرجة الثانية » .

وقد سبق ان بينا ان الصفوف الاربعة الاولى من المدرسة الثانوية الناقصة (او المدرسة السباعية او المتوسطة) والصفوف الاربعة الاولى من المدرسة الثانوية التامة تؤلف المرحلة الابتدائية وتعتبر امتدادا لها ، وانها في مناهجها واعمار طلابها لا تختلف عن مناهج الدراسة الابتدائية ؟ وان التعليم الابتدائي الذى يمتد حتى مرحلة الدراسة الثانوية الناقصة الزامى ومجانى ؟ وان مدة الدراسة الابتدائية سبع سنوات (وبعبارة أصح ثلاثة) والثانوية عشر سنوات (وبعبارة أخرى ست سنوات) ؛ وقد تكون احد عشرة سنة كما في جمهوريات جورجيا واستونيا ولا تفا .

ان جميع المدارس الثانوية يمكن تقسيمها الى طائفتين ، مدارس ثانوية ناقصة ، ومدارس ثانوية تامة :

١ - المدارس الثانوية الناقصة :

لم تنشر هذه المدارس كثيرا في جميع اطراف الاتحاد السوفياتي بعد ، ولكنها أخذت تنمو نموا متواصلا في الاريف ، واصبحت المدرسة الازامية الوحيدة التي يدرس فيها ابناء الاريف . وتقدر نسبة خريجي المدارس الابتدائية (الصف الرابع) الذين يلتحقون بالصف الخامس (وهو أول صف من صفوف المدرسة الثانوية الناقصة المتصلة) حوالي ٦٠٪ .

ويتضمن منهج الدراسة بالإضافة إلى مفردات منهج الدراسة الابتدائية مواضيع علمية واجتماعية كثيرة . ولا تختلف مناهجها كثيرا عن مناهج المدارس الأخرى ، الا انها تصلب بصيغة زراعية في الاريف لتساير حياة القرية وحاجاتها .

وتدرس قواعد اللغة الروسية واعلاوها وأدابها في الصفوف الخامسة والسادسة والسابعة . ويعد تدريس رواع الادب الروسي مقدمة لدراسة تاريخ الادب الذي يبدأ تدريسه في الصف الثامن ، ويستمر في التاسع والعشر من المدرسة الثانوية التامة . اما الرياضيات فتضمن تدريس الكسور

الاعتيادية والعشرية والسبة والتاسب ؟ وما الجبر والهندسة فتدرس ابتداء من السنة السادسة . وتسعى المدرسة الثانوية الناقصة في تدريس الرياضيات إلى ربط النواحي النظرية بالعملية . ومن الدراسات الأخرى التي تشتمل عليها مناهج الدراسة : العلوم الطبيعية كالحيوان والنبات ، والتاريخ الطبيعي الذي يستهدف تكوين وجهة نظر مادية نحو العالم في ضوء النظريات المادية التي وضعها العالم الروسي الشهير ميشورين I. V. Michurin

ويراعى في تدريس العلوم الطبيعية ربط النواحي النظرية بالمشاكل العملية للزراعة . « ويتناول تدريس التاريخ دراسة تاريخ الشرق القديم ، وتاريخ الرومان واليونان ، وتاريخ القرون الوسطى ، وطلاسم تاريخ الحديث ، اي منذ الثورة البورجوازية الفرنسية التي وقعت في القرن الثامن عشر . وقد وضع منهج التاريخ بحيث يعطي الطالب صورة واضحة عن بداية وتكون كل نظام اجتماعي وعلاقة ذلك في ظروف حياة المجتمع المادية (او وسائل الانتاج) في كل فترة تاريخية معينة . ويتوقع ان يعرف الطالب الاعمال التي قام بها ابطال تلك الفترة وحقائقها التاريخية ، وان يدركوا العوامل التي أدت الى ظهور هذه الحقائق وتطورها الطبيعي . ويتناول درس التاريخ دراسة تكوينطبقات في المجتمع وطبيعتها العدائية ، وبين صراعطبقات والانهيارات المحتموم لنظامطبقات الاخذ بالاحتصار ؟ واظهار الفكرة الاساسية التي يدور عليها تدريس التاريخ ، وهو الانتقال التدريجي للمجتمع الانساني ، وانهيار النظام القديم المحتموم ، وانتصار نظام اجتماعي افضل . وتجلى هذه الفكرة في دراسة انهيار العالم القديم القائم على الرق والعبودية ، واستبداله بنظام اقطاعي ؟ هذا النظام الذي مهد الطريق ، وتطور الرأسمالية والطبقة البورجوازية ، لظهور نظام رأسمالي عن طريق الثورة (الثورات الانكليزية والهولندية البورجوازية التي وقعت في القرن السابع عشر والثورة البورجوازية الفرنسية التي حدثت في القرن الثامن عشر) . وفي هذه المرحلة يفهم الطالب

طبيعة التورات البورجوازية المحدودة بالقياس إلى الثورة الاشتراكية »^(٧) .

ويدرس الطلبة في المدارس الثانوية الناقصة دستور الاتحاد السوفياتي ، ويعروفون بنظام الحكم في الاتحاد السوفياتي ، ويلقنون بأنه أعلى مرتبة من مرتب الديمقراطية ، وإن الحزب الشيوعي يلعب دوراً أساسياً في حياة البلاد السياسية والاقتصادية وأنه يؤدي خدمات جل في تكوين الدولة السوفياتية وفي زيادة قوتها ، وإن الشعوب السوفياتية تساهم في جميع الإنجازات العظيمة .

ويؤدي الطالب في آخر سنة من سنوات الدراسة امتحاناً يحصل بعد نجاحه فيه على شهادة الدراسة الثانوية الناقصة ، وتهلهل الالتحاق بالصف الثامن من المدرسة الثانوية التامة أو بـ « مدرسة فنية عالية » Technicum بعد أن يختار امتحان دخول .

٢ - المدارس الثانوية التامة :

وتقع عادة في المدن الكبيرة ، وفي المراكز الصناعية . ولما كان الالتحاق بصفوفها الثلاثة العالية اختيارياً فأن نسبة الطلاب الذين يتمون إلى الصف الثامن تقدر بـ ٥ بالمائة من مجموع طلاب المدارس الثانوية الذين هم في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من أعمارهم . ومع أن كل طالب يستطيع - نظرياً - أن يلتحق بالصف الثامن بعد تخرجه من مدرسة ثانوية ناقصة فإن وجود طلاب الصفوف الدنيا من المدرسة الثانوية التامة ، عملياً في المدن والمراكز الصناعية ، يجعلهم يستفيدون من المدارس الثانوية التامة أكثر من غيرهم ، ويواصلون دراستهم فيها ؟ بينما يتقل خريجو المدارس الثانوية الناقصة إلى مدارس جديدة في مدرسيها وبيتها . فإذا أراد أحدهم أن

7- Medinsky, Y. N., Public Education in the U. S. S. R., P., 54-55.

يواصل دراسته في مدرسة ثانوية « تامة » انتقل من الريف الى المدينة او الى المركز الصناعي . و اذا لم يكن لديه أقرباء في المدينة تكب نفقات سكن و ملبس و مشرب .

وقد كان عدد المدارس الثانوية في روسية القصرين ١٩٥٣ مدرسة سنة ١٩١٤ - سنة ١٩١٥ ، وعدد طلابها ٦٣٥٥٩١ ؟ وازداد هذا العدد الى ١٢٥٤٦٩ مدرسة في سنة ١٩٣٨ - ١٩٣٩ و الى ١٥٦٠٠٢٨١٥٦ طالب وطالبة .

مناهج الدراسة الثانوية :

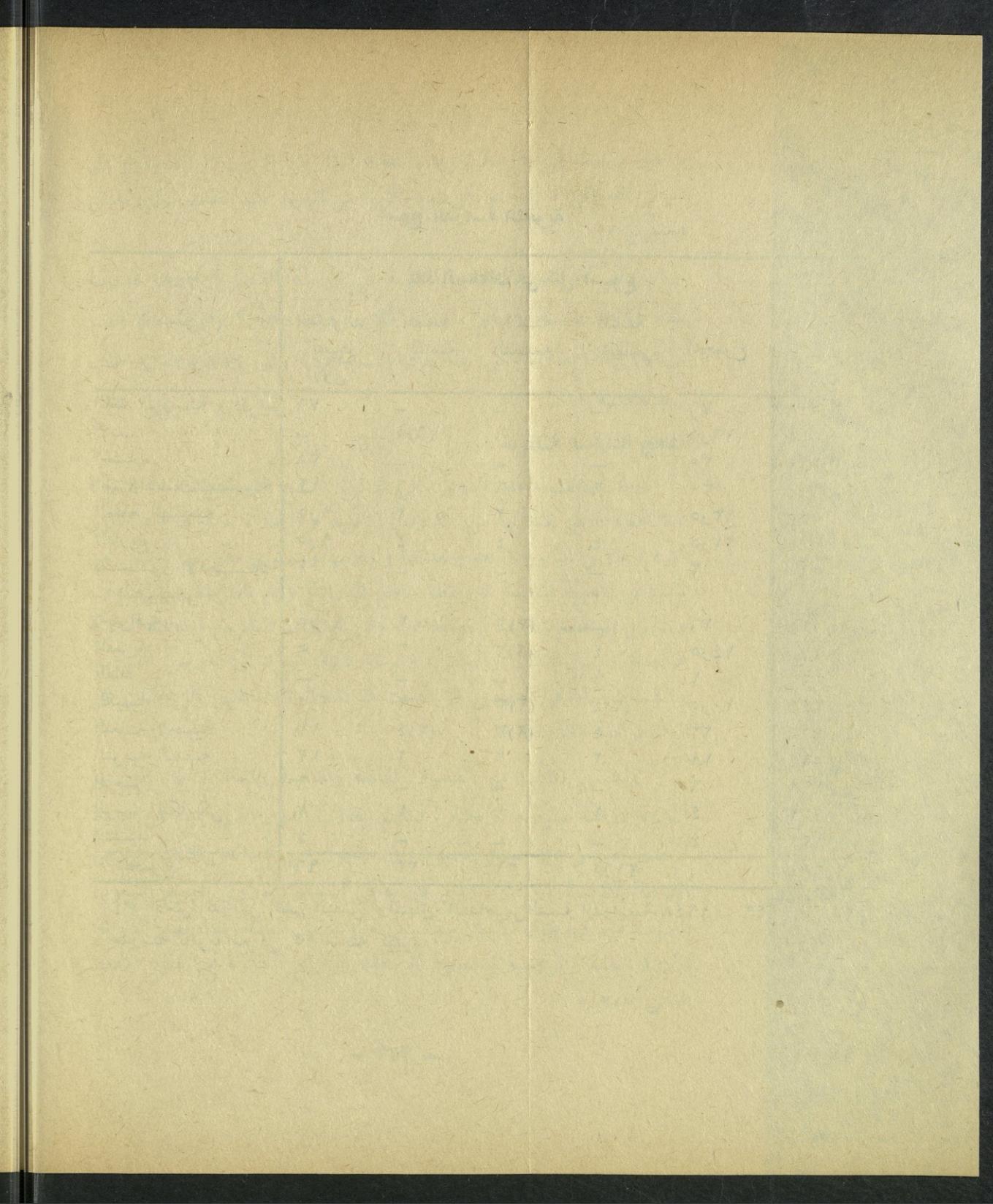
ولا تختلف مناهج الدراسة في السنوات السبع الاولى من المدرسة الثانوية « الناقصة » عن مثيلاتها من المدارس الثانوية « التامة » . و كثيراً ما تكون أبنية المدارس الثانوية التامة ومعداتها ولوازمها ومستوى مدرسيها أحسن من المدارس الثانوية الناقصة . و تنظم مناهج الدراسة وفق الطريقة « التركية » وتدرس المواضيع تدريساً « موحداً » . و في الصفوف العليا من المدرسة الثانوية الناقصة تدرس المثلثات والفالك ، وتوجه عناية كبيرة إلى تدريس الفيزياء والكيمياء . أما في تدريس الرياضيات فترتاد العناية بتطبيق الرياضيات على التكنوقراطية والزراعة .

ويدرس الأدب في الصفوف الثامنة والتاسعة والعشرة من المدارس الثانوية دراسة تطورية تاريخية ؟ ففيهم الطلاب الدور الذي يلعبه في حياة المجتمع الروسي ، وأهميته الكبيرة ، و « يقفون على خصائص الأدب الروسي القومي والوطني ، والدور الذي قام به في النضال الشعوري لجميع الشعوب السوفيتية » كما يقول الاستاذ ميدنسكي . و يدرس الطلبة ايضاً بعض الروائع الأدبية العالمية والروسية ليتمسوا أثر هذه الروائع الخالدة في تطور الأدب العالمي نفسه .

منهج الدراسة الثانوية

مجموع ساعات الدراسة للسنة كله	المجموع	عدد الساعات في كل أسبوع					الدرس (*)
		السنة العاشرة	السنة التاسعة	السنة الثامنة	السنوات السبعين الأولى		
٢٥٠٨	٧٦	-	-	-	-	٧٦	اللغة الروسية والقراءة
٥٤٤	١٦٥	٥	٦	(٦)٥	-	-	الادب
١١١٥	٣٥	-	-	-	-	٣٥	الحساب
٩٩٠	٣٠	٦	٦	٦	-	١٢	الجبر والمتلثان الهندسية
٥٤٥	١٣٥	-	٢	٢	٩٥	العلوم الطبيعية	
٧٠٥	٢١٥	٤	٤	٤	٩٥	التاريخ	
٦٦	٢	-	-	-	٢	دستور الاتحاد السوفياتي	
٥٢٨	١٦	-	(٣)٢	٣	١٠٥	الغرافية	
٤٧٨	١٤٥	٤	(٢)٣	٣	٥	الفيزياء	
٣٣	١	١	-	-	-	الفلك	
٣٤٦	١٠٥	(٣)٤	(٢)٣	٢	٢٥	الكيمياء	
٧٢٦	٢٢	٤	(٢)٣	(٣)٤	١١	اللغات الأجنبية	
٥٩٤	١٨	٢	٢	٢	١٢	التربية البدنية	
١٩٨	٦	-	-	-	٦	الرسم	
١٣٢	٤	١	١	١	١	الرسم الميكانيكي	
١٣٢	٤	-	-	-	٤	التشييد	
٩٦٨٠	٣٥	٣١	٣٣	٩٦		المجموع	

(*) ادخل تدريس علم النفس والمنطق ابتداء من السنة الدراسية ١٩٤٨ - ١٩٤٩ في مدرسة ثانوية تقع في ١٢ مدينة كبيرة.



وبالاضافة الى تدرس الاداب والرياضيات والجبر والهندسة والمثلثات وعلم النبات والحيوان يدرس الطلبة الفسلحة والنقرات الداروينية ؟ كما يدرسون التاريخ العام لمدة اربع سنوات ، وتاريخ الشعوب السوفياتية لمدة ستين ° ويؤكد الاستاذ ميدنسكي ايضا ان تدرس التاريخ يستهدف تفسير نظريات ماركس ولينين في قوى الانتاج والدور الذي تقوم به في التصir التاريخي ، وفي علاقات الانتاج وكفاح الطبقات ، وفي الثورة الاشتراكية وديكتاتورية البروليتاريات ، وعلاقة الشعب الروسي في تاريخ الشعوب السوفياتية ° وتدرس اللغات الاجنبية ابتداء من السنة الخامسة ؛ ويختار الطالب اما اللغة الانكليزية او الالمانية او الفرنسية °

ويواصل مربو السوفيت اصلاح مناهج الدراسة الثانوية ؛ ولكن هذه الاصلاحات لا تم الا وفق الطريقة الدايميلكتيكية ، والعقائد الماركسيه ° فمثلا من الدراسات الجديدة التي ادخلت في صلب مناهج الدراسة الثانوية هي : علم النفس ، والمنطق ، وأسس النظرية الداروينية ° وقد بدأت دراسة علم النفس في الصف النهائي من صفوف المدرسة الثانوية سنة ١٩٤٧ ° أما الغرض من تدريسه فهو مساعدة الطلاب على أن يتقدموا في حياتهم المدرسية بصورة عملية - في علاقاتهم الشخصية ؟ وفي فهم التاريخ والادب والفنون ؟ وفي تحسين قابلاتهم التذكرة ؟ وفي طرق التعليم والدراسة والمطالعة ° أما الغرض من تدريس المنطق فهو مساعدة الطلاب على ان يتحدثوا ويفكرروا بصورة صحيحة ، وأن يحسنوا البحث في الطريقة الدايميلكتيكية °

اما مواضع اسس النظرية الداروينية فقد شقت طريقها الى مناهج الدراسة الثانوية ، واسقفت فيها استقرارا ثابتا ، وأخذت تدرس ابتداء من الصف التاسع في المدرسة الثانوية ° ويدعى مربو السوفيت أن المدرسة الثانوية السوفياتية هي المدرسة الوحيدة التي تعنى بمثل هذه الدراسات وفي

مثل هذه المرحلة الدراسية ؟ وان تدرسها يمكن ان يبرر علمياً « فالطبيعة في حركة دائمة في الزمان والفضاء » ، وان هذه الحركة لها اتجاه معين • وتحتوي النظرية الداروينية على مادة كثيرة تدعو الى التفكير الحركي في أصل الحياة وأصل الإنسان ، وتطوره التشويئي ، وتساعد الانسان على أن يتعلم قوانين نمو النبات والحيوان • وبعبارة مختصرة يرى مربو السوفيت أن في النظرية الداروينية (نظرياً وعملياً) منظومة واضحة لتطور الاحياء العضوية تطوراً تاريخياً ومطرداً^(٨) .

ان الدور الذي يقوم به المدرس في ايصال هذه المعلومات عظيم ومهما • فينبغي أن تكون معلوماته واسعة جداً ، وأن يكون ، من الناحية التربوية ، ملماً بعلم النفس الخاص بعقلية الطفل ، وأن يفهم طريقة العقل الدياليكتيكية ، وأن تكون ثقافته السياسية واسعة ، ومعرفته بالماركسية - الماركسيّة أوسع ، وأهم من هذا كله ينبغي أن تشرب نفسه بالقضية السوفيتية وأهدافها البعيدة •

وقد تقرر في سنة ١٩٤٤ أن يؤدى طلبة المدارس الثانوية التامة امتحاناً عاماً نهائياً • فمن اجتازه « بامتياز » نال أوسمة ذهبية أو فضية ، وقبل في المعاهد العالمية بدون اداء امتحان دخول • أما الطلبة الذين يجتازون هذه الامتحانات بدرجة جيد أو متوسط مثلاً فلا يستطيعون الالتحاق بمعهد من المعاهد الا بعد النجاح في امتحان الدخول الذي ينظمه ذلك المعهد •

وينتقل الطالب من سنة الى اخرى بعد اجتياز امتحان في نهاية السنة الدراسية • وعند تخرجه يؤدى امتحاناً شفوياً وتحريرياً في اللغة الروسية وآدابها ، وفي الرياضيات (مثلثات وهندسة وجبر) ، وامتحاناً شفوياً فقط

في دروس الكيمياء والفيزياء والتاريخ واللغة الأجنبية .
 التعليم المختلط :

وقد بدأ التعليم الثانوي مختلطًا منذ سنة ١٩١٨ ، وظل كذلك حتى سنة ١٩٤٣ ؟ فلما الغي تأسست مدارس ثانوية مستقلة للبنين والبنات عام سنة ١٩٤٤ (*) . وينذهب مربو السوفيت إلى أن الغرض الأساسي من تطبيق التعليم المختلط في المدارس الثانوية كان لتحقيق المساواة بين المرأة والرجل، ولتعيم التعليم الثانوي بحيث يصبح في متناول جميع المراهقين والمراهقات . فلما تحققت المساواة وانتشر التعليم الثانوي لم يعد ثمة حاجة لتأسيس مدارس ثانوية مختلطة . وقد حان الوقت لمراعاة الفروق الفسلجية بين الولد والفتاة في دور المراهقة الذي يساير مرحلة الدراسة المتوسطة ، ومراعاة حاجاتهم الخاصة في التربية البدنية ، واعدادهم إلى الحياة العامة . وفي الاتحاد السوفيتي اليوم مدارس ثانوية مستقلة وأخرى مختلطة .

ولم يستطع الاتحاد السوفيتي أن يتخلص من جميع المشاكل التربوية التي تواجهه ، وأن يذلل جميع العقبات التي كانت وما زالت تعترض كل نظام تعليمي ، وأخصها تحقيق المساواة المتعلقة في الفرص التعليمية ؟ فليست الفرص التربوية التي يتمتع بها أبناء الاريف هي نفسها التي يتمتع بها أبناء المدن . إن العوامل الجغرافية والاختلاف الوظائف الاجتماعي ستساعد على تثبيت أقدام الجريمة الاجتماعية . وقد أدى ذلك إلى أن تتمتع طائفة معينة من الطلاب الذين ينحدرون من بيوت متقدمة في المدن والمرأة الصناعية بالتعليم العالي أكثر من غيرها ، وأن تقدم على أبناء الاريف في الحقول التعاونية . « وما هو جدير بالذكر أنه بينما تكون المدارس الثانوية الناقصة مجانية ومفتوحة

(*) اجريت اول تجربة في مدارس موسكو سنة ١٩٤٢ - سنة ١٩٤٣؛ فلما نجحت طبقت في جميع عواصم الجمهوريات ، ثم في المدن الكبيرة الأخرى .

لجمع الطالب والطالبات نجد أن المدارس الثانوية التامة تستوفى أجورا من
أبناء أصحاب الدخل العالى . ولابد وأن هذه التأثيرات التى تتركها الفروق
المتزايدة تجعل المدارس الثانوية التامة مجموعة من المؤسسات التربوية خاصة
بأصحاب الامتيازات . »^(٩)

ولمناهضة هذه الفروق الاجتماعية الحتمية ابتدعت الحكومة السوفيتية
مدارس ثانوية خصوصية للكبار . وهذه هي المحاولة الثانية التي اضطررت
فيها السلطات الشيوعية أن تختار طبة من الطبقة العاملة لتعدها اعدادا خاصا
لدخول الجامعات . فقد جرت أول محاولة سنة ١٩١٨ حينما أرادت الحكومة
السوفيتية أن تهيء طبقة مثقفة جديدة ذات صلة روحية قوية بالبروليتاريات ،
فابتعدت « كليات العمال » لتساعد العامل على أن ينال فيها دراسة ثانوية قصيرة
ومركزية تؤهله للالتحاق بآحدى الجامعات أو المعاهد الغالية . ولقد استمرت
هذه السياسة مدة طويلة وأحدثت تبدلا في التكوين الاجتماعي لطبقة
البروليتاريات والفلاحين ؟ ولكنها الغيت سنة ١٩٣٠ حينما ادخل التعليم
الإلزامي والتحق عدد كبير من أبناء البروليتاريات في المدارس الثانوية . وقد
كانت « كليات العمال » ظاهرة جديدة في المنهج التربوى للاتحاد السوفيتى
يراد بها تطبيق سياسة اجتماعية مرسومة . وترك كثير من العمال دراستهم
الثانوية في الحرب العالمية الثانية وكرسوا جهودهم إلى النواحي العسكرية ؟
 فأصدرت الحكومة السوفيتية سنة ١٩٤٣ مرسوما جديدا ينص على تأسيس
مدارس ثانوية جديدة مجانية للعمال الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين
١٤ - ٢٥ سنة ؟ وهى في الحقيقة مؤسسات مسائية تساعدهم دخول الجامعات . وتشابه مناهج هذه
المدارس الثانوية للعمال مع مناهج الدراسة الثانوية ، الا أن عدد الساعات فيها

أقل بمقدار الثالث . ويتمتع الطالب العامل باجازات أكثر من غيره اذا التحق
بواحدة منها (*) .

مدارس سوفوروف وناخيموف :

وتأسست في فترة الحرب العالمية الثانية مدارس ثانوية داخلية مجانية خاصة ببناء جنود وضباط الجيش الاحمر ، وأبناء رجال اسطول ، ورجال الحزب ، ويت ami الحرب . وتسمى هذه المدارس بمدارس سوفوروف Suvorov وناخيموف Nokhimov تيمنا باسم Marshal سوفوروف وأمير البحر ناخيموف . ويلتحق بهذه المدارس الاولاد الذين قد بلغوا الحادية عشرة من العمر والذين أتموا الدراسة الابتدائية . ومدة الدراسة فيها سبع سنوات ، أى أنها تعادل مدة الدراسة الثانوية الناقصة . وتشبه هذه المدارس في كثير من نواحيها المدارس العسكرية الفيصرية - تشبهها في البساطة والانضباط العسكري والروح العسكرية نفسها . وتهدف هذه المدارس الى اعداد العناصر الصالحة ليكونوا ضباطا في الجيش الاحمر والاسطول الاحمر .

ويجري التدريب العسكري في مختلف مدارس الاتحاد السوفيتي . ويلتحق طلاب الصفوف العالية من المدارس الثانوية في العطلة الصيفية بمعسكرات صيفية يقضون فيها اسبوعين يتدرّبون أثناءها على الاعمال العسكرية . ومما هو جدير بالذكر أن دروس الرياضيات والفيزياء تتضمن اعطاء مسائل في تطبيق هذه العلوم على الامور العسكرية .

(*) بلغ عدد الطلاب الذين التحقوا في هذه المدارس الثانوية المسائية عام ١٩٤٦ حوالي ٣٥٠٠٠ . وقد كانت نتائج الامتحانات مرضية مما ساعد آلاف الشباب من العمال والعمالات وال فلاحين وال فلاحات أن يدخلوا الجامعات والمؤسسات العلمية الأخرى .

التعليم المهني والفنى

ترتبط عملية من عمليات التعليم في الاتحاد السوفياتي بالسياسة من جهة وبالعمل من جهة ثانية وقد كان هذا الارتباط ، سواء في المدارس الابتدائية أم الثانوية ، وثيقاً في أول مرحلة من مراحل النظام الشيوعي وعند تطبيق مشاريع الخمس سنوات ولكنه قد ضعف في المدارس الابتدائية ، وخف في المدارس الثانوية .

ونجحت عملية الربط نجاحاً حسناً في المدارس الملحقة بالمصانع والمعامل ، وفضلت في المدارس الأخرى التي لم تستطع أن تجد طريقة عملية لربط التعليم بالعمل ببطأ مجدداً - مما جعل « مؤتمر السوفيت السادس عشر لجميع الروس » يواصل انتقاداته وهجماته على المدارس ، ويتهمها بأنها لا تعنى إلا باصال المعلومات الجامدة والا بالاستظهار والتدريب ؟ وانها لا ترعى الا اللفظية والبيغائية ، وطالب مرة أخرى أن ترتبط المدارس بالعمل والمصانع ومحطات التريلكتورات والحقول الحكومية Sovhozes والحقول الجمعية ربطاً مباشراً^(١٠) Kolhozes

وقد حسب قادة الروس أن مدارس العمل ستقتضي على الانقسامات الطبقية والفوارات الموجودة بين القرية والمدينة ، وأنها ستقرب المسافة التي تبعد بين العمال الذين يستخدمون قواهم الجسمية والأفراد الذين يستطيعون قواهم العقلية ؟ وخلعوا أنهم قد نجحوا في ذلك طيلة الثلاثين سنة الماضية ، وإن الانقسامات الاجتماعية في طريقها إلى الزوال . وهذا ما دعاهم إلى أن يبدوا في تنظيماتهم المدرسية ومناهجهم الدراسية في السنوات الأخيرة .

10- Kandel, I.L., Comparative Education. P, 181

وتحقيقاً للاغراض المقدمة الذكر تزود المدرسة السوفياتية الطلاب بمعلومات نظرية وعملية عن جميع عمليات الانتاج الرئيسية المختلفة؟ من ذلك : دراسة الآلات والمكائن ، والانتاج الصناعي والزراعي الواسع ، وادارة عمليات انتاجية بسيطة ، ومبادئه علمية عامة .

وقد تضاءلت الخصائص الفنية والمهنية للمدارس الابتدائية والثانوية بعد أن قطع الاتحاد السوفيatic شوطاً عظيماً في مضمون الصناعة والزراعة في السنوات الأخيرة ، واتجه أكثرها اتجاهها علينا ، وتركز التعليم الفني والمهني في مدارس خاصة . ويكتسب هذا النوع من التعليم أهمية عظيمة لصلته بحركة التصنيع وباقتصادات البلاد . وتسسيطر عليه اليوم وتقطمه المؤسسات «الاتحادية» لا المحلية . ونستطيع تقسيم المدارس الفنية والمهنية إلى الأقسام الآتية :

أولاً - مدارس مهنية بعد الدراسة الابتدائية .

ثانياً - مدارس ثانوية فنية .

ثالثاً - معاهد فنية عليا .

وقد كانت المدارس المهنية التي تلى الدراسة الابتدائية تديرها قبل سنة ١٩٤٠ المنظمات التابعة لكل جمهورية من الجمهوريات ، وكانت لكل منظمة خطة معينة في نشر التعليم المهني واصلاحه تقوم على حاجاتها المحلية العاجلة والاجلة ، وكان يتعدى تنسيق سياسة نشر التعليم المهني بين جمهوريات الاتحاد السوفيatic غير ان ازيداد حركة التصنيع ، وعلاقة فروع الانتاج المختلفة بعضها مع بعض تطلب أن تكون سياسة التعليم المهني والفنى واحدة وثابتة ، وأن تديرها منظمة «الاتحادية» وفي سنة ١٩٤٠ شكلت «ادارة

اتحادية الاحتياطي العمال « لتدريب العمال المستجدين ، ولتكوين احتياطي ضروري منهم ٠ وفي سنة ١٩٤٦ ، وبعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية ، تبدل اسم هذه « الادارة » وسميت بـ « وزارة احتياطي العمال الاتحادية » ، وعهد إليها تنظيم المدارس المهنية والفنية وإدارتها في جميع أطراف الاتحاد السوفياتي ، فنظمت ثلاثة أنواع من المدارس المهنية التي تلي الدراسة الابتدائية ٠ فالنوعان الأولان هما : المدارس المهنية الجديدة ومدارس سكك الحديد ، وتقبل البنين (والبنات) الذين في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من أعمارهم ، والذين قد نالوا شهادة الدراسة الابتدائية ٠ وتحتفل مدة الدراسة في هذه المدارس (فهي عادة من ٣-٢ سنة) بالنسبة إلى كل فرع من الفروع ٠ ويدرس جميع الطلاب والطالبات على نفقة الدولة ، ويسكن الطلاب الغرباء في أقسام داخلية ٠ وليست الدراسة كلها مهنية ، وإنما تخصص ربع ساعات المنهج إلى الدروس الثقافية العامة ، ويخصص الباقى إلى الدروس المهنية ٠ ويتألف اليوم المدرسي من سبع ساعات : ساعتان للدروس العامة والنظرية ، وخمس ساعات للتدريب العملي في معامل المدرسة ، أو في معامل أخرى ٠ ويوظف المتخرجون في مختلف المصالح الحكومية ٠ وتقوم سياسة الوزارة على درس مدى الحاجة في كل فرع من فروع الصناعة والنقل ، ويتم تدريب الطلاب على هذا الأساس ٠٠

أما النوع الثالث من المدارس المهنية فهي مدارس المعامل ٠ ويلتحق بها البنون (والبنات) الذين هم في السادسة عشرة أو السابعة عشرة من أعمارهم ، والذين قد حصلوا على شهادة الدراسة الابتدائية ولهم خبرة فعلية في عمليات الاتجاج ٠ ومدة الدراسة أقصر من مدة النوع الأول والثاني ،

وتراوح بين ٦ - ١٢ شهراً . ويحتوى المنهج على تدريب عملى ، وعلى ١٠٠ ساعة فى تدريس الاسس النظرية للمهنة أو الحرفة .

التعليم الثانوى الاختصاصى :

وقد كانت «المدارس الفنية العالية» أو ما تسمى بالטכנيكوم Technicum تتالف ، قبل الحرب العالمية الثانية ، من عدة مدارس فنية ، مثل المدارس «الطبية» ومدارس «إعداد المعلمين» و «المدارس الموسيقية» و «الفنونية»؛ وكانت كلها فى مستوى الدراسة الثانوية التامة ، واستهدفت اعداد الاختصاصيين لجميع فروع الصناعة والزراعة والصحة والتعليم . أما مدارس الطب فقد كانت تدرب ما تحتاجه مهنة الطب من موظفين صحيين ، ومن ممرضات ، وقابلات . وقد سميت جميع هذه الانواع من التعليم بـ «التعليم الثانوى الاختصاصى» ؟ وصار يطلق على الفروع الفنية المجردة (*) . ويقبل في هذه المدارس اليوم جميع الطلاب (والطالبات) الذين تراوح أعمارهم بين ١٥ - ٣٠ سنة ، والذين قد أكملوا الدراسة الثانوية الناقصة أو ذات السنوات السبع ، ونجحوا في امتحان الدخول . ومرة الدراسة أربع سنوات يعدها الطالب اعدادا ثقافيا عاما ، واعدادا عمليا ونظريا . ويحصل الطلاب بعد تخرجهم على شهادات اختصاصية تؤهلهم مواصلة دراستهم في معاهد عليا . ومما تجدر الاشارة اليه هو أنه بينما يستطيع التخرجون من المدارس الثانوية التامة أن يلتحقوا في آية ناحية من نواحي الاختصاص نلاحظ أن خريجي المدارس الاختصاصية لا يستطيعون الدخول الا في المعاهد التي تتصل باختصاصهم الثانوى . وأذا ما أراد بعضهم أن يغير اختصاصه وجب عليه ان يؤدى الامتحان العام للدراسة الثانوية التامة . ويحتوى منهاج «المدارس الثانوية الاختصاصية»

(*) كان فدد طلاب هذه المدارس قبل الحرب العالمية الثانية حوالي المليون ، ٢٨ بالمائة منهم فى مدارس الطب ، و ٢٧ بالمائة فى دور المعلمين الابتدائية و ١٨ بالمائة فى المدارس الفنية . أما فى سنة ١٩٥٠ فقد بلغ عددهم ٣٩٨٠١ طالب وطالبة .

على دروس عامة كالادب والرياضيات ، والعلوم ، والفيزياء ، والكيمياء ، وعلى دروس اختصاصية ، وتدريب عملي . وتحمل وزارات المعارف في الجمهوريات المختلفة نفقات هذه المدارس فقط ؟ ولكن لا تسيطر عليها الا « الوزارة الاتحادية » .

مدارس أخرى :

وفي الاتحاد السوفياتي مدارس خاصة للعميان واليتامى والصم والبكم والبلهاء وغيرهم ، وتوجه أكثر هذه المدارس عنيتها إلى التعليم المهني ؟ وتعتبر معاهد التربية العليا مدرسين اختصاصيين يتعهدون تعليم هؤلاء الأطفال ، ويقومون بهذه الواجبات الخاصة . والآمتحانات و « بيوت الأطفال » مؤسسات حكومية تجمع بين التعليم والحياة الداخلية . وقد ازداد عدد الآمتحانات أثناء الحرب العالمية الثانية أزيداداً كبيراً ، فبلغ عدد الآيتام في سنة ١٩٤٤ نحو من ٤٠٠٠ طفل في روسية الأوروبية فقط . و « بيوت الأطفال » على نوعين : منها ما يدخلها الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٣ - ٧ سنوات ، وتشبه رياض الأطفال ، ومنها ما يدخلها الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٣ - ٧ سنوات ، وتشبه رياض الأطفال ، ومنها ما يدخلها الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٧ - ١٦ سنة . وما الأخيرة في الحقيقة الا « بيوت » داخلية تسير على غرار المدارس الثانوية الناقصة . و بواسطه الطلاب الذين ينجحون في الامتحانات العامة دراساتهم على نفقة الحكومة في الصنوف العليا من المدارس الثانوية وفي الجامعات .

عصبة الشباب الشيوعي والرواد الشباب :

تلعب هاتان المنظمتان دوراً أساسياً في حياة المدارس الابتدائية والثانوية ، وتبذل جهوداً منظمة في تلقين الطلاب بالمبادئ الثورية الشيوعية ، وتدريبهم على الضبط والطاعة والإيمان والتضحية(*) . وتستهدف كما يقول الاستاذ ميدنسكي « مساعدة المدرسة في تربية الشباب تربية شيوعية ، وفي النهوض

(*) راجع صفحة ١٧٨ من كتاب الدولة والتعليم (ج ١) للمؤلف .

بمستوى التدريس ، وتحسين وسائل الضبط المدرسي » .
 وينخرط في كتاب « الرواد الشباب » الأطفال الذين تتراوح اعمارهم
 بين التاسعة والرابعة عشرة من العمر . وفي كل مدرسة سرية من « الرواد
 الشباب » تضم عدداً من الفصائل التي تتألف من صنف واحد او اكثر ؟
 ويتفق كل فصيل الى مجموعة من الحصائر . وتقوم كتاب « الرواد الشباب »
 بفعاليات مختلفة في داخل المدرسة وخارجها ، وتتولى تنظيم السفرات والنزهات
 المدرسية ، والالعاب الرياضية ، والابحاث والمناقشات العقائدية والادبية
 والعلمية ، والمخيمات الصيفية ، وتقديم المساعدات الى الفلاحين في حقولهم
 اذا اقتضت الحاجة . وقد بلغ عدد الطلاب الذين انضموا الى هذه المنظمة
 سنة ١٩٤٩ حوالي ١٣٠٠٠٠٠٠٠ رائد .

وتحضن كتاب « الرواد الشباب » الى توجيهات «عصبة الشباب الشيوعي»
 التي لها فروع في كل مدرسة متوسطة وثانوية . وتقدم العصبة مساعدات
 جمة الى المدرسة والمدرسين ، وتعمل على اثارة الوعي الشيوعي بين الطلاب .
 وقد اوضحت اللجنة المركزية لعصبة الشباب الشيوعي « في اجتماعها الثاني
 عشر المنعقد في شهر نيسان سنة ١٩٤٤ ان « الواحـ الرئـيـسـيـ لـهـيـئـاتـ عـصـبـةـ
 الشـيـوـعـيـ فـيـ المـدـارـسـ هوـ مـاـسـاعـدـةـ المـلـمـ » . ولبلوغ هذا الهدف نص
 القرار ايضا على ما يأثير : « يستطيع المعلمون ان يحضروا اجتماعات عصبة
 الشباب الشيوعي المدرسية كافية ، وان يساهموا في اعمالها ، وان يؤخذ
 باـ رـأـيـهـمـ عـنـدـ اـتـمـاءـ اـعـضـاءـ جـدـدـ لـعـصـبـةـ الشـيـوـعـيـ » ، وـانـ «ـ لـمـدـيرـ
 المـدـرـسـةـ حقـ اـيقـافـ تـفـيـذـ ايـ قـرـارـ مـغـلـوـطـ قدـ تـخـذـ هـيـةـ عـصـبـةـ الشـيـوـعـيـ
 الشـيـوـعـيـ ٠٠٠ـ » واقتـرـحتـ اللـجـنةـ التـوـصـيـاتـ الـآـتـيـةـ :

- ١ - يشـعـيـ علىـ هـيـئـاتـ «ـ عـصـبـةـ الشـيـوـعـيـ »ـ أـنـ تـسـاعـدـ المـدـيرـ وـالـمـعـلـمـينـ
 عـلـىـ مـحـافـظـةـ النـفـلـامـ وـالـأـنـتـنـاطـامـ دـاخـلـ المـدـرـسـةـ .
- ٢ - تـمـنـعـ هـيـئـاتـ «ـ عـصـبـةـ الشـيـوـعـيـ »ـ وـتـلـامـيـذـهاـ منـ التـدـخـلـ فـيـ
 أـمـورـ الـمـعـلـمـينـ ، وـتـجـنـبـ اـتـقـادـهـمـ فـيـ اـجـتمـاعـاتـهـاـ وـمـؤـمـرـاتـهـاـ وـنـشـرـاتـهـاـ .

٣ - تمنع هيئات «عصبة الشباب الشيوعي» من اخراج التلاميذ من الصنوف بقصد الاجتماع •

٤ - تمنع هيئات «عصبة الشباب الشيوعي» في المدينة أو المقاطعة أو المنطقة أو الجمهورية بدراسة أعمال المدرسة مستقلة أن هي لم تحصل على إذن من الدوائر التعليمية العامة الخاصة بكل واحدة منها •

يضاف إلى هذا أن المؤتمر الحادى عشر لعصبة الشباب الشيوعي المنعقد فى شهر نيسان سنة ١٩٤٩ قد أوضح أن واجبات العصبة في المدارس تتحصر في غرس الروح السوفياتية الوطنية ، والإيمان المطلق برسالة لينين وستالين ، وفي تطبيق قانون التعليم الالزامى بتسجيل الأطفال الذين هم في سن الدراسة الالزامية ، وعدم ترك إى مختلف منهم ، وغرس روح الاحترام نحو العمل الاشتراكى والمساهمة فى تأسيس المدرسة ، ورفع منزلة المدرسين ومعاضدتهم فى اداء واجباتهم المهنية النبيلة •

لقد أعدت الحكومة السوفياتية مئات القصور والمتزهات والمكتبات لمنظمات الشباب • فخصصت منظمات الرواد مثلاً بحوالى ٧٠٠ قصرًا ودارا ، وافتتحت ٣٠٠ مركز للقنيين الفتيان ، و٢٠٠ للطبيعين الفتىان وغيرها • ويقدم «قصر لينغراد للرواد» الواقع في حى مهم وجميل من أحياء مدينة لينينград فكرة عن جسامته هذه القصور ؟ فهذا القصر الامبراطورى الذى بناه آنيشخوف Anichkov يحتوى على ٣٠٨ غرفة وصالات ، وفيه ٧٠٠ من المختبرات والاستوديوات ومراكمز الاعمال ؟ وفيه مكتبة وقاعة محاضرات ومسرح • وفي مدینتى موسکو وخاركوف وغيرها من الاتحاد السوفياتي المهمة قصور لا تقل عنه جمالاً ولا سعة •

وقد أقامت الحكومة في شبه جزيرة القرم «مخيم رواد آرتيك Artek للاتحاد السوفياتي كافة» ؟ ويعق على شاطئ جميل من شواطئ البحر الأسود ؟ ويرتاده صيفاًآلاف الرواد الشباب الذين يقصدونه لممارسة

جزء من عطلتهم الصيفية . ويقصد آخرون نهر الفولجا حيث يمضون وقتما
جميلا على شاطئيه في سفن راسية مجهزة ب مختلف وسائل التسلية .
قواعد تربوية :

أقر قومسيرو الشعوب السوفياتية في شهر آب سنة ١٩٤٣ عشرین قاعدة
تربوية مهمة ساعدت على احداث تبدل كبير في واجبات منظمة الرواد الشباب
وعصبة الشباب الشيوعي ، وهي :
ينبغى على كل تلميذ أن :

- ١ - يجتهد بعزم وجد في دروسه كي يصبح مواطنا متعلما ومتقدما ،
ويخدم وطنه السوفيatic خدمة تامة .
- ٢ - يكون مجتهدا في دروسه ، ومثابرا على دوامه ، وألا يتاخر عن
حضور صفة في الوقت المعين .
- ٣ - يطيع اوامر مدير المدرسة والملسين اطاعة عماء .
- ٤ - يجلب معه إلى المدرسة جميع الكتب والقرطاسية ، وان يهيء كل
شيء قبل دخول المعلم الصف .
- ٥ - يظهر في المدرسة نظيف الجسم ، مرتب الشعر ، أنيق الملبس .
- ٦ - يحافظ على نظافة رحلته وانتظامها .
- ٧ - يدخل الصف ويجلس في محله حلما يسمع دق الجرس ، وألا
يدخل الصف أو يتركه الا بعد أن يستأنذ المعلم .
- ٨ - يجلس متتصب القامة طوال مدة الدرس ؟ فلا يتکيء على الرحلة
بمرفقيه ، ولا يتمدد في مقعده ، ويكون شديد الانتباه الى ایضاحات المعلم
وأجوية التلاميذ ؟ والا يتكلم أو يبعث مع غيره .
- ٩ - يقف اذا ما دخل المعلم أو المدير الصف وخرج منه .
- ١٠ - ينهض ويقف معتدلا عند الاستجواب ، والا يجلس الا بعد
استئذان المعلم ، وان يرفع يده ان أراد ان يجيب عن سؤال ، أو رغب في
عرض قضية .

- ١١ - يسجل عنده جميع الوظائف التي يعطيها المعلم للدرس القادم ، وان يعرضها على والديه ، وأن يجعلها بنفسه دون الاستعانة بأحد .
- ١٢ - يحترم مديره ومعلميه ، وان يحبهم عندما يمرون في الشارع بانحناءة مؤدبة ، وأن يرفع الاولاد قباعتهم اجلالا لهم .
- ١٣ - يكون مؤديا مع من هم أكبر سنًا منه ، وأن يسلك في المدرسة والشارع وال محلات العامة سلوكاً مؤدبًا وصحيحاً .
- ١٤ - يتتجنب استعمال الكلمات البذيئة ، ويتجنب التدخين والمقامر .
- ١٥ - يعني بأناث المدرسة ولوازمها وبناتها ويحافظ جيدا على أشيائه الخاصة به وبغيره .
- ١٦ - يكون لطيفا مع الأطفال الصغار والكهول والضعفاء والمرضى عطوفا عليهم ، وأن يخصهم بمقعدة في المركبات ، ويفسح لهم الطريق الصالح في الشارع ، وان يساعدهم بكل صورة ممكنة .
- ١٧ - يطيع والديه ، وان يساعد في رعاية اخوته الصغار واخواته الصغيرات .
- ١٨ - يحافظ على نظافة البيت ، بترتيب ملابسه وأحذيته وفرشه وتنظيمها .
- ١٩ - يحمل هويته دائمًا ، وان يحافظ عليها كل المحافظة ، وأن يختص بها وحده ولا يقدمها لغيره من الأطفال ، ولكن يقدمها بطلب من مدير المدرسة أو المعلم .
- ٢٠ - يجعل الشرف الذي تناه المدرسة ، أو يناله الصف الذي يتسبب ان التلميذ الذي يخالف هذه القواعد يكون عرضة للعقاب ، وحتى الطرد من المدرسة .

ادارة التعليم

كانت ادارة التعليم فى روسية القيصرية شديدة المركبة ، وكانت السلطات المحلية ومجالس البلديات منذ أيام الملكة كاترين الثانية ، وسلطات الالوية منذ أيام الملك اسكندر الثاني تتمتع بقدر محدود من الحكم الذاتي . وكان التعليم العالى والثانوى دائمًا يخضع الى سيطرة وزير المعارف خصوصاً مباشراً ، ولم يشذ عن هذه السيطرة ، الا التعليم الابتدائى وتعليم الراشدين ؟ فقد ترك أمرهما الى جهود السلطات المحلية ، واستقلًا عن كثير من الاعمال الحكومية الرتيبة . وكانت معاملة المناطق غير الروسية لا تختلف عن معاملة المناطق الروسية ، الا أن الاقليات القومية الموجودة في كل منطقة من المناطق لم تستمتع بحكم ذاتي يؤهلها أن تصبح قوميات منفصلة . وتحتفل سياسة الاتحاد السوفياتي نحو الاقليات غير الروسية ومعاملتها عن سياسة روسية القيصرية ، فكل جمهورية من الجمهوريات الست عشر والجمهوريات المستقلة استقلالاً نسبياً تستعمل لغتها الخاصة في نظامها التعليمي . وقد صاحت هذه الفوارق اللغوية لا مركزية في الادارة . ولم توجد في الاتحاد السوفياتي حتى سنة ١٩٣٣ ادارة « اتحادية » للتعليم ، بل كان لكل جمهورية من الجمهوريات « قومسيرة معارف » أو وزارة معارف مستقلة ؟ وفي السنة المذكورة تأسست « اللجنة الاتحادية للتعليم الفني العالى » ، وبدأت بسط سيطرتها المركزية الاتحادية على هذا النوع من التعليم .

وبالرغم من أنه لا يوجد حتى هذا التاريخ سيطرة مركزية اتحادية الا أن هذه السيطرة كانت تم عن طريق منظمات الحزب الشيوعي المنشية في كل زاوية من زوايا الاتحاد السوفياتي ، وبالسعى الى تطبيق المبادئ الشيوعية ؟ وقد أدت الى نوع من التمايز في ادارة التعليم في كل جمهورية من الجمهوريات ؟ وما زاد في تمثيل النظم الادارية ، تلك المؤتمرات

التي كان يعقدها وزراء معارف الجمهوريات بين حين وآخر للتداول في شؤون التربية والتعليم وفي رسم الخطط والأهداف العامة لسياسة التعليم .

ولنضرب مثلاً على ادارة التعليم في جمهورية من الجمهوريات ، ولتكن « جمهورية روسية المتحدة السوفياتية » R.S.F.S.R. ان شؤون التعليم تعود إلى وزير المعارف الذي تعينه « الجمعية التنفيذية المركزية لجميع روسية » ، يساعدته في ذلك مجلس Collegium يتكون من عدة ممثلي تتبعهم اللجنة المركزية لاتحاد العمال ، ومن ممثلي آخرين يصادق على تعينهم مجلس وزراء الشعوب الروسية . وتكون وزارة معارف « جمهورية روسية المتحدة السوفياتية » من احدى عشرة مديرية عامة : مديرية الادارة والتخطيم ، ومديرية التعليم القبمدرس والدرس ، ومديرية التعليم المهني وتعليم الراشدين ، ومديرية مجلس تعليم الأقليات ، ومديرية مجلس الدولة العلمي للابحاث العلمية ، ومديرية المؤسسات الفنية والعلمية ، ومديرية الآداب والنشر ودار النشر الحكومية ، ومجلس ادارة الافلام السينائية ، ومديرية التجهيزات .

ويقوم المفتشون وممثلو نقابات العمال بتفتيش المؤسسات الثقافية . فيعني الاولون بتفتيش النواحي التربوية عناية خاصة ، ويقوم الآخرون بالاشراف على تربية الطلاب تربية سياسية تتفق ومبادئ الحزب الشيوعي .

وتقسم روسية في ادارة التعليم الى وحدات ادارية تسير القرى والنواحي والبلوچ والمدن و المقاطعات . وتسحب في كل وحدة ادارية مجالس السوفيت وتقوم بتعيين الموظفين والمعلمين وتشرف على سير التعليم ، وتحضن دائماً الى سيطرة رجال الحزب الشيوعي . وتكون السلطات المحلية مسؤولة عن تنظيم التعليم وادارته في مختلف درجاته ، الا فيما يتعلق بالمعاهد العالية ، وباستخدام المعلمين ، واعداد ميزانية التعليم . ويعين لكل مدرسة مجلس يضم المعلمين وممثلين عن الكتبة والفراسين ، ونقابات العمال ، وطبيب المدرسة ،

والحزب الشيوعي ، والكومزومول . وتدفع السلطات المحلية اليوم أكثر نفقات التعليم .

وقد حدثت تبدلات كثيرة في نظم التعليم في الحرب العالمية الثانية وبعدها ، تناولت ادارة التعليم وتنظيمه و蔓اهجه . فقد سميت أثناء الحرب العالمية الثانية جميع «القومسيارات» بالوزارات ، فسميت «قومسيارات المعارف» بوزارات المعارف ، واحداث وزارة جديدة اتحادية للتعليم العالي بعد أن كانت جنة اتحادية ، وعهد إليها الانفاق والسيطرة على جميع المؤسسات العالية في الاتحاد السوفيتي ؟ وتتخضع جميع المدارس الفنية والمهنية التي هي في مستوى الدراسة الثانوية إلى وزارات معارف كل جمهورية من الجمهوريات ، الا في شؤون التنظيم والطرق الدراسية ، فإنها تخضع إلى «الوزارة الاتحادية» . أما المدارس الفنية والمهنية الدنيا فإنها تخضع إلى «وزارة العمل الاتحادية» التي استحدثت بعد الحرب العالمية الثانية . يتضح من هذا أن وزارات معارف الجمهوريات الست عشرة لا تسيطر إلا على المدارس الثانوية والابتدائية ورياض الأطفال ودور الحضانة ، و تستقل في شؤونها عن السيطرة الاتحادية المركزية .

« وقد أدت الادارة المركزية للتعليم العالي والتعليم المهني ، وكذلك الصفة الاتحادية لتنفيذات الحزب الشيوعي ، إلى تشابه في نظم التعليم في جميع جمهوريات الاتحاد السوفيتي الاشتراكية بالرغم من وجود ست عشرة وزارة للمعارف مستقلة . » (١١) .

وتدير المؤسسات الابتدائية والمدارس الابتدائية والثانوية في كل جمهورية من الجمهوريات ادارة مباشرة مديريات المعارف محلية تحت اشراف وزارة المعارف الخاصة بتلك الجمهورية . أما تعليم الراشدين فان شئونه

تدبرها « وزارة المعارف » الجمهورية . وعليه فان ادارة التعليم فى الاتحاد السوفياتى مزدوج من ادارة مركزية ومحليه ، جمهورية وأتحادية . وتساهم جميع هذه السلطات فى الانفاق على المؤسسات التربوية وفي السيطرة عليها .

اعداد المعلمين

كان نظام اعداد المعلمين فى روسية القيصرية يجرى فى ثلات مؤسسات أو مستويات متباينة : فى دور المعلمين الاولية ، لاعداد معلمين الى المدارس الريفية وغير الريفية ، وفي « معاهد المعلمين » لاعداد معلمين للمدارس الابتدائية العالية ، وفي « الجامعات » لاعداد معلمين الى المدارس الثانوية . وكان أكثر الذين يلتحقون بدور المعلمين (والمعلمات) يتبعون الى طبقة الفلاحين ، ويندر أن يكونوا من خريجي المدارس الثانوية . أما مدرسو المدارس الابتدائية العالية فقد كان أكثرهم من طبقة الفلاحين ، ومنمن قد قضوا ثمانى سنوات فى المدارس الحكومية (أربع منها فى مدرسة ابتدائية وأربعة أخرى فى مدرسة ابتدائية عالية) وأربع سنوات فى « معاهد المعلمين » . ويواصل بعضهم أحيانا تعليمهم فى الجامعات . وكان اعداد جميع المعلمين يتم فى روسية نفسها وباللغة الروسية (*) . وكان من نتيجة الاصلاحات التربوية الكثيرة التى قام بها الاتحاد السوفياتى أن جعل اعداد المعلمين يتم فى كل جمهورية من الجمهوريات ، وبلغتها الخاصة . ومن أجل هذا تأسست عدة معاهد لاعداد المعلمين فى مختلف أطراف الاتحاد .

(*) كان عدد المعلمين فى الامبراطورية الروسية سنة ١٩١٥ اكتر من ٢٣١٠٠٠ ، وأكثراهم روسيون . وقد بلغ عددهم فى الاتحاد السوفياتى سنة ١٩٤١ حوالي ٨٠٥٢٢٢١ ، ونسبة المعلمين الروس ٥٥ بالمائة فقط . أما الباقى فمن الجمهوريات الأخرى غير الروسية والذين يتم اعدادهم بلغاتهم القومية المحلية . أما اليوم (١٩٥٠) فقد بلغ عددهم حوالي مليون ونصف معلم ومعلمة .

وقد سيطر على حركة اعداد المعلمين في الاتحاد السوفيaticي عاملان مهمان : أولهما ضمان الحصول على عدد كاف من المعلمين الموالين للنظام الجديد ، وثانيهما تجديد نظم اعداد المعلمين . وقد تحسنت أحوال المعلمين والمعلمات في العهد السوفيaticي ، ودب فيهم روح مهنية جديدة بتأليف « اتحاد معلمي الروس » الذي اتمنى اليه جميع المدرسين على اختلاف درجاتهم ، واهتم بهم لينين اهتماما عظيما ، حتى لقد قال : « ينبغي أن نرفع المعلم إلى منزلة لم يستطع بلوغها ، بل وإن يكون قادرًا على بلوغها ، المجتمع البورجوazi » .

وجددت نظم اعداد المعلمين لأول مرة سنة ١٩٢٤ ، حينما افتتحت اقسام خاصة بإعداد معلمين للتدرس في رياض الاطفال والمدارس الابتدائية ، والمدارس الدينية للثقافة السياسية في المدارس الثانوية ذات السنوات التسع ، وفي السنتين الاخيرتين اللتين تعادلان السنتين الاوليتين من معاهد اعداد المعلمين والمعلمات . وقد كان يتشرط في قبول الطالب في هذه الاقسام الخاصة أن يكون قد أتم دراسة سبع سنوات في مدرسة ابتدائية وثانوية ، وأمضى أربع سنوات بهذه الاقسام في تدريب مهني يؤهله لأن يكون معلما وقائدا . وقد كانت الدراسة في هذه الاقسام تصطبغ بالصناعة تارة وبالزراعة تارة اخرى ، وذلك بالنسبة الى حاجة المجتمع التي هي فيه ، وكان المنهج يتألف من دروس ثقافية عامة ومهنية كعلم الحياة ، وعلم النفس ، والتربية ، والفلسفة ، ومن علوم اجتماعية مع اهتمام خاص بالفلسفة الماركسيه والمادية الدايلكتيكية . وقد كانت السنوات الاولى تخصص للدراسة العامة ولزيارات المدارس ، ودراسة نظم التعليم في الاتحاد السوفيaticي ، والستان اخير تان تخصصان للمواضيع المهنية .

ولم يجر الاتحاد السوفيaticي في الحقيقة تبدلا كلها في معاهد اعداد المعلمين للمراحل المختلفة ، ولم يقض على الانقسام الاجتماعي الموجود في

هذه المعاهد . فضلت « معاهد المعلمين » تعد المعلمين الى المدارس الابتدائية والثانوية الناقصة كما كانت سابقا . وقد تبدل اسمها بعدئذ .

وفي الاتحاد السوفياتي اليوم مؤسسات عالية لاعداد المعلمين وآخرى ثانوية ؟ وفيه مراكز خاصة بطرق التدريس ، وصنوف اخرى من دور المعلمين والمعلمات . فمن المدارس التى فى مستوى الدراسة الثانوية « المدارس الثانوية للمعلمين » ، وبكلمة اخرى ، دور المعلمين الابتدائية . ويلتحق بها عادة الطلبة الذين أتموا الدراسة الثانوية الناقصة (أو المتوسطة) ؟ لمدة ثلاث سنوات ، ينالون فيها اعداداً متفاوتاً عاماً ومهنياً خاصاً . فمن المواضيع المهنية :

التربية وعلم النفس ، تاريخ التربية ، طرق التدريس .

وافتتحت دور للمعلمين لاعداد مدرسي الصفوف الخامسة والسادسة والسابعة الثانوية (أو صفوف المرحلة المتوسطة) ، ويلتحق بها الطلبة الذين أتموا الدراسة الثانوية ، ويواصلون دراستهم فيها لمدة سنتين . اما مدرسو الصفوف الثانوية الثامنة والتاسعة والعاشرة (أو صفوف المرحلة الاعدادية) فيجري اعدادهم اما فى دور المعلمين العليا او فى الجامعات ، ويتخرجون بعد دراسة طولها اربع سنوات . وتنتألف دور المعلمين العليا من الاقسام الاتية : اللغة والادب ، والتاريخ ، والجغرافية ، والرياضيات والفيزياء ، والعلوم الطبيعية ، واللغات الاجنبية . وفي كثير من مناطق الاتحاد السوفياتي اقسام تربوية خاصة لاعداد المدرسين الذين سيقومون بالتدريس في دور المعلمين وأمؤسسات التربية الاخرى (*) ، ومعاهد تربية اخرى يلتحق بها المدرسون الذين يريدون ان يقفوا على التطورات الحديثة في التربية وعلم النفس ،

(*) بلغ عدد المعاهد التربوية في الاتحاد السوفياتي ١٣٨ معهداً ، وبلغ عدد معاهد اعداد المعلمين ٢٣٦ معهداً .

والذين يرغبون في زيادة معلوماتهم العامة . كما فيه مدارس للمراسلة غايتها
تزويد معلمي المدارس الابتدائية والثانوية بثقافة مهنية .
حالة المعلمين :

الغى الشيوعيون بعد تسلّمهم مقايد الحكم جميع نقابات المعلمين التي
كانت في العهد القصري ، وخاصة « اتحاد معلمى جميع الروس » . ولكنهم
أعادوا تنظيمها وفق مصلحة الحزب . ولقد كان كثير من المعلمين في ذلك
الحين لا يعطّفون على الثورة الشيوعية ولا على مبادئها ، مما اضطر رجال الحزب
ونقابات العمال و « اللجنة المركزية للكوموزومول » وغيرها من المنظمات
الموالية أن تساهم في اختيار واعداد طائفة من المعلمين تؤمن بالنظام الجديد
وتسعى إلى توطيد أركانه والدعوة إليه ، ودفع الاختار عنه .

وقد ظلت رواتب المعلمين قليلة لغاية سنة ١٩٣١ ، وحالتهم سيئة إذا ما
قوّرناها بغيرهم من العمال . ولكن مجلس وزراء الشعوب السوفياتية قرر في
السنة نفسها زيادة ٢٥ - ٣٠ بالمائة من أصل رواتبهم ، ومن حمّهم نفس الامتيازات
التي كان العمال يتمتعون بها من حيث شراء حاجاتهم الأساسية بأسعار
متزايدة . وتحتّل رواتب المعلمين من منطقة إلى أخرى ، ومن جمهورية
إلى جمهورية ، وذلك بالنسبة إلى تكاليف المعيشة . وقد بلغت رواتب المعلمين
في الأرياف في سنة ١٩٢٧ - ١٩٢٨ . ٤٦ روبل ، وفي المدن ٥٤ روبلًا في
الشهر ، وصارت سنة ١٩٣٢ ، ٩٠ روبلًا في الشهر (الروبل يقدر بـ ١٠٠
فلس) . ويتناقض المعلمون الرواتب التي يتلقّاها المهندسون والفنانون نفسها
ويتسلّمون مخصصات إضافية إذا امضوا في الخدمة مدة طويلة (تعطى كل
خمس سنوات) ، وراتبها أعلى إذا التحقوا بمدارس تقع في مناطق نائية ،
وخدمة تقاعديّة بعد مرور ٢٥ سنة في سلك التعليم .

ويدرس المعلم في مدارس الدرجة الأولى ٢٤ ساعة في الأسبوع ؟ أما
في مدارس الدرجة الثانية فيدرس ١٨ ساعة . وملزمي الأرياف مخصوصات

سكني ، وعلاج طبى مجاني . وتحتاج المعلمة المتزوجة بجازة شهرية تقضيها عند الحمل والولادة . ويتعفى أبناء المعلمين من الأجر اسوة بأبناء العمال . وللمعلمين والمعلمات مصروفات ودور للاستراحة تقع في شبه جزيرة القرم والفقس . ولهم نواديهم ومكتباتهم الخاصة ، ونقاية يطلق عليها اسم « اتحاد العمال التربويين » . ويدفع كل معلم ٢ بالمائة من راتبه بدل مشاركة . ويشترك الاتحاد في تقرير المناهج والخطط التربوية اشتراكاً فعلياً ورسمياً . ويتمتع المعلمون في الاتحاد السوفياتي ؟ نظراً لخدماتهم الكبيرة وتضحياتهم ، بمنزلة مهمة ، ويستحب بعضهم اعضاء في المجالس العليا للاتحاد السوفياتي وللجمهوريات . وقد ضم المؤتمر الثامن لمجلس الاتحاد السوفياتي الذي أقر الدستور ٢٧ معلماً . ونال أكثر من ١٠٠ الف معلم اوسمة ومداليات لقاء خدماتهم الممتازة .

التعليم العالي

كانت سياسة الاتحاد السوفياتي نحو التعليم العالي طوال الثلاثين سنة المنصرة غير مستقرة ، فقد تعرض إلى خطط ارتجالية واندفاعات آنية أدت إلى مشاكل جمة . فقد ألغى الشيوعيون امتحان الدخول سنة ١٩١٨ ، وفتحوا أبواب الجامعات على مصراعيها . ولكنهم أدرکوا بعد مرور سنة من هذه التجربة أن سياسة الباب المفتوح لا يمكن أن تعود على جميع الطلاب ، ولا على النظام الجديد ، بالفائدة المرجوة ، وأن الطلاب المستجدين لا يستطيعون الانتفاع من المحاضرات الا اذا حصلوا على قسط وافر من الدراسة الثانوية . ولما كان الغرض من اتباع سياسة الباب المفتوح هو اعطاء العمال وال فلاحين فرصة للتحصيل العالي لتكوين طبقة متقدمة من البروليتاريات تتولى تثبيت دعائم العهد الجديد ، ولاحداث توازن اجتماعي في مصلحة الطبقة العاملة والزارعة ، أسست الحكومة السوفياتية سنة ١٩١٩ « كليات العمال » لتزويد

العمال بتلك المعلومات «الثانوية» التي حرموا منها ، والتي لا يستطيعون مواصلة تعليمهم العالي بدونها ٠ وكان من أثر هذه السياسة أن التحق عدد كبير من العمال بهذه المعاهد ؛ وقد روعى أن تكون الاسبقة الى الطلاب الذين هم من أصل بروليتاري وفلاحين ، وأن يفضلوا على غيرهم ٠ وقد أحدثت هذه التدابير تبدلاً عظيماً في التكوين الاجتماعي للطلاب ، وفسحت في المجال لأن ترتفع طبقة البروليتاريات سلم التعليم العالي ، إلا أنها في الوقت نفسه أدت إلى انخفاض في مستوى التعليم العالي ٠

وقد أسدت «كليات العمال» Rabfaks خدمات عظيمة إلى العمال ٠ وهي اليوم إما أن تكون مستقلة ببنائها وهياً منها التدرисية وأما أن تكون ملحقة بالمؤسسات العلمية العالمية ٠ وتقدم دراسة عامة ومهنية من جهة ، وتد العمال الذين بلغوا الثامنة عشرة من العمر إلى دخول المعاهد العليا من جهة ثانية ٠ ومدة الدراسة ثلاث سنوات للطالب النهارى ، وأربع سنوات للطالب المسائي ٠ وقد بلغ عددها سنة ١٩٣٠ ، ١٦٤ كلية ، وعدد طلابها ٥٣٠٠٠ وبلغ عدد الطلاب في سنة ١٩٣٢ - ١٩٣٣ حوالي ٣٣٩٥٠٠ ، وبازدياد عدد المدارس الثانوية للأطفال والراغبين تقاص عدد كليات العمال ، وأصبح الدخول إلى المعاهد العالمية يستند قبل كل شيء إلى الحصول على شهادة الدراسة الثانوية ٠

ومما هو جدير بالذكر أن حركة التصنيع قد طفت على المعاهد العالمية طغياناً عظيماً ، واهتمت الحكومة اهتماماً كبيراً بالمعاهد الفنية أكثر مما اهتمت بالجامعات والدراسات النظرية ٠ ولقد دفعت هذه العناية بحكومة اكرانيا أن تجزى الجامعات في سنة ١٩٢٢ إلى مؤسسات خاصة مستقلة ، وأن توجه عنائها إلى النواحي التطبيقية ، وتبعتها حكومة موسكو سنة ١٩٣٠ ولم تكن في الاتحاد السوفيتي طوال ثلاث سنوات جامعات أبداً ٠ فقد انحصر جميع التعليم العالي في «المعاهد الفنية الاختصاصية» وانقاد إلى حركة التصنيع

وأهداف الاقتصاد الشيوعي • غير أن تائج تطبيق هذه السياسة لم تكن حسنة ولا مشجعة ، مما أدى إلى إعادة النظر في أسس التعليم العالي ؟ وفي سنة ١٩٣٢ صدر بيان اعترف فيه واضعوه بأن انحرافات أساسية قد حدثت في أثناء تطبيق القرارات السابقة تتصل بالاكتار من عدد المعاهد والطلاب دون الاحتفاظ بمستوى علمي عال ، وتنصل بالانقسام الشديد في فروع الاختصاص ؟ حتى لقد أصبح خريجو المعاهد الفنية ، كما يذهب البيان ، توافر فيهم صفات الميكانيكيين لا المهندسين ، في حين ان اعداد الاختصاصيين يتوقف على اسس عامة في التعليم الفنى العام ، وعلى تعليم علمي عام •

واعيد فتح « الجامعات القديمة » في سنة ١٩٣٣ ، ووضعت سياسة التعليم العالى على اسس جديدة ، ومنحت « الدرجات » العلمية القديمة (الماجستير والدكتوراه) ، كما اعيد العمل بنظام امتحان الدراسة الثانوية في سنة ١٩٣٤ • ومع أن العمال والفلاحين كانوا يتقدمون على غيرهم في دخول الجامعات الا أن دخولهم هذا صار يتوقف على نجاحهم في امتحان الدراسة الثانوية العام اسوة بغيرهم من الطلاب • وقد أوضحت « اللجنة الاتحادية » في سنة ١٩٣٤ أن « المستوى الثقافي العام للطلبة اليوم يمتاز بنوافض كثيرة (نقص في المعلومات عن الحقائق التاريخية ، ونقص في فهم الادب والفنون الجميلة ، وفي المعلومات العامة) ٠٠٠ ولكن مستوى الطلبة في النواحي السياسية قد صار أحسن جدا من مستوى طلبة الأقطار الرأسمالية • فمن الضروري أن يكون كل طالب من الطلاب رجال مثقفا حقا - مثقعا بروليتاريا » • وقامت المعاهد الفنية العليا بتلافي هذه النواقص •

وشاهد التعليم العالى تقدما عظيما ، وتبدل اساسيا في تكوين الطلاب الاجتماعي ، وأصبح مختارا ، وبلغت نسبة الطلاب أكثر من ٤٠٪ من مجموع طلبة المعاهد العالية كلها • ولم يعد يتمتع به ابناء رجال الصناعة والاقطاع وكبار الموظفين ، بل ابناء العمال والفلاحين والمثقفين وبناتهم •

وبلغ عدد المعاهد في سنة ١٩٣٩ ، ٧٥٠ معهداً ، وعدد الطلاب والطالبات ٦٢٠٠٠٠ وقد تناقض عدد الطلاب ؟ فصار ٤٦٠ معهداً في سنة ١٩٤٢ . وبانتهاء الحرب العالمية الثانية عاد قسم كبير من الطلاب إلى معاهدهم ، وازداد عدد المعاهد العالية وطلابها ؟ بلغت ٧٩٢ معهداً ، وعدد الطلاب ٦٥٣٠٠٠٠ وتدل آخر الإحصاءات (١٩٥٠) على أن عدد المعاهد العالية قد ارتفع إلى ٨٨٠ معهداً ، وإن عدد الجامعات وحدتها ٣٢ جامعة ، وإن عدد طلبة المعاهد العالية كافة (بما في ذلك كليات المراسلة) (*) قد صار ١٢٤٧٠٠٠٠ ر.ج . وتحتمل الجامعات الكثيرة عادة ٦٠٠٠ إلى ٨٠٠٠ طالب وطالبة .

وتألف المعاهد العالية في الاتحاد السوفيتي من :

١ - الجامعات :

وتحتمل جامعات موسكو (أستنثها الملكة كاترين الثانية سنة ١٧٥٥) ، ولينغراد ، وكازان ، وساراتوف ، وبيير ، وروستوف ، وتوبيسك ، وفلاديفوستك في R.S.F.S.R. ، وجامعات كييف ، وأوديسا ، وخاركيف ، ولوروف في جمهورية أكرانيا السوفيتية ، وتراتسو في إستونيا ، وفلاخى في لتوانيا ، وريغا في لاتفيا . وقد ورث الاتحاد السوفيتي جميع هذه الجامعات من عهدود القياصرة وعهود التوسيع الشيوعي في البلطيق ، ولكنه أسس جامعات جديدة في مختلف الجمهوريات .

(*) تقدم كثير من المعاهد العالية دراسات مسائية وبالمراسلة للعمال الذين يعملون في المصانع والمكاتب والدوائر الحكومية . وتحضر الدراسات المسائية التي طولها ست سنوات في الأشخاص الذين يسكنون المدن ، والراسلة إلى الأشخاص الذين يقطنون في مدن نائية لا تتوفر فيها الدراسة الجامعية . ولكنهم يلتحقون بمعاهدهم مرتين في السنة لحضور المحاضرات ، والقيام بالواجبات العملية ، وإداء الامتحانات . ويؤدون الامتحانات التي يؤديها الطلبة الآخرون نفسها ، ويقدمون اطروحاتهم . ويقدر عدد طلبة كليات المراسلة ٣٠٠٠٠ طالب وطالبة .

(في روسيا البيضاء ، وجورجيا ، وأرمينيا ، وأذربيجان ، وأذبكستان ، وكاريلا الفنلندية وغيرها) ، ومن هذه الجامعات الجامعتان الجديدتان : جامعة اوزكورد في القسم الجديد من أكرانيا التي تأسست سنة ١٩٤٥ ، وجامعة كيشينيف التي تأسست في ملدافيا سنة ١٩٤٦ . وفي كل عاصمة من عواصم الجمهوريات السنت عشرة جامعة ، وتعد المركز الثقافي لكل قومية من القوميات ، فتعنى بدراسة تاريخها وآدابها وفنونها .

وتقسم الجامعات إلى كليات متعددة - إلى كليات للفيزياء والرياضيات ، وللغة والادب ، للتاريخ والجغرافية ، ولعلم الحياة ، وللكيمياء ، وتضم بعض الجامعات بالإضافة إلى الكليات المذكورة كليات للفلسفة والقانون ، وللدراستات الشرقية ، ولعلم طبقات الأرض . أما الطب والاقتصاد فلهما عادة معاهد مستقلة . ولا يدخل اللاهوت في الدراسات الجامعية . غير أن الأكاديمية الارثوذكسية في موسكو يديرها بطريق موسكو ، وشرف عليها « وزارة الشؤون الارثوذوكسية » .

وتتألف الجامعات عادة من ست كليات ، وقد يزداد العدد في بعض الجامعات . فجامعة موسكو مثلا تتكون من ١٢ كلية .

وتعنى الجامعات السوفياتية عناية كبيرة بالابحاث العلمية . فاشتهرت كلية الرياضيات التابعة لجامعة موسكو مثلا بابحاثها في علم الطيران ، والفضل في ذلك يرجع إلى العالم السوفيatic الشهير زوكوفسكي Zhukovsky . وتلاميذه ؟ كما اشتهرت في بحوثها الكيمياوية ؟ واشتهرت جامعة لنينغراد في ابحاثها في العدسات ، والدراسات الشرقية . وقد ساهمت جامعات كيف وخاركوف وفازان مساهمة عظيمة في ابحاثها الخاصة بالرياضيات العالية وعلم طبقات الأرض ؟ كما اشتهرت جامعة مولوتوف في العلوم البايولوجية . وتعنى المعاهد الفنية ايضا بالبحوث العلمية . ومن هذه معهد باومان في موسكو ، ومعهد التعدين ومعهد النفط في مدينة لنينغراد .

٢ - المعاهد الفنية العليا :

وتصم معاهد الهندسة ، والزراعة ، والطب ، والتربية ، والاقتصاد ، والسينما ، والمسرح ، والموسيقى ، وغيرها . وتنقسم هذه المعاهد الى عدة فروع ، واكثرها معاهد خاصة باعداد المعلمين للمدارس الثانوية (*) .

ويتألف المعهد من كليات عديدة يتراوح عددها عادة بين ٣ - ٨ كليات (أو اقسام) . وقد تتضخم بعض المعاهد العليا بحيث تضاهي في تشكيلاتها الجامعات الكبيرة « فمعهد لينينغراد الفني » مثلا يضم الكليات الآتية : هندسة المعدن ، الهندسة الميكانيكية ، الهندسة الكهربائية ، هندسة المكائن ، الهندسة الفيزياوية ، هندسة الادارة ٠٠٠ الخ . ويتراوح عدد الطلاب في المعاهد الفنية الكبيرة من ٤٠٠٠ الى ٦٠٠٠ طالب وطالبة ، ومدة الدراسة من ٤ الى ٦ سنوات ؟ كل ذلك يتوقف على نوع الدراسة الاختصاصية التي يقدمها ذلك المعهد .

وتكون مناهج الدراسة في المعاهد الاختصاصية العليا من :

- ١ - دراسات اجتماعية سياسية . وغرضها تزويد الاختصاصيين بأسس ثقافية عامة سليمة .
- ٢ - دراسات ثقافية عامة .
- ٣ - دراسات اختصاصية .

ويستطيع الطلبة الذين يخرجون بدرجة امتياز ، اتمام دراستهم على نفقة الدولة لمدة ثلاث سنوات أخرى يمضونها في البحث والتنقيب . وقد

(*) كان عدد المعاهد العليا في سنة ١٩٤٦ كما يأتي : ٣٢٠ معهداً تربوياً ، ١٥٤ معهداً فنياً ، ٩٩ معهداً للزراعة والفاييات والبيطرة ، ٧٤ معهداً طبياً ، و ٣٨ معهداً للاقتصاد والقانون ، ٣٥ معهداً للفنون ، ١٥ معهداً للتربية البدنية ، و ٦ معاهد أخرى . وتعزى زيادة عدد المعاهد التربوية الى ظروف الحرب وما جرت على روسية من خسائر في المعلمين .

جرت العادة أن يعين أكثر هؤلاء الطلبة بعد تخرجهم معيدين في المعاهد العليا .

ادارة المعاهد العالية :

شرف على سياسة التعليم العالي « وزارة التعليم العالي » للاتحاد السوفيتي كافة ، وتنفذ هذه السياسة وزارة المعارف الواقعة في كل جمهورية من الجمهوريات ؛ وتتمتع المعاهد العالية ، في حدود هذا الإشراف والتوجيه من السلطات المركزية ، باستقلال ذاتي في ادارة شؤونها الثقافية والادارية . فلكل جامعة « رئيس » ولكل معهد عال « مدير » . ولا تختلف المعاهد الفنية العليا في ادارتها وامتحاناتها وشروط قبول الطلاب إليها عن الجامعات الا اختلافاً يسيراً . ولكل جامعة « مجلس تعليمي » يتكون من « الاستاذة » والمدرسين الآخرين ؟ كما ان لكل كلية « عميد » يتتخذه استاذة الكلية انفسهم ويصادق عليه وزير المعارف ، ولكل « قسم » رئيس . وتمنح « لجنة الشهادات العليا لوزارة التعليم العالي » في الاتحاد السوفيتي الدرجات العليا الى اعضاء الهيئة التدريسية عند حدوث شاغر ، وبعد اجتياز امتحان ينظم لهذا الغرض . فلا تمنح لقب « استاذ » او « باحث علمي » الا من كان حائزها على شهادة الدكتوراه في اختصاصه . اما درجة « استاذ مساعد » فتمنح للباحثين الذين نالوا شهادة ماجستير في العلوم او الاداب . ولو زارة المعارف في كل جمهورية وحدتها حق ملء كراسى التدريس الشاغرة . وتتولى النساء مناصب تدريسية مهمة ، ويتلقن ٥٪ من مجموع « الاستاذة » و ٢٠٪ من مجموع الاستاذة المساعدين .

ويمنح مجلس كل جامعة « الدرجات » العلمية الى الطلاب . وتبعد الدرجات العلمية في درجة « الماجستير » للطلبة الذين اتموا اول مرحلة من مراحل دراستهم العالية ، وينالها الطالب بعد دراسة طولها ثلاث سنوات . ويمنح شهادة الدكتوراه ، وهي واحدة في جميع الاتحاد السوفيتي ، لمن

يقدم بحثا علميا اصيلا ، او يقوم باكتشاف علمي مهم . وينحصر حق منح الدرجات العلمية وقبول الاطروحات في عدد قليل جدا من الجامعات .

شروط القبول والتخرج :

لا يقبل في المعاهد العالية والجامعات الا الطلبة الذين قد تخرجوا من مدرسة ثانوية تامة او فنية او مهنية او تربية او طبية ، واجتازوا امتحان دخول في اللغة الروسية وآدابها وفي لغة أجنبية حية (الانكليزية والفرنسية والالمانية) ، ونجحوا في اداء امتحانين يتراوكان مواضيع خاصة . فمثلا اذا اراد احد الطلاب ان يلتحق بكلية الرياضيات والفيزياء التابعة لجامعة من الجامعات او لمعهد فني عال عليه ان يجتاز امتحانا في الرياضيات والفيزياء ، ولا يشترى من « امتحان الدخول » الا الطلبة الذين قد نجحوا بتفوق في مرحلة الدراسة الثانوية ، وحصلوا مداليات ذهبية او فضية .

وتسيطر « وزارة التعليم العالي » على مناهج الدراسة في الكليات المختلفة ، ولا يقرر منهج الایمومايتها . وتتألف مناهج الدراسة على اختلافها من دروس تقييفية سياسية عقائدية تتناول نظريات ماركس وانجلز ولينين وستالين ، ودراسة نظرية علمية ودراسات عملية تتعلق بالمواضيع الاختصاصية . فيقوم طلبة قسم الجغرافية مثلا بتنظيم رحلات جغرافية ، وطلبة التعدين بزيارة المناجم ومراكز التعدين القرية ، وطلبة الكليات الزراعية بزيارة المزارع التعاونية والحقول الحكومية لاجراء تطبيقاتهم التدريسية .

ويتفق الطالب في الدراسة عادة ست ساعات يوميا ، واحيانا سبع ساعات . وتتبع طريقة القاء المحاضرات في تدريس الطلبة ، وخاصة طلبة السنتين الاولى والثانية ؟ ثم تصحبها دروس المناقشة والعمل في المختبرات .

وعلى الطالب ان يعد بحثا في احدى المواضيع التي يعلنها الاستاذ ويصادق عليها القسم . وتبدا السنة الدراسية في اليوم الاول من شهر ايلول ، وتتقسم الى فصلين ؟ وتعقد الامتحانات في نهاية كل « فصل » ، وتستمر

لمدة ثلاثة او اربعة اسابيع ؛ ويؤدى الطالب خلالها ثلاثة « امتحانات » او اربعة ، واربعة « اختبارات » قصيرة او خمسة 。 وتقدر كفاءة الطالب العلمية بعد « الامتحان » بدرجة « ممتاز » او « جيد » او « متوسط » او « رديء »، وبعد النجاح فى « الاختبار » بدرجة « ناجح » ٠

ولا ينتقل الطلبة من صف الى آخر الا اذا نجحوا في « الامتحانات » و « الاختبارات » ٠ اما طلبة الصفوف المنتهية فعليهم ان يجتازوا امتحان « الدولة » بالإضافة الى نجاحهم في الامتحانات والاختبارات المذكورة ؟ وان يقدموا بحثا علميا مقبولا ؟ وعلى طلبة الصفوف المنتهية من المعاهد الفنية العليا ان يقدم كل واحد منهم مشروعا Design الى لجنة امتحان خاصة في وزارة المعارف ٠

وتستوفي المعاهد العالية اجراءا دراسية ، الا ان أكثر الطلاب يحصلون على مساعدات مالية من الحكومة و « التعليم مجاني حتى السنة الثامنة من المدرسة الثانوية غير أن الاجور الدراسية السنوية في السنوات الثلاث الاخيرة من المدرسة الثانوية (٨ - ١٠) تختلف في المدن الكبيرة والارياف . فهي في موسكو ولينينغراد وعواصم الجمهوريات الأخرى ٢٠٠ روبل ، وهي في الاماكن الثانية ١٥٠ روبل . وتستوفي الجامعات والمعاهد الفنية ٤٠٠ روبل في موسكو ولينينغراد ومعاهد الجمهوريات الأخرى و ٣٠٠ روبل في الاماكن الأخرى ٠٠٠ ويسلم جميع الطلبة المتقدمين شهريا مساعدات مالية قدرها ١٨٥ روبل لكل طالب او طالبة ، اذا كانوا في السنة الاولى ، و ٣٠٠ روبل اذا كانوا في السنوات الاخيرة . وتعطى مكافآت أخرى للمتفوقين في دراساتهم وبخونهم . وتقدم كثير من المعاهد العالية منحا مالية تخليدا لاسماء بعض السياسيين والعلماء البارزين ، اشهرها منحة

ستالين . والكتب رخيصة »^(١٢) وتحمل الدولة جميع نفقات الطلبة المتفوقين ، ويزرون الطلاب الغرباء في أقسام داخلية مجانية . أما إذا رسّبوا فيحرمون من هذا الحق .

خاتمة

خلفت روسية القيصرية إلى الاتحاد السوفياتي تركه مثقلة بالفقر والجهل والمرض ، وتركت الحرب العالمية الأولى و « ثورة أكتوبر » كثيراً من الخراب والدمار ، وفتحت المجتمعات والأوبئة والقوى في روسية طوال أربع سنوات فتكاً ذريعاً . ولم تظهر طلائع الاستقرار ، ولم يبدأ البناء إلا في سنة ١٩٢٥ . ولكن ما كاد الاتحاد السوفياتي يقف على هذا الفقر بالسيطرة على وسائل الاتصال والتوزيع وعلى هذا الجهل بالسيطرة على وسائل التعليم ، وعلى هذا المرض بالسيطرة على وسائل الوقاية والعلاج وهو حجم الجنود الالمانية الاتحاد السوفياتي في الحرب العالمية الثانية ، وتراجعت القوات السوفياتية أمام ضربات الجيوش النازية ؛ فدمرت المصانع والجسور والمدارس تدميراً هائلاً ، وذهبت جهود ربع قرن كامل . ولكن « الثورة » حركة وفلسفة وأسلوب في الحياة ، لا تخيفها الدماء ، ولا تعرف الهزيمة ، ولا تقبل المساومة . وهي وإن كانت « هدامه » إلا أنها في الوقت نفسه « بناء » ؟ وهي وإن كانت « ديكاتورية » إلا أنها في الوقت نفسه « ديمقراطية » ! وهي وإن كانت « أممية » إلا أنها في الوقت نفسه « سوفياتية » ! وهي وإن كانت ترمي إلى محو « الطبقات » إلا أنها في الوقت نفسه تؤمن « بطبقة » البروليتاريات من العمال والفلاحين ! مما الذي استطاعت الشيوعية أن تتحققه في حقل التربية والتعليم ،

12-Johnson, Hewett (Dean of Canterbury), Soviet Russia Since The War, P., 96, 1947

وما هي الاخطاء التي وقعت فيها ؟ لقد استطاع الاتحاد السوفياتي ان يشن حملة واسعة ضد الامية ، واستطاع ان يقضي عليها في فترة قصيرة . وبعد ان كانت نسبة المتعلمين في روسية البيضاء حوالي ٤٠٪ وفي اواسط آسية وبين مسلمي روسية ٣٪ بلغت ٨١٪ سنة ١٩٣٩ ؟ وارتفعت الى حوالي ٨٨٪ في الوقت الحاضر . وطبق مشروع التعليم الابتدائي الازماني ، فصار عدد طلبة المدارس الابتدائية اكثر من عشرين مليون ، وعمم التعليم الثانوي حتى بلغ عدد الطلاب والطالبات حوالي عشرة ملايين ؟ وافتتحت ابواب المعاهد العالية الى جميع الطلاب والطالبات ، بلغ عدد هم اليوم اكثر من ٧٠٠٠٠٠ طالب وطالبة . ووجه الاتحاد السوفياتي عناته الى آداب القوميات المختلفة وفنونها ، فبعث تراثها وأحاجي لغاتها القومية ، وصارت لغة التدريس في المدارس والمعاهد العالية . ولو لا ايمان الاتحاد السوفياتي بأهمية التعليم في بناء الكيان الشيوعي الجديد لما استطاع ان يخطو هذه الخطوات الواسعة في مثل هذه الفترة القصيرة .

واذا كان الاتحاد السوفياتي لم يأت بنظريات ومبادئ تربوية جديدة مهمة ، واذا صر ان نظام التعليم في أية دولة من الدول او مجتمع من المجتمعات ينبغي ان تقرره طبيعة تلك الدولة وذلك المجتمع فان التجربة السوفياتية تقدم مثلا رائعا على ربط التعليم بالدولة وفلسفتها ربطا كليا ، وتحدى تلك الانظمة الديمقراطية التي تقدس الفردية ، وتفترض استحالة تحديد الخطوط الاساسية لثقافة من الثقافات .

ولكن التربية ليست انجازا ماديا مجردا ، ولا هي محضولا كينا معينا بعيدا عن طبيعة الفرد وطبيعة الحياة الانسانية العامة . فقد قامت النظريات التربوية الشيوعية على انكار بعض الحقائق الانسانية والتربوية ، فاستخدمت

«التلقين» والداعية في أساليبها التعليمية، وخفت الحرية الفكرية حتى
أيديها، وأولت نيران الحقد والعداء، ومجدت القيادة ورفعتهم إلى مصاف
الآنياء والحكماء، بحيث لم يعد يتصور هؤلاء انهم افراداً اعتياديين،
وأمنت، كما يقول المربي السوفياتي بنكيرتش، ان الدين «افيون
الشعب» فشتت عليه حملة شعواء، واستأصلت جذوره من
قلوب الناس وعقولهم، وانكرت القوى الروحية، ومجدت عادة المادة.

وانكرت الشيوعية بعض الحقائق التربوية ، فتعثرت في سيرها وارتكتبـت بعض الأخطاء ؟ من هذا أنها جعلت العمل أساس عملية التعلم ؟ وشرعت في تطبيق هذا المبدأ في المدارس الابتدائية والثانوية والفنية دون تمييز أو تفريق ؟ فانحط مسوى التعليم كثيرا ، واضطررت على حصر التعليم الفنى والمهنى بمدارس معينة وحررت المدارس الأخرى منه ، وكما تفعل الدول الديمقراتية . وجعلت المدارس الثانوية مختلطة ببعض النظر عن حاجات المراهقين ومشاكلهم ؟ ولكنها عادت والفت أكثر التعليم المختلط ؟ وحلـت الجامعات القديمة في أوائل اوكتوبر باعتبارها مؤسسات بورجوازية نظرية واستبدلتها بمعاهد فنية عليا ، ولكنها أدركت أخطاءها ، فاعادت فتحها سنة ١٩٣٢ ، وأقرت كثيرة من نظمها وتقاليدها الكثيرة . وهكذا تطورت نظرياتها التربوية وصقلت وتحولت بالتجربـتـ لواجهـ اوضاعـ حقيقة .

هذه هي الانجازات التربوية التي قام بها الاتحاد السوفيتي منذ سنة ١٩١٧ . وستبقى ، بالرغم من أخطائها ، أمثلة صادقة على الصبر الذي لا ينفد ، والثورة التي لا تخدم ، والعزيمة التي لا تنتهي .

مراجع البحث الاساسية

1. Hans, N., Comparative Education, 1949.
2. Johnson, Hewett, Soviet Russia Since The War, 1947.
3. Kandel, I. L., Comapartive Education, 1933.
4. Medinsky, Y. N., Public Education in the U.S.S.R., Moscow, 1952.
5. Shore, Maurice, Soviet Education, 1947.

التعليم في المانيا

— O —

التطورات السياسية في المانيا وأثرها في التعليم

يرى بعض الباحثين ان تاريخ المانيا حتى سنة ١٩١٨ كان تحت تأثير نزعتين أساستين هما : النزعة المحلية والاستبدادية . وقد بلغ من تأثيرهما أنهما ضيقا على المواطنين مجال المساهمة في الحياة الاجتماعية مساهمة فعلية واسعة ، وقطعوا عليهم سبل الفعاليات الحرة الطلاقة ؟ فانتقل المثقفون ، تحت ضغط هذين العاملين ، من النواحي العملية الى النواحي الروحية ، واكتسب « البروفسور » الالماني في نهاية القرن الثامن عشر شهرة واسعة ، واصبحت النزعة الروحية احدى خصائص الحياة العقلية في الدوائر العملية الالمانية^(١) .

أثر النزعة المحلية :

وقد استرعت النزعة المحلية أو (الإقليمية) انتباه الرحالة الانكليزي وليم هوويت W. Howitt ودونها في كتابه « تجارب المانيا » ولمسها بصورة خاصة في أوساط الطبقة الوسطى . كما استرعت نظر لدفج فيزه Wiesse أحد كبار موظفي وزارة معارف بروسية سعة نظر مديرى المدارس الانكليزية وذكرها في كتابه « رسائل في التربية الانكليزية » . وقد أراد لدفج فيزه أن يجد تفسيرا لهذا التباين بين العقولة الالمانية الضيقة والعقولة الانكليزية

(1) Samuel, H.R., Thomas, H.R., Education and Society in Modern Germany, P., 1.

الواسعة ، فذهب الى ان طبيعة الحياة القومية هي التي تكون هذه المفارقات ، وهي التي تصوغ عقول الافراد . فان كانت زاخرة بالخبرات المربيبة ، وقادرة على تسهيل تبادل الآراء والافكار في جو طلاق خال من التضييق والسيطرة استطاع الافراد ان يكونوا مبدعين مبتكرین . أما اذا كانت الحياة القومية تتحرك في مجالات ضيقة ، وكان الافراد لا يعرفون من بيئتهم الا البيئة المحلية التي يعيشون فيها فان هذه المجالات الضيقة وهذه البيئات المحدودة لا تكسب الافراد سعة في التفكير ، بل ترکهم تحت ضغطها المباشر .

يضاف الى ذلك ان الوطنية الالمانية كانت تمثل في القرن الثامن عشر في حب الدولة أو (الولاية) التي يعيش فيها المواطن الالماني ؟ فلم تكن المانيا اذ ذاك وحدة سياسية ، ولم تؤلف مثلا روحيا أعلى ، ولم تكن قادرة على أن تخرج الفرد الالماني من دائرة الضيق الى دائرة أوسع بسهولة . ولكن الغزو النابليوني بعث أول شعور قومي مهم في نفوس الالمان ، وحطم حواجزهم المحلية ، وأيقظهم من رقدتهم ، وجعلهم يتطلعون الى بروسية لتصد عنهم هذا الغزو المنظم . وقد ضربت بروسية بعد عام ١٨٠٦ مثلا رائعا في الاصلاح الاجتماعي ، ومشت القومية الفتية في ركب حركة الاحرار ، فكانت قومية حركية خلاقة . وحيث ان « الامراء » كانوا عقبة كاداء في سبيل نهضة قومية ديمقراطية فقد ظهر ان هذه العقبة لا تزول الا بالقضاء على مصالح الاسر الحاكمة ، والا بالسعى الى توحيد المانيا .

ولم تكن القومية الالمانية في نشأتها الاولى عدوانية بل كانت دفاعية تحاول تحطيم التيار الاجنبي وتحرير المانيا من العبوديات الثقافية والاجتماعية ، بل تحرير « الروح » الالمانية من السيطرة الافرنسية . وقد حالت النزعنة المحلية دون وضع سياسة خارجية موحدة ، وعاقت بعد متتصف القرن السابع

عشر حركة تكوين «ثقافة المانية» كما يقول الاستاذان صاموئيل وتوماس ٠

وقد حد فيشته في «خطبه الى الامة المانية» في سنة ١٨٠٨ ، كما نادى غيره من كبار القوميين ، بغرس الروح الوطنية في نفوس الشعب ، وعدها اداة من أدوات التحرير القومي ٠ وكان من نتيجة الضغط الاجنبي والرغبة في تكوين ثقافة موحدة ، والدعوة الى غرس الوطنية ان ظهرت في اوائل القرن التاسع عشر حركة «المدرسة المانية» ٠ اما هيكل فقد ساهم في البعد القومي ، وفي الدعوة الى الدولة القومية ٠ فقد جعل الدولة الذات العليا ، ومجد الملكية ، وحسبها اسمى وسيلة تستطيع أن تعبر الدولة بها عن نفسها ، ونظر الى البيروقراطية نظرة مثالية ، وعدها الاداة المنفذة للارادة الملكية ٠ وقد سيطرت الطبقة البيروقراطية على التعليم حينما تأسست وزارة معارف برؤسية سنة ١٨١٧ ، وصيرتها اداة طبيعية لتحقيق ارادتها ٠ وكانت لهيكل نظرات خاصة ومهمة في التعليم تتصل بنظرية انه الأخرى ٠ وبعد ان أكد على حاجة التعليم الى تدريب لغوی نظري ومران متواصل في اللغتين اليونانية واللاتينية ذهب الى ان عملية التعليم تتحصر في تزويد الطلاب بمعلومات عامة لا في تكوين حكم مستقل في قضية خاصة ٠ وكانت هذه النظرية أساس فكرة «التعليم العام» او الثقافة العامة

Allgemeine Bildung

الطفيان الهيكل :

وقد تأثر التعليم في السنوات التي سبقت عام ١٨٤٨ تأثيراً كبيراً بآراء التشتتين Altenstein يوم كان وزيراً للمعارف برؤسية (١٨٣٨ - ١٨١٧) كما تأثر بآراء يوهانس شولتز Johannes Schultze مدير التعليم الثانوي في الوزارة نفسها ٠ وكان كلاهما من اتباع هيكل ٠ وقد أدى تعاون هذين الرجلين في شؤون التربية والتعليم الى «طغيان هيكل» كما يقول احد

الكتاب ؟ وصارت بروسية ، « الارض الكلاسيكية للمدارس والكتابات » .
وقد لاحظ احد الانكليز الذى زار المانيا سنة ١٨٤٠ ان طلاب المدارس
الثانوية اصبحوا « جديين » فى اعمالهم لدرجة كبيرة بحيث لم
يعد ذلك يتباين واعمارهم ؟ وقال ان هؤلاء الطلاب يعلمون قبل اوانهم ان
ينصاعوا الى سلطة أخرى غير سلطة آبائهم ومدرسيهم ، وان مرح الطفولة
لا أثر له فى وجوههم .

واستمر هذا « الطغيان الهيكلى » حتى بعد ارتقاء فردرىك وليم الرابع
العرش ، ولم يتبدل الوضع كثيرا . وبالرغم من ان الملك ووزير معارفه
أيشهورن Eichhorn (١٨٤٨ - ١٨٤٠) كانوا يعارضان حركة هيكل العقلية
 الا ان السيطرة البروفراطية على التعليم فى بروسية استمرت واصبحت
احدى خصائص التعليم البروسى .

موقف الطبقة الوسطى :

وكانت السنوات التى اسلخت بعد ثورة الاحرار سنة ١٨٤٨ بالنسبة
للطبقة الوسطى سنوات تقدم اقتصادى . الا ان نمو طبقة البروليتاريات نموا
متقطعاً ومتزايداً قد عكر الجو على الطبقة الوسطى ، لا سيما بعد ان
أسس لاسال Lassalle ١٨٦٣ « الجمعية العامة للعمال الالمان » وبعد ان
اندمجت فى المنظمة الماركسية التى أسسها بيل Rebel سنة ١٨٧٥ لتصبح
« الحزب الالمانى الاشتراكى الديمقراطى » . وقد اقامت الطبقة الوسطى
خططاً دفاعية امام الاندفاع البروليتارى المنظم ؛ فخلدت مثلها العليا فى نظم
التعليم ، وقدست الملكية . وتبورت على اثر ذلك فكرة الثقافة والاملاك
"Bildung und Besitz" . وقد وقفت الطبقة الوسطى موقفاً سليماً من
الاشراف . ولكنها بالرغم من ذلك لم تشجب الوضاع القائمة بل اعترفت
بها ، وبالمثل الاعلى الذى كانت تتشدّه ، وهو وجود دولة قوية . وقد اثر

التنافس الاقتصادي والسياسي بين الاستعماريين البريطاني والالماني في موقف الطبقة الوسطى من الوضع القائم ومن الدولة نفسها . فلقد اعترف أبناء الطبقة الوسطى عملياً بالامتيازات الموروثة التي تسمى بها طبقة « اليونكر » Junker ، لتوجيه ماكينة الحكومة ضد طبقة البروليتاريات المنظمة الجديدة ، وضد المنافسة الأجنبية في الميدانين السياسي والاقتصادي . وكانت طبقة « اليونكر » تتمتع بنفوذ عظيم في المجتمع الالماني وخاصة قبل ١٩١٨ . وقد انحصرت فيها جميع مراكز الدولة الرئيسية . فمنها كان سكريترو وزارات الاتحادية ، ووزارات الولايات الالمانية ، وكبار الموظفين الاداريين في بروسية ؟ ومنها كان رجال السلك السياسي وقادة الجيش .

موقف طبقة اليونكر من التعليم :

وقد وقف اليونكر موقفاً خاصاً من التعليم ، وذهبوا ، لا سيما بعد هجرة الفلاحين إلى المدن نتيجة حركة التصنيع وسوء الأوضاع ، إلى أن التعليم وباء ، وأنه « يسم عقل اليافع وجسمه » ؟ وأخذوا يرددون أن التعليم الديني يحطم قدسيّة النظام الاجتماعي . حتى لقد جاء في أحدى مواثيق المحافظين أن الدولة والكنيسة مؤسستان شيدهما الله في أرضه !

وفي نهاية منتصف القرن التاسع عشر ظهرت بوادر تأثير النهضة الصناعية في المانيا التي لم يظهر تأثيرها الكلى إلا في عام ١٨٨٠ . وكان من أثر ذلك أن بدأ رجال الصناعة يتعاونون مع طبقة اليونكر منذ سنة ١٨٧٠ ؟ وأخذوا يطالبون بحماية الصناعة الالمانية بوضع تعريفة جمركية خاصة . وقد وافق بسمارك على وضع تعريفة لحماية الصناعة سنة ١٨٧٩ . وأدت مصالح اليونكر ورجال الصناعة إلى أن يتعاونا الطرفان في ميدان السياسة الخارجية . فجعماً تنازلت المانيا سنة ١٨٩٠ عن جزيرة زنجبار إلى بريطانيا لقاء حصولها على جزائر هيلكوند Helgoland احتج اليونكر ورجال الصناعة على هذا التفريط بحقوق البلاد وأسسوا « جامعة الشعوب

الالمانية » . ومع ان عدد المستسيئن الى هذه « الجامعة » كان صغيرا الا ان نفوذها كان كبيرا . فقد أصبحت ملادعا لمعانصر « القومية » و « الوطنية » المتطرفة . وقد كان تأثير « جامعة الشعوب الالمانية » ومثيلاتها من الجمعيات « كجمعية المستعمرات » و « جمعية الاسطول » و « رابطة الطلبة الالمان » وغيرها التي استمدت عقائدها من تراثiske Treitschke عظيم جدا في الاوساط الحكومية وغير الحكومية ؟ وقد استطاعت هذه الجمعيات أن تصوغ افكارا كثيرة من المربين ، وأن توجههم توجيها قوميا . وكان كثيرا من المدرسين والطلاب اعضاء في جمعيتي « المستعمرات » و « الاسطول » . أما « رابطة الطلبة الالمان » فقد طبعت كثيرا من مديرى المدارس الثانوى بالفكرة القومية واللاسامية ، وطالبت ان تحل جميع مشاكل التعليم وفق مقتضيات الخلق القومى الالمانى Volkstum (*) هذا الخلق الذى لعب دورا عظيما في الفلسفة الاجتماعية والسياسية للقومين الالمان بعد ١٨٧٠ . « وما دام الريف هو المنهل الصافى للخلق القومى والشرط الاساسى لدواجه ، يعكس المدن ذات العادات الجديدة والفعاليات الاشتراكية ، فقد مجد المحافظون أهمية الريف ، واستمر هذا التمجيد حتى فى أيام النازيين ، وصار احدى الشخصيات المميزة لتفكير القومين ، لاسيما فى ميدان التربية والتعليم » (٢) . وقد تميزت هذه السنوات بمحاربة الديمقراطية وال فكرة العالمية ، وتنمية العقائد القومية . ولم يكن سببه الوضع الاقتصادي وحده ، بل طبيعة تكوين المجتمع الالمانى نفسه . « فالعسكرية » فى أيام « القىصر » لم يقصد بها تشكيل جيش جرار ، بل لتكون

(*) ان معنى هذه الكلمة التقريري هو الخلق القومى والثقافى القومية ، وتدل بصورة خاصة على الميزات الرسمية والخصوصيات الموروثة .

(2) Samuel, R.H., Thomas, R. H., Education and Society in Modern Germany, P., 9.

مؤسسة سياسية واجتماعية تمثل فيها « نظرات » الطبقة الحاكمة في المجتمع الألماني . وفي الحقيقة إن الطبقة العسكرية في المانيا كانت تؤلف حكومة داخل حكومة . وقد اكتسبت كيان بروسية الاجتماعي أهمية كبيرة في دستور الرايخ سنة ١٨٧١ الذي سن بعد الحرب الفرنسية الألمانية . فقد أعطى بروسية مركزاً ممتازاً بالنسبة إلى الولايات الألمانية الأخرى ، وأعطتها القيادة والزعامة والسيطرة . وحينما سقطت « الإمبراطورية الألمانية » كان سقوطها يعزى إلى فشل « العسكرية » نفسها . وتتجزء عن الثورة التي اعقبت هذا السقوط تكيف سياسي في المجتمع الألماني ، ولم يحدث تبدل اساسي فيه . وحيث ان هذا التكيف لم يؤد إلى اصلاح حالة الاراضي وتوزيعها على الفلاحين فقد ظلت طبقة اليونكر على ما كانت عليه ، واستعاد الجيش مر كرمه ، واعاد تنظيم صفوفه ، واسترد معنوته ؛ كما ازدادت قوة رجال الصناعة ، وتوسعت مشاريعهم ، ومناطق نفوذهم . وهكذا نجد ان مصادر القوة بعد عام ١٩١٨ لم تبدل ، فقد ظلت كما هي .

وقد توعدت وجهات النظر وتعددت في الاوساط الالمانية أيام الحكم الجمهوري ؟ فمن اعتقاد راسخ بالنظام الديمقراطي إلى ايمان شديد بالقومية وبحركة توحيد المانيا في دولة واحدة قوية . وقد ظهر الاعتقاد الأول مثلاً في المدارس الحديثة التي تأسست في مدينة هامبورغ والتي سميت بالمدارس الاجتماعية ، ومن أشهر هذه المدارس مدرسة ليشتافارك Lichtwark ؟ كما ظهر في الاتجاهات السياسية الديمقراطية التي ساروا عليها كل من ولاية ساكسوني وولاية تورنجيا حينما كانت مقايد الحكم بيد حكومتين يساريتين . وينبغى أن نذكر أيضاً « رابطة مصلحى المدارس الراديكاليين » التي طبقت آرائها ونظرياتها في « مدرسة كارل ماركس » ، والتي كان يديرها فرنس كارسن Fritz Karsen اما الروح القومية والعسكرية فقد كانت ظاهرة في « المدارس البروسية الرسمية الداخلية » .

ونجد بين هذين الاتجاهين المتطرفين : الاتجاه الديمocrاطى الراديكالى والاتجاه القومى العسكرى ، طوائف اخرى من المدرسة القديمة تحاول ان تدخل اصلاحات فى الطرق التربوية الا انها لم تستطع ان تخلى عن قيمها القومية التى سيطرت على المجتمع الذى ترعرعت فيه هذه الطوائف . ومن هؤلاء أوتو بويلتز Otto Boelitz وزير معارف بروسية من ١٩٢١ - ١٩٢٥ . وقد ضمن فلسفته فى كتابه « تجديد نظام التعليم البروسى بعد الانقلاب » المطبوع سنة ١٩٢٥ ، كما شرحها فى النشرة التى سميت بـ « حركات فى الحياة الثقافية الالمانية ووحدة الثقافة الالمانية » المطبوع سنة ١٩٢٦ . وكان يرى ان وظيفة المدرسة تحصر فى المساهمة فى بناء الوحدة الالمانية بناء جديدا ، وفي اعادة قوة المانيا . وقد صار خلفا له الوزير الشهير كارل هاينرش بيكر . وقد كان بيكر من كبار القوميين الالمان الذين نشأوا فى احسان العسكرية الالمانية . وقد ذكر فى كتابه « واجبات الامة السياسية والثقافية » المطبوع سنة ١٩١٩ ان تنظم المانيا وتوطيد مستقبلها هو الهدف الاساسى من نظام التعليم لتصبح امة متقدمة عن غيرها من الامم . وفي السنة التى خلف بها بيكر زميله بويلتز (١٩٢٥) ظهرت مناهج دراسية للمدارس البروسية مشفوعة بتعليمات وتوجيهات لم تختلف عن تلك المناهج الدراسية القومية التى سبقت سنة ١٩١٨ . وكانت الكتب المدرسية المقررة تعنج بكلمة « الدليل الهدى » Leitmotiv المعروفة لدى الاوساط القومية ؟ كما كانت كتب التاريخ تردد بعض التعبير مثل « الرس السائد » ، وتطويق المانيا من دول اوربية معادية ، و « طعن من خلف » ، وغيرها .

فون بادن :

والخلاصة ، لقد عكس نظام التعليم فى المانيا بعد سنة ١٩١٨ العائد

القومية ومكافحة الافكار الثورية . وكان الامير ماكس فون بادن Max Von Baden احدى الشخصيات التي حاولت ان تدعو الى الاخذ بفلسفه محافظة اثناء الحكم الجمهوري . ولقد لعب الامير بعد نهاية الحرب العالمية الاولى دورا مهما في عقد معاهدة صلح مع الحلفاء تقوم على « نقاط ولين الاربعة عشرة » . وكان في ذلك الوقت رئيسا للحكومة البرلمانية . وقد اسس ماكس فون بادن في مدينة سالم الواقعه شمال بحيرة كونستانس مدرسة لتربيه اولاده وأخضعها لتفكيره السياسي والاجتماعي خصوصا كلبا . وفي حفلة الافتتاح ألقى الامير خطبة اوضح فيها اهداف المدرسة ، وقال ان هذه الاهداف تقررها الوضاع الحاضرة ، وأن المانيا تشن اليوم من كابوس الفاتحين الذين سرقوا ممتلكاتها ، والذين حاولوا بالحصار انحرافى ان يميتوا اطفالها جوعا . وقال ان المصيبة والهزيمة لم تجمع صفوف الالمان ؟ وإنما صيرتهم متباعدةين تقاسمهم الاختلافات الداخلية . واستطرد قائلا : تحتاج الامة الى بعث روحي جديد . غير ان هذا البعض « لا ينتقى من المدن ، بل من الارياف » . فحياتنا القومية في المدن هزيلة مريضة ، تسمم المراهقين .

وكانت فلسفة الامير تستهدف بعثا قوميا تترعنه الطبقة العسكريه ، وكان يؤكد على الفكرة القومية الانقلابية ، ويريدتها ان تبقى حية في النفوس ، وعلى حاجة المانيا الى زعيم « تتجسم في شخصيته فكرة التمرد » ؟ وكان يرى ان الزعيم الذي خبر المعارك هو احسن زعيم يطمئن حاجات الناس . هذه بعض نواحي فلسفته السياسية ؟ اما فلسفته الاجتماعية فقد كانت تصطحب بنزعه روحية دينية . وقد انتقلت آراءه الفلسفية الى مدرسة « سالم » .

ظهور النازية :

وكانت العناصر التي تحارب الديموقراطية ما زالت قوية ، وظلت تعمل

انهاء الحكم الجمهوري باتظام ◦ فلما ظهرت الحركة النازية انخرطت فيها جميع العناصر القومية والعسكرية المحافظة بغية تحطيم الجمهورية وتأسيس دولة المانيا الجديدة ◦ وقد اكتسبت النازية انصاراً كثيرين نظراً لتدورها الحالة الاقتصادية ، واضطراب الحكم الجمهوري ، وبقاء الروح القومية قوية في نفوس كثير من الالمان ◦ وقد تركت هذه الظاهرات كلها آثاراً في التربية والتعليم ◦

ومع ان العناصر المحافظة هي التي ساعدت الحركة النازية على تقدمها ونموها ، ومع ان انتصار هتلر لم يأت الا بمعونة اليونكر ورجال الصناعة والجيش الا ان قادة الحركة النازية عزموا على ان يكون «الحزب النازي» وحده الطبقة الحاكمة في المانيا ◦ وهذا هو الذي يفسر لنا التوتر الذي حصل بين «الحزب» من جهة والسلطات الحكومية الاخرى من جهة ثانية ◦ وقد توغل نفوذ «الحزب» في نظام التعليم ، وأصبح أحدى خصائص التربية النازية ، وظهر ذلك ظهوراً بينما حاول «الحزب» تأسيس جامعة تكون تحت ادارته وادراجه ، وفي تأسيس المدارس الخاصة به لتحقيق فكرة «المدرسة الالمانية» التي دعا اليها انصار الوحدة الالمانية سنة ١٨٤٨ ◦ «و اذا نظرنا الى نشأة التعليم في المانيا نجد ان ناحية واحدة مهمة تستدعي انتباها ◦ فقد يبدو لاول وهلة ان الامبراطورية والجمهورية والنازية عهوداً مستقلة لا تتصل بعضها مع بعض ، الا ان هذه النظرة السلطانية تتطوى على خطأ كبير جداً ◦ فالتربيـة تعبـر في جـمـيع الـامـكـنـة والـازـمـة عنـ الـمـجـتمـعـ نـفـسـهـ ، وتصـبـهـ فيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ بالـشـكـلـ الذـىـ تـرـيـدـهـ ◦ ولا يمكن ان تبدل اتجاهات التعليم تبديلاً جوهرياً واساسياً الا اذا تبدلت الاسس الاجتماعية »^(٣) ◦

• (٣) المصدر السابق نفسه صفحة ١٦٠

أنواع المدارس

١ - المدارس الابتدائية :

سميت « المدارس الابتدائية » بعد اندحار بروسية سنة ١٩٠٦ « بمدارس الشعب » Volksschulen ، وظلت محفوظة بهذا الاسم . ان التسمية الجديدة لم تظهر الا حينما تضافرت جهود الالمان على بعث ألمانية وتجحير امكانياتها العظيمة ، وتطبيق آراء حررة نيرة في ميادين السياسة والثقافة والاقتصاد . وقد تأثرت المدارس الابتدائية بنظرية بستالوتزى المربي الشهير ، وعند قصته « لينهارد وغير ترود » من أروع القصص الشعبية التربوية . واخذ التعليم الابتدائي يخطو خطوات واسعة لاسيمها في بروسية . ففي الفترة التي تدهورت فيها العسكرية شاهدت بروسية عناية عظيمة في شؤون التربية والتعليم . وقد أشار إلى ذلك فردرريك وليم الثالث حينما قال : « أجل ، لقد فقدنا بلادنا ، وتدهورت قوة الدولة وسلطتها الخارجية . فينبعى ، وهي رغبتي الملحقة ، ان نوجه اعظم عنائنا الى تعليم الشعب » .

ولكن الاحداث التي اعقبت عام ١٨١٥ تركت في التعليم الابتدائي آثارا عظيمة ؟ فانطمست خصائص الحركة في وزارة التشتاتين ، وخضع لإدارة مرکزية شديدة ، تجت عنها كفاءة ميكانيكية ادارية وثقافية واضحة ، وأصبح بعد ثورة سنة ١٨٤٨ وفي ايام وزارة كارل أوتو فون راومر بير وقراطيا في ادارته . وظهرت هذه الاتجاهات في تعليمات وزارة المعارف التي حملت طابع تلك الفترة وهو : تضيق في حرية التعليم وزيادة في السيطرة المركزية . وسعى خلفه أود البيرت فالك Falk إلى تعين وظائف المدارس الابتدائية البروسية واهدافها ، وحررها من القيود الكثيرة . ثم أخذ التعليم الابتدائي يتقدم بخطوات واسعة مما استرعى انتباه طبقة اليونكر التي ذهبت إلى انه

يستهوي الفلاحين ، ويحبب اليهم حياة المدن ، ويطمس خصائصهم الريفية الاصلية . كما استرعى انتباه رجال الصناعة الذين كانوا يخشون القوانين الموضعية لحماية العمال . ولم تساعد على نشر التعليم الابتدائي ، ولم تقاوم هذه الافكار الرجعية الا الطبقة الوسطى التي كانت تحسب نشر التعليم ضرورة من ضرورات التكوين القومي لlama الالمانية . ويمثل هذه الطبقة الاستاذ باولسن (Paulsen ١٩٠٦) احد استاذة جامعة برلين ، فقد كان يعتقد ان المانيا ينبغي ان تنسى قواها القومية الى اقصى ما تستطيع تحيتها ، وان تحقق اهدافها القومية وتدرك ذاتها في نضالها العظيم من اجل الكراامة والعزة القومية .

وأصبح التعليم الابتدائي للاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين السابعة والرابعة عشرة من العمر الزاميا ، وشاهد اصلاحات كثيرة تصل بالمناهج وطرق التدريس ؟ وباندحار المائة القيسارية في الحرب العالمية الاولى تداعى نظامها التعليمي القائم على تمجيد القومية المتطرفة والروح العسكرية ، وحل محله نظام جديد في فترة جمهورية فايمير . ومع ان « الجمهورية » لم تزد في سن التعليم الازامي بل اتبعت النظام القديم الذي كان يتطلب من التلميذ الذي أتم مرحلة الدراسة الابتدائية الازامية ان يواصل تعليمه في « مدرسة تكميلية » مهنية Berufsschulen الا ان « دستور » الجمهورية قد أدخل بعض الاصلاحات في نظام التعليم أهمها :-

١ - الغي المدارس التحضيرية Vorschulen المتصلة بالمدارس الثانوية او المنفصلة عنها (مادة ١٤٧) التي يلتتحق بها الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين السادسة والتاسعة من العمر ، وحسبيها مدارس طبقية خاصة تهدد النظام القومي والاجتماعي ، واسس مدرسة ابتدائية مجانية واحدة لجميع الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين السادسة والعشرة من العمر اطلق عليها اسم المدرسة الاساسية Grundschule

٢ - وحد نظام اعداد المعلمين ؟ فصار اعداد مدرسي المدارس الابتدائية والثانوية يجري وفق اسس واحدة ، وقضى على التمايز المهني الذي يخلق شعورا اجتماعيا مختلفا بين المعلمين ٠

٣ - حدد علاقة الدولة بتدريس الدين ووضعها على اسس وطيدة بموجب المادتين ١٤٦ ، ١٤٩ ٠

وقد شاهدت هذه الفترة تأسيس مدارس فريدة تستند الى آراء تربوية متطرفة ٠ من ذلك « مدرسة المجتمع » Gemeinschaftschule افتتحت في مدينة هامبورغ سنة ١٩١٩ ، والتي ثارت على الاساليب التربوية القديمة ، وجعلت المكتبات والقاعات والمعامل وغرف الموسيقى والمسرح وغيرها مراكز تربوية ، و « الطفل » نقطة ارتكازها لا المنهج ولا المدرس ٠ ومنها « مدرسة العمل Arbeitschule التي افتتحت في مدينة ميونيخ ، وتأثرت بآراء المربى الالماني الشهير كرشنستاينر والمربي الامريكي جون ديوى ٠ وقد ذهب الاول الى ان واجب المدرسة الابتدائية الاول تعليم حرف من الحرف ، وان اتقان القليل من المعلومات أحسن من تزويد الناس بكثيرها ، وان الكثرة البالغة لا تستطيع ادراك العلوم النظرية العقلية ، وان العمل اليدوى اساس كل عمل، متقن سليم ، وان يربى الطفل بالإضافة الى هذا تربية تقوده الى التشبع بروح خدمة المجتمع ، وان يعهد ليساهم في بناء مجتمع افضل ، وان أول مستلزمات المهنة تدريب الاعضاء الفعالة ، وان من خصائص الصناع قوة في الارادة ، وصفاء في الحكم ، ورقه في الشعور ٠ الى ان قال : فتحن تستهدف تحقيق القدرة على العمل لا الحصول على المعلومات ، وعلينا أن نبدأ بادنى حد من المعلومات لنتج أعلى حد من القدرة ٠

ولكن جمهورية فايمر التي قامت بعد الحرب العالمية الاولى لم تحور كثيرا في كيان التعليم العام ، وظلت المدارس الآتية هي السائدة :-

١ - مدارس الجمنازيوم الثانوية : ويجري فيها التعليم الثانوي الخاص
ببناء الطبقية الموسرة *

٢ - ومدارس الاوبيريال والريال شوله الثانوية والريال جمنازيوم :
ويجري فيها التعليم الثانوي الحديث . فتعنى الاولى بتدريس اللغات
الحديثة والعلوم الرياضية عناية كبيرة ، وتعنى الثانية باللغات الحية
والعلوم الرياضية والعلوم الطبيعية عناية متوجهة ؟ وتعنى الثالثة
بالعلوم واللغات الحديثة ، ولا تقوم بتدريس اللغة اليونانية . وتوجد
بالاضافة الى هذه المدارس المتوسطة أو شبه الثانوية او الابتدائية العالية
أنواع اخرى من المدارس *

٣ - مدارس الشعب : وقد سبق أن اشرنا اليها . وهي مدارس ابتدائية
مجانية « وظيفتها تزويد التلاميذ بأسس الثقافة الأخلاقية والدينية
و بالمعلومات الضرورية للحياة الاجتماعية » (٤) *

في الحكم النازي :

وقد احتضن النازيون فكرة « المدرسة الاساسية » التي انتشرت أيام
جمهوريه فايمير وأيدوها كل التأييد ؛ لأنها كانت تتفق ونظرياتهم التربوية
في تحقيق التضامن والانسجام الاجتماعي بين مختلف طبقات الامة
الالمانية . وفي سنة ١٩٣٦ الغى النازيون ما تبقى من المدارس التحضيرية
الملحقة بالمدارس الثانوية الخاصة او المستقلة عنها ، ووجهوا عنايتهم الى
المدارس الابتدائية التي كانت ترخر بالاطفال الذين تستطيع النازية ان
تلقنهم مبادئها ، وتصبهم في قوالبها السياسية والثقافية ؟ لاسيما وان النظريات
التربوية النازية كانت تعاف الدراسات الثانوية النظرية ، وكانت يعتقدون

4.— Fletcher, A. W., Education in Germany, P., 2,
Cambridge, 1934.

(*) Burschenschaften.

« (**) يَسِّرْنَا إِذْنَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَىٰ مَالٍ حَسِيبٍ وَمَالٍ حَسِيبٍ
أَنْ يَرْجِعُوا إِلَىٰ مَالٍ حَسِيبٍ وَمَالٍ حَسِيبٍ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ أَهْلِ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا
يَرْجِعُ مَالٍ حَسِيبٍ إِلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ أَهْلِ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا يَرْجِعُ
مَالٍ حَسِيبٍ إِلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ أَهْلِ الْمُؤْمِنِينَ كُلُّ مُحْسِنٍ يَرَهُ
أَنْ يَجِدَ أَنَّهُ أَنْوَعُ مِنْ مَالٍ حَسِيبٍ وَمَالٍ حَسِيبٍ أَنْ يَجِدَ
أَنَّهُ أَنْوَعُ مِنْ مَالٍ حَسِيبٍ وَمَالٍ حَسِيبٍ مَنْ يَعْمَلُ مُحْسِناتٍ
لَا يُؤْتَهُ إِلَيْهِ مِنْهُنَّ شَيْئاً وَمَنْ يَعْمَلُ مُنْكَرًا فَلَا يُؤْتَهُ
إِلَيْهِ مِنْهُنَّ شَيْئاً وَمَنْ يَعْمَلُ مُحْسِناتٍ فَلَا يُؤْتَهُ إِلَيْهِ مِنْهُنَّ
شَيْئاً وَمَنْ يَعْمَلُ مُنْكَرًا فَلَا يُؤْتَهُ إِلَيْهِ مِنْهُنَّ شَيْئاً

Society in Modern Germany, P., 58.

⁶—. Samuel, R. H., Thomas, R. H., Education and

(**) Lehrerbildungsanstalt.

(*) Hochschulen für Lehrerbildung

۱۳۶۶ء میں ایک بڑی تحریریں کیے گئے۔

(*) Hochschulen für Lehrerbildung.

፳፻፲፭ ዓ.ም. ቀን ከፃ፻፲፭ ዓ.ም. ቀን ስ፻፲፭ ዓ.ም. ቀን ስ፻፲፭ ዓ.ም. ቀን
፳፻፲፭ ዓ.ም. ቀን ስ፻፲፭ ዓ.ም. ቀን ስ፻፲፭ ዓ.ም. ቀን ስ፻፲፭ ዓ.ም. ቀን
፳፻፲፭ ዓ.ም. ቀን ስ፻፲፭ ዓ.ም. ቀን ስ፻፲፭ ዓ.ም. ቀን ስ፻፲፭ ዓ.ም. ቀን
፳፻፲፭ ዓ.ም. ቀን ስ፻፲፭ ዓ.ም. ቀን ስ፻፲፭ ዓ.ም. ቀን ስ፻፲፭ ዓ.ም. ቀን

Digitized by Google

۱۸۷۰ میں پاکستان کے ایک بڑے اسلامی ملکیتی تحریک کا شروع ہوا۔ اس کا ایجاد کرنے والے ایک اسلامی تحریک کا شروع ہوا۔ اس کا ایجاد کرنے والے ایک اسلامی تحریک کا شروع ہوا۔

Deutsche Hermschuhlen

፳ - የሚመለከት በኩል ንግድ ስምምነት :

• የዚህን በትክክል እንደሚከተሉ ይመሱ ይችላል

• ፭፻፲፻ የ፪ሺ ተስፋና አንቀጽ ስፋት ይታ እና ማጠቃለ ነው እና ጥሩ የ፪ሺ ተስፋና

« תְּבִשָּׁה וְתַּבְשֵׁר » (קְנֻעִים, ۶) בְּמִזְרָחָה כְּלֹבֶד אֲשֶׁר

‘**କାନ୍ତିର ପାଦମଣି**’ ଏହାର ଅଧିକାରୀ ହେଉଥିଲା ।

କାହାର ପାଇଁ କାହାର ପାଇଁ କାହାର ପାଇଁ କାହାର ପାଇଁ

၁၃၂၁၊ ၁၃၂၂၊ ၁၃၂၃၊ ၁၃၂၄၊ ၁၃၂၅၊ ၁၃၂၆၊ ၁၃၂၇၊ ၁၃၂၈၊ ၁၃၂၉၊ ၁၃၂၁၀

18. 10. 2001. 12:00:00 AM - 12:00:00 PM

Die Schule der Partei („die Linke“) ist jedoch inzwischen überwältigt.

Ordensburgene 1839-1840

፩፻፲፭ ዓ.ም. በ፩፻፲፭ ዓ.ም. ማስታወሻ እንደሆነ የሚከተሉት ሰነድ ለማቅረብ ያለበት

وَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا قُرِئُوا إِذَا قُرِئُوا قَالُوا هُنَّا مُؤْمِنُونَ

፳ - የሚመለከት ንግድ መሸመድ :

• ፳፻፲፭ ዓ.ም. ቀን ፩፯፻፭ አዲስ አበባ

(**) Nationalpolitische Erziehungsanstalten.

«**፳፻፲፭** ዓ.ም. ከፃ፻፲፭ ዓ.ም. በፌዴራል ስጋፍ ተመርሱ ይችላል» (*)

—

କିମ୍ବା କିମ୍ବା

፳፻፲፭ የሚከተሉ ትንተና

(*) Deutsche Oberschule, Aufbauschule.

ଶ୍ରୀ କୃତ୍ତବ୍ୟାମିନ୍ଦ୍ରାଜାନ୍ତିରେ ପରିବର୍ତ୍ତନ ହେଲା ଏହାର ପରିବର୍ତ୍ତନ ହେଲା ଏହାର
ପରିବର୍ତ୍ତନ ହେଲା ଏହାର ପରିବର୍ତ୍ତନ ହେଲା ଏହାର ପରିବର୍ତ୍ତନ ହେଲା

۵.— Samuel, B. H., Thomas, R. H., Education and Society in Modern Germany, P., 45-46.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِنَّمَا الْكِتَابُ لِلّٰهِ الْعَزِيزِ
 وَالرَّحِيمِ لِمَنْ يَرِدُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ
 فَلَا يَنْهَا عَنِ الْمُحَاجَةِ
 إِنَّمَا يُنْهَا عَنِ الْمُحَاجَةِ
 الَّذِينَ لَا يُفْلِتُونَ
 إِنَّمَا يُنْهَا عَنِ الْمُحَاجَةِ
 الَّذِينَ لَا يُفْلِتُونَ

۱۰۶۱	۱۰۶۱	۰۰۱۵۷۶	۸۷	۸۶۱۳۲	۵۳	۷۴۳۸۱
۰۰۶۱	۰۰۶۱	۷۷۱۵۷۷	۷۸	۷۰۱۵۱۱	۸۸	۸۱۶۳۱
۰۶۷۱	۰۶۷۱	۰۵۶۳۷۸	۷۷	۱۳۷۳۱	۳۱	۰۴۳۰۱
۰۶۷۱	۰۶۷۱	۰۰۸۳۷۸	۸۷	۶۱۸۳۰۱	۶	۶۱۱۳
۰۷۷۱	۰۷۷۱	۶۰۱	۶۷	۱۶۴۳۱	۳۱	۶۸۱۳
۰۷۷۱	۰۷۷۱	۷۰۰۵۳۸	۰۷	۳۷۶۳۱	—	—
۰۸۷۱	۰۸۷۱	۱۰۶۳۰۱	۰۷	۱۸۸۳۱	—	—
۰۸۷۱	۰۸۷۱	۸۰۳۶۰	۷۸	۳۷۶۳۱	—	—
۰۹۷۱	۰۹۷۱	۰۱۷۰۰۳	۸۰	۱۶۸۳۸۱	—	—
۱۰۷۱	۱۰۷۱	۷۰۶۷۷۸	۷۷	۷۱۳۱۱	—	—

۱۶۰	۱۶۱	۱۶۲	۱۶۳
۱۰۷۱	۰۹۷۱	۰۸۷۱	۰۷۷۱
۰۹۷۱	۰۸۷۱	۰۷۷۱	۰۶۷۱

۱۰۶ - ۱۰۷۱ - ۰۸۷۱ - ۰۷۷۱

۰۹۷۱ - ۰۸۷۱ - ۰۷۷۱

دَرْبِيْنَى مُهَاجِرَةً إِلَيْنَا وَمُهَاجِرَةً إِلَيْهِمْ مُهَاجِرَةً

କାହାର କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା

مسند بیوکشی کار و نهاد اینجا هم را می‌خواهیم در
 آنها و بگذرانند. «اینچنانکه باید بگوییم که چنانچه
 آنها می‌باشد که همان کار که آنها می‌خواهند
 اینها می‌باشند. اینها می‌خواهند که با اینکه آنها
 شرکت نداشته باشند و اینها می‌خواهند که
 اینها بتوانند این کار را انجام داده باشند.
 اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را ندانند
 و اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را ندانند
 اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را ندانند
 اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را ندانند
 اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را ندانند
 اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را ندانند
 اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را ندانند
 اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را ندانند
 اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را ندانند
 اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را ندانند
 اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را ندانند
 اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را ندانند
 اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را ندانند
 اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را ندانند
 اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را ندانند
 اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را ندانند

همچنانکه اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را
 ندانند اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را
 ندانند اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را
 ندانند اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را
 ندانند اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را
 ندانند اینها می‌خواهند که با اینکه همان کار را

କାହାର ପାଇଁ କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା ?

ԵՐԵՎԱՆ	1115-61	ԱՃԵՑՎԻ	• ՅԵՎԱՆ
ԵՐԵՎԱՆ	6315V3	ԱՃԵՎՅ	Յ. ՕԵՎՅ
ԵՐԵՎԱՆ	1115131	• ԵՃԵԼՎ	ԱՅՎՀԱՎ
ԵՐԵՎԱՆ	1135-6058	ՅՎԵԿԵՎՐ	ԼՈՒՋԱՎԱՐ
ԵՐԵՎԱՆ	ԱԱԼԵՅՅԱՐ	ԱԼԵՎ-ԵՐ	ԼԱԼԵՅՅԱՐ
ԵՐԵՎԱՆ	6715-6375	ԱՅԵՎ-ԵԵՐ	• ԱԱՐՈՎԼՐ
ԵՐԵՎԱՆ	60650	• ԱԵՐՅ	• ԱԵՐԵՅ
ԵՐԵՎԱՆ	1161	ԼՃԵՎ	• ՅԵՎ

جیساں گھر میں

افكار الطلاب ، وهىمنت على روابطهم الاجتماعية ، وبشرت فى نهاية القرن التاسع عشر وبالاتفاق والتعاون مع منظمة « الكتائب » بالافكار القومية والروح العسكرية وبالاراء التسلطية .

وفي سنة ١٨٦٠ اخذ اكثراً استاذة الجامعات يدعون الى الفكرة القومية ويتجاهلون التيارات الديمقراتية ، ومشت دعوتهم منذ سنة ١٨٩٠ يداً بيد مع دعوة « رابطة الوحدة الالمانية » اللى اسسها الفيلسوف والمورخ الالمانى ترايتشكه وأدولف ستويكر Stoecker . وقد ساعدت هذه الرابطة على نشر الافكار الاسلامية ، وهاجمت النظم الديمقراتية بين منتقى الطبقة الوسطى ، وبشرت بالعقائد الالمانية القائمة على الخلق القومى ، ودعت الى مذهب المحافظين .

ومن المنظمات الأخرى التى أثرت فى توجيه الطلاب الجامعيين الذين كانوا يعدون انفسهم لهنة التعليم « دورات ضباط الاحتياط » . فقد استطاعت هذه الدورات ان تنشر الروح العسكرية وفلسفتها بين الطلاب .

جمعيات المعلمين :

تأسست فى المانيا جمعيات معلمي المدارس الابتدائية مستقلة عن جمعيات معلمي المدارس الثانوية غايتها رعاية مصالح المعلمين وتحسين احوالهم ؛ وكانت تمثل طوائف ومصالح متباعدة ، وتعكس الانقسام الاجتماعى بين معلمي المدارس الثانوية الذين اعدوا فى الجامعات الالمانية ومعلمي المدارس الابتدائية الذين لم يحصلوا على تعليم جامعى . وحيث ان الانقسام الاجتماعى وتباين عدد الجمعيات يتناهى وفلسفة الحركة النازية الكلية ورغبتها فى القضاء على أوجه التباين فى الافكار والعقائد وتوطيد دعائم التجانس الاجتماعى فقد تأسست فى سنة ١٩٢٩ « رابطة المعلمين الاشتراكين الوطنيين » . وحينما انتقلت السلطة الى الحزب النازى احتلت هذه « الرابطة » مكانة كبيرة ، وانهيت جمعيات المعلمين قاطبة ، واتسمى اليها حسب احصاء سنة

١٩٣٦ زهاء /٠٩٧ من المعلمين • ولم تكن هذه الرابطة مؤسسة مهنية حسب ، بل كانت بأسامها الاربعة وبفروعها الاختصاصية السبعة مؤسسة تربوية عظيمة • وقد لعبت دوراً كبيراً في ادارة التعليم ، وتعيين المعلمين ، وتقديرهم ثقافة سياسية ، وفتح دورات تربوية في مقرها الدائم • وكانت تتصل بالحزب النازى اتصالاً وثيقاً ، وتسيطر عليها « الدائرة الرئيسية للمعلمين » الكائنة في مقر الحزب نفسه •

ادارة التعليم

اذا اردنا ان نفهم الطريقة التي يدار بها نظام التعليم في المانيا فينبغي ان نحدد العلاقة القائمة بين الحكومة المركزية من جهة والولايات الالمانية الاخرى من جهة ثانية • وقد تبدل هذه العلاقة منذ سنة ١٩١٨ تبدلاً كلياً • فقد كانت الولايات الالمانية قبل هذا التاريخ خاضعة لحكم الامراء الذين كانوا قبل سنة ١٨٧١ احراراً في تدوير شؤونهم ، والذين لم تتحقق الوحدة الكبرى من استقلالهم • فمن هذا انهم جعلوا ادارة التعليم شيئاً من شؤون الولاية ؟ وجعلوا الجيش والسياسة الخارجية شيئاً من شؤون الحكومة المركزية • ولكن سلطات الولايات الالمانية قد ضعفت بعد سنة ١٩١٨ واشتد نفوذ السلطة المركزية • وتبدو هذه التطورات في التأثير العظيم الذي تركه « الرايخشتاغ » ، وفي التغير الذي طرأ على اسماء الولايات • فبعد ان كانت تسمى « دواليات Staaten » و قد تجت هذه السلطة المركزية عن انتقال سلطات الولايات الكثيرة الى المركز الجديد وهو الرايخشتاغ • حتى ان دستور فايمر قد نص على « ان قانون الرايخ ينقض قانون الولاية » •

ومع حدوث هذا الانتقال في السلطات من الولايات الى الحكومة المركزية فإن سلطة التعليم ظلت كما هي بالرغم من التوصيات والتعليمات

التي كانت ترسلها الحكومة المركزية الى الولايات . وقد ضاعف النازيون سلطة الدولة المركزية ، فاغتست ببرلمانات الولايات المختلفة في سنة ١٩٣٤ ، واستمر وزراء المعارف على عملهم في الولايات ، ممثلين للحكومة المركزية في برلين ، ولم يعد الموظفون في كل ولاية « موظفى ولاية » كما كانوا سابقا بل أصبحوا من « موظفى الرايخ الالمانى » . وقد انز هذا التبدل الاخير في مركز جميع المعلمين ورجال ادارة التعليم ، وازداد عدد وزراء الرايخ بالإضافة « وزير معارف الرايخ » .

وتحتفل بروسية كل الاختلاف عن الولايات الالمانية الاخرى . فقد كانت منذ سنة ١٨٢٥ مقسمة الى مقاطعات ، وكل مقاطعة يديرها عامل او محافظ(*) وكانت هذه المقاطعات تقسم ايضا الى مناطق اصغر سميت باللوية(**) يديرها متصرف(***) . وقد كانت المقاطعات والمناطق ، بالرغم من تفاوت سعتها تتمتع بحقوق متساوية ، وكانت كل واحدة منها تعنى بناحية معينة من نواحي التعليم .

ولقد قسمت كل منطقة الى وحدات ادارية اصغر تقارب وحدة القضاء عندنا Kreise ؟ كما قسمت جميع الولايات الى وحدات ادارية مماثلة . وتعتبر وحدة القضاء اول وحدة ادارية تتفرغ من ادارة الولاية المركزية نفسها الا في بروسية وبافاريا وساكسونى . وكانت اللوحة على نوعين : ريفية Landkreis ومدنية Stadtkreis ويدير النوع الاول المتصرف Landrat الذي يتصل اداريا بالمحافظ ، ويدير النوع الثاني موظف بلدي هو Oberbürgermeister وكان موظفا بلديا يتمتع بعض السلطات منها سلطة الشرطة . واخيرا يقسم كل لواء مدنى الى اقسام اخرى وهى :

(*) Oberpräsident.

(**) Regierungsbezirke.

(***) Regierungspräsident.

Bürgermeister Gemeinden ، ويرأس كل قسم موظف يدعى **و قبل ان ندرس مدى تأثير هذا النظام الادارى في نظام التعليم وادارته ينبغي ان نميز بين « التفتيش » و « الادارة » تميزا تربويا . فالتفتيش يتعلق بطرائق التدريس وهو امر داخلى ، اما الادارة فتساول الاشراف والانفاق على شئون التعليم وعلى غيره وهو امر خارجي . ولتوسيع ذلك نقول تقع مسؤولية التفتيش على الدولة (على كل ولاية قبل سنة ١٩٣٤ وعلى تاريخ بعد هذا التاريخ) ؟ اما الادارة فتقع مسؤوليتها على اللواء .**

وحيث ان التنظيم الادارى في بروسيا (*) كان يختلف عن التنظيم في الولايات الالمانية الاخرى فانا ندرج صورة لتنظيم التعليم فيها :

لقد كانت دائرة « المحافظ » تحتوى على قسم يسمى « مديرية المدارس الثانوية » ، ويرأس هذا القسم موظف ، يساعدته في عمله ١٢ مفتشا . وتحصر وظيفتهم في تفتيش المدارس الثانوية ، بما في ذلك الاشراف على الامتحانات وعلى ملائكة المعلمين .

اما التعليم الابتدائي والمتوسط والمهنى فقد كان يشرف عليه « المتصرف » ؟ وكانت في كل منطقة من المناطق « مديرية للكتائس والمدارس » يرأسها مدير يساعدته عدد من الموظفين المختصين بشئون التعليم .

وقد حذت جميع الولايات الالمانية منذ سنة ١٩٠٦ حذو بروسيا في ادارة التعليم ؟ وهي انه ينبغي على جميع الالوية المدنية والريفية واقسامها الادارية ان تؤسس المدرسة الابتدائية وان تنفق عليها وان تقدم كل ولاية مساعدات مالية الى الالوية اذا تعذر عليها سد نفقات التعليم الابتدائي . وتحتفظ المدارس المتوسطة في هذا الصدد عن المدارس الابتدائية . فليست

(*) كانت بروسيا اول ولاية المانية استعانت فيها وزارة المعارف سنة ١٨١٧ ، وظلت هذه الوزارة قائمة الى ايام الحكم الجمهوري حينما غير اسمها وصار « وزارة العلوم والفنون والتعليم » .

الولايات ملزمة بتأسيسها والإنفاق عليها ؟ ولا تسمح بتأسيسها إلا إذا استطاعت أن تسد نفقاتها . وكانت أكثر المدارس الثانوية ، باستثناء عدد قليل من المدارس الخصوصية التي الغاها النازيون ، مدارس خاصة بالبلديات .

المناهج والكتب المدرسية

أشرفت الولايات الالمانية طوال القرن التاسع عشر على طبع الكتب المدرسية ، وخصص المؤلفون إلى ارشادات الحكومات وتعليماتها . ووجه الامبراطور في سنة ١٨٨٩ عنايته إلى تدريس التاريخ ، وطلب من المدرسين والمؤلفين أن يؤكدوا على « ان قوة الدولة وحدتها تستطيع أن تصنون الفرد وأسرته وحرريته وحقوقه » ، وأن ملوك بروسيا « جاهدوا بأنفسهم في سبيل رفع مستوى العمال » ، و « ان أجور الطبقة العاملة واحوالها المعيشية قد تحسنست في ظل الرعاية الملكية تحسناً عظيماً ومتواصلاً » . وقد اشارت تعليمات السلطات الحكومية عقب سنة ١٨٨٩ إلى الأغراض نفسها ، وطالبت ان تثير اللغة الالمانية في نفوس الشباب « الحماسة الوطنية » ، وأن تمتلاً قلوبهم بعزم العقل الالماني ، وأن تبعث « الخلق القومي » في نفوسهم .

وكان كتاب التاريخ الذي وضعه هاينز Heinze ندور المعلمين سنة ١٨٩٨ مثلاً صادقاً للتغيير عن هذه الاتجاهات في تدريس التاريخ . أما الكتاب الثاني الذي قام بدور فعال في صوغ عقول طلبة المدارس الثانوية ، والذى تكررت طباعته في عهد الامبراطور ، فهو كتاب فردرريك نويباور Neubauer . ولعل أهم ما دعت إليه كتب التاريخ في هذه الفترة هي تربية الروح القومية والعسكرية ، وتدعم الفكرة السلطانية ، وتقديس الامبراطورية .

وبانهيار المانيا سنة ١٩١٨ ادرك رجال الجمهورية ان حاجتهم إلى كتب

دراسية لنشر الآراء والنظم الديمقراطية قد أصبحت ماسة ، وان منع استعمال كتب التاريخ القديمة في المدارس قد أصبح ضرورة من ضرورات العهد الجديد . ومن أجل هذا ألغى وزير معارف بروسيا سنة ١٩١٩ الكتب التاريخية المقررة القديمة ؟ وقامت الولايات التي نشأت فيها حكومات يسارية بتنقيح الكتب المدرسية ، والغاء قسم قليل منها . ولكن بروسية بالرغم من هذا كله لم تقم بحركة جذرية ؟ فاحتفظت بتقاليدتها القومية ، ورعتها مدة من الزمن طويلة . من ذلك انها الغت استعمال احد الاطالس الجغرافية الذي تجاهل رسم الاراضي التي فقدتها المانيا بموجب معاهدة فرساي رسميا واضحا ، وتحت طبقة المدارس بوجوب دراسة المشاكل الكثيرة التي يعانيها الالمان المغتربون ، وتبنت فكرة الوحدة الالمانية ، وأشارت الى اراضي النمسا من حيث هي « نمسا المانيا » ورددت المصطلحات القومية المألوفة « كالخلق القومي » و « التوردي » و « الزعامة ~ وغيرها » وكانت التربية البدنية تهدف الى « اخضاع » الشباب الى مفهوم « الزعامة » والقيادة . وبالرغم من قيام الكتب المدرسية بالاشارة الى الواجبات المدنية ، والتجانس الاجتماعي الا ان كلمتي الديمقراطية والجمهورية لم تذكر فيها . وكانت الكتب المدرسية ، لاسيما كتب القراءة والمطالعة ، التي تردد « الاممية » و « السلام » ، و « المحبة » ، و « الاخوة » و « الديمقراطية » تطبع بصورة خاصة تحت اشراف الحلفاء في الولايات التي تالفت فيها حكومات يسارية ؟ وكانت كتب القراءة ولاية ساكسونيا تضم مقالات للكاتب الفرنسي هنري باربوس Barbusse المعروف بكراهيته للحروب ، وبمقطوعات شعرية من نظم الشاعر الالماني فرسن فون اوفرش Von Unrich للغرض نفسه . غير ان الوضع لم يدم طويلا ؟ فقد اخذت الروح القومية تتغلب في الكتب المدرسية كلما ترددت احوال المانيا السياسية والاقتصادية ،

ونشطت الحركات اليسارية واليهودية العالمية ؟ وعبرت كتب التاريخ المقررة في المدارس الابتدائية أولاً والثانوية ثانياً عن هذه المساوية العامة ، وظهرت بصورة خاصة في سلسلة كتب التاريخ التي وضعها تييتر Teubner ، وفي كتب الواجبات الأخلاقية والمدنية ، وتحدثت عن خسارة المانيا ، وتقلص رقعتها وفقدان اراضيها ، وعن جور معاهدة فرساي والجراح العميق الذي تركته في جسم الامة الالمانية . لقد كانت تتحدث في الحقيقة عن كل ما يتصل ببعث الروح القومية وقوية معنوية الامة الالمانية . ومن هذه الكتب المقررة الكتاب الذي وضعه غيزه Giese وطبعه ١٤ مرة لغاية سنة ١٩٢٧ ، والذي بلغ عدد النسخ المطبوعة منه ٤٧٤٠٠٠ نسخة .

اما تدريس الجغرافية فقد كان يستهدف تربية حب « التربة » الالمانية في نفوس الطلاب ، وتعشق المنطقة التي يعيشون فيها ، والوطن الذي يتمون اليه . ومن أشهر كتب الجغرافية التي ظهرت في تلك الفترة الكتاب الذي ألفه كل من فيشر Geisterbeck وغايز تيربيك Fischer فقد تناول في بعض فصوله قضية بولندة ، وأراضي غربي المانيا ، وواسط اوربا ، واحتوى على فصل خاص عنوانه « حياة المانيا الاقتصادية ومعاهدة فرساي » ، وتضمن مطالبة المانيا بمستعمراتها السابقة ، فقال بهذا الصدد : « نحن بحاجة الى اراضي نسكنها ونملكها لكي لا تمتلك المجتمعات الأجنبية . الزيادة في سكاننا ، وتصبح لها (سماماً ثقافياً) ؟ ولنا حق في المساهمة بانهاض الاقوام المتأخرة ٠٠٠ ويحتاج الامان كافية الى مستعمرات جديدة ٠٠٠٠ »

الكتب المدرسية أيام الحكم النازي :

وفي هذا العهد سيطرت الدولة سيطرة تامة على الكتب المدرسية المقررة ، لا سيما في اواخر ايامها ، وعهد الى دار النشر الالمانية بطبع

الكتب المدرسية ، ووضعت الحكومة النازية سلسلة منها لاستعمالها في جميع مدارس الرايخ الثالث ، وأصبح عدد الكتب المقررة في المدارس الثانوية ١٠٣ بدلاً من مئتي كتاب ، وفي المدارس الثانوية ٩٧ بدلاً من ٥٠٠ كتاب .
 إن المبادئ الرسمية المقررة التي تستند إليها مناهج الدراسة ظهرت في التعليمات الخاصة بمناهج الدراسين الابتدائية والثانوية لسنة ١٩٣٨ و سنة ١٩٤٠ وهي : « لا ينحصر واجب المدرسة الابتدائية في ايمصال مجموعة من المعارف الى الفرد ليستعملها في حياته اليومية ، بل تربية قوى الشباب الجسمية والعقلية جماعاً ، وصيانتها في سبيل خدمة الشعب والدولة . وعليه فلا محل لاي درس من الدروس في جميع مناهج الدراسة لا يساهم في الوصول الى هذا الهدف ؟ وان جميع الدروس التي تستند الى اسس تربوية لا يصح تدرسيها ، او ينبغي الا تجد لها محلاً في مناهج الدراسة » . وبعبارة أخرى ، ان « التدريس الموحد » الذي نادى باستخدامه المصلحون من رجال التربية والتعليم قبل سنة ١٩١٨ وطبق بعضه في فترة الجمهورية والذي عماده دراسة الحياة المحلية والاقليمية والعادات عن طريق الزيارات والرحلات والسفرات ، قد عمل به النازيون وحسبوه اسلوباً تربوياً نافعاً .

وقد عكس تدريس التاريخ المفاهيم العامة التي كانت تستند إليها الحركة النازية ، وزود الطلاب بمعلومات حديثة عن الدولة الالمانية ، وبعث فيهم حب الشعب الالماني وتقديره الوطن الالماني ، وغذتهم بتربية سياسية قومية . وكان « الطريق الى الرايخ » من احسن كتب التاريخ التي ظلت مقررة حتى سنة ١٩٤٤ . فقد تضمن دراسة تاريخية متصلة الحلقات ، بحيث جعل من الحركة النازية خاتمة طبيعية لتاريخ المانيا ؛ ولم يعط « الجمهورية » اهمية كبيرة ، بل اختصها باربع صفحات فقط ! ولكن الكتاب تناول « الحرب السرية » التي كانت تشنها « الكتاب الحرة »

والمنظمات العسكرية الأخرى ضد معااهدة فرساي ، وهاجم اليهود واليهودية العالمية ، والاشتراكية التي جاءت بها العناصر اليسارية ، وبسط حياة هتلر ومنهاج الحزب النازى بسطاً تاماً حتى سنة ١٩٣٣ ؟ وذكر شهداء سنة ١٩٢٣ الثلاثة عشر ؟ وذهب إلى أن هتلر حاول أن يتتجنب ويلات الحروب ، ورغم في عقد « اتفاقية معقوله » في الشرق ؟ ولكن موقف البولنديين الصارم حال دون عقدها ، معتمدين في ذلك على مساعدة بريطانية ، وإن بولندا شنت حملات من الدعاية المغرضة « ضد المانيا وضد كل شيء المانى » مما ترك أسوأ الأثر في النفوس ، وارتكتبت سلسلة اعتداءات على الحدود المانيا ، وتعرض المانى إلى الاتهانات والتعديب ، وفر قسم كبير منهم إلى المانيا . ثم يقول الكتاب أن اعلان الحرب لم يكن الا دفاعاً عن النفس . وبعد أن يتناول قصة الحرب العالمية الثانية حتى حصار ستالينغراد يؤكّد الكتاب أن الدماء الزرقاء التي ضحى بها جنود المانيا لم تكن الا « من أجل المانيا وأوربا » .

ومن الكتب المهمة الأخرى كتاب « طريق الخلود » الذي كان مقرراً في المدارس المتوسطة الخاضعة لسيطرة الحزب النازى *Hauptschule* ويقع الكتاب في مجلدين ، تحلى صدر المجلد الأول صورة جميلة لهتلر وصورة أخرى تمثل « طريق الخلود » ممتداً خلال عصور التاريخ المختلفة . وقد نقشت على جانبي الطريق أحداث ومعارك تاريخية فاصلة . ويبدأ الكتاب بسرد حياة هتلر ، ثم يلي ذلك سجل « إبطال المانيا الكبرى » ومنهم الطيار الشهير فريتز مولديرز *Mölders* وروميل ؟ وذكر معارك حرية فاصلة مثل حصار سيواستيوبول ، ونهاية البارجة بسمارك البطولية ؟ ثم ينتقل بالطلاب إلى تاريخ أبعد ، إلى التاريخ الذي ترعرع فيه آباءُهم ، وإلى عهد « الجمهورية » . ومن إبطال هذا العهد أصحاب القمصان السمراء أمثال شлагيتر *Schlageter* ، وغيره ، وهو رست فيسيل ، وهيربرت

نور كوس شهيد « شبيه هتلر » . وقد افرد الكتاب فصلا واحدا الى الحرب العالمية الاولى ، وهو الزمن الذى شأ فى اجداد الطلبة . وسرد بعض ابطاله ، وافقى عليهم حالة التقديس والتمجيد ؟ وخصص الفصل الاخير من المجلد أوائل تاريخ المانيا الحديث وذكر بطولة بسمارك ومونته وكروب .

اما المجلد الثانى فيبحث فى تاريخ المانيا بصورة خيالية ، ومما جاء فيه : نحن الالمان اصلاح الارسas الجرمانيه الذين مكتوا فى وطنهم النوردى ليصونوا حتى يومنا هذا دم اجدادهم وتربة اجدادهم من حيث هم الخلف النقي للنورسيين » ، وان الدم الجرماني قد ظل نقيا بينما اختلطت الارسas الاخرى باساس ثانوية .

ونستطيع ان نعد كتاب « طريق الخلود » آخر مرحلة تطورية من مراحل تأليف الكتب التاريخية وفق المبادئ النازية . وقد تم تأليفه بالتعاون مع « معهد التاريخ لدراسة تاريخ المانيا الجديدة » الذى كان يديره والتر فرانك و « رابطة التاريخ لدراسة تاريخ المانيا القديم » و « وكالة التاريخ لتقدير الادب الالماني » و « رابطة العلمين الاشتراكين الوطنيين » .

ويصور كتاب « القراءة الالمانية للمدارس الابتدائية » الافكار النازية تصويرا رائعا . فهذا الكتاب الذى أقرته وزارة المعارف الالمانية سنة ١٩٣٧ كان يحتوى بالإضافة الى « الدم والتربية » و « الشعب والزعيم » دعاء مدرسيأ أوصل بترتيبه فريث وزیر معارف تورنجيا . وكان اكثر كتب القراءة تطرفا الكتاب المقرر في مدارس الحزب . فقد ظهر الجزء الاول منه سنة ١٩٤٤ ، وضم في دفتيه دعاء وضعه هيرمان كلوديوس احد شعراء الشباب الاشتراكي المحبوبين منه : « رباه ! أعن الزعيم ، واجعل عمله من عملك » .

تدریس الدين

من المشاكل التي واجهت التعليم طوال القرن التاسع عشر مشكلة تدریس الدين ٠ فكانت هذه المشكلة التي تصل بعلاقة الدولة بالتعليم والكنيسة بالتعليم تختلف من ولاية إلى أخرى ، وقد تعاظمت في الولايات التي يتآلف سكانها من مذاهب مختلفة ، لا سيما في بروسيا حيث تبلغ نسبة البروتستانت فيها ثلاثة أخماس السكان ٠

وبدأت أول محاولة في بروسيا لبعد سيطرة الكنيسة عن المدارس سنة ١٧٨٧ حينما الف لتس اول « مجلس للمدارس الثانوية » في وزارة المالية لبعد المدارس الثانوية عن النزاع العائلي الذي اخذ يشتد آنذاك ولاخضاع التعليم لسيطرة الدولة ، لا سيما بعد انتحق المجلس المذكور بوزارة الداخلية ٠ وبإنشاء وزارة معارف في بروسيا سنة ١٨٢٧ استمر اتصال الكنيسة بالتعليم الابتدائي ؟ ولكنه ظل في الوقت نفسه خاضعاً لسيطرة الدولة ٠ وفي سنة ١٨٧٠ استغل بسمارك مطابقة الاحرار في بعث الكنيسة عن التدخل في ادارة التعليم وتربية الناشئة واتخذه سلاحاً لهاجمة الاطماع السياسية للكنيسة الكاثوليكية ؟ واستطاع فالك وزير معارف بروسيا سنة ١٨٧٢ ان يضع تعليمات خاصة ينتقش المدارس الرسمية والخصوصية ، وحصر تعين مفتشي مدارس الالوية والمناطق بيد الدولة ، واقصى اكبر المفتشين من رجال الكنيسة الذين بلغت نسبتهم ثلثي عدد مفتشي المدارس الابتدائية من تفتيش المدارس الابتدائية ؟ ولم تخلص المدارس منهم جمِيعاً الا أيام الحكم الجمهوري الذي جعل التفتيش عملاً فنياً ، وترك لرجال الدين حق التمثيل في المجالس المدرسية المحلية ٠ فلما تسلم النازيون مقاليد الحكم سلبو هذا الحق سنة ١٩٤٢ ٠

وتجدد موضوع تأسيس مدارس مذهبية مختلطة لا واحدة سنة ١٩١٨

حينما طالب «الاشتراكيون» و «الديمقراطيون» ان تؤسس المدارس على أساس المبدأ المختلط . بينما نادى «المحافظون» و «حزب الشعب» و «الحرب المركزي» على أساس مبدأ المذهب الواحد ، بحيث تضم كل مدرسة ابناء مذهب واحد ، وهكذا انقسم الرأى العام الى فئتين : فئة ت يريد ان تتمسك بحقها في تأسيس مدارس طائفية ، واخرى ت يريد ، وتحمدها في ذلك الدولة ، ان تؤسس مدارس غير طائفية . وقد عالجت جمهورية فايمر هذا الموضوع علاجا عمليا حينما أقر دستورها ان تربية الجيل الناشئ تربية صحيحة وروحية وجسمية اعظم واجب يقع على الآباء ، وأنه حقهم الطبيعي في الحياة ، وان واجب الدولة هو تقييم هذه الفعاليات التربوية ، وتعليم الشباب وامدادهم بالمعلمين ، وتجهيزهم بالادوات والموازن الضرورية ، وان المعتقدات الدينية ينبغي ان لا تقف حائل دون التحاق الاطفال باى نوع من انواع المدارس التي يختارونها ، وان من حق الآباء ان يطالبوا بفتح مدارس ابتدائية في مناطقهم تدار وفق معتقداتهم الدينية الخاصة وفلسفتهم في الحياة ، بشرط الا يؤدي ذلك الى عرقلة سير نظام التعليم العام ، ومع ان الدستور حاول بهذه المتناقضات العجيبة ان يوفّق بين الكنيسة والدولة فقد ظلت اكثر المدارس «طائفية» . ويقصد بالمدارس الطائفية التي نص عليها الدستور تلك التي يتّلّف جميع ملائكتها ، باستثناء مدرسي الرسم والموسيقى ، و اكثر طلابها من طائفة واحدة . وقد نص على انه يجوز لطلبة المذاهب الاخرى ، بناء على موافقة اوليائهم ، ان يلتحقوا بهذه المدارس اذا تذر عليهم الالتحاق بغيرها .

واصبحت علاقة المدارس الطائفية بالدولة وبتدريس الدين من امهات المشاكل التربوية التي رافقت العهد النازى . وقد شاهدت المراحل الاولى من حكمهم تساهلا في تأسيس المدارس الطائفية ، وعقدوا اتفاقية مشهورة مع الفاتيكان سنة ١٩٣٣ حول علاقة الكنيسة الكاثوليكية بالتعليم ؟

ولكنهم عادوا ونقضوا هذه الاتفاقية سنة ١٩٣٦ وشنوا هجوماً قوياً على المدارس الطائفية . وفي السنة نفسها عقد المجلس الطائفي اجتماعاً لبحث العرقيات الكثيرة التي وضعت في طريق المدارس الطائفية ، واستنكروا الاجراءات التي اتخذتها الحكومة . واخيراً قرر النازيون الغاء المدارس الطائفية ، وذهبوا الى ان اولئك الطلاب قد أصبحوا ساخطين عليها ، وان يقاعها مصر برغباتهم . واخذنوا يؤسسون مدارس ابتدائية مختلطة تضم بين جدرانها طلاباً ومعلمين يتمنون جميعاً الى مذاهب دينية مختلفة سميت « بالمدارس الالمانية العامة » (★) . وقد امتازت عن المدارس المذهبية المختلطة القديمة بنزعتها النازية ، كما اوضح ذلك الاستاذ الفريد بويمليير Alfred Bäumler ممثل هتلر في الشؤون التربوية والثقافية والعقائدية في الحزب الاشتراكي الوطني واحد كبار موظفي معهد الدراسات العلمية للشئون اليهودية حينما قال : « انها مدرسة تختلف كل الاختلاف عن المدرسة التي اسستها الاحرار الماركسيون . . . انها المدرسة المذهبية التي تربى كل شاب المانع تربية روحية نازية في كل درس من دروسها كي يتبرع في أحضان العقيدة التي وضعها هتلر » .

اما فيما يتعلق بتقسيم دروس الدين وتدريسها فقد احتفظت بروسية نفسها بحق تعين مفتشي الدين ، ولم تسمح لرجال الدين ان يدرسوا في مدارسها ، بل تركت الامر بيد سلطات التعليم المحلية ، وخولت مفتشيها ان يقوموا بتقسيم دروس الدين دون التدخل في محتوياتها ، والا تعارض مع الواجبات المدنية .

وقد جعلت المادة ١٤٩ من دستور فايمر درس الدين الزامياً في جميع المدارس الا المدارس الدينية ، واوصت ان يستند الى مذهب المجتمع السائد ،

(★) Deutsche Gemeinschule

وان يكون للدولة حق تفتيش دروس الدين . و كان ذلك تراجعا من الدولة و انتصارا للكنيسة . واستطاعت النازية ان تضع لتدريس المواضيع الدينية و تفتيشها اسسا عامة لا سيما بعد ان عقدت الحكومة الالمانية مع قداسة البابا سنة ١٩٣٣ اتفاقية خاصة . ومع ان هذه الاتفاقية كانت تتعلق بالمدارس الكاثوليكية الا ان الحكومة الالمانية قد طبقتها على جميع المدارس الطائفية الاخرى . وقد نصت المادة ٢١ من الاتفاقية المذكورة على ما يأتى :

« تألف الدروس الدينية في المدارس الابتدائية والابتدائية العالية والثانوية والمهنية قسما أساسيا من مناهج الدراسة . وينبغى ان يجرى تدريسيها وفق مبادئ الكنيسة الكاثوليكية . ان توجه الدروس الدينية عنابة خاصة لتنمية الوعي الوطني والمدنى والاجتماعى بين الطلاب ، وغرس الشعور بالواجب فى ضوء العقيدة المسيحية والقواعد الأخلاقية اسوة بما تفعله الدروس الاخرى . ان تقرر مفردات المناهج والكتب الدينية بالاتفاق مع السلطات الدينية التي لها الحق في ان تستثنى من حصول الطلاب على تربية دينية تتفق وتعاليم الكنيسة الكاثوليكية ومطالبها وبالاتفاق مع السلطات المدرسية » .

ولم ينفذ النازيون بنود الاتفاقية كلها ، اذ كانوا قد وطدوا عزهم على الغاء الدروس الدينية من جميع المدارس ، وتسلوا باساليب عدة منها : نقل ساعات دروس الدين من الصباح الى بعد الظهر ، واحلال دروس التربية البدنية محلها ، وانقصت ساعات تدريس الدين في المدارس الابتدائية والثانوية ؛ وقرر وزير معارف الرايخ الغاء الدروس الدينية من مناهج الدراسة المهنية ليتسنى للطلبة ان يستعنوا عنها بفاعليات مدرسية أخرى ، واعفى بعض طلبة المدارس الثانوية الذين جاؤوا الرابعة عشرة من العمر من تلقى دروس الدين ليصرفوا الى « الدروس التي تتعلق بالدفاع عن

الرايخ » ، ثم عمه على طبة المدارس المتوسطة ، وحرر منهاج المدارس النازية الداخلية منها *

وإذا كان هدف الدراسات الدينية في المدارس الابتدائية خلال القرن التاسع عشر هو تدريس الكتاب المقدس وأصول الدين واستظهار مجموعة من التراث والقواعد الأخلاقية والعقائد الكنسية وتاريخ الأديان غير المسيحية في المدارس الثانوية فإن محتويات المناهج الدراسية لم تتبدل كثيراً في العهد النازي بل تبعت طرق التدريس والنظرة إلى الدين ، وظهر ذلك في اتجاهين معينين : فقد حاول « الالمان المسيحيون » ان يجعلوا الدين المسيحي يتماشى مع العقائد النازية ويحتفظ في الوقت نفسه بصفته المسيحية ؛ وحاول « الوثنيون المحدثون » ان تحل « النظريات الأساسية لعقيدة المائة » محل الدين ، وشجبوا المسيحية ، أو ان تحل « النظرة الرسمية عن الله » محل المسيحية كما قال شبير وزير الاقتصاد . ولكن النازية لم تستطع ان تتحقق اهدافها السياسية في تدريس الدين ، ولم توصل الاتجاهات اللامسيحية في التعليم ، لاسيما في الارياف ، إلى تائج عملية . وكان اثارها في غربي وجنوبي المانيا أقل من اثارها في شمالها وشرقيها .

تعليم الراشدين

بدأت حركة تعليم الراشدين في الوقت الذي أسس فيه لاسال أول منظمة اشتراكية في المانيا . وبتأليف « الحزب الاشتراكي الالماني » سنة ١٨٧٥ انتشرت هذه الحركة بين اوساط العمال ، ولاقت نجاحاً كبيراً ؛ واستطاع العمال ان يتزودوا بثقافة عامة ؛ ويدركوا ان « المعرفة قوة » . ثم أخذ الاحرار يعنون بحركة تعليم الراشدين ، فأسسوا « جمعية تعليم الشعب » سنة ١٨٧١ . وتطورت هذه الحركة تطوراً عظيماً في القرن التاسع عشر لاسيما بعد ان تزعم هذه الحركة روبرت فون أيرد بيرغ Erdberg [الذي

اصدر فى سنة ١٩٠٩ مجلة خاصة ببحث فى شؤون الثقافة الشعبية ، والذى اظهر زيف حركة تعلم الراشدين القائمة على نشر المعرفة فقط (*) ، ودعا الى ذلك النوع الذى يصوغ شخصية الفرد عن طريق اختبار القيم الإنسانية (**) . وتجسدت نظرياته فى « المدارس العالية الشعبية » التى تأسست على غرار المدارس الشعبية الداخلية الدائينمركية (****) . وتأسست اول مدرسة شعبية فى احدى المناطق الواقعة على الحدود الدائينمركية ، وانتشرت منها الى مناطق اخرى . وتأثرت المدارس الشعبية العالية ، كما يقول الاستاذ صامويل ، بالعوائد القومية والرسية التى سادت عهد الامبراطورية ، وبآراء فون أيرد بيرغ . وتقدمت تقدماً كبيراً ايضاً فى عهد الجمهورية واصبحت بعضها مدارس داخلية وبعضها الآخر خارجية . ولم تسهم الجامعات الالمانية فى حركة تعلم الراشدين مساهمة تذكر ، بخلاف الجامعات البريطانية .

وباتصار الحزب النازى فى المانيا الغيت هذه المدارس وحلت محلها مؤسسات أخرى (*****) ، شبيهة بالمدارس الإيطالية المعروفة بـ « دوبولافورو » Dopolavoro . وكانت معاهد مسائية يشرف عليها الحزب النازى بواسطة وزارة معارف الرايخ ؛ وتتصل اتصالاً مباشرًا بمنظمة العمال المعروفة بـ « من السرور قوة » والتى ترتبط « بجهة العمل الالمانى » وقد بلغ عددها سنة ١٩٣٩ حوالي ٤٠٠ مؤسسة ، وعدد طلابها ٢٥٠٠٠٠ .

(*) Verbreitende Volksbildung.

(**) Gestaltende Volksbildung

(***) تأسست هذه المدارس سنة ١٨٦٠ اي فى الفترة التى انحطت فيها الدائينمرك سياسياً وعسكرياً ، وكان الغرض من تأسيسها بعث حياتها وتعجدلها ، والاهتمام بالقسم الاعظم والمهم من سكانها ، وهم الفلاحون .
 (****) Volksbildungsstätten.

التربية البدنية

يعد فردریک یان Fredrick Jahn اول من نهض بالتربيۃ البدنية في اوائل القرن التاسع عشر . ومع ان القرن السابع عشر قد شاهد نوعا من التعليم الذي لم يعن الا بالقيم الدينوية عنایة كبيرة كرشاقة الجسم والرقص وركوب الخيل والبارزة ، وان هذا النوع « النبيل » من التعليم قد تكامل في « أكاديميات الفرسان »(*) الا ان المربين لم ينظروا الى التربية البدنية من حيث هي جانب مهم من جوانب عملية التدريس الا في نهاية القرن التاسع عشر . اما في القرن الثامن عشر فان طغيان التزعة العقلية جعلت المفكرين يحسبون الفكر الانساني غایة تسمو على جميع الغایات ، وحسبه لا يتنز « أحسن ما في جميع العوالم الممكنة » واهتماموا بالخبرات التي تتصل بحياة الانسان وسعادته ، لا بالخيرات والقيم الروحية المسيحية . واهملوا تمية الجوانب الاخرى من شخصيته . وقد ضمت « حركة حب الانسان » هذه الاراء ، وانتقلت بالانسان من عالم ما وراء الطبيعة غير المحدود الى عالم الطبيعة المحدود ، واستهدفت تفجير قواه غير آبهة بالقيود التي فرضتها المسيحية اللادينوية ، ورفقت فكرة وجود الله يسقر وراء الطبيعة ، وادعت انه يحيى ويتحرك في الطبيعة نفسها ، واعتقدت اعتقادا راسخا بقيمة الفرد ، وطالبت ان تكون تربيته طبيعية بعيدة عن القيود والاغلال ، وان تراعي عملية التربية قوانين نموه وان تقلل من استظهار الدروس ، وان تعنى بتربيته البدنية ، وان يكون المرح من احدى خصائص الحياة المدرسية .

وكان يوحان كريستوف فردریک کوتتس متس Guts Mutts اول من درس الرياضة البدنية في المانيا (۱۷۸۵ - ۱۸۳۷) ، وأول من

(*) Ritterakadamien

درسها بإجراء تمارين بدنية في كل يوم دراسة منتظمة . ولقد ادرك قادة الالمان ، لاسيما بعد هزيمة المانيا في معركة يانا سنة ١٨٠٦ ، ضرورة توسيع دائرة التربية البدنية لتؤدي رسالتها في بعث الامة الالمانية ، وان تعنى التربية في العقل والجسم والروح . وقد كانت لآراء بستالوتزى وفيشهه التربوية أثر كبير في هذا التوجيه الجديد الذي ظهر في مناهج الدراسة الثانوية التي وضعها همبولدت . واخذ الالمان ينظرون الى التعليم من حيث هو الأساس الذي تقوم عليه صحة الامة الالمانية وقوتها ، ومن حيث هو وسيلة من وسائل الدفاع لا اعتداء ، ومن حيث انه يستند الى اسس تربوية واجتماعية حرة . وقد بدلت هذه الاتجاهات واضحة في مؤلفات فردريليان ، وكانت صلة التعليم بالحركة القومية ، لا سيما في بروسية ، من ابرز خصائص الفترة الواقعة بين « معركة يانا » و « مؤتمر فيينا » .

نظريات يان في التربية البدنية :

كان فردريليان عالما متضلعًا ومؤلفا في علوم اللغة الالمانية ؟ وقد قادته تبعاته اللغوية الى حب « الجرمانية » ، وأوضح في كتابه « الرياضة البدنية الالمانية » المطبوع سنة ١٨١٦ قيمة اللهجات في الحياة القومية ، وأشار الى انها تعبير غني عن خصائص الامة الالمانية الموروثة . وكانت نظريته في التربية البدنية تقوم على ادراكه لصفتها الكلية الشاملة لا الفردية الضيقة . ولعل فردريليان قد تأثر بنظريات الاغريق . وبآراء بستالوتزى وبكتوس موسن . وقد اخرجها من جدران المدرسة الداخلية الى الهواء الطلق : الى المروج والغابات ، حيث يشترك فيها صغار الناس وكبارهم ، أغنياؤهم وكبارهم ، وحسبها اداة لخدمة المجتمع والمحافظة عليه من فاتح اجنبي ، ولم يحسبها اداة مدرسية فقط ؟ ورأى ان تكون « رياضة دفاعية » Wehrerziehung او تربية بدنية عسكرية .

وباشتراك الطبقة الوسطى في « الحروب التحريرية » وتحرير المانيا

من السيطرة الاجنبية شعر « يان » ان آماله قد تحققت ، وان الاجسام القوية والارادة الحديدية قد ساهمت في حركة التحرير 。 وحينما صدرت « مراسيم كارلسbad » التي افتحت عهداً من الارهاب والاضطهاد ضد العناصر القومية الغيت « التربية البدنية » والقى القبض على فردريلك يان ، وزوج في السجن حيث امضى فيه ستين ، واستمر الحظر في بروسية لغاية سنة ١٨٤٢ 。 ومع ان بعض المراسيم التي صدرت سنة ١٨٢٠ وسنة ١٨٣٧ قد اجازت تدريس الرياضة البدنية الا انها لم تشق طريقها الى المنهج بصورة رسمية الا بعد سنة ١٨٣٧ ، وصارت في العابها وحركاتها « مدرسية » لا « رياضة دفاعية » 。 وقد أدى أدولف شيس Spiess (١٨١٠ - ١٨٥٨) خدمات جليلة ، وافتتح في برلين سنة ١٨٥١ « معهد الرياضة البدنية المركزي » ، واهتم بالألعاب السويدية وحيث ان هذا المعهد كان مرتبطة بوزارة المعارف والحربيات في بروسية ، وصار مركزاً لتدريب الجنود وغير الجنود فقد خضعت التربية البدنية إلى الروح العسكرية البروسية ، واصبح تدريب معلمى الرياضة البدنية منوطاً به ، مما كان له اعظم الاثر في تاريخ التربية البدنية في المانيا 。 وفي اواخر القرن التاسع عشر بدأت تظهر حركة « الاعياد الرياضية القومية » Turnfeste او المهرجانات التي اخذت تتظمها الجمعيات الرياضية المختلفة ، والتي لعبت دوراً مهماً في المظاهرات الثورية القومية التي حدثت سنة ١٨٤٨ ، وصارت مظهراً اعتمادياً من مظاهر الحياة الالمانية 。 وفي سنة ١٨٦٠ اقامت الجمعية الالمانية للتربية البدنية استعراضاً رياضياً رائعاً ، واقامت استعراضاً آخر احتفالاً بذكرى « موقعة لا بيرج » التي فيه المؤرخ الالماني الشهير ترايشكه خططاً مهماً . وازداد عدد هذه الاستعراضات السنوية وعدد الجمعيات حتى بلغ سنة ١٩١٤ حوالي ١١٤٩١ جمعية ، ضمت زهاء ٥٥٨١٤١٣ شخصاً 。 وفي سنة ١٩١٨ أسس مارك برانديزيرغ جمعية رياضية عامة اتسابت اليها جمعيات نمساوية

وبوهيمية كثيرة ، وقد اتصف شاطئها باتجاهات قومية متطرفة وبدعوة
لا سامية *

وإذا القينا نظرة على التربية البدنية في الفترة الواقعة بين منتصف
القرن التامن عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر نجد أنها ، كما يقول الاستاذ
صاموبل ، قد سايرت في نموها تطور الحياة الاجتماعية والسياسية للامة
الالمانية ، وإن طلائعها قد بدت مع « حركة حب الانسان » ، وإنها عبرت عن
الروح الاستقلالية للطبقة الوسطى . فحينما غداها فرديكت يان وحوانها في
اواخر القرن التاسع عشر إلى حركة رياضية من نوع خاص Turnen
جعلها تتصل اتصالاً وثيقاً بآمال شباب الطبقة الوسطى ومطامحهم ؛ هؤلاء
الشباب الذين نفح يان فيهم روحه ، ودربهم تدريباً جيداً ، بحيث استطاعوا
ان يقاتلو في معركة تحرير الوطن الالماني جنباً إلى جنب مع الجنود
البروسين *

ولم تستمر التقاليد البروسية في التربية البدنية بعد انهيار المانيا سنة
١٩١٨ ؟ ومع ان « مؤتمر مدارس الرايخ » الذي انعقد سنة ١٩٢٠ في
ظل النظام الجمهوري قد أكد على ضرورة العناية بال التربية البدنية وجعلها
واجباً مهماً من واجبات الدولة ؟ ومع ان الدولة قد اولت التربية البدنية
ومؤسساتها اهتماماً زائداً ، ورفعت مستوى « معهد الرياضة البدنية
المركزى » وجعلته « الكلية البروسية للتربية البدنية » ، واعادت المتخرين
لدخول « المعهد الجامعي للرياضة البدنية » واصبح عدده ساعات التربية
البدنية الالزامية في المدارس الابتدائية والمتوسطة ثلاثة ساعات ، وفي
مدارس البنين والبنات الثانوية اربع ساعات فإن التربية البدنية لم تلعب في
ظل الحكم الجمهوري دوراً مهماً في حياة المانيا السياسية والاجتماعية كما
لعبت من قبل . فقد كانت اكثر الاحزاب السياسية يسارية ؟ وكانت تستهدف
بعث الروح « الديمقراطية » والقضاء على الروح القومية في التربية البدنية

التي ساهمت في تحرير البلاد من السيطرة الأجنبية ، والتي ظهرت تأججها البطولية في الحرب العالمية الأولى . ولم تستطع إلا بروسية ان تحافظ على تقاليدها القومية ، وان تمجد حياتها ومؤسساتها العسكرية ، وان تتتجاهل الخطط التي وضعتها « الجمهورية » في اضعاف الروح القومية والعسكرية . فوجئت جهودها الى « المدارس انبروسية الرسمية الداخلية » ، واحت فيها القومية الالمانية ، وسارت على غرار « المؤسسات العسكرية » التي كانت قائمة قبل سنة ١٩١٨ .

وحيثما تسلم هتلر مقاليد الحكم اهتم بال التربية البدنية وعيّن هانس فون تشيمير اويند اوستن^(*) قومسيرا للرياضة والألعاب في حكومة الرايخ ، ثم صار « زعيم الرايخ » للرياضة والألعاب ، ورئيساً للجنة الرايخ للتربية البدنية . وقد ألغى جميع الاندية الرياضية الخصوصية والحقها جميعاً بمنظمة جديدة سمّاها « رابطة الرايخ الالماني للتدريب الرياضي » التي يرجع إليها الفضل في تنظيم دورة الالعاب الاولمبية التي جرت في برلين سنة ١٩٣٦ ، والتي سميت بعدئذ « برابطة الرايخ الاشتراكية الوطنية للتدريب الرياضي N. S. R. L. » وكانت وظيفتها الاساسية تنفيذ النشاط الرياضي الذي تقوم به الدولة والحزب النازى . اما الدولة فقد كانت فعالياتها محصورة بالمدارس والجامعات ، ولعبت « رابطة الطلبة الاشتراكين الوطنيين » دوراً مهماً في النشاط الرياضي الجامعي ، وأصبحت « اكاديمية الرايخ الثالث للتدريب الرياضي » الواقعة في مدينة سبانداو الكلية الوحيدة المعترف بها لتدريب معلمي الرياضة البدنية . واما الحزب فقد كانت التربية البدنية تجري في منظماته المختلفة ، كمنظمة شبيبة هتلر ، و « جبهة العمل الالماني » التي استهدفت بعث الروح الرياضية بين العمال بواسطة منظمة « من السرور قوة » .

(*) Hans von Tscharmer und Osten.

التعليم العالى

يجرى التعليم العالى فى ٢٣ جامعة ، وتسعة معاهد عالية للهندسة ، واربعة للزراعة ، وخمسة للعلوم الاقتصادية ، واثنان للبيطرة وثلاثة للاحراش والغابات^(*) ، ومن معاهد أخرى أهمها : المعهد الطبى فى

(*) واليک قائمة باسماء الجامعات والكليات الالمانية مبوبة حسب تواریخ افتتاحها :

الجامعات :

هايدلبرك ١٣٨٦ ، كولونيا ١٣٨٨ ، لا ييزيك ١٤٠٩ رستوك ١٤١٩ ، كراييفسفالد ١٤٥٦ ، فرايبورك ١٤٥٧ ، ماربورك ١٥٢٧ ، كونيتسبرك ١٥٤٤ ، بينا ١٥٥٨ ، فيرتسبورك ١٥٨٢ ، توبينكن ١٤٧٧ ، كيسن ١٦٠٧ كيل ١٦٦٥ هاله ١٦٩٤ ، كوتتنكن ١٧٣٧ ، ارلانكن ١٧٤٣ ، مونستر ١٧٨٠ ، برلين ١٨٠٩ ، بون ١٨١٨ ، مونيخ ١٨٢٦ فرانكفورت ١٩١٤ ، هامبورك ١٩١٩ ماينس ١٩٤٦ .

كليات الهندسة :

براؤنسفلاك ١٧٤٥ ، كارلسرو ١٨٢٥ ، دريزدن ١٨٢٨ شتوتگارت ١٨٢٩ ، هانوفر ١٨٣١ ، مونيخ ١٨٦٨ دارمشتات ١٨٦٩ ، آخن ١٨٧٠ ، برلين (وتدعى الان جامعة الهندسة) ١٨٧٩ .

كليات الزراعة :

فاينشتيفان (الحقت الان بكلية الهندسة فى مونيخ) ١٨٠٤ ، برلين (تابعة الان لجامعة برلين الشرقية) ١٨٠٦ ، هوهينهايم ١٨١٨ ، بون (الحقت الان بجامعة بون) ١٨٤٧ .

كليات البيطرة :

هانوفر ١٧٧٨ ، برلين (تابعة الان لجامعة برلين الشرقية) ١٧٩٠ .

كليات الاحراش والغابات :

تاراندت (ملحقـة الان بكلية الهندسة بمدينة دريزدن) ١٨١٦ ايبرسفالده (تابعة الان لجامعة برلين الشرقية) ١٨٣٠ ، هانوفر ميندن (تابعة الان لجامعة كوتين肯) ١٨٦٨ .

درسدن (تأسن سنة ١٩٠٧) ، وكلية يوستوس ليك للزراعة في مدينة كيسن (١٩٤٥) ، وكلية البيستة والزراعة في هانوفر (١٩٤٨) .

لقد بلغ عدد الجامعات في المانيا سنة ١٩٣٩ أي قبل الحرب العالمية الثانية ٢٣ جامعة وعدد طلابها وطالباتها ٣٩٢٣٦ ؟ وبلغ ، بالإضافة إلى ذلك ، عدد المعاهد العليا المستقلة كـ « مدارس الهندسة العليا Techniche Hocheschulen عشرة وعدد طلابها ١٠٣٠٧ . أما « مدارس التجارة العليا » Handelshochschulen فعددتها أربعة .

ومن الجامعات الالمانية ما يرجع تاريخ تأسيسها إلى القرون الوسطى ، وشهرها جامعة هايدلبرك . فقد تأسست هذه الجامعة في سنة ١٣٨٦ (*) ؛ ومنها ما يرجع تأسيسها إلى القرن الخامس عشر ، وشهرها جامعة لايبزيك وتوبنkin وغرافنفالد . ويعزو المؤرخون أسباب نشوء هذه الجامعات في هذا العصر إلى عدة عوامل منها : (١) الانشقاق الديني الذي حدث في الكنيسة المسيحية ؟ وبعد أن كان قسم من طلبة العلم الالمان يذهبون إلى جامعة باريس للدراسة صار من المتذر عليهم بعد هذا الانشقاق تلقى علومهم هناك ، (٢) رغبة الامراء في تأسيس الجامعات ورعايتها ، (٣) ظهور النزعة الانسانية في الدراسات الانسانية و (٤) عهد الاصلاح وأثره في القرن السادس عشر . فقد حفظ هذا العهد ملوك اوروبا وامراءها البروتستانتيين

كليات التعليم :

فرايبورك ١٧٦٥ ، كلاؤستال ١٧٧٥ .

مدارس العلوم الاقتصادية :

لايبزيك (تابعة الانجامعة لايبزيك) ١٧٨٩ ، برلين (تابعة الانجامعة برلين الشرقية) ١٩٠٦ مانهايم ١٩٠٨ ، كونيتسبرك ١٩١٥ ، نورنبرك ١٩١٩ .

(*) وقد تأسست قبل هذا التاريخ جامعة براغ سنة ١٣٤٨ ، وجامعة فيينا سنة ١٣٦٥ .

على تأسيس عدد من الجامعات تساند آرائهم ومصالحهم • وعلى هذا الاساس
تأسست جامعة هاربورك ، وينا Jena ؟ بينما أسس الكاثوليك جامعتهم
في فورتسبورغ Würzburg • ويعود الى (٥) ظهور النزعة العقلية وروح
البحث العلمي • وقد انعكستا عند تأسيس جامعتي هاله Halle في سنة
١٦٩٤ وكوت肯 Göttingen في سنة ١٧٣٦ •

وألحقت الاحداث التي تعلقت بعد الثورة الافرنسيه اضراراً فادحة
بجامعات الالمانية ، وتوقفت في بعضها حركة التدريس • ففي نهاية القرن
الثامن عشر ، أغلقت أو اندثرت ١٨ جامعة من الـ ٣٠ جامعة التي كانت
قائمة ، وانقلب بعضها الى كليات لتدريس اللاهوت •

وقد قال فردرريك وليم الثالث بعد المهزيمة التي منى بها ينبغي ان نعوض
عن القوى المادية التي خسرناها بقوى روحية • وفي مهب هذه الفحفة
الروحية تأسست « جامعة برلين » البروسية القومية سنة ١٨١٠ ، وجامعة
بون سنة ١٨١٨ • وبعد هذا العهد بدء نشوء الجامعات الالمانية الحديثة •

وكان فلهم فون همبولدت الصوت الداوى الذي ارتفع ليقيم جامعة
برلين وفق تقاليد القرن الثامن عشر الذى اتصف بالنزعة الانسانية • فقد
كان هو نفسه متسبعاً بها ، ولذلك فقد عارض ان تستهدف الجامعة تحقيق
اغراض نفعية ضيقة ؛ وذهب الى ان بربروسية تحتاج قبل كل شئ الى اعداد قادة
وموظفين أقوياء في الروح والرأى والعقيدة ، ومزودين بتلك القيم الثقافية
العامة القائمة على النزعة الانسانية ، لا حائزين على مجموعة من المعلومات
الفنية • وقد استعان بأراء بعض المفكرين الالمان امثال شيلنج Shelling
فى « محاضراته عن طرق الدراسة الاكاديمية » سنة ١٨٠٣ ، وفيشته فى
رسالته عن « خطة تأسيس جامعة في برلين » سنة ١٨٠٧ وغيرهم • وقد تركت
آراؤه هذه آثاراً مهمة في طبيعة الجامعات الالمانية الجديدة •

ولم تكن الجامعات الالمانية في القرن الثامن عشر مستقلة في شؤونها ، وإنما كانت خاضعة إلى أمير الولاية ، وكانت مؤسسات حكومية تعهد باعلان ولائتها إلى الولاية . غير أن سياسة همبولدت استطاعت ان تقيم جامعة برلين على أساس جديدة ، وجعلتها « هيئة ذات امتياز » تتمتع بحكم ذاتي ، مما كان له تأثير عظيم في جميع الولايات الالمانية ، وصارت للجامعات الالمانية خصائص تميزها عن غيرها .

خصائص الجامعات الالمانية :

وتلخص أهم خصائصها قبل سنة ١٩١٨ بما يأتى :-

اولا - الاستقلال العلمي : وتحتفظ به وتحافظ عليه الهيئة التعليمية التي تتألف من الاساتذة والعميد . ومن أهم واجبات الهيئة التعليمية ترشيح الاشخاص ملء الوظائف التدريسية الشاغرة ، وتعيين المحاضرين . ويشرف على الجامعة « مجلس الجامعة » الذي يتتألف من بعض الاساتذة المستحبين .
ثانيا - حرية المدرس : فقد كان الاستاذ والمحاضر حررا فيما يدرس لا تعيقه كثیر من القيود السياسية او غير السياسية ، وحرافی اختيار مواقعيه التي سيخاضر بها طلابه ، ولا يتقييد بمنهج ثابت .

ثالثا - حرية الدرس : والخاصة الثالثة ، وهي تعزى إلى همبولدت ، حرية الدرس التي لم يكن لها مثيل في الجامعات الانكليزية ولا الامريكية . فقد كان الطالب الالماني حرافى حضور ما يختار من المحاضرات ، وحرافى في الانتقال من جامعة إلى أخرى . وحيث ان المنهج لم يكن ثابتا في أكثر الدروس وخاصة في الفنون والآداب صار الانتقال من جامعة إلى أخرى ممكنا . وكان أصحاب هذا الرأى يرون ان ترك الطالب حرافى الدرس يعني فيه روح المبادرة الفكرية ، والمسؤولية الشخصية ، ويساعده على أن

يتلمس على أحسن الأساتذة المختصين في كل جامعة من الجامعات ، ويحرره من الاستماع الى عدد معين من الأساتذة وفي جامعة معينة ويرى بعض المربين ان اتباع هذه الطريقة قد يؤدي الى تشتت جهود الطلاب ، وقد يدعوا الى التراخي في القيام بواجباتهم ، ويسبب ضياعا في أوقاتهم .

عدد الطلبة في الجامعات والمدارس الهندسية العليا

المدارس الهندسية	الجامعات	السنة
العدد	العدد	
٦٥٦٠٥	٦٤٩٧٨	١٩١٧
٧٦٥٣	٧٢١١٣	١٩١٨
١٥٧٤١	٨٩٣٢٨	١٩١٩
٢٠٧٧٣	٨٦٥٨١	١٩٢٠
٢٣٢١٥	٨٧٢٩٧	١٩٢١
٢٦٦٤٠	٨٤٤٤٠	١٩٢٢
٢٦٦٥٢	٨٥٣٩٤	١٩٢٣
٢١٨١٧	٦٨١١٤	١٩٢٤
٢٠٢٤٧	٦٠٤٥٨	١٩٢٥
٢٠٨٥١	٦٤٥٧٣	١٩٢٦
٢٠١٦٧	٧٢٢٦٥	١٩٢٧
٢٠٠٤٥	٨٢٣٢٢	١٩٢٨
٢١٣٤٧	٩٣٠٩٠	١٩٢٩
٢٢٦٥٠	٩٠٧٤٣	١٩٣٠
٢٣٧٤٠	٩٥٨٠٧	١٩٣١
١٠٩٢٨	٤٨٥٥٨	١٩٣٦
١٠٣٠٧	٣٩٢٣٦	١٩٣٩

تلك هي حالة الجامعات الالمانية قبل سنة ١٩١٨ ٠ أما بعد هذا التاريخ فقد ادخلت عليها بعض التعديلات التي حورت في خصائصها العامة لاسيما فيما يتعلق بالحرفيات المذكورة منها :

كانت الجامعات الالمانية تستمد أكثر نفقاتها من الدولة لأنها قد تأسست في الأعم الأغلب بمساعدة الامراء ، و لأن الإجور الدراسية التي كانت تتضاعفها ضئيلة والهبات التي توسللها قليلة ٠ وقد اعتمدت في أواخر القرن التاسع عشر على الحكومات المحلية اعتماداً كبيراً ٠ وبعد أن كانت اعانة حكومة برؤسية السنوية إلى الجامعات تبلغ قرابة ٢٥٤ ر ١٥٠ ر ٤ ماركاً بلغت ٢٦٩ ر ٦٤٧ ر ١٦ ماركاً في سنة ١٩١٨ ٠ ولا يخفى أن زيادة هذه الاعانات المالية تؤدي إلى زيادة سيطرة الدولة على التعليم الجامعي ٠ فقد كان في كل جامعة برؤسية مثلاً موظفاً Kurator يمثل الحكومة ، ويتعاون مع السلطات الجامعية في القضايا الإدارية فقط ٠ ولكن لم تقتصر وظيفة هذا الموظف على التعاون ، بل تعاظم شأنه وزاد نفوذه زيادة كبيرة في الأوساط الجامعية ٠ فإذا أضفنا إلى ذلك كله حقيقة أخرى وهي أن انتخاب مدير الجامعة لا يكون نهائياً إلا بعد مصادقة وزير المعارف ، وإن الترشيحات لسد الشواغر في ملأ التدريس لا تكون نهائية إلا بعد مصادقة وزارة المعارف ، وإن الاستاذ ليس إلا موظفاً يتناول راتبه الشهري من خزينة الدولة ادركتا مدى ما كان للدولة من نفوذ في إدارة الجامعات الالمانية ٠ ولا شك ان هذا النفوذ يقوى ويضعف تبعاً لقوة مدير الجامعة وضعفه ، وتبعاً لعقلية وزير المعارف ونفسيته ٠ وبالرغم من ان الفكرة القومية(*) قد لعبت دوراً مهماً في الجامعات

(*) كان العالم الالماني هاينريش فون ترايتشكه Von Treitschke من اشهر الاساتذة الذين غرسوا الفكرة القومية في نفوس الطلبة الالمان وأقاموها في قلوبهم وحبوا العسكرية اليهم ٠ وقد هاجم اليهود هجوماً عنيفاً ، وشن حملات منظمة على الاشتراكية ، وامتد نفوذه إلى الجامعات الالمانية قاطبة ٠

الالمانية منذ سنة ١٨٦٦ فاننا نستطيع ان نلمس بعض الاتجاهات الاخرى التي ظهرت فيها . وكانت هذه الاتجاهات الجديدة ترمي الى غير ما كان يرمي اليه تراثيه واتباعه من تربية قومية ، ومن قوة حديدية ، وارادة على الحياة ، وعزيمة ماضية . فقد كانت في الاعم الغلب اتجاهات يسارية تبنتها أقليات فكرية مؤمنة ومناضلة . وكان يرأس هذه الفئة في شاف Virchaw استاذ علم الامراض في جامعة برلين ، واحد مؤسسى « الحزب التقدمى » ، ومن خصوم بسمارك ، والاستاذ تيودور مويسين Mommsen استاذ التاريخ القديم في جامعة برلين منذ ١٨٥٨ ، وسكرتير الاكاديمية البروسية للادب والعلوم (١٨٧٤ - ١٨٩٥) ، والحاصل على جائزة نوبل في الآداب سنة ١٩٠٢ . وقد كان ايضا من خصوم بسمارك ، واحد مثل « الحزب التقدمى » في مجلس النواب البروسى من سنة ١٨٦٣ - سنة ١٨٦٦ .

حياة الطلبة :

أما حياة الطلبة فقد كانت مليئة بالصخب والبارزة والشراب ، وهذا ما دعى ليفيا من الطلاب والاستاذة الى تأسيس جمعيات لمحاربة هذا الانهيار في حياة الطلاب المدرسية ، وانتشالهم من الهوة العميقة التي وقعوا فيها والنهوض الى مستوى اجتماعى واخلاقي عال . وقد اشار غوته نفسه الى هذه الحياة الصاخبة في سيرته الخاصة . وقد سعت هذه الجمعيات الى الحد من « المبارزة » ، ولم تجز اللجوء اليها الا في الحالات التي يقررها « مجلس الشرف » .

وقد كانت الجامعات الالمانية بعد الحرب العالمية الاولى عرضة لانتقادات كثيرة ، لاسيما من العناصر اليسارية ، فقد طالبت ان تضع الحكومة الالمانية سياسة جامعية جديدة ، وتقوم باصلاحات واسعة ، وان تتنازل الجامعات

عن قواعدها الاجتماعية الضيقة وتواجهه حقائق الحياة العملية الحاضرة^(*) .
 وكان الاستاذ ماكس فيير من أشهر الناقدين . فقد دافع عن التقاليد القديمة
 للدراسة الجامعية ، واراد ان يحافظ على الروح الموضوعية في البحث
 والتدريس والتتبع ، ومما قاله : ان قاعة المحاضرات ليست مهلا للمهوشين ،
 وان الاستاذ ينبغي ان يكون معلما لا « زعيما » ومدرسا للتفكير الصحيح
 لا داعية لفكرة سياسية ، وان يتحصص في فرع معين من فروع الاختصاص .
 وفي هذه العزلة والتخصص في الاخص يحصل الاستاذ على تلك الخبرة
 النفسية التي لا يستقيم البحث والتبع الا بها . وكان يعتقد ان أقلية ضئيلة
 جدا تستطيع ان تصل الى هذه المرحلة الاختصاصية . ولذلك فقد وصف
 الدراسة العالية بأنها « شأن من شأن الارستقراطين العقلية » . وقد تصدى
 له أريك فون كيلر Kahler وهاجم نظرته في التخصص بالاخص ،
 وقال انها تعكس علينا « الدراسة البورجوازية » ؟ وطالب ان يكون العالم
 زعيما يربى ، ونبينا يلهم ، يصل الى الحقيقة بالتصور والالهام لا بالبحث
 المفصل ، ويخاطب حلقة مصطفاة من الحواريين لا الجماهير . وحينما
 تصدى ترويلتشن الى آراء كيلر لم يذهب الى ان الدراسة في الجامعات الالمانية
 قد أصبحت مثالية وانما ذكر انها تحتاج الى بعث وتجديد ، ولكنه رفض
 نظرية كيلر رفضا باتا وحسبها قائمة على افكار في القيادة موهومة ؛ وانها
 بهذا الاعتبار غير عقلية ، وغير ديمقراطية .

(*) لقد ظهرت كتب كثيرة في هذه الفترة تبحث في مشاكل التعليم
 الجامعي منها كتاب « الجامعة الجديدة » لـ اوتو مارديترش Dittrich (١٩١٩) ،
 وكتاب « بعثmania والشباب الجامعي » لماكس كرونبل Gründel ١٩١٩
 . وأهمهما جميما كراس « الدراسة من حيث هي مهنة » . لماكس فيبر
 Weber وكراس (الثورة في الدراسة) لارنيست ترويلتش Troeltsch
 (١٩٢١) .

وكان كارل هاينرخ بيكر Becker وزير معارف بروسية في سنة ١٩٢١ وفي ١٩٢٥ - ١٩٣٠ اول من وجهه عنايته لدراسة مشكلة التعليم الجامعي . وقد وضع كتابه «آراء في اصلاح الجامعة» سنة ١٩١٩ ، وبحث المشكلة نفسها في كتابه «طبيعة الجامعة الالمانية» الذي الفه سنة ١٩٢٥ . ونظرا لما كان يتمتع به بيكر من شهرة علمية واسعة فإن آرائه ومقتضياته قد أثرت في نظام التعليم العام وفي الجامعات نفسها . وقد سرح أن الجامعات الالمانية تحتاج إلى اصلاح ، ولكنها من حيث الأساس تقوم على قواعد متباعدة . وحيث أن الجامعات الالمانية كانت تمر في فترة انتقال وتنتقل من العهد الامبراطوري إلى العهد الجمهوري فقد ساعدت آراؤه هذه على توجيه الجامعات ، وكانت فرصة مؤاتية لاحداث تبدل أساسى ، ولكنه ، كغيره ، لم يدرك أثر التطورات الاجتماعية والسياسية التي أعقبت الحرب العالمية الأولى ادراكا واقعيا ؛ ولم يستطع ان يكيف نفسه الى الاتجاهات الجديدة التي جاعت بعد انهيار المانية القومية . وربما ذهب بيكر الى ان التطورات السياسية اليسارية هي التي كانت سببا في انهيار المانية السياسي والاقتصادي والصناعي وليس جامعاتها .

عدد المدرسين في الجامعات الالمانية

(ولا يدخل في هذا العدد مدرسون المعاهد الهندسية العليا)

١٩٣٢	١٩٠٣	١٨٥٠-١٨٢٠	
٢٠٦١	١٠٤٧	٥٣٤	استاذ
١٥٧٧	٦١٠	١٧٢	استاذ مندوب
١٧٥٣	٨٣٤	٢١٤	المحاضرون

أما أهم المشاكل التي واجهت عهد الجمهورية فهي رغبتها في الحفاظ

أكبر عدد ممكن من الطلاب بالجامعات ممن يتسمون الى طبقات اجتماعية مختلفة
 بدلاً من ان يلتحق بها افراد طبقة معينة . و كان مما عملته بروسية لتحقيق
 هذا الغرض أنها أقرت سنة ١٩٢٣ شهادة ثانوية جديدة أجازت حاملها ان
 يلتحق باحدى الجامعات الالمانية اذا تذر عليه ان يحصل على شهادة الدراسة
 الثانوية Abitur المعروفة . ولكن لم ينال هذه الشهادة الا عدد ضئيل
 من الطلاب ، ولم يلتحق بالجامعات من خريجي المدارس الثانوية الجديدة وهي
 Deutsche Oberschule Aufbauschule الا نسبة قليلة ايضا . والحقيقة
 ان ٣٩٪ من طلاب الجامعات قد تخرجوا من « الجنمازيوم » ٢٦٪ و ٠٪
 من « الريال جمنازيوم » و ٢٠٪ من « الاوبرريال شوله » . وهكذا نجد
 ان طلبة الجامعات الالمانية كانوا في العهد الجمهوري من خريجي المدارس
 الثانوية العلمية التقليدية ، وان هذه الجامعات احتفظت بتقاليدها الموروثة ،
 ولم تتبدل فيها حتى طرق التدريس .

أما حرية التعليم فقد نصت عليها المادة ١٤٤ من دستور فايمير ؟ وقد تمعن
 بها او لثلاث الاساتذة الذين آلمهم ان تزول المائة القومية وتحل محلها المائة
 الديمقراطية اليسارية والذين الصقوا شتى التهم بالجمهورية الجديدة .
 ولا يخفى ان الروح الالمانية بعد سنة ١٩١٨ هي التي كانت سائدة بين
 أكثر الاساتذة . وكان من أشهرهم لينهارد استاذ الفيزياء في جامعة
 هايدلبرغ . فقد ترك العلم الامبراطوري يرفرف على معهده الفيزياوي
 ولم يستبدل به علم الجمهورية ، وصار بعد ذلك من مشاهير العلماء
 النازيين ، لاسيما بعد ان ألف كتاب « الفيزياء الالمانية » سنة ١٩٣٧ و « نفاح
 العالم الالماني في الدراسات النورديكية (الشمالية) » . وأخذ الاساتذة
 القوميون يقاومون خصومهم من الاساتذة ، ويحرمونهم من حق التعبير عن
 آرائهم احيانا ، كما حدث لفترندين Dehn فقد اضطر هذا على ان

يتحلى عن كرسى الاستاذية فى كلية اللاهوت بعد ان تم ترشيحه وصادق عليه وزير المعارف تحت ضغط الاساتذة القوميين الذين ادعوا أنه اهان الجيش الالمانى . وكما حدث للدكتور Lessing استاذ الفلسفة فى « مدرسة الهندسة العليا » فى هانوفر سنة ١٩٢٥ حينما أتهم بأنه قد نشر مقالة مس بها كرامة هندنبرغ فقد اضطر على أن يترك منصبه ايضا بالرغم من مساندة وزير المعارف بيكر له .

وحيثما تأسست جمعية الطلبة الديمقراطيين (Asta) وانضم الطلبة القوميون المتطررون فى رابطهم المعروفة Hochschulring deutscher Art وفي Deutsche Gildenschaft التى تأسست سنة ١٩١٩ حدثت تطورات أخرى فى حياة الطلبة الالمان . فقد بشر طلبة الجمعية الأخيرة ، التى كانت متصلة بحركة الجوالات Wandervögel بنظرية رسمية وهاجموا معاهدة فرساي ، ودعوا إلى توحيدmania . ولم يكتفى الطلبة القوميون بهذه الجمعيات بل أسسوا جماعات طلابية أخرى ، غير جماعات الطلبة النازيين التى سيأتى الكلام عنها ، استعملوها فى محاربة الجمهورية . وقد ألف الطلبة الديمقراطيون « جماعة الطلبة الجمهوريين » سنة ١٩٢٢ . وكان هدفها محاربة القومية والقضاء على الروح العسكرية بين طلاب الجامعات . كما تألفت جماعات أخرى عكست حياة العصر السياسية والاجتماعية والتعليمية . وينبغي ان تذكر ان كثيرا من اساتذة الجامعات لم يرجعوا بالنازية ، وظلوا يتمسكون بالتقاليد القديمة ويهزأون بالديمقراطية الجديدة ويمجدون الروح العسكرية وبالفكرة التسلطية فى الحياة ، ولم يصبح جميعهم نازيين .

وفى سنة ١٩٢٦ تأسست « جماعة الطلبة النازيين » . وحيث ان الطلبة النازيين كانوا قد انضموا قبل هذا التاريخ الى الجمعية الطلابية القومية المتطرفة التى مر ذكرها ، وبسطوا نفوذهم عليها فقد عظم سلطانهم فى « جماعة الطلاب

الالمان » Deutsche Studenenschaft وفي الانتخابات التي أجرتها جمعية الطلبة الديمقراطيين (استا) سنة ١٩٣٠ - ١٩٣١ أحرز الطلبة النازيون والقوميونأغلبية ساحقة في كل جامعة المانية ما عدا جامعة بون . ونجد ان الاتجاهات الجديدة ، وخاصة في الجامعات الحديثة كجامعة فرانكفورت وكولون وهامبورك ، كانت تسير جنبا الى جنب مع الحركة النازية بينما أظهرت جامعات بون مثلما وفرايبورك ، حيث تقوى العناصر الكاثوليكية ، مقاومة شديدة الى النازية لاعتبارات دينية . وحينما صار هتلر رئيسا لحكومة الرايخ ازدادت سيطرة النازية على الجامعات المانية ، وازدادت الرقابة على الاساتذة ، واقتصر الاساتذة اليهود او من كانت زوجاتهم يهودية من الجامعات ، وجعلت نسبة الطلبة اليهود ١٥٪ ، ومنعوا من الحصول على شهادة الدكتوراه منذ سنة ١٩٣٧ تطبيقا « لقوانين نورنبرغ التي شرعت سنة ١٩٣٥ » ، وابعدت فكرة العلم للعلم من الجامعات المانية ، وفكرة البحث عن قوانين مجردة لا تمت الى حياة الامة المانية بصلة ، واسعاع الاستاذ ولتر فرانك من مساعيه المؤرخين النازيين فكرة جعل الدراسة في الجامعات المانية « العلم الكفاحي » او كما سماه Kämpfende Wissenschaft ومعناها أنه ينبغي على الجامعات المانية ان تلامس « الحياة » ، فتدرس العلوم الرسمية Rassenkunde والعلوم العسكرية Wehrfissenschaft وان تعنى بعلم الحياة وعلم تحسين النسل .

ولم تتبدل صلة الجامعات المالية بحكومات الولايات كثيرا ، غير ان تشكيل « وزارة معارف الرايخ » سنة ١٩٣٤ وصلاحياتها في تقييس الجامعات ادى الى فرض درجة من السيطرة المركزية . وقد طرأ على الادارة الداخلية في الجامعات تبدل اساسي اثر ظهور تعليمات شهر نيسان سنة ١٩٣٥ التي أقرت مبدأ القيادة في الجامعة . فلم يعد رئيس الجامعة

شخصا يتخرّج الاستاذة ، وانما صار موظفا تعينه الحكومة ، ولم يعد يتمتع بسلطات واسعة ؟ فقد أصبحت مهمة مجلس الجامعة ومجالس الهيئات التعليمية الاجرى استشارية فقط . وتنبع عن هذا الحد من استقلال الجامعات العلمى حد فى حرية التعليم .

وكان الاستاذة والطلاب يتمسون اجراريا الى منظمتين مهمتين . فقد انضم الاستاذة والمحاضرون الى « رابطة معلمى الجامعات الاشتراكيين الوطنيين » التي تتفرع من « رابطة المعلمين الاشتراكيين الوطنيين » . وكانت تستهدف توجيه الفعاليات الجامعية توجيها نازيا ؛ وكان رئيسها لغاية سنة ١٩٤٤ والترشولتسه Schulze أحد زعماء النازية ، وكانت لها فروع في مختلف الأقاليم ، ومقرها العام مدينة ميونيخ .

اما الطلاب فقد انضموا الى رابطة مماثلة هي « رابطة الطلبة الاشتراكيين الوطنيين » التي تأسست سنة ١٩٣٤ . وقد كانت ترمى الى العناية بشؤون الطلاب الثقافية والاجتماعية و « تربية الالمان تربية سياسية وعقائدية » وكان رئيس هذه الرابطة الدكتور شيل G. A. Sheel زعيم طلبة الرياح ، ومقره العام مدينة ميونيخ . وكان يمثله في كل جامعة من الجامعات « زعيم الطلاب » .

الاستشراق في الجامعات الالمانية :

كان من نتائج « تعریب » البحر الایض المتوسط ونشوء مراكز ثقافية على شواطئه ، ان وجه الاوربيون عنيتهم الى دراسة اللغات الشرقية بصورة عامة والعربة بصورة خاصة ؟ وتعرفوا على فطاحل فلاسفة العرب والمسلمين امثال ابن سينا ، وابن رشد ، والغزالى ، وابن الهيثم ، وغيرهم . واشتهر الالمان بهذه الدراسات ، واحتلوا مكانة عظيمة بين الشعوب الاوربية ، وافتتحوا مراكز علمية في مختلف الجامعات والمدن الالمانية .

ومع ان الحربين العالميتين قد اضفتا حركة الاستشراق الا ان المانية قد ظلت تحفظ بمكانتها حتى يومنا هذا ، واشتهرت كثير من مدنها بالدراسات العربية والاسلامية منها : هامبورغ ومونستر الواقعة في مقاطعة ويستفاليا ، وكوتتنك ، وبون ، وماينس ، وماربورغ ، وهاله الواقعة في المانيا الشرقية .
ولعل مدينة هامبورك من أهم المدن الالمانية التي اهتمت واحتفلت بالدراسات العربية والاسلامية ؟ ففي هذه المدينة استطاع المستشرق الالماني المعروف بيكر ان يواصل بحوثه ، ويقوم باصدار مجلة « الاسلام » ؟ وفي مدينة كوتتنك اخرج الاستاذ فرديناند فوستفلد مؤلفاته الكثيرة في تاريخ الادب العربي منها : معجم الادباء لياقوت الحموي ، وسيرة ابن هشام ، وكتاب اخبار مكة لللزارقى ؟ وفيها نشأ يوليوس فالهاوزن الباحث الشهير في التاريخ العربي .

اما في مدينة بون فيتوى الاستاذان بيكر وليمان في « المعهد الشرقي للجامعة » الذي يرأسه الاستاذ شيسس الدراسات العربية والاسلامية . وقد عرف الاخير بمؤلفاته وتحقيقاته الكثيرة في الكتب العربية منها : « رسالة في تاريخ الآداب العربية » (صدرت سنة ١٩٣٢) ، و « اخبار الهند » لابن فضل الله العمري (١٩٤٣) و « مناقب الاوزاعي » وكتاب « الواضح المبين في ذكرى من استشهد من المجين » للشيخ علاء الدين مغلطاوى .
وفى مدينة ماينس تأسس معهد شرقى بعد الحرب العالمية الثانية ، واخذ يواصل بحوثه في دراسة حضارة الامة العربية والشعوب الاسلامية ؟ وقد أصبحت هذه المدينة مقرًا « للجمعية الشرقية الالمانية » المعروفة . وتشتهر مدينة فرانكفورت بالاستاذ هلموت رتر مؤلف كتاب « المكتبة الاسلامية » وأحد الاخصائين المعروفين بدراسة المخطوطات الشرقية .

ويقوم الاستاذ فوك صاحب المؤلفات والدراسات الخاصة بعلوم الحديث ، وأحسن من كتب عن تطور اللغة العربية باخراج طبعة جديدة

لفهرست ابن الديم ° ومن المستشرقين المعروفين البروفسور كازل بروكلمان
 مؤلف كتاب « تاريخ الاداب العربية » وشبور مؤلف كتاب « ايران في
 الفرون الوسطى » الذي يعد في طليعة الباحثين في التاريخ الاسلامي ،
 وكرير في كتاب « سقوط مملكة القدس » ، وفي نشر مؤلف « قاموس
 اللغة العربية الحديثة » ° ويباشر البروفسور كاسكل في اخراج الجزء
 الثالث من كتاب « البدو » مؤلفه المستشرق المعروف اوينهايم °
 تلك هي لمحات خاطفة عن جهود المستشرقين في الجامعات والمعاهد
 العلمية الالمانية ، واتجاههم العلمي في العلوم العربية والاسلامية °

مصادر البحث الاساسية

1. Fletcher, A. W., Education in Germany, Cambridge, 1934.
2. Kandel, I. L., Comparative Education, 1933.
3. Samuel, R. H., Thomas, R. H., Education and Society in Modern Germany, London, 1949.

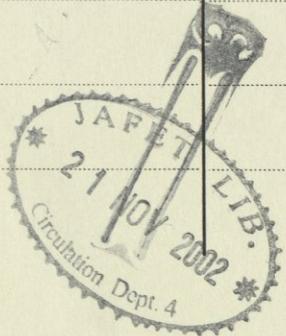
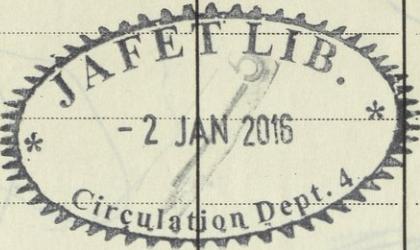
الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
Kingdom	Kindom	الهامش	٢٧
هارفارد	شيكاغو	٩	١٣٧
طول	طوال	٩	١٦٠
وكيلية	وكلة	١٨	١٧٥
الافرنسيين	الافرنسيون	١٣	١٩٤
المثقفة	المثقنة	١	١٩٥
البورجوازية	البورازية	١٦	٢٠٦
النهوض بالتعليم	النهوض	١٧	٢٥٣
يستخدمون	يستطيعون	١٧	٢٧٨
كبيرا	كبمرا	١١	٢٨٢
تمنع	تمنح	٣	٢٨٤
بيبل	بيل	١٧	٣١٠
النازية	النازي	١٥	٣٣١
اصبحت تسمى	تسمى ایالات	١٨	٣٢٨
ایالات			
لا يستند	يستند	١٠	٣٤٤
، وان	ـ ان	٩	٣٥٠
، وان	ـ ان	١٢	٣٥٠
فقراؤهم	كبارهم	٢١	٣٥٤
دورا	درا	١٧	٣٥٥
تضاف كلمة (تقوم على) بعد كلمة الالمانية		١٥	٣٦٩

21



DATE DUE



A.U.E. LIBRARY

379:D876dA:v.2:c.1

الدجيري، حسن

الدولة والتعليم

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01023580

379:D876dA

v.2

الدجيري

الدولة والتعليم

379
D876dA
v.2

